بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعرآء[1]

مقصودها أن هذا الكتاب بين فى نفسه باعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس، و من/ ذلك بيان آخر التى قبلها بتفصيله، و تنزيله[2] على أحوال الأمم و تمثيله، و تسكين أسفه صلى الله عليه و سلم خوفا [من -[3]] أن يعم أمته الهوان، بعدم[4] الإيمان، و أن يشتد قصدهم لأتباعه بالأذى و العدوان، بما تفهمه "سوف" من طول الزمان، بالإشارة إلى إهلاك من علم منه دوام العصيان، و رحمة من أراده للهداية و الإحسان، و تسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك بما يفارق به القرآن الشعر[5] من علو مقامه، و استقامة مناهجه و عز مرامه، و صدق وعده و وعيده، و عدل تبشيره و تهديده، [6]و كذا تسميتها بالظلة إشارة إلى أنه أعدل

/ ٧١٢

٥

١٠

(١) السادسة و العشرون من سور القرآن الكريم، مكية مع ورود استثناء بعض الآيات، و عدة آيها مائتان و سبع و عشرون آية فى الكوفى و الشامى و المدنى الأول، و مائتان و ست و عشرون فى الباقى - راجع روح المعانى ٦/ ١٨٠ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تزيلمه - كذا (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: بعد (٥) فى ظ: المشعر (٦) العبارة من هنا إلى «لمن يبارزه بالعصيان» متأخرة فى الأصل عن «طسم»، و الترتيب من ظ و مد.

فى بيانه ، [1]و أدل فى جميع شأنه ، من المقادير التى دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال و الميزان ، و أحرق من الظلة[2] لمن يبارزه بالعصيان .
﴿ بسم الله ﴾ الذى دل علو كلامه ، على عظمة شأنه و عز مرامه ﴿ الرحمن ﴾ [3]الذى لا يعجل على من عصاه ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى يحيى
٥ قلوب أهل وده بالتوفيق لما يرضاه ﴿ طسم ه ﴾ [لعله إشارة إلى الطهارة الواقعة بذى طوى من طور سيناء و طيبة و مكة وطيب ما نزل على محمد صلى الله عليه و سلم مما يجمع ذلك كله - كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ما يرشد إلى ذلك ، و إلى خلاص بنى إسراءيل بما سمعه موسى عليه السلام من الكلام القديم و باتمام أمرهم بتهيئتهم للملك باغراق فرعون
١٠ و جنوده و نصرهم على من ناواهم فى ذلك الزمان بعد تطهيرهم بطول البلاء الذى أوصلهم إلى ذل العبودية ، و ذلك كله إشارة إلى تهديد قريش بأنهم إن لم يتركوا لددهم فعل بهم ما فعل بفرعون و جنوده من الإذلال بأى وجه أراد ، و خلص عباده منهم ، و أعزهم على كل من ناواهم -[4]] .

و لما فرق سبحانه فى تلك بين الدين الحق و المذهب الباطل ، و بين
١٥ ذلك غاية البيان ، و فصل عباد الرحمن من[5] عباد الشيطان ، و أخبر أنه عم برسالته صلى الله عليه و سلم جميع الخلائق ، و ختم بشديد الإنذار

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٢) من مد ، و فى الأصل : المظلمة ، و فى ظ : الظلمة (٣) وقع فى الأصل تفسير « الرحمن » موضع تفسير « الرحيم » وكذا العكس ، و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : على .

لأهل

لأهل الإدبار، بعد أن قال " فقد كذبتم " وكان حين نزولها لم يسلم
منهم إلا القليل، وكان ذلك ربما أوهم قرب إهلاكهم وإنزال البطش
بهم، كما كان فى آخر سورة مريم، وأشارت الأحرف المقطعة إلى مثل
ذلك، فأوجب[1] الأسف على فوات ما كان يرجى من رحمتهم بالإيمان،
والحفظ عن نوازل الحدثان، وكان ذلك أيضا ربما أوجب أن يظن ٥
ظان، أن عدم إسلامهم لنقص فى البيان. أزال ذلك[2] سبحانه أول هذه
فقال: ﴿تلك﴾ أى الآيات العالية المرام، الحائزة أعلى مراتب التمام،
المؤلفة من هذه الحروف التى تتناطقون بها وكلمات لسانكم ﴿ءايٰت الكتٰب﴾
أى[3] الجامع لكل فرقان ﴿المبين ﴾ أى الواضح فى نفسه [3]أنه معجز،
وأنه من عند الله، وأن فيه كل معنى جليل[3]، الفارق لكل مجتمع ملتبس ١٠
بغاية البيان، فصح أنه فرقان كما ذكر فى التى قبلها، فان الإبانة هى
الفصل والفرق. فصار الإخبار بأنه فرقان مكتنفا[4] الإنذار أول السورة
التى قبل وآخرها - والله الموفق.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما عرّفت سورة الفرقان بشنيع
مرتكب الكفرة المعاندين، وختمت بما ذكر من الوعيد، كان ذلك ١٥
مظنة لإشفاقه عليه الصلاة والسلام وتاسفه على فوت إيمانهم، لما جبل
عليه من الرحمة والإشفاق. فافتتحت السورة الأخرى بتسليته عليه الصلاة

---

(١) زيد فى الأصل: ذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٢) سقط
من ظ (٣-٣) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «المؤلفة»، والترتيب من
ظ ومد (٤) من مد، وفى الأصل وظ: مكشفا.

و السلام ، و أنه سبحانه [1]لو شاء[1] لأنزل عليهم آية تبهرهم و تذل جبابرتهم فقال سبحانه " لعلك باخع نفسك " - الآيتين ، و قد تكرر هذا المعنى عند إرادة تسليته عليه الصلاة و السلام كقوله تعالى " و لو شاء الله لجمعهم على الهدى[2] " ، " و لو شئنا لأتينا كل نفس هدٰها[3] " ، " و لو شاء ربك لأمن من فى الارض كلهم جميعا[4] " ، "و لو شاء الله / ما فعلوه[5] " ثم أعقب سبحانه بالتنبيه و التذكير " او لم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم " ، " و اذ نادىٰ ربك موسىٰ " و قلّما تجد فى الكتاب العزيز ورود تسليته عليه السلام إلا معقبة[6] بقصص موسى عليه السلام و ما كابد من بنى إسراءيل و فرعون ، و فى كل قصة منها إحراز ما لم تحرزه الأخرى من الفوائد و المعانى و الأخبار حتى لا تجد[7] قصة تتكرر و إن ظن ذلك من لم يمعن النظر ، فما من قصة من القصص المتكررة فى الظاهر إلا و لو سقطت أو قدر إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل من غيرها ، و سيوضح هذا فى التفسير بحول الله ؛ ثم أتبع جل و تعالى قصة موسى بقصص[8] غيره من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام مع أممهم على الطريقة المذكورة ، و تأنيسا له عليه الصلاة و السلام حتى لا يهلك نفسه أسفا على فوت إيمان قومه ؛ ثم أتبع سبحانه ذلك بذكر[9] الكتاب

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سورة ٦ آية ٣٥ (٣) سورة ٣٢ آية ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٩ (٥) سورة ٦ آية ١٣٧ (٦) فى ظ : تعقبه . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يجده (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقصة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تذكر .

و عظيم النعمة به فقال "و انه لتنزيل رب العلمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون" فيا لها كرامة تقصر الألسن[1] عن شكرها، و تعجز العقول عن تقديرها، ثم أخبر تعالى أنه "بلسان عربي مبين"، ثم أخبر سبحانه بعلى أمر هذا الكتاب و شائع ذكره على ألسنة الرسل و الأنبياء فقال «و انه لفي زبر الاولين» و أخبر أن علم بنى إسراءيل من أعظم ٥ آية و أوضح[2] برهان و بينة، و أن تأمل ذلك كاف، و اعتباره شاف، فقال "او لم يكن لهم اٰية ان يعلمه علمٰؤا بنى اسراءيل" كعبد الله بن سلام و أشباهه، ثم وبخ تعالى متوقفى العرب فقال "و لو نزلنه على بعض الاعجمين" - الآية[3]، ثم أتبع ذلك بما يتعظ به المؤمن الخائف من أن الكتاب - مع أنه هدى و نور - قد يكون محنة فى حق طائفة كما ١٠ قال تعالى "يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا[4]"، " و اما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم[5]" فقال تعالى فى هذا المعنى "كذلك سلكنه فى قلوب المجرمين لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم" - الآيات، ثم عاد الكلام إلى تنزيه الكتاب و إجلاله عن أن [6]تتسور الشياطين[6] على شيء منه أو تصل[7] إليه فقال سبحانه "و ما تنزلت به الشيطين و ما ١٥ ينبغى لهم [8]و ما يستطيعون[8]" أى ليسوا أهلا له و لايقدرون على استراق سمعه[9]، بل هم معزولون عن السمع، مرجومون بالشهب، ثم وصى تعالى

(١) فى مد: الالسنة (٢) زيد فى ظ: به (٣) سقط من ظ (٤) سورة ٢ آية ٢٦.
(٥) سورة ٩ آية ١٢٥ (٦ - ٦) من ظ و مد، وفى الأصل: يتسور الشيطان.
(٧) من ظ و مد، وفى الأصل: اتصل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.
(٩) من ظ و مد، و فى الأصل: السمع لسمعه.

نبيه صلى الله عليه و سلم - و المراد المؤمنون - فقال : " فلا تدع مع الله الها اٰخر فتكون من المعذبين " ثم[1] أمره بالإنذار و وصاه بالصبر فقال " و انذر عشيرتك الاقربين و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " ثم أعلم[2] تعالى بموقع ما توهموه[3]، و أهلية ما تخيلوه، فقال " هل انبئكم

٥ على من تنزل الشيٰطين تنزل على كل افاك اثيم " ثم وصفهم، و كل هذا تنزيه / لنبيه صلى الله عليه و سلم عما تقولوه، ثم هددهم و توعدهم /٧١٤ فقال " و سيعلم الذين ظلموا اىّ منقلب ينقلبون " - انتهى .

و لما كان قد قدم[4] فى تلك أنه عم برسالته جميع الخلائق، و ختم بالإنذار على تكذيبهم فى تخلفهم، مع إزاحة جميع العلل، و نفى كل

١٠ خلل، و كان ذلك مما يقتضى شدة أسفه صلى الله عليه و سلم على المتخلفين كما هو من مضمون " ان قومى اتخذوا هذا القراٰن مهجورا " على ما تقدم . و ذلك لما عنده صلى الله عليه و سلم من مزيد[5] الشفقة، و عظيم الرحمة، قال تعالى يسليه[6]، و يزيل من أسفه و يعزيه، على سبيل الاستئناف، مشيرا إلى أنه لا نقص فى إنذاره و لا فى كتابه الذى ينذر به يكون

١٥ سببا لوقوفهم عن الإيمان . و إنما السبب فى ذلك محض إرادة الله تعالى : ﴿لعلك باخع نفسك﴾ اى مهلكها غما، و قاتلها[7] أسفا، من بخع[8] شاة

(١) من ظ و مد، و فى الأصل "و" (٢) زيد فى ظ : انه (٣) فى ظ : توهمون . (٤) زيد فى الأصل : ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : مزايد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : تسلية . (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : قايلها (٨) من ظ ومد، وفى الأصل تجمع .

إذا

إذا بالغ فى ذبحها حتى قطع البخاع، بكسر الموحدة، و هو عرق باطن فى الصلب و فى القفا، و ذلك أقصى حد الذابح، [و هو -[1]] غير النخاع[2] بتثليث النون فانه الخيط الأبيض فى جوف الفقار ﴿ ان ﴾ أى لأجل [أن -[1]] ﴿ لا يكونوا ﴾ [أى كونا كأنه جبلة لهم -[1]] ﴿ مؤمنين ه ﴾ أى راسخين فى الإيمان. فكان كأنه قيل: هذا الكتاب فى غاية البيان ٥ فى نفسه و الإبانة للغير، و قد تقدم فى غير موضع أنه ليس عليك إلا البلاغ، أتخاف و تشفق على نفسك من الهلاك غما[3] تأسفا على عدم إيمانهم و الحال أنا لو شئنا لهديناهم طوعا أو كرها، و الظاهر أن جملة الإشفاق فى موضع حال من اسم الإشارة كما ان الآية التى بعدها فى موضع الحال منها[4]، أى نحن نشير إلى الآيات المبينة لمرادنا فيهم و الحال أنك - لمزيد حرصك ١٠ على نفعهم - بحال يشفق فيها عليك من لا يعلم الغيب من ان تقتل نفسك غما لإبائهم[5] الإيمان و الحال أنا لو شئنا اتيناهم بما يقهرهم و يذلهم للايمان و غيره .

و لما كان المحب ميالا[6] إلى ما يريد حبيبه، أعلمهم[7] أن كل ما هم فيه[8] بإرادته فقال[8]: ﴿ ان نشا ﴾ و عبر بالمضارع فيه و فى قوله: ﴿ ننزل ﴾ ١٥ إعلاما بدوام القدرة . و لما كان ذلك الإنزال من باب القسر، و الجبروت

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: النجاع (٣) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها (٥) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ميلا (٧) فى ظ ومد: اعلم (٨) سقط من ظ .

و القهر، قال: ﴿ عليهم ﴾ و قال محققا[1] للمراد: ﴿ من السمآء ﴾ أى التى جعلنا فيها بروجا للنافع؛ و أشار إلى تمام القدرة بتوحيدها فقال: ﴿ اٰية ﴾ أى قاهرة كما فعلنا ببعض من قبلهم بنتق الجبل و نحوه؛ و أشار إلى تحقق أثرها بالتعبير بالماضى فى قوله عطفا على "ننزل" لأنه ٥ فى معنى "أنزلنا": ﴿ فظلت ﴾ أى عقب الإنزال [2]من غير مهلة[2] ﴿ اعناقهم ﴾ التى هى موضع الصلابة، و عنها تنشأ حركات الكبر و الإعراض ﴿ لها ﴾ أى للآية دائما، و لكنه عبر بما يفهم النهار لأنه موضع القوة على جميع ما يراد من التقلب و الحيل و المدافعة ﴿ خاضعين ﴾ جمعه كذلك[3] لأن الفعل لأهلها ليدل على أن ذلهم لها ١٠ يكون مع كونهم جميعا، و لا يغنى جمعهم[4] و إن زاد شيئا، و الأصل: فظلوا، و لكنه ذكر الأعناق لأنها[5] موضع الخضوع [6]فانه يظهر لينها[6] بعد صلابتها، /715 و انكسارها بعد شماختها، و للاشارة إلى أن الخضوع[7] يكون بالطبع من غير تأمل لما أبهتهم و حيرهم من عظمة الآية، فكأن الفعل للأعناق لا لهم؛ و الخضوع: التطأمن و السكون[8] و اللين ١٥ ذلا و انكسارا ﴿ و ما ﴾ أى هذه صفتنا و الحال أنه ما ﴿ ياتيهم ﴾ أى الكفار[9] ﴿ من ذكر ﴾ أى شىء [10]من الوعظ و التذكير و التشريع[10]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تحقيقا (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فى غير مهملة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لذلك (٤) فى ظ: بجمعهم. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فانها (٦ - ٦) من مد، و فى الأصل: ليظهر قنيها (٧) العبارة من « فانه يظهر » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: السكوت (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الكفارة. (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

يذكروننا به، فيكون سبب ذكرهم و شرفهم ﴿ من الرحمن ﴾ أى الذى أنكروه مع إحاطة نعمه بهم ﴿ محدث ﴾ أى بالنسبة إلى تنزيله و علمهم به؛ و أشار إلى دوام كبرهم بقوله: ﴿ إلا كانوا ﴾ أى كونا هو كالخلق لهم؛ و أشار بتقديم الجار المؤذن بالتخصيص إلى ما لهم من سعة الأفكار و قوة الهمم لكل ما يتوجهون إليه، و إلى أن لإعراضهم عنه [1]من القوة[1] ٥ ما يعد الإعراض معه عن[2] غيره عدما [فقال -[3]]: ﴿ عنه ﴾ أى خاصة ﴿ معرضين ۝ ﴾ أى إعراضا هو صفة لهم لازمة.

و لما كان حال المعرض عن الشيء حال المكذب به قال[4]: ﴿ فقد ﴾ أى فتسبب عن هذا الفعل منهم أنهم قد ﴿ كذبوا ﴾ أى حققوا التكذيب و قربوه كما تقدم آخر تلك، [و استهزأوا مع التكذيب ١٠ بآياتنا -[3]].

و لما كان التكذيب بالوعيد سيما فى إيقاعه، و كان حالهم فى تكذيبهم له صلى الله عليه و سلم حال المستهزئ لأن من كذب [5]بشيء خف عنده قدره[5]، فصار عرضة للهزء، قال مهددا: ﴿ فسيأتيهم ﴾ سببه بالفاء و حققه بالسين، و قلل التنفيس عما فى آخر الفرقان ليعلموا أن ما كذبوا به واقع، ١٥ و أنه ليس موضعا للتكذيب بوجه[6] ﴿ أنبؤا ﴾ أى عظيم أخبار و عواقب ﴿ ما ﴾ أى العذاب الذى ﴿ كانوا ﴾ أى كونا كأنهم جبلوا عليه ﴿ به ﴾ أى خاصة لشدة إمعانهم فى حقه وحده ﴿ يستهزءون[7] ۝ ﴾ أى يهزؤن،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ: من (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى ظ: فقال (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالشيء قدرة خف عنه.
(٦) سقط من ظ (٧) تقدم فى الأصل على «أى خاصة» و الترتيب من ظ و مد.

و لكنه عبر بالسين إشارة إلى أن حالهم فى شدة الرغبة فى ذلك المرء حال الطالب له ، [و قد ضموا إليه التكذيب ، فالآية من الاحتباك : ذكر التكذيب أولا دليلا على حذفه ثانيا ، و الاستهزاء ثانيا دليلا على حذف مثله أولا -[1]] .

٥ و لما كانت رؤيتهم للآيات السماوية و الأرضية الموجبة للانقياد و الخضوع موجبة لإنكار تخلفهم عما تدعو إليه فضلا عن الاستهزاء ، و كان قد تقدم آخر تلك الحث على تدبر بروج السماء و ما يتبعها من الدلالات ، فكان التقدير : ألم يروا إلى السماء كم أودعنا فى بروجها و غيرها من آيات نافعة و ضارة كالأمطار و الصواعق ، عطف عليه ما ينشأ عن ١٠ ذلك فى الأرض فى قوله معجبا منهم : ﴿ او لم يروا ﴾ .

و لما كانوا فى عمى عن تدبر ذلك ، عبر للدلالة عليه بحرف الغاية فقال : ﴿ الى الارض ﴾ أى على سعتها و اختلاف نواحيها و تربها ؛ و نبه على كثرة ما صنع من جميع الأصناف فقال : [﴿ كم انبتنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فيها ﴾ بعد أن كانت يابسة ميتة لا نبات بها -[1]] ١٥ ﴿ من كل زوج ﴾ أى صنف مشاكل بعضه لبعض ، فلم يبق صنف يليق بهم فى العاجلة إلا أكثرنا من الإنبات[2] منه ﴿ كريم ﴾ أى جم المنافع ، محمود العواقب ، لا خباثة فيه ، من الأشجار و الزروع و سائر النباتات على اختلاف ألوانها فى زهورها و أنوارها ، [و -[1]] طعومها و أقدارها ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاثبات .

 و منافعها

و منافعها و أرواحها - إلى غير ذلك من أمور لا يحيط بها خدا و لا[1] يحصيها غدا، إلا الذى خلقها، مع كونها تسقى بماء واحد؛ و الكريم وصف لكل ما يرضى فى بابه و يحمد، و هو ضد اللئيم .

و لما كان ذلك باهرا / للعقل منبها[2] له فى كل حال على عظيم اقتدار صانعه، و بديع اختياره، وصل به قوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الإنبات و ما تقدمه[3] من العظات على كثرته ﴿ لاٰية ﴾ أى علامة عظيمة جدا [لهم -[4]] على تمام القدرة على البعث و غيره، كافية فى الدعاء إلى الإيمان، و الزجر عن[5] الطغيان، و لعله وحدها على كثرتها إشارة إلى أن الدوالّ عليه متساوية الأقدام فى الدلالة، فالراسخون تغنيهم[1] واحدة، و غيرهم لا يرجعون لشىء[6] ﴿ و ﴾ الحال أنه[7] ﴿ ما كان ﴾ فى[8] الشاكلة[9] التى خلقتهم[10] عليها ﴿ اكثرهم ﴾ أى البشر ﴿ مؤمنين ه ﴾ أى عريقين فى الإيمان، لأنه «ما يؤمن أكثرهم [بالله -[11]] الا وهم مشركون» ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أن ﴿ ربك ﴾ أى الذى أحسن إليك بالإرسال، و سخر لك قلوب الأصفياء، و زوى عنك اللد الأشقياء ﴿ لهو ﴾ .

716 / ٥ ١٠ ١٥

---

(١) سقط من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : نبها (٣) فى ظ : يبديه.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : على (٦) فى ظ : بشىء .
(٧) فى ظ : انهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : من (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : المشاكلة (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : خلقهم (١١) زيد من ظ ومد و القرآن الكريم ١٢/١٠٦ .

و لما كان المقام لإنزال الآية القاهرة، قدم قوله: ﴿العزيز﴾ أى القادر على كل من قسرهم على الإيمان و الانتقام منهم ﴿الرحيم ع﴾ فى أنه لم يعاجلهم بالنقمة، بل أنزل عليهم الكتاب ترفقا بهم، و بيانا لما يرضاه ليقيم به الحجة على من أريد للهوان، و يقبل بقلوب من يختصه منهم للايمان؛ ٥ قال أبوحيان: و المعنى أنه عز فى نقمته من الكفار، و رحم مؤمنى كل أمة - انتهى. و من هنا شرع سبحانه و تعالى فى تمثيل آخر الفرقان فى إظهار القدرة بالبطش عند النقمة حيث لم يشكر النعمة بأن أبى المدعو الإجابة لدعوة الرسل، و ترك الداعى- عقب الانقياد [من -[1]] الشدائد - التضرع للرسل، و قص أخبار الأمم على ما هى عليه بحيث ١٠ لم يقدر أحد من أهل الكتاب الذين هم بين ظهرانيهم على إنكار شىء من ذلك، و من ثم قرع أسماعهم أول شىء بقصتهم من فرعون و موسى عليه السلام، فصح قطعا أن هذا الكتاب جلى الأمر، على القدر، ليس بكهانة و لا شعر، كما سيؤكد ذلك عند إظهار النتيجة فى آخرها، بل هو من عند رب العالمين، على لسان سيد المرسلين، وصح أن أكثر الخلق ١٥ مع ذلك هالك و إن قام الدليل، و وضح السبيل، لأن[2] سلك الذكر فى قلوبهم شبيه فى الضيق بنظم السهم فيما يرمى به، و صح أنه سبحانه يملى لهم و ينعم عليهم بما فيه حياة أديانهم بارسال الرسل و إنزال الكتب، و ما فيه حياة أبدانهم بالإيتاء من كل ما يحتاجونه إظهارا لصفة الرحمة،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ.

ثم ينتقم منهم بعد طول المهلة، و تماديهم فى سكرات الغفلة، كشفا لصفة العزة، كل ذلك تسلية له صلى الله عليه و سلم و تخفيفا[1] عليه و إعلاما بأنه لا قصور فى بيانه، و لا تقصير لديه.

و لما اقتضى وصف العزة الإهلاك، و وصف الرحمة الإمهال[2]، و كان الأول مقدما، و كانت[3] عادتهم تقديم ما هم به أهم، و هو[4] لهم ٥ أعنى، خيفت[5] غائلته، فأتبع ذلك أخبار هذه الأمم، دلالة على الوصفين معا ترغيبا و ترهيبا، و دلالة على أن الرحمة سبقت الغضب، و إن قدم الوصف اللائق به، فلا يعذب إلا بعد البيان مع طول الإمهال، و أخلى قصة أبيهم إبراهيم عليه السلام من ذكر الإهلاك إشارة إلى البشارة بالرفق ببنيه[6] العرب فى الإمهال كما رفق بهم [7]فى الإنزال و الإرسال[7]، و لما كان ١٠ مع ذلك فى / هذه القصة تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم فيما يقاسيه من / ٧١٧ الأذى و التكذيب، و كانت التسلية بموسى و إبراهيم عليهما السلام [8]أتم، لما لهما من القرب، و المشاركة فى الهجرة، و القصد إلى الأرض المقدسة، و كان قد اختص موسى عليه السلام[8] بالكتاب الذى ما بعد القرآن مثله و الآيات التى [9]ما أتى بمثلها[9] أحد قبله، و إقرار عينه بهداية قومه، و حفظهم ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تحقيقا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاهمال (٣) فى ظ: كان (٤) فى ظ: هم (٥) فى ظ: خفيت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: سه - بدون النقط (٧ - ٧) فى ظ و مد: بالارسال و الانزال (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل: ما ياتى مثلها.

بعده بالكتاب، و سياسة الأنبياء المجددين لشريعته، و عدم استئصالهم بالعذاب[1] و الانتقام بأيديهم من جميع أعدائهم، و فتح بلاد الكفرة على أيديهم بعده صلى الله عليه و سلم إلى غير ذلك مما شابهوا به هذه الأمة مع مجاورتهم للعرب حتى فى دار الهجرة، و موطن النصرة، ٥ ليكون فى إقرارهم[2] على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة، و أتم دلالة، قدمها[3] مقدما لموسى - عليهما السلام، و التحية و الإكرام - فان كان القصد تسكين ما أورثه[4] آخر تلك من خوف الملازمة بالعذاب نظرا إلى وصف العزة، فالتقدير: اذكر أثر رحمتنا بطول إمهالنا لقومك - و هم على أشد ما يكون من الكفر و الضلال فى أيام الجاهلية - ١٠ برحمتنا الشاملة بارسالك إليهم و أنت أشرف الرسل، و إنزال هذا الكتاب الذى هو أعظم الكتب ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ﴾ و على تقدير التسلية يكون العطف على تلك لأن المراد بها التنبيه، فالتقدير: خذ آيات الكتاب و اذكر إذ ﴿ نادى ربك ﴾ أى المحسن إليك بكل ما يمكن الإحسان به فى هذه الدار، و على تقدير الترهيب يكون التقدير: أو لم يروا إذ ١٥ نادى ربك، و عدّوا رائين لذلك لأن اليهود فى بلادهم و فى حد القرب[5] منهم، فاما أن يكونوا عالمين[6] بالقصة مما سمعوه منهم، أو متهيئين

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: للعذاب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: قرارهم (٣) فى ظ: قدمها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اوردته. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: العرب (٦) من ظ و مد، و فى الاصل: عالمون.

لذلك لإمكانهم من سؤالهم؛ ثم ذكر المنادى فقال: ﴿موسٰى﴾ و أتبعه ما كان له النداء فقال مفسرا[1] لأن النداء فى معنى القول[2]: ﴿ان ائت القوم﴾ أى الذين فيهم قوة و أىّ قوة ﴿الظلمين ﴾ أى بوضعهم[3] قوتهم على النظر الصحيح المؤدى للايمان فى غير موضعها .

و لما كان كأنه قيل: أىّ قوم؟ قال مبدلا إشارة إلى أن العبارتين ٥ مؤداهما[4] واحد لأنهم عريقون فى الظلم، لظلمهم أنفسهم بالكفر و غيره، و ظلم بنى إسراءيل و غيرهم من العباد: ﴿قوم فرعون[5]﴾ .

و لما كان المقصود بالرسالة تخويفهم من الله تعالى، و إعلامهم بجلاله، استأنف قوله معلما بذلك فى سياق الإنكار عليهم، و الإيذان بشديد الغضب منهم، و التسجيل عليهم بالظلم، و التعجيب من حالهم فى عظيم ١٠ عسفهم فيه، و أنه قد طال إمهاله لهم[5] و هم لا يزدادون إلا عتوا و لزوما للوبقات: ﴿الايتقون ﴾ [6] أى يحصل منهم تقوى[6] .

و لما كان من المعلوم أن من أتى / الناس بما يخالف أهواءهم / ٧١٨ لم يقبل، أخبر [من تشوف إلى معرفة جوابه -[7]] أنه أجاب بما يقتضى الدعاء بالمعونة، لما عرف من خطر هذا المقام، بقوله ملتفتا إلى نحو "يرب ١٥ ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا": ﴿قال رب﴾ أى[8] أيها الرفيق بى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تفسيرا (٢) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بوضع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مواداهما (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بهم. (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد «للوبقات» (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ .

﴿ انّى اخاف ان يكذبون ﴾ أى فلا يترتب[1] على إتيانى إليهم[2] أثر، و يبغون لى[3] الغوائل، فاجعل لى قبولا و مهابة تحرسنى بها ممن يريدنى بسوء، و يجوز أن يريد بـ"اخاف" "أعلم" أو "أظن"، فيكون «أن» مخففة، فيكون الفعلان معطوفين على «يكذبون» فى قراءة الجمهور بالرفع

٥ مع جواز العطف على "اخاف" [فيكون التقدير - [4]] : ﴿ و ﴾ أخاف أنه، أو قال: إنى[5] ﴿ يضيق صدرى ﴾ عند تكذيبهم أو خوف من تكذيبهم لى انفعالا كما هو شأن أهل المروءات، و أرباب علو الهمم لما غرز فيهم من الحدة و الشدة فى العزيمة إذا[6] لم يجدوا مساغا ﴿ و لا ينطلق ﴾ و نصب يعقوب الفعلين عطفا على "يكذبون[7]" على

١٠ أن "أن" ناصبة ﴿ لسانى ﴾ [أى - [4]] فى التعبير عما ترسلنى[8] إليهم به لما فيه من الحبسة فى الأصل بسبب تعقده لتلك الجمرة التى لدغته فى حال الطفولية، فاذا وقع التكذيب أو خوفه و ضاق القلب، انقبض الروح إلى باطنه فازدادت الحبسة، فمست الحاجة إلى معين يقوى القلب فيعين[9] على إطلاق اللسان عند الحبسة لئلا تختل الدعوة ﴿ فارسل ﴾ أى فتسبب

١٥ عن ذلك الذى اعتذرت به عن المبادرة إلى الذهاب عند الأمر أنى أسألك فى الإرسال ﴿ الى هرون ﴾ أخى، ليكون رسولا من عندك

---

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: فلا يترب - كذا (٢) سقط من ظ و مد. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو فى ظ (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: على اذ (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: تكذبوك - كذا (٨) فى ظ: يرسلنى (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فتعين.

فيكون لى عضدا [1]على ما[1] أمضى له من الرسالة فيعين على ما يحصل من ذلك، و ليس اعتذاره بتعلل فى[2] الامتثال، وكفى بطلب العون دليلا على التقبل، لا على التعلل.

و لما ذكر ما تؤثره[3] الرسالة، و قدم الإشارة إلى استكشافه لأنه اهم، أتبعه ما يترتب على مطلق التظاهر لهم فضلا عن مواجهتهم بما يكرهون ٥ فقال: ﴿ و لهم علىّ ﴾ أى بقتلى نفسا منهم؛ و قال: ﴿ ذنب ﴾ و إن كان المقتول غير معصوم تسمية له بما يزعمونه، و لذلك قيده بـ « لهم » و أيضا فلكونه ما كان أتاه فيه من الله تعالى أمر بخصوصه[4] ﴿فاخاف﴾ [بسبب ذلك -[5]] ﴿ ان يقتلون ج ﴾ أى بذلك[6]، مع ما أضمه إليه من التعرض لهم، فلا أتمكن من أداء الرسالة، فاذا كان هارون معى عاضدنى ١٠ فى إبلاغها، و كل ذلك استكشاف و استدفاع للبلاء، و استعلام للعافية، لا توقف فى القبول - كما[7] مضى التصريح به فى سورة طٰهٰ.

و لما استشرفت النفس إلى معرفة جوابه عن[8] هذه الأمور المهمة [9]شنى عناءها[9] بقوله، إعلاما بأنه سبحانه استجاب له فى كل ما سأل: ﴿ قال ﴾ قولَ كامل القدرة شامل العلم كما هو[10] وصفه سبحانه: ١٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: الى من (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٣) فى ظ: توفره (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بخصوصية (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ: على (٨) فى ظ: من. (٩-٩) من مد، و فى الأصل: بى عناده، و فى ظ: عناوها - كذا. (١٠) سقط من ظ.

﴿كلا ؔ﴾ أى ارتدع عن هذا الكلام، فانه لا يكون شيء مما خفت، لا قتل و لا غيره - و كأنه لما كان التكذيب مع ما قام على الصدق من البراهين، المقوية لصاحبها، الشارحة لصدره، المعلية لأمره، عدّ عدما - و قد أجبناك إلى الإعانة بأخيك ﴿فاذهبا﴾ أى / أنت و هو متعاضدين، /٧١٩

٥ إلى ما أمرتك بـه، مؤيدين ﴿بايتنآ﴾ الدالة عـلى صدقكما على ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ ثم علل تأمينه له بقوله: ﴿انا﴾ بما لنا من العظمة ﴿معكم﴾ أى كائنون عند وصولكما إليهم فيمن اتبعكما من قومكما؛ ثم أخبر خبرا آخر بقوله: ﴿مستمعون ە﴾ أى سامعون بما لنا من العظمة فى القدرة و غيرها من صفات الكمال، إلى ما تقولان

١٠ لهم و يقولون[1] لكما، فلا نغيب عنكم و لا تغيبون عنا، فنحن نفعل معكما من المعونة و النصر فعل القادر الحاضر لما[2] يفعل بحبيبه المصغى له بجهده، و لذلك عبر بالاستماع؛ قال أبوحيان: وكان شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير يرجح أن يكون أريد بصورة الجمع [المثنى -[3]] و الخطاب لموسى[4] و هارون فقط. لأن لفظة «مع» تباين من يكون كافرا، فانه لا يقال:

١٥ الله معه، وعلى أنه أريد بـالجمع التثنيـة حمله سيبويه [5]كأنهما لشرفهما[5] عند الله تعالى عاملهما فى الخطاب معاملة الجمع إذ[6] كان ذلك جائزا أن يعامل به الواحد لشرفه و عظمته - انتهى. و هو كلام نفيس مؤيد

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يقولان (٢) فى ظ: بما (٣) زيد من البحر ٨/٧ (٤) من البحر. و فى الأصول: موسى (٥-٥) من ظ و مد و البحر، وفى الأصل: كانه لشرفه (٦) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: اذا.

بتقديم الظرف، و يكون حينئذ خطابهما مشاكلا لتعظيم المتكلم سبحانه نفسه، لأن المقام للعظمة، و عظمة الرسول من عظمة المرسل، على أنه يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البشارة بمن يتبعهما كما قدرته، و يجوز أن تكون المعية للكل كما فى قوله تعالى "ما يكون من نجوٰى ثلٰثة الا هو رابعهم" - الآية. ٥

و لما نفى سبحانه أن يكون شيء مما خافه موسى عليه السلام على هذا الوجه المؤكد، و كان ظهور ذلك فى مقارعة الرأس أدل و أظهر، صرح به فى قوله: ﴿ فاتيا ﴾ أى فتسبب عن ذلك الضمان بالحراسة[1] و الحفظ أنى أقول لكما: ائتيا ﴿ فرعون ﴾ نفسه، و إن عظمت مملكته، و جلّت جنوده ﴿ فقولآ ﴾ أى ساعـة وصولكما[2] له و لمن عنده: ١٠ ﴿انا رسول﴾ أفرده مريدا به الجنس الصالح للاثنين، إشارة بالتوحيد إلى أنهما فى تعاضدهما و اتفاقهما كالنفس الواحدة، و لا تخالف لأنـه إما وقع مرتين كل واحدة[3] بلون، أو مرة بما يفيد التثنية و الاتفاق، فساغ التعبير بكل منهما، و لم يثنّ هنا لأن المقام لا اقتضاء له للتنبيه[4] على طلب نبينـا صلى الله عليه و سلم المؤازرة بخلاف ما مر فى سورة ١٥ طٰهٰ ﴿رب العٰلمين ۙ﴾ أى المحسن إلى جميع الخلق المدبر لهم؛ ثم ذكر [له -[5]] ما قصد من الرسالة إليه فقال معبرا بأداة التفسير لأن الرسول

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالحراسطة (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مرة. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: للتسليه (٥) زيد من مد، و فى ظ: لهم.

فيه معنى الرسالة التي تتضمن القول: ﴿ ان ارسل ﴾ أى خلّ و أطلق ؛
و أعاد الضمير على معنى "رسول" فقال: ﴿معنا بنى اسرآءيل ﴾ أى قومنا
الذين استعبدتهم ظلما ، و لا سبيل لك عليهم ، نذهب[1] بهم إلى الأرض
المقدسة التي وعدنا الله بها على ألسنة الأنبياء من آبائنا[2] عليهم الصلاة
٥ و السلام .

و لما كان من المعلوم أنهما امتثلا ما أمرهما الله[3] ، فأتياه و قالا له
ما أمرا به ، تشوفت النفس إلى جوابه لهما ، فقال / تعالى التفاتا إلى مثل /٧٢٠
قوله في التي قبلها "و قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام" ، "و ان يتخذونك
الا هزوا" و نحو ذلك تسلية لهذا النبي الكريم و تحقيقا لمعنى قوله تعالى
١٠ "كلا" ، و "مستمعون" من أن فرعون و إن بالغ في الإبراق و الإرعاد
لا يروع موسى عليه السلام شيء منه : ﴿ قال ﴾ أى فرعون حين
أبلغاه الرسالة مخاطبا لموسى عليه السلام علما منه أنه الأصل فيها ، و أخوه
إنما هو وزير ، منكرا عليه مواجهته بمثل هذا و مانا[4] عليه ليكف من
جرأته[5] بتصويب مثل هذا الكلام إليه : ﴿ الم نربك ﴾ أى بعظمتنا
١٥ التي شاهدتها ﴿فينا وليدا﴾ أى صغيرا قريب عهد بالولادة ﴿ولبثت فينا﴾
أى لا[6] في غيرنا ، باعتبار انقطاعك إلينا ، و تعززك في الظاهر بنا[7]

---

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : فذهب (٢) في ظ : انبيائنا (٣) زيد في الأصل : بها ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : ماتا (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : جوابه (٦) سقط من ظ و مد .
(٧) من ظ و مد ، و في الأصل : منا .

﴿من عمرك سنين ﴿﴾﴾ أى كثيرة ، فلنا عليك[1] بذلك من الحق[2] ما ينبغى أن يمنعك من مواجهتنا[3] بمثل هذا ، و كأنه عبر بما يفهم النكد كناية عن مدة مقامه عنده بانها[4] كانت نكدة لأنه وقع فيما كان يخافه ، و فاته ما كان يحتاط به من ذبح الأطفال .

و لما ذكّره منة تحمله على الحياء منه ، ذكره ذنبا[5] هو أهل لأن ٥ يخاف من عاقبته فقال مهولا له بالكناية عنه : ﴿ و فعلت فعلتك ﴾ أى من قتل القبطى ، ثم أكد نسبته إلى ذلك مشيرا إلى أنه عامله بالحلم تخجيلا له فقال : ﴿التى فعلت و انت﴾ أى و الحال أنك ﴿من الكفرين ﴿﴾﴾ أى لنعمتى[6] و حق تربيتى [7]بقتل من[7] ينسب إلىّ ، أو عده منهم لسكوته عنهم إذ ذاك ، لأنه لم يكن قبل الرسالة مأمورا فيهم بشيء ، فكان مجاملا ١٠ لهم ، فكأنه قال : و أنت منا . فما لك الآن تنكر[8] علينا و تنسبنا إلى الكفر؟ ﴿قال﴾ مجيبا له[9] على طريق[10] النشر المشوش ، واثقا بوعد الله بالسلامة[11] مقرا بما دندن عليه من القتل لأنه لم يكن متحققا لذلك ، و ما ترك[12] قتله إلا التماسا للبينة : ﴿فعلتهآ اذآ﴾ أى إذ قتلته ﴿ و انا من الضآلين ﴿﴾﴾

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل : فى الظاهر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : بمثل دلك ولا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذنب .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنقمتى (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالقتل لمن (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : تنكير (٩) سقط من ظ و مد .
(١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريقة (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيهم (١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : نزل .

[أى -[1]] لا أعرف دينا، فأنا واقف عن[2] كل وجهة حتى يوجهنى ربى إلى ما يشاء - قال ابن جرير[3]: و العرب تضع الضلال موضع الجهل [و الجهل -[4]] موضع الضلال - انتهى. و قد تقدم فى الفاتحة للحرالى فى هذا كلام نفيس - على أن هذه الفعلة كانت منى خطأ ﴿ ففررت ﴾
٥ أى فتسبب عن فعلها و تعقبه أنى فررت ﴿ منكم ﴾ أى منك لسطوتك [و من قومك لإغرائهم إياك علىّ -[1]] ﴿ لما خفتكم ﴾ [على نفسى أن تقتلونى بذلك القتيل الذى قتلته خطأ مع كونه كافرا مهدر الدم -[1]] ﴿ فوهب لى ربى ﴾ [الذى أحسن إلىّ بتربيتى عندكم تحت كنف أمى آمنة مما أحدثتم من الظلم خوفا منى -[1]] ﴿ حكما ﴾ أى علما أعمل به عمل
١٠ الحكام الحكماء ﴿ و جعلنى من المرسلين ﴾ أى فاجهد الآن جهدك فانى لا أخافك لقتل[5] و لا غيره.

و لما اجتمع فى كلام فرعون منّ و تعيير، بدأ بجوابه عن التعيير لأنه [الأخير فكان أقرب، و لأنه -[1]] أهم، ثم عطف عليه جوابه عما منّ بـه، فقال موبخا له مبكتا[6] منكرا عليه غير أنه حذف حرف
١٥ الإنكار إجمالا فى [7]القول و إحسانا[7] فى الخطاب: ﴿ و تلك ﴾ أى التربية [الشنعاء العظيمة فى الشناعة -[1]] التى ذكرتنيها[8] ﴿ نعمة تمنها علىّ ﴾

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: على (٣) راجع من تفسيره الجزء ١٩/ ٣٨.
(٤) زيد من ظ و مد و التفسير (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: القتل (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: منكتا (٧ - ٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العون و انكارا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكرتنيا.

و لما

و لما كان سيها ظلمه لقومه، جعله نفسها فقال مبدلا منها [تنبيها على إحباطها، و إعلاما بأنها - بكونها نقمه - أولى منها فى عدها نعمة -[1]]:
﴿ان عبدت﴾ [أى تعبيدك و تذليلك على ذلك الوجه البديع المبعد -[1]] قومى ﴿بنىٓ اسرآءيلَ ﴾ أى جعلتهم عبيدا ظلما و عدوانا و هم أبناء الأنبياء،
و لسلفهم يوسف عليه السلام عليكم من المنة - باحياء نفوسكم / أولا، ٥ /٧٢١
و عتق رقابكم ثانيا - ما لا تقدرون له على جزاء أصلا، ثم ما كفاك ذلك حتى فعلت[2] ما لم يفعله مستعبد[3]، فأمرت بقتل أبنائهم، فكان ذلك سبب وقوعى إليك لأسلم من ظلمك - كما مر بيانه و يأتى [إن شاء الله تعالى -[1]] مستوفى فى سورة القصص.

و لما كلم اللئيم الذميم الكليم العظيم بما رجى أن يكفه[4] عن مواجهته ١٠ بما[5] يكره، و يرجعه إلى مداراته. فلم يفعل، و فهم ما فى جوابه هذا الأخير من الذم [له -[1]] و التعجيز، و إثبات القدرة التامة و العلم الشامل لله، بما دبر فى أمر موسى عليه السلام، و أنه لا ينهض لذلك بجواب و لا يحمد له فيه[6] قول، عدل [عنه -[1]] إلى جوابه عن الرسالة بما يموه به أيضا على قومه لئلا يرجعوا عنه، فأخبر تعالى عن محاورته ١٥ فى ذلك بقوله على طريق الجواب لمن كأنه قال: ما قال له جوابا لهذا الكلام، الذى كأنه السهام؟ : ﴿قال فرعون﴾ حائدا عن جواب

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مستبعد (٤) من ظ و مد. وفى الأصل: يكفيه (٥) فى ظ: ما. (٦) سقط من ظ و مد.

موسى عليه السلام لما فيه من تأنيبه و تعجيزه[1]. منكرا الخالقه على سبيل التجاهل، كما أنكر هؤلاء الرحمن متجاهلين و هم[2] أعرف الناس بغالب أفعاله، كما كان فرعون يعرف، لقول[3] موسى عليه السلام "لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموٰت و الارض": ﴿و ما رب العٰلمين﴾ ٥ [أى -[4]] الذى زعمت أنكما رسوله. فسأل بـ «ما»[5] عن حقيقته و إنما أراد فى الحقيقة إنكاره.

[و لما كان تعريف حقيقته سبحانه بنفسها محالا لعدم التركيب، فكان تعريفها لايصح إلا بالخارج اللازم الجلى، تشوف السامع إلى ما يجيب به عنه، فاستأنف قوله إخبارا عنه -[4]]: ﴿قال﴾ أى موسى [معرضا ١٠ عن التعريف بغير الأفعال إعلاما بأنه لا شبيه له، و أنه مباين وجوده لوجود كل شيء سواه -[4]]، معرفا له سبحانه بأظهر[6] أفعاله مما[7] لا يقدر أحد[7] على ادعاء المشاركة فيه، مشيرا إلى خطابه فى طلب الماهية بأنه لا مماثل له: أقول لك و لمن أردت بطلب الحقيقة التمويه عليهم: هو ﴿رب﴾ [أى خالق و مبدع و مدبر -[4]] ﴿السموٰت﴾ ١٥ [كلها -[4]] ﴿و الارض﴾ [و إن تباعدت أجرامها بعضها عن بعض -[4]] ﴿و ما بينهما﴾ و ذلك أظهر العالم الذى هو صنعته و أنتم غير مستغنين عنه طرفة عين، فهذه هى المنة، لا منتك علىّ بالتربية إلى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يعجزه (٢) فى ظ: هو (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لقوم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بها (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: بما اظهر (٧-٧) فى ظ: يقعار احدا.

حين استغنيت عنك، و هذا هو الاستعباد[1] بالإحسان، مع العصيان بالكفران، لا استعبادك لقومى باهلاكهم و هم فى طاعتك، و لسلفهم[2] عليكم من المنة ما[3] لا تجهلونه ﴿ان كنتم﴾ [أى كونا راسخا -[4]] ﴿موقنين ه﴾ أى متصفين بما عليه أهل العلم بأصول الدين من الثقة بما تعتقدون [اتصافا ثابتا -[4]]، و الجواب: علمتم ذلك، و علمتم أنه لا جواب ٥ أسد[5] منه، لأن المذكور متغير، فله مغير[6] لا يتغير، و هو هذا الذى أرسلنا، أى إن كان لكم يقين[6] فأنتم تعرفونه. لشدة ظهوره، و عموم نوره ﴿قال﴾ [7]أى فرعون[7] ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه مموها أيضا: ﴿الا تستمعون ه﴾ أى تصغون إليه بجميع[8] جهدكم، و هو كلام ظاهره أنه نبههم[9] على الإنكار، لأنه سأل عن الماهية، فأجيب بغيرها، ١٠ و يحتمل غير ذلك لو ضويق فيه، فهو من خفى مكره.

و لما وبخ اللعين فى جوابه، و كان ربما ادعى أن الخافقين و ما بينهما من الفضاء غير مخلوق، فتشوف[10] السامع إلى جواب يلزمه، استأنف [الشفاء -[4]] لعى هذا السؤال بقوله: ﴿قال﴾ أى موسى، مخصصا بعد ما عمم [بشىء لا تمكن المنازعة فيه لمشاهدة وجود أفراده بعد أن لم تكن -[4]]: ١٥ ﴿ربكم﴾ أى الموجد لكم و المربى و المحسن ﴿و رب آبآئكم الاولين ه﴾

---

(١) فى ظ: الاستبعاد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لسلفه (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: اشد.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: معين (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لجمع (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: ينهزم.
(١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: فتشوق

و فرعون ـ الذی تقرون بأنه[1] ربكم ـ كان إذ ذاك عدما محضا، أو ماء
صرفا[2] فی ظهر أبیه، فبطل كون [3]أحد منهم[3] ربا لمن بعده/ كما بطل ٧٢٢ /
كون أحد[4] ممن قبلهم من الهالكين ربا لهم، لأن الكل عدم .

فلما أوضح بذلك بطلان ما حملهم على اعتقاده من ربوبيته لم يتمالك
٥ أن ﴿ قال[5] ان رسولكم ﴾ على طريق التهكم، إشارة إلى أن الرسول
ينبغی أن يكون[6] أعقل الناس ؛ ثم زاد الأمر [وضوحا] بقوله :
﴿ الذی ارسل اليكم ﴾ أی و أنتم أعقل الناس ﴿ لمجنون ﴾ حيث لا يفهم
أنی أسأله عن حقيقة [7]مرسله فكيف يصلح[7] للرسالة من[8] الملوك .

فلما أساء الأدب، [فاشتد تشوف السامع إلى معرفة جوابه عنه،
١٠ استأنف تعالى الإخبار بذلك، فحكى أنه ـ[9]] ذكر له ما لا يمكنه أن يدعی طاعته
له، [و هو أكثر تغيرا و أعجب تنقلا ـ[9]] بأن ﴿ قال رب المشرق و المغرب ﴾
أی الشروق و الغروب و وقتهما و موضعهما ﴿ و ما بينهما ﴾ أی من الناس
الذين ليسوا فی طاعتكم، و الحيوان و الجماد، بسبب ما ترون من قدرته على
تقليب النيرات من بزوغ الشمس و القمر و النجوم و أفولها [و ما يظهر
١٥ عنهما من الليل و النهار ـ[9]] على [10]تصاريف مختلفة، و حركات متقاربة[10]،

---

(١) من مد، وفی الأصل وظ : انه (٢) من ظ و مد، وفی الأصل : صرفنا.
(٣ ـ ٣) من ظ و مد، وفی الأصل : احدكم (٤) من ظ و مد، و فی الأصل :
احدكم (٥) تكرر فی الأصل فقط (٦) زيد فی الأصل : عاقلا، و لم تكن الزيادة
فی ظ و مد فحذفناها (٧ ـ ٧) فی ظ : رسلة فكيف يصح (٨) من ظ و مد،
و فی لأصل : عن (٩) زيد من ظ و مد (١٠ ـ ١٠) سقط ما بين
الرقمين من ظ و مد .

[1] لو لا هي لما علمتم شيئا من أموركم، و لا تمكنتم من أحوالكم[1]، و هذا الدليل أبين الكل لتكرر الحركة فيه و غير ذلك من معالمه، و لذلك[2] بهت نمرود لما ألقاه عليه الخليل عليه الصلاة و السلام.

و لما [دعاه صلى الله عليه و سلم باللين - [3]] فأساء[4] الأدب عليه في الجواب الماضي، ختم هذا البرهان[5] بقوله: ﴿ان كنتم تعقلون﴾ أي فأنتم تعلمون ذلك، تخيرهم بين الإقرار بالجنون أو العقل، بما أشار إليه من الأدلة في مقابلة ما نسبوه إليه من الجنون بسكوتهم[6] و قول عظيمهم بغير شبهة، ردا لهم عن الضلالة، و إنقاذا من واضح الجهالة، [فكان قوله أنكأ مع انه ألطف، و أوضح مع أنه أستر و أشرف - [3]].

فلما علم أنه قد قطعه بما أوضح[7] من الأمر، و وصل معه في الغلظة إلى ما إن سكت عنه أوهن[8] من حاله، و فتر من عزائم رجاله، [تكلم بما السكوت أولى منه، فأخبر تعالى عنه بقوله - [3]]: ﴿قال﴾ عادلا عن الحجاج بعد الخوض فيه إلى المغالبة التي هي أبين علامات الانقطاع: ﴿لئن اتخذت الها غيري﴾ أي تعمدت أخذه [و أفردته بتوجيه جميع قصدك إليه - [3]] ﴿لاجعلنك من المسجونين﴾ أي واحدا ممن هم[9] في سجوني على ما تعلم [من حالي في اقتداري، و من

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: لهذا. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: اساه (٥) من ظ و مد، و في الأصل: القرآن (٦) من ظ و مد، و في الأصل: بشكوتهم. (٧) زيد في الأصل: به. و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و في الأصل: اوضح (٩) في ظ: هو.

بجونى فى فظاعتها، و من حال من فيها من شدة الحصر، و الغلظ فى
الحجر -[1]] ﴿ قال ﴾ مدافعا بالتى هى أحسن إرخاء للعنان، لإرادة
البيان، حتى لا يبقى عذر لإنسان، رجاء النزوع[2] عن الطغيان، و الرجوع
إلى[3] الإيمان، [لأن من العادة الجارية السكون إلى الإنصاف، و الرجوع
٥ إلى الحق و الاعتراف -[1]] ﴿ اولو ﴾ أى أتسجننى و لو ﴿ جئتك بشىء مبين ۝ ﴾
أى لرسالتى ﴿ قال ﴾ طمعا فى أن يجد موضعا للتكذيب أو التلبيس[4] :
﴿ فات به ﴾ أى تسبب عن قولك هـذا أنى أقول لك : ائت بذلك
الشىء ﴿ ان كنت ﴾ [أى كونا أنت راسخ فيه -[5]] ﴿ من الصدقين ۝ ﴾
[أى فيما ادعيت من الرسالة و البينة -[1]]، و هذا إشارة إلى أنه بكلامه
١٠ المتقدم قد صار عنده فى غير عدادهم، [و لزم عليه أنه لا يأتى بالمعجزة
إلا الصادق لأنها تصديق من الله للدعى، و عادته سبحانه و تعالى جارية فى
أنه لا يصدق الكاذب -[1]] ﴿ فالقى ﴾ أى فتسبب عن ذلك و تعقبه أن ألقى
[و لما كان الكلام مع -[1]] موسى عليه السلام، [فكان إضماره
غير ملبس، لم يصرح باسمه اكتفاء بضميره فقال - [1]] : ﴿ عصاه ﴾
١٥ أى التى تقدم فى غير سورة أن الله تعالى أراه آياتها ﴿ فاذا هى ثعبان ﴾
أى حية فى غاية الكبر ﴿ مبين ۝ صلے ﴾ أى ظاهر الثعبانية، لا شك عند
رائيه فيه، لا كما يكون عند الأمور السحرية [من التخييلات و التشبيهات -[1]]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل : الروغ، و فى ظ :
النزاع (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : عن (٤) زيد فى ظ : قال.
(٥) زيد من مد.

﴿ و نزع يده ﴾ أى التى كانت احترقت لما أخذ الجمرة و هو فى حجر فرعون، و بذل فرعون جهده فى علاجها بجميع من قدر عليه من الأطباء فعجز عن إبرائها، نزعها من جيبه بعد أن أراه[1] إياها على ما يعهده منها[2] ثم أدخلها فى جيبه ﴿ فاذا هى ﴾ بعد النزع ﴿ بيضآء للنظرين ﴾ أى بياضا[3] تتوفر الدواعى على نظره لخروجه عن العادة بأن له نورا كنور ٥ / ٧٢٣ الشمس يكاد يغشى الأبصار ﴿ قال ﴾ أى فرعون ﴿ للملا حوله ﴾ لما وضح [له - [4]] الأمر، يموه [على - [4]] عقولهم خوفا من إيمانهم: ﴿ ان هذا لسحر عليم ﴾ أى شديد المعرفة بالسحر، و خص فى هذه السورة إسناد هذا الكلام إليه لأن السياق كله لتخصيصه بالخطاب لما تقدم، و نظرا إلى " ظلت اعناقهم لها خضعين " لأن[5] خضوعه هو ١٠ خضوع من دونه، فدلالته على ذلك أظهر، و لا ينفى ذلك أن يكون قومه قالوه إظهارا للطواعية - كما مضى فى الأعراف[6].

و لما أوقفهم بما خيلهم به، أحماهم لأنفسهم فقال[7] ملقيا لجلباب الأنفة لما[8] قهره من سلطان المعجزة: ﴿ يريد ان يخرجكم من ارضكم ﴾ أى هذه التى هى قوامكم ﴿ بسحره ﴾ أى بسبب ما أتى به منه، فانه ١٥ يوجب استتباع الناس فيتمكن مما يريد [بهم - [9]]؛ ثم قال لقومه - الذين كان يزعم أنهم عبيده و أنه إلههم - ما دل على أنه خارت قواه،

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: ابراه (٢) فى ظ: منه (٣) فى ظ: بيضا.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل «و» (٦) راجع آية ١٠٩.
(٧) من ظ و مد. و فى الأصل: و قال (٨) فى ظ: لمن (٩) زيد من مد.

لحط عن منكبيه كبرياء الربوبية، و ارتعدت فرائصه حتى جعل نفسه
مأمورا بعد أن كان يدعى كونه آمرا بل إلها قادرا: ﴿فما ذا تامرون ﴾
أى فى مدافعته عما يريد بنا ﴿ قالوآ ﴾ أى الملأ الذين كانوا يأتمرون
به قبل الهجرة ليقتلوه: ﴿ ارجه ﴾ أى أخره ﴿ و اخاه ﴾ و لم يأمروا
٥ بقتله و لا بشيء مما يقاربه - فسبحان من يلقى الروح من أمره على من
يشاء من عباده فيهابه[1] كل شيء و لا يهاب هو غير خالقه
﴿و ابعث فى المدآئن حشرين ﴾ أى رجالا يحشرون السحرة، و أصل
الحشر الجمع بكرة ﴿ ياتوك ﴾ وكأنهم فهموا شدة قلقه فسكنوه بالتعبير
بأداة الإحاطة و صيغة المبالغة فقالوا: ﴿ بكل سحار ﴾ أى بليغ السحر
١٠ ﴿ عليم ﴾ أى متناه فى العلم به بعد ما تناهى فى التجربة؛ و عبر بالبناء
للفعول إشارة إلى عظمة ملكه فقال: ﴿ فجمع ﴾ أى بأيسر أمر لما له
عندهم من العظمة ﴿ السحرة ﴾ كما تقدم غير مرة ﴿ لميقات يوم معلوم ﴾
فى زمانه و مكانه، و هو ضحى يوم الزينة كما سلف فى طه[2]، و عن ابن
عباس[3] رضى الله عنهما أنه وافق يوم السبت فى أول يوم من سنتهم،
١٥ و هو يوم النيروز . ﴿ و قيل ﴾ أى بقول من يقبل لكونه عن فرعون
﴿ للناس ﴾ أى كافة حثا لهم على الإسراع إلى[4] الاجتماع بأمر فرعون،
و امتحانا لهم هل رجعوا عن[5] دينه، علما منه بأن ما ظهر من المعجزة

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يهابه (٢) راجع آية ٥٩ (٣) ذكر قوله فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٥ / ٩٦ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: على. (٥) فى ظ: الى.

التى

- التي منها عجزه عن نوع أذى لمن واجهه بما لا مطمع في مواجهته بأدناه - لم يدع لبسا في أنه مربوب مقهور، و أن ذلك موجب[1] لاتباع موسى عليه السلام: ﴿هل انتم مجتمعون﴾ أي [اجتماعا أنتم راسخون فيه لكونه بالقلوب كما هو بالأبدان -[2]] ، كلكم ليكون أهيب لكم، [و زين لهم هذا القائل البقاء على ما كانوا عليه من الباطل بذكر جانب ٥ السحرة و إن كان شرط فيه الغلبة، و لم يسمح بذكر جانب موسى عليه السلام فقال -[2]]:[3] ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ لأن من امتثل أمر الملك كان حاله حال من يرجى منه اتباع حزبه[3] ﴿ان كانوا هم﴾ [أي خاصة -[2]] ﴿الغلبين﴾ أي [غلبة لا يشك في أنها ناشئة عن مكنة -[2]] و نعرض عن أمر موسى الذي تنازع الملك في أمره، [و هذا مرادهم ١٠ في الحقيقة، و عبر بهذا كناية عنه لأنه أدل على عظمة الملك -[2]]، و عبر بأداة الشك إظهارا للانصاف، و استجلابا للناس، مع تقديرهم[4] لقطعهم بظفر السحرة، لما رسخ في أذهانهم في الأزمنة المتطاولة / من الضلال الذي لا غفلة لإبليس عن تزيينه[5] مع أن تغيير المألوف أمر في غاية العسر. و قال: ﴿فلما﴾ بالفاء إيذانا بسرعة حشرهم، إشارة إلى ضخامة ١٥ ملكه. و وفور عظمته ﴿جآء السحرة﴾ أي الذين كانوا في جميع بلاد مصر ﴿قالوا لفرعون﴾ مشترطين[6] الأجر في حال الحاجة إلى الفعل ليكون ذلك أجدر[7] بحسن الوعد، و نجاح القصد ﴿ائن لنا لاجرا﴾

/ ٧٢٤

(١) في ظ : يوجب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ ومد . و في الأصل: تعريضهم (٥) في ظ : ترتيبه ، و في مد : تربيه.
(٦) في ظ و مد : مشترطين (٧) زيد في الأصل : الى الفعلين . و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

و ساقوه مساق الاستفهام أدبا معه، و قالوا: ﴿ان كنا﴾ أى كونا نحن راسخون فيه ﴿نحن﴾ خاصة ﴿الغلبين ه﴾ بأداة الشك مع جزمهم بالغلبة تخويفا له بأنه [إن - [1]] لم يحسن فى وعدهم لم ينصحوا له؛ ثم قيل فى جواب من كأنه سأل عن جوابه: ﴿قال﴾ مجيبا إلى ما سألوا:
٥ ﴿نعم﴾ أى لكم ذلك؛ و زادهم ما لا أحسن منه عند أهل الدنيا مؤكدا له فقال: ﴿و انكم اذاً﴾ أى إذا غلبتم ﴿لمن المقربين ه﴾ أى عندى، و زاد "اذاً" هنا زيادة فى التأكيد لما [4] يتضمن ذلك من إبعاده عن الإيمان من وضوح البرهان، تخفيفا على المخاطب بهذا كله صلى الله عليه و سلم، تسلية له فى الحمل على نفسه أن لا يكون من يدعوهم مؤمنين، و [3] ما بعد
١٠ ذلك [3] من مسارعة السحرة للايمان - بعد ما ذكر من إقسامهم بعزته بغاية التأكيد - تحقيق لآية / "فظلت اعناقهم لها خضعين".

و لما تشوف السامع إلى جواب [4] نبى الله تعالى [4] موسى عليه الصلاة و السلام، أجيب بقوله: ﴿قال لهم موسىٓ﴾ عليه السلام، أى مريدا لإبطال سحرهم لأنه لا يتمكن منه إلا بالقائهم، لا لمجرد إلقائهم، غير مبال
١٥ بهم فى كثرة و لا علم [بعد - [5]] ما خيروه - كما فى غير هذه السورة: ﴿القوا مآ انتم ملقون ه﴾ كائنا ما كان، ازدراء له [5] بالنسبة إلى أمر الله ﴿فالقوا﴾ أى فتسبب عن قول موسى عليه السلام و تعقبه ان القوا ﴿حبالهم و عصيهم﴾ التى أعدوها للسحر ﴿و قالوا﴾ مقسمين:

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: ما (٣-٣) فى ظ: ما تعده لك (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٥) سقط من ظ.

﴿بعزة فرعون﴾ مؤكدين بأنواع التأكيد ﴿انا لنحن﴾ أى خاصة لانستثنى ﴿الغلبون ه﴾ قول واثق من نفسه مزمع على أن لايدع بابا من السحر يعرفه إلا أتى به، فكل من حلف بغير الله كأن يقول: و حياة فلان، و حق رأسه - و نحو ذلك، فهو تابع لهذه الجاهلية.

و لما قدم[1] إضمار اسم موسى عليه السلام فى الإلقاء الأول لأن الكلام ٥ كان معه، فلم يكن إلباس[2] فى أنه الفاعل، و [3]كان الكلام[3] هنا فى السحرة، و ختموا بذكر فرعون و عزته، صرح باسم موسى عليه الصلاة و السلام لنفى اللبس فقال: ﴿فالقى﴾ أى فتسبب عن صنع[4] السحرة و تعقبه أن ألقى ﴿موسى﴾ و قابل جماعة ما ألقوه بمفرد ما ألقى، لأنه أدل على المعجزة، فقال: ﴿عصاه﴾ أى التى جعلناها آية له، و تسبب عن إلقائه قوله: ١٠ ﴿فاذا هى تلقف﴾ أى تبتلع فى الحال بسرعة و نهمة ﴿ما يافكون ج﴾ أى يصرفونه عن وجهه و حقيقته التى هى الجمادية بحيلهم و تخييلهم إلى ظن أنه حيات تسعى ﴿فالقى﴾ أى عقب فعلها من غير[5] تلبث ﴿السحرة سجدين لا﴾ [أى فسجدوا بسرعة عظيمة -[6]] حتى كأن ملقيا ألقاهم [بغير اختيارهم -[6]] من قوة إسراعهم، علما منهم بأن هذا من ١٥ عند الله، فأمسوا أتقياء بررة، بعد ما جاؤا فى صبح ذلك اليوم سحرة.

و لما كان كأنه قيل: هذا فعلهم، فما كان قولهم؟ قيل:

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: تقدم (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: البالى - كذا (٣-٣) من ظ و مد، وفى الأصل: بان الكلام (٤) فى ظ: مواضع - كذا (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد.

/٧٢٥ ﴿ قالوآ 'امنا / برب العٰلمين ﴾ أى الذى دعا إليه موسى عليه السلام أول ما تكلم؛ ثم خصوه كشفا لتلبيس فرعون بما لايحتمل غيره فقالوا بيانا: ﴿ رب ﴾ و لم يدع داع هنا إلى العدول عن الأصل، فقال عبارة عن كلامهم: ﴿ موسىٰ و هٰرون ﴾ أى اللذين أحسنا إلينا بالتنبيه عليه، و الهداية ٥ إليه، و صدقهما بما أجرى على أيديهما.

و لما خاف فرعون اتباع الناس لهم، لما يرون مما هالهم من أمرهم، وكان قد تقدم ما[1] يعرف أن المنكر عليهم فرعون نفسه، قال تعالى مخبرا عنه: ﴿ قال ﴾ من غير ذكر الفاعل - أى فرعون - لعدم اللبس، [و مقصود السورة غير مقتض للتصريح كما فى الأعراف[2] بل ملائم ١٠ للاعراض عنه و الإراحة منه -[3]]، منكرا مبادرا موهما لأنه إنما يعاقب على المبادرة بغير إذن، لا على نفس الفعل، و أنه ما غرضه إلا التثبت ليؤخر[4] بهذا التخييل الناسَ[4] عن المبادرة بالإيمان إلى وقت ما ﴿ 'امنتم له ﴾ أى لموسى[5] عليه السلام، أفرده بالضمير لأنه الأصل فى هذه الرسالة، و[6] حقيقة الكلام: أوقعتم[7] التصديق بما أخبر به عن الله لأجله إعظاما له ١٥ بذلك ﴿ قبل ان 'اذن لكم ﴾ أى فى الإيمان؛ ثم علل فعلهم بما يقتضى أنه عن مكر و خداع، لا [عن -[8]] حسن اتباع، فقال: ﴿ انه ﴾ أى

---

(١) فى ظ: فيما (٢) راجع آية ١٢٣ (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: هذا التخيل للناس (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: موسى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اوقعه (٨) زيد من مد.

موسى

موسى عليه السلام ﴿ لكبيركم ﴾ .

و لما كان هذا مشعرا[1] بنسبته له[2] إلى السحر ، و أنه أعلم منهم به ، فلذلك غلبهم ، أوضحه بقوله : ﴿الذى علمكم السحرج﴾ فتواعدتم[3] معه على هذا الفعل ، لتنزعوا الملك من أربابه ، هذا و كل من سمعه[4] يعلم كذبه قطعا ، فان موسى عليه السلام ما ربى إلا فى بيته ، و استمر ٥ حتى فر منهم إلى مدين ، لايعلم سحرا ، و لا ألم بساحر ، و لا سافر إلا إلى مدين ، ثم لم يرجع إلا داعيا إلى الله ، و لكن الكذب غالب على قطر مصر ، و أهلها أسرع شيء سماعا له و انقيادا به .

و لما أوقف السامعين بما خيلهم به من هذا الباطل المعلوم البطلان لكل ذى بصيرة ، أكد المنع بالتهديد فقال : ﴿فلسوف تعلمونۚ﴾ أى ما ١٠ أفعل بكم ، أى فتسبب عما فعلتم أنى أعاقبكم عقوبة محققة عظيمة ، و أتى بأداة التنفيس خشية من أن لايقدر عليهم فيعلم الجميع عجزه فيؤمنوا ، مع ما فيها فى الحقيقة على السحرة من التأكيد فى الوعيد الذى لم يؤثر عندهم فى جنب ما أشهدهم[5] الله من الآية التى مكنتهم فى مقام الخضوع ؛ ثم فسر ما أبهم بقوله : ﴿لاقطعن﴾ بصيغة التفعيل لكثرة القطع و المقطوعين ١٥ ﴿ايديكم و ارجلكم﴾ [ثم -[6]] بين كيفية تقطيعها فقال : ﴿من خلاف﴾ و زاد فى التهويل فقال[7] : ﴿و لاوصلبنكم اجمعينج﴾

---

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : مشعر (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فتواجدتم.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسمعه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشهدتهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : قال .

ثم استأنف تعالى حكاية [1]جوابهم بقوله[1]: ﴿ قالوا ﴾ .

[و لما كان قد تقدم هنا أنهم أثبتوا له عزة توجب مزيد الخوف منه، حسن قولهم -[2]] : ﴿لا ضير﴾ أى لا[3] ضرر أصلا علينا [4]تحصل به المكنة منا[4] [فيما هددتنا به ، بل لنا فى الصبر عليه إن وقع أعظم

٥ الجزاء من الله، و ورد -[2]] النفى الشامل فى هذه السورة إيذانا بأنه لم يقدر فرعون على عذابهم . تحقيقا لما فى أول القصة من الإشارة إلى ذلك بـ "كلا" و "مستمعون" فان الإمكان من تابعى موسى عليه السلام يؤذيه و يضيق صدره ، و لما يأتى فى القصص[5] من صريح العبارة فى قوله "انتما و من اتبعكما / الغلبون" . [ثم -[2]] عللوا ذلك بقولهم: /٧٢٦

١٠ ﴿ انآ ﴾ أى بفعلك ذلك فينا إن قدرك الله عليه ﴿ الى ربنا ﴾ أى المحسن إلينا وحده ﴿ منقلبون ﴾ أى و لابد لنا من الموت ، فلنكن على ما حكم به ربنا من الحالات ، و إنما حكمك على هذا الجسد ساعة من نهار ، ثم لاحكم على الروح إلا لله[6] الذى هو جدير بأن يثيبنا على ذلك نعيم الأبد . و ذلك معنى قولهم معللين ما قبله : ﴿ انا نطمع ان يغفر ﴾ أى

١٥ يستر سترا بليغا ﴿ لنا ربنا ﴾ الذى أحسن إلينا بالهداية ﴿ خطٰينآ ﴾ أى التى قدمناها على كثرتها ؛ ثم عللوا طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم : ﴿ ان كنآ ﴾ أى كونا هو لنا كالجبلة ﴿ اول المؤمنين ﴾ أى من أهل هذا المشهد ، و عبروا بالطمع إشارة إلى أن جميع أسباب السعادة منه تعالى ،

(١-١) من ظ ومد ، وفى الأصل : ضر - كذ (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٥) آية ٣٥ (٦) فى ظ : الله .

فكأنه لا سبب منهم أصلا .

و لما قص سبحانه من حال الدعاة ما كفى فى التسلية من قصد هذين النبيين بالأذى و التهكم بمن دعوا إليه، و جعلهما الأعلين، [و -[1]] لم يضرهما ضعفهما و قلتهما، و لا نفع عدوهما قوته و كثرته، شرع يسلى[2] بما أوقعه فى حال السير، فقال طاويا [3]ما بقى[3] منه لأن هذا ذكّر به، عاطفا ٥ على [هذه -[4]] القصة : ﴿و اوحينآ﴾ أى بما لنا من العظمة حين أردنا فصل الأمر و إنجاز الموعود ﴿ الى موسىٓ ان اسر ﴾ أى سر ليلا، حال[5] اشتغال فرعون و جنوده بموت أبكارهم[6] و تجهيزهم لهم ﴿ بعبادىٓ ﴾ أى بنى إسرائيل [الذين كرمتهم -[1]] مصاحبا[7] لهم إلى ناحية بحر القلزم، غير مبال بفرعون و لا منزعج[8] منه، و تزودوا اللحم و الخبز الفطير ١٠ للاسراع، و الطخوا أعتابكم بالدم، لأنى أوصيت الملائكة الذين يقتلون الأبكار أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم ؛ ثم علل أمره له بالسير[9] فى الليل بقوله[10]: ﴿انكم متبعون ﴾ أى لا تظن أنهم لكثرة ما رأوا من الآيات يكفون عن اتباعكم، فأسرع بالخروج لتبعدوا عنهم إلى الموضع الذى قدرت فى الأزل أن يظهر فيه مجدى[11]، و المراد توافيهم عند البحر، ١٥

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : يشكى (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل : بالتى (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : حين (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : انكارهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : صاحبا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : تنزعج (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : فى امره (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : فى قوله (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : مجرى .

[و - [1]] لم يكتم اتباعهم عن موسى عليه السلام لعدم تأثره [2] به لما تحقق عنده من الحفظ لما تقدم به الوعد الشريف بذلك التأكيد .

و لما كان التقدير : فأسرى بهم امتثالا للأمر بعد نصف الليل ، عطف عليه قوله : ﴿ فارسل فرعون ﴾ أى لما أصبح و أعلم بهم

٥ ﴿ فى المدآئن حشرين ﴾ أى رجالا يجمعون الجنود بقوة و سطوة و إن كرهوا ، و يقولون تقوية [3] لقلوبهم و تحريكا لهممهم : ﴿ ان هؤلآء ﴾ إشارة بأداة القرب تحقيرا لهم إلى أنهم فى القبضة و إن بعدوا ، لما بهم من العجز ، و بآل فرعون من القوة ، فليسوا بحيث يخاف قوتهم و لا ممانعتهم ﴿ لشرذمة ﴾ أى طائفة و قطعة من الناس .

١٠ و لما كانت قلتهم [4] إنما هى بالنسبة إلى [كثرة - [1]] آل فرعون و قوتهم و ما لهم عليهم من هيبة الاستعباد [5] ، و كان التعبير بالشرذمة موهما لأنهم فى غاية القلة ، أزال هذا الوهم بالتعبير بالجمع دون المفرد ليفيد أنه خبر بعد خبر ، لا صفة ، و أن التعبير بالشرذمة إنما هو للاشارة إلى تفرق القلوب ، و الجمع و لا سيما للسلامة مع كونه / أيضا

/٧٢٧

١٥ للقلة أدل على أنهم أوزاع ، و فيه أيضا إشارة إلى أنهم مع ضعفهم بقلة العدد آيسون [6] من إسعاف بمدد ، و ليس لهم أهبة لقتال لعدم العدة [7]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاثره (٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : بقوله (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : قتلتهم (٥) فى ظ : الاستبعاد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايسرن (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القوة .

لأنهم

لأنهم لم يكونوا قط فى عداد[1] من يقاتل كما تقول لمن تزدريه: هو أقل من [أن -[2]] يفعل كذا، فقال: ﴿ قليلون ﴾ أى بالنسبة إلى ما لنا من الجنود التى لا تحصى و إن كانوا فى أنفسهم كثيرين، فلا كثرة لهم تمنعكم أيها المحشورون من اتباعهم[3]؛ قال البغوى[4] عن ابن مسعود رضى الله عنها: كانوا ستمائة ألف[5] و تسعين ألفا، و لا يحصى عدد أصحاب فرعون - ٥ انتهى. و كل هذا بيان لأن فرعون مع تناهى عظمته لم يقدر على أثر ما فى موسى عليه السلام و لا[6] من اتبعه تحقيقا لما[7] تقدم من الوعد به أول القصة[8].

و لما ذكر ما يمنع الخوف من اتباعهم، ذكر ما يوجب الحث عليه و يحذر من التقاعس عنه فقال: ﴿ و انهم لنا ﴾ و نحن على ما نحن ١٠ عليه من الكثرة و العظمة ﴿ لغآئظون ﴾ أى بما فجعونا به من أنفسهم و ما استعاروه من الزينة من أوانى الذهب و الفضة و فاخر الكسوة، فلا رحمة فى قلوبكم تحميهم[9].

و لما كان مدار مادة «شرذم»[10] على التقطع، فكان فى التعبير بها إشارة إلى أنهم مع القلة متفرقون ليسوا على قلب واحد، و ذكر أن ١٥

(١) فى ظ: عدد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اتباعكم (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٩٧ (٥) ليس فى المعالم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لمن (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: العصمة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تجمهم. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: شرذمة.

فى اتباعهم شفاء الغلل[١]، أتبعـــه ما[٢] ينفى عن المتقاعد العلل، فقال: ﴿ و انا لجميع ﴾ أى أنا و أنتم جماعة واحدة مجتمعون بايالة الملك على قلب واحد.

و لما أشار بهذا الخبر إلى ضد[٣] ما عليه بنو إسراءيل مع قلتهم مما ٥ هو سبب للجرأة عليهم، أخبر بخبر ثان يزيد الجرأة عليهم، و فيه مضادة لما أشير إليه بـ «قليلون» من الاستضعاف فقال: ﴿ حذرون[٤] ﴾ أى و نحن - مع إجماع قلوبنا - من شأننا و طبعنا الحذر، فنحن لا نزال على أهبة القتال، و مقارعة الابطـال، لاعائق لنا عنه بسفر و لابغيره، أما من جهتى فبافاضة[٤] الاموال عليكم، و إدرار الارزاق فيكم[٥]، و وضع ١٠ الاشياء فى مواضعها فى الارض و الرجال، و أما من جهتكم فباستعمال الامانة من طاعة الملك فى وضع كل ما يعطيكم فى مواضعه من إعداد السلاح و المراكب و الزاد، و جميع ما يحتاج إليه المحارب، مع ما لكم من[٦] العزة و القوة و شماخة الانوف و عظم النفوس مع الجرأة و الإقدام و الثبات فى وقف[٧] الحقائق، المحفوظ بالعقل المحوط بالجزم[٨] المانع من ١٥ اجتراء الاخصام عليكم، و مكرهم لديكم، فانه يحكى أنه [كان -[٩]] يتصرف فى خراج مصر بأن يجزئه أربعة أجزاء: أحدها لوزرائه و كتابه و جنده،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: العليل (٢) فى ظ: بما (٣) فى ظ: حذر.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فباضافة (٥) فى ظ: عليكم (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: وقت (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بالعزم و الحزم.
(٩) زيد من ظ و مد.

و الثانی لحفر الأنهار و عمل الجسور ، و الثالث له و لولده ، و الرابع یفرق فی مدن الكور ، فان لحقهم ظمأ[1] أو استبحار أو فساد علة أو موت عوامل قوّامهم به[2] ؛ روی أنه قصده قوم فقالوا : نحتاج [إلی -[3]] أن نحفر خلیجا [لنعمر -[3]] ضیاعنا ، فأذن فی ذلك / و استعمل علیهم عاملا[4] ‎/ ٧٢٨
فاستكثر ما حمل من خراج تلك الناحیة إلی بیت المال ، فسأل [عن مبلغ -[3]] ٥ ما أنفقوه علی خلیجهم ، فاذا هو مائة ألف دینار ، فأمر بحملها إلیهم فامتنعوا من قبولها ، فقال : اطرحوها علیهم ، فان الملك إذا استغنی بمال[5] رعیته افتقر و افتقروا ، و أن الرعیة إذا استغنت بمال ملكهم استغنی و استغنوا .

و لما كان التقدیر : فأطاعوا أمره ، و نفروا علی كل صعب ذلول[6] ، عطف علیه قوله معلما بما آل إلیه أمرهم : ﴿ فاخرجنٰهم ﴾ [أی -[3]] بما ١٠ لنا من القدرة ، إخراجا حثیثا مما لا یسمح أحد بالخروج منه ﴿من جنّٰت﴾ أی بساتین یحق لها أن تذكر ﴿و عیون ۝﴾ لا یحتاج معها إلی نیل و لا مطر ﴿ و كنوز ﴾ من الأموال تعرف بمقدار ما هم فیه من النعم الفاضلة عنهم ، [مع -[3]] ما هم فیه من تمام الاستعداد لمثل هذا المراد ﴿ و مقام ﴾ من المنازل ﴿ كریم ۝ ﴾ [أی علی صفة ترضی الرائی له -[3]] لأنه علی النهایة ١٥ من الحسن لا یقال فیه : لیته كان كذا ، أو كان فیه كذا .

و لما كان الخروج عن مثل هذا مما یستنكر[7] ، أشار إلی عظمة القدرة

---

(١) من ظ و مد ، و فی الأصل : امرا ظلما (٢) سقط من ظ و مد (٣) زید من ظ و مد (٤) فی ظ : غلاما (٥) تكرر فی الأصل فقط (٦) من ظ و مد ، و فی الأصل : ذلوا (٧) من ظ و مد ، و فی الأصل : یستلزم .

عليه بقوله: ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ذلك الإخراج العجيب الذي أراده فرعون من قومه في السرعة و كمال الهيبة[1] أخرجناهم [2] نحن بأن يسرنا له و لهم ذلك ، و وفرنا لهم الأسباب ، لما اقتضته حكمتنا ، أو مثل ذلك الخروج الذي قصصناه عليك أخرجناهم[2] ، أي كان الواقع من خروجهم

٥ مطابقا لما عبرنا به عنه[3] ، أو الأمر الذي قصصناه كله كما قلنا [و - [4]] أولها أقعدها و أحسنها و أجودها ﴿ و اورثنها ﴾ أي تلك النعم السرية بمجرد خروجهم بالقوة و باهلاكهم بالفعل ﴿ بنى اسرآءيل[5] ﴾ أي جعلناهم بحيث يرثونها[5] لأنا لم نبق لهم مانعا يمنعهم منها بعد أن كانوا مستعبدين[6] تحت أيدي أربابها ، و أما إرثهم لها بالفعل ففيه نظر لقوله في الدخان[7]

١٠ « قوما اخرين » .

و لما وصف الإخراج ، وصف أثره فقال مرتبا عليه بالفعل و على الإيراث بالقوة: ﴿ فاتبعوهم ﴾ أي جعلوا أنفسهم تابعة لهم ﴿ مشرقين ﴾ أي داخلين في وقت شروق الشمس ، أي طلوعها من صبيحة الليلة التي سار في نصفها[8] بنو إسراءيل ، و لو لا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك

١٥ للعادة لم يكن على حكم العادة في أقل من عشرة[9] أيام ، فانه [10] أمر يعجز [10] الملوك مثله ، فيا له من حشر ما أسرعه ! و جهاز ما أوسعه ! و استمروا

---

(١) في مد : الهبة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و في الأصل: عنهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : يورثونها (٦) في ظ : مستبعدين . (٧) راجع آية ٢٨ (٨) في ظ : بضعها (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : عشر . (١٠-١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : من العجز .

إلى

إلى أن لحقوهم عند بحر القلزم كما تقدم فى الأعراف شرح[1] ذلك عن التوراة، و تقدم سر تسييرهم فى [2]تلك الطريق[2] ﴿ فلما ترآء الجمعٰن ﴾ أى صارا بحيث يرى كل منهما الآخر ﴿ قال اصحٰب موسىٰ[3] ﴾ ضعفا و عجزا استصحابا لما كانوا فيه عندهم من الذل، و لأنهم أقل منهم بكثير بحيث يقال: إن طليعة آل فرعون كانت على عدد بنى إسراءيل، و ذلك محقق ٥ لتقليل فرعون لهم، وكأنه[3] عبر عنهم بـ «اصحٰب» دون «بنى اسراءيل» لأنه كان قد آمن كثير من غيرهم: ﴿ انا لمدركون ج ﴾ أى لأنهم[4] قد وصلوا و[5] لاطريق لنا و قد صرنا بين سدين من حديد و[5] ماء، العدو وراءنا و الماء أمامنا ﴿قال﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام وثوقا[6] بوعد الله، ناطقا بمثل ما كلمه به / ربه فى أول القصة من قوله: ١٠ / ٧٢٩ ﴿ كلا ج ﴾ أى لا يدركونكم أصلا؛ ثم علل ذلك تسكينا لهم بقوله: ﴿ ان معى ربى ﴾ فكأنهم قالوا: [7]و ما[7] ذا عساه يفعل و قد وصلوا؟ قال: ﴿ سيهدين ه ﴾ أى بوعد مؤكد عن[8] قرب، إلى ما أفعل مما[9] فيه خلاصكم، و تقدم فى براءة سر تقديم المعية و خصوصها و التعبير باسم الرب ﴿ فاوحينآ ﴾ أى فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة أنا ١٥ أوحينا؛ و نوه باسمه[10] الكريم جزاء له على ثقته [به -[11]] سبحانه

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: شرع (٢-٢) فى ظ: ذلك الطريقة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٤) فى ظ: انهم (٥) فى ظ: او (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و ثوق (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٩) فى ظ: ما (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: باسم (١١) زيد من ظ و مد.

فقال : ﴿ الى موسىٰٓ ﴾ و فسر الوحى الذى فيه معنى القول بقوله : ﴿ ان اضرب بعصاك البحرؕ ﴾ أى الذى أمامكم ، و هو بحر القلزم الذى يتوصل أهل مصر منه إلى الطور و إلى مكة المشرفة و ما والاها ﴿ فانفلق ﴾ أى[1] فضربه فانشق [بسبب ضربه -[2]] لما ضربه امتثالا لأمر الله و صار اثنى عشر فرقا على عدد أسباطهم ﴿ فكان كل فرق ﴾ أى جزء[3] و قسم عظيم منه ﴿ كالطود ﴾ أى الجبل فى إشرافه و طوله و صلابته بعدم السيلان ﴿ العظيمۚ ﴾ المتطاول فى السماء الثابت لايتزلزل ، لأن الماء كان منبسطا فى أرض البحر ، فلما انفرق [و انكشفت فيه الطرق -[2]] انضم بعضه إلى بعض فاستطال و ارتفع فى السماء .

١٠ و لما كان التقدير : فأدخلنا كل شعب منهم فى طريق من تلك الطرق ، عطف عليه : ﴿ و ازلفنا ﴾ أى قربنا بعظمتنا من قوم موسى عليه السلام ؛ قال البغوى[4] . قال أبو عبيدة : جمعنا ، و منه ليلة المزدلفة ، أى ليلة الجمع .

و لما كان هذا الجمع فى غاية العظمة و علو الرتبة ، أشار إلى ذلك ١٥ بأداة البعد فقال : ﴿ ثم ﴾ أى هنالك ، فانها [ظرف -[2]] مكان للبعيد ﴿ الأخرين ﴾ أى فرعون و جنوده ﴿ و انجينا موسىٰ و من معهٓ ﴾ و هم الذين اتبعوه من قومه و غيرهم ﴿ اجمعينۚ ﴾ أى لم نقدر على أحد

(١) وقع فى الأصل قبل « لما ضربه » و الترتيب من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جنة (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٩٨ .

منهم الهلاك .

[1] و لما كان الإغراق بما به الإنجاء ـ مع كونه أمرا هائلا ـ عجيبا و بعيدا، عبر بأداة البعد فقال[1] : ﴿ ثم اغرقنا ﴾ أى إغراقا هو على حسب عظمتنا ﴿ الاٰخرين ﴾ أى فرعون و قومه أجمعين، لم يفلت منهم أحد[2] .

و لما قام عذر موسى عليه السلام فيما استدفعه أول القصة من ٥ كيد فرعون بما ثبت له من العظمة و المكنة فى كثرة الجند و عظيم الطاعة منهم له فى سرعة الاجتماع الدالة على مكنتهم فى أنفسهم، و عظمته فى قلوبهم، رغبة و رهبة، و ظهر مجد الله فى تحقيق ما وعد به سبحانه من الحراسة، و زاد ما أقر به العيون، و شرح به الصدور، و كان ذلك أمرا يهز[3] القوى سماعه، و يروع الأسماع[4] تصوره و ذكره، قال منبها ١٠ على ذلك : ﴿ ان فى ذٰلك ﴾ أى الأمر العظيم العالى الرتبة من قصة موسى و فرعون و ما فيها من العظات ﴿ لاٰية ﴾ أى علامة عظيمة على ما قال الرسول موجبة للايمان به من[5] أن الصانع واحد فاعل بالاختيار، قادر على كل شىء، و أنه رسوله حقا ﴿ و ما كان اكثرهم ﴾ أى [6] الذين شاهدوها و الذين وعظوا[6] بسماعها ﴿ مؤمنين ﴾ أى متصفين بالإيمان الثابت، ١٥ أما القبط فما آمن منهم إلا السحرة و مؤمن آل فرعون و امرأة فرعون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : تهز (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : الافهام (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : فى (٦-٦) فى ظ : الذى شاهدوه و الذى غطوا ـ كذا .

و المرأة التى دلتهم على عظام يوسف عليه السلام -[1] على ما يقال[1]، و أما

بنو إسرائيل فكان كثير منهم / مزلزلا يتعنت كل قليل، و يقول و يفعل /٧٣٠

ما هو كفر، حتى تداركهم[2] الله تعالى على يدى موسى عليه السلام

و من بعده، و أول ما كان من ذلك سؤالهم إثر مجاوزة البحر أن

٥ يجعل لهم[3] إلها كالأصنام التى[4] مروا عليها، و أما غيرهم ممن تأخر عنهم

فحالهم معروف، و أمرهم مشاهد مكشوف ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن

إليك باعلاء أمرك، و استنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك

﴿ لهو العزيز ﴾ أى القادر على الانتقام من كل فاجر ﴿ الرحيم ع ﴾

أى الفاعل فعل البليغ الرحمة، فهو يمهل و يدر النعم، و يحوط من النقم،

١٠ و لا يهمل، بل يرسل رسلا، و ينزل معهم ما يبين به ما يرضيه و ما

يسخطه، فلا يهلك إلا بعد الإعـــذار. فلا تستوحش[5] ممن لم يؤمن،

و لا يهمنك ذلك .

و لما أتم سبحانه ما أراد من قصة موسى عليه السلام، أتبعه دلالة على

رحيميته قصة إبراهيم عليه السلام لما تقدم أنه[6] شاركه فيه مما يسلى عما وقع

١٥ ذكره عنهم من التعنتات[7] فى الفرقان[8]، و لما اختص به من مقارعة أبيه

و قومه فى الأوثان، و هو أعظم آباء العرب، ليكون ذلك حاملا لهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى مد : يتداركهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ : الذى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : فلا يستوحش . (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : النفشات (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : القرآن .

على

على تقليده فى التوحيد إن كانوا لاينفكون عن التقليد، و زاجرا عن استعظام تسفيه آبائهم فى عبادتها، و تعبيرُه سبحانه[1] للسياق قبل و بعد، و تعبيرُه بقوله - : ﴿ و اتل ﴾ أى اقرأ قراءة متابعة - مرجح[2] للتقدير الأول فى " و اذ[3] " من جعله ' اذكر ' و تغييره[4] فى التعبير بها لسياق ما تقدم و ما تأخر لتنبيه العرب على اتباعه لما لهم به من الخصوصية ٥ ﴿ عليهم ﴾ أى على هؤلاء المغترين بالأوثان ، المنكرين لرسالة البشر ﴿ نبا ابرٰهيمۘ ﴾ أى خبره العظيم فى مثل ذلك ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قال لابيه و قومه ﴾ منبها لهم على ضلالهم، لا مستعلما[5] لأنه كان عالما بحقيقة حالهم: ﴿ ما ﴾ [أى -[6]] أىّ شىء، [و صور لهم حالهم تنبيها لهم على قباحتها فعبر بالمضارع فقال -[7]] : ﴿ تعبدون ۝ ﴾ أى ١٠ تواظبون على عبادته ﴿ قالوا ﴾ مبتهجين[8] بسؤاله، مظهرين الافتخار[9] فى جوابهم باطالة الكلام: ﴿ نعبد اصناما فنظل ﴾ اى فيتسبب عن عبادتنا لها أنا نوفى حق العبادة بأن ندوم ﴿ لها عٰكفين ۝ ﴾ أى مطيفين بها على سبيل المواظبة متراكمين بعضنا[10] خلف بعض حابسين[11] أنفسنا تعظيما

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : رجح (٣) فى ظ : اذا (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : تعبيره (٥) من مد ، و فى الأصل وظ : مستعملا (٦) زيد من مد . (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ ، و فى الأصل : منبهجين ، و فى مد : منتهجين - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : للافتخار (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعضهم (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : خاسين .

لها، فجروا على منوال هؤلاء فى [داء -[1]] التقليد الناشئ عن الجهل بنفس العبادة [و -[1]] بظنهم مع ذلك أنهم على طائل كبير، و أمر عظيم، ظفروا به، مع غفلة الخلق عنه - كما دل عليه خطابهم[2] فى هذا الكلام الذى كان يغنى عنه كلمة واحدة، و هذا [هو -[2]] الذى أوجب ٥ تفسير الظلول بمطلق الدوام و إن كان معناه الدوام بقيد النهار، و كأنهم قصدوا بما يدل على النهار - الذى هو موضع الاشتغال و السهرة[3] - الدلالة[4] على الليل من باب الأولى، مع شيوع استعماله أيضا مطلقا نحو " فظلت اعناقهم لها خاضعين "، [و زاد قوم إبراهيم عليه السلام أن استمروا على ضلالهم و أبوه معهم فكانوا حطب النار، و لم يتمكن من إنقاذهم من ١٠ ذلك، و لم تكن لهم حيلة إلا دعاؤهم، فهو أجدر بشديد الحزن و بخع نفسه عليهم و هو موضع التسلية - [1]] .

و لما فهم عنهم هذه الرغبة، أخذ يزهدهم فيها بطريق الاستفهام الذى لا أنصف منه عن أوصاف يلجئهم السؤال إلى الاعتراف بسلبها[5] عنهم، مع علم كل عاقل إذا تعقل أنه لا تصح رتبة الإلهية مع فقد ١٥ واحدة منها، فكيف مع فقدها كلها؟ فقال تعالى / مخبرا عنه : ﴿قال﴾ معبرا عنها إنصافا بما[6] يعبر به عن العقلاء لتنزيلهم إياها منزلتهم :

/٧٣١

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : خطابتهم - كذا .
(٣) فى ظ و مد : الشهرة (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : الدالة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : سلبها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لما .

﴿ هل يسمعونكم ﴾ أى دعاءكم بمجرد سماع ؛ ثم[1] صور لهم حالهم ليمتنوا[2] الفكر فيه ، فقال معبرا بظرف ماض و فعل مضارع تنبيها على استحضار جميع[3] الزمان ليكون ذلك أبلغ فى التبكيت : ﴿ اذ تدعون ﴾ أى استحضروا أحوالكم معهم من أول عبادتكم لهم و إلى الآن : هل سمعوكم وقتا ما ؟ ليكون ذلك مرجيا[4] لكم لحصول نفع منهم فى وقت ما . ٥

و لما كان الإنسان قد يعكف على الشيء - و هو غير سامع - لكن لنفعه له فى نفسه أو ضره لعدوه كالنار مثلا ، و كان محط حال العابد و الداعى بالقصد الأول و بالذات جلب النفع ، قال : ﴿ او ينفعونكم ﴾ أى على العبادة[5] كما ينفع أقل شيء تقتنونه ﴿ او يضرون ﴾ على الترك ﴿ قالوا ﴾ : لا و الله ! ليس عندهم شيء من ذلك ﴿ بل وجدنآ ابآءنا كذلك ﴾ ١٠ أى مثل[6] فعلنا هذا[7] العالى الشأن ؛ ثم صوروا حالة آبائهم فى نفوسهم تعظيما لأمرهم فقالوا : ﴿ يفعلون ﴾ أى فنحن نفعل كما فعلوا لأنهم حقيقون[8] منا بأن لا نخالفهم ، مع سبقهم لنا إلى الوجود ، فهم أرصن منا عقولا ، وأعظم تجربة ، فلولا أنهم رأوا ذلك حسنا ، ما واظبوا عليه ،

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليمنعوا - كذا . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : رجوع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : موجبا (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٦) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : الفعل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حقيقيون .

[هذا -[1]] مع أنهم لو سلكوا طريقا حسية[2] حصل لهم منها ضرر حسي[3] ما سلكوها قط ، و لكن [4]هذا الدين[4] يهون على الناس فيه التقليد بالباطل قديما و حديثا .

و لما وصلوا إلى التقليد[5] المحض الخالي عن أدنى نظر كما تفعل ٥ البهائم و الطير في تبعها[6] لأولها ﴿ قال ﴾ معرضا عن جواب كلامهم بنقص ، إشارة إلى أنه ساقط لا يرتضيه من شم[7] رائحة الرجولية : ﴿ افرءيتم ﴾ أي فتسبب عن قولكم هذا أني أقول لكم : أرأيتم ، أي إن لم تكونوا رأيتموهم[8] رؤية موجبة لتحقق أمرهم فانظروهم نظرا شافيا ﴿ ما كنتم ﴾ أي كونا هو كالجبلة لكم ﴿ تعبدون ۙ ﴾ مواظبين على ١٠ عبادتهم ﴿ انتم ﴾ .

و لما أجابوه بالتقليد ، قال لهم[9] ما معناه ، رقوا تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته ، فان التقدم و الأولوية لا تكون برهانا على الصحة ، و الباطل لاينقلب حقا بالقدم ، و ذلك مراده من[10] قوله : ﴿ و اٰبآؤكم الاقدمون ۝ ﴾ أي[11] الذين هم أقدم ما يكونون : هل لهم وصف غير ما أقررتم به

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : حسنة (٣) من ظ ومد ، و في الأصل : حتى . (٤ - ٤) من ظ و مد ، و في الأصل : هكذا الذى (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : النقلية (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : نظرها اتبعها - كذا (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : ثم (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : رايتموه (٩) زيد في الأصل : كلا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : في (١١) زيدت الواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فحذفناه .

من

من عدم السماع و النفع و الضر ؟ ﴿ فانهم ﴾ أى فتسبب عن رؤيتكم و وصفكم لهم بما ذكرتم أنى أخبركم إخبارا مؤكدا أنهم .

و لما كانت صيغة[1] فعول للمبالغة، أغنت [2]فى العدو[2] و الصديق عن صيغة الجمع و لا سيما و هى شبيهة[3] بالمصادر كالقبول و الصهيل، فقال مخبرا عن ضمير الجمع : ﴿ عدو لىّ ﴾ أى أناصفهم[4] بالسوء و أعاملهم[5] فى إبطالهم ٥ و محقهم معاملة الأعداء و كل من عبدهم كما قال فى الآية الأخرى[6] " لقد كنتم انتم و اٰباؤكم فى ضلٰل مبين "، " اف لكم و لما تعبدون من دون الله " و " تالله لاكيدن اصنامكم ".

و لما كانوا[7] هم مشركين[8]، و كان فى آبائهم الأقدمين من عبد الله وحده، قال : ﴿ الا رب العٰلمين ﴾ أى مدبر هذه الأكوان كلها ١٠ - كما قال موسى عليه السلام - لأن ذلك أشهر الأوصاف و أظهرها، فانه ليس بعدوى، بل هو وليّي و معبودى ؛ ثم شرع يصفه بما [هم -[9]] به / عالمون من أنه على الضد الأقصى من كل ما عليه أصنامهم فقال : / ٧٣٢ ﴿ الذى ﴾ و لما لم يكن أحد يدعى الخلق لم يحتج إلى ما يدل على الاختصاص فقال : ﴿ خلقنى ﴾ أى أوجدنى على هيئة التقدير و التصوير ١٥

---

(١) فى ظ : صفة (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل : التصرف (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : شبهته (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اناصبهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : اعاطيهم (٦) راجع من سورة الأنبياء آية ٥٤ و ٦٧ و ٥٧ (٧) فى ظ : كان (٨) من مد، و فى الأصل : مشتركين، و فى ظ : مشركون (٩) زيد من ظ و مد .

﴿فهو﴾ أى فتسبب عن تفرده بخلق[1] أنه هو لا غيره ﴿يهدين﴾ أى[2]
إلى الرشاد، و لأنه لا يعلم باطن المخلوق و يقدر على كمال التصرف فيه
غير خالقه، [و لا يكون خالقه إلا سميعا بصيرا ضارا نافعا، له الكمال كله،
و لا شك أن الخلق للجسد، و الهداية للروح، و بالخلق و الهداية يحصل
٥ جميع المنافع، و الإنسان له قالب من عالم الخلق، و قالب[3] من عالم الأمر،
و تركيب القالب مقدم -[4]] كما ظهر بهذه الآية، [و لقوله "فاذا سويته
و نفخت فيه من روحى" و أمثال ذلك، و ذكر الخلق بالماضى لأنه
لا يتجدد فى الدنيا، و الهداية بالمضارع لتجددها و تكررها دينا و دنيا -[4]
﴿و الذى هو﴾ أى لا غيره ﴿يطعمنى و يسقين﴾ و لو أراد لأعدم
١٠ ما آكل و ما أشرب[5] أو أصابنى بآفة لا أستطيع معها أكلا و لا شربا.

و لما كان المرض ضررا، نزهه عن نسبته إليه أدبا و إن كانت
نسبة الكل إليه سبحانه معلومة، بقوله: ﴿و اذا مرضت﴾ باستيلاء
بعض الأخلاط على بعض لما بينها[6] من التنافر الطبيعى ﴿فهو﴾ أى وحده
﴿يشفين﴾ بسبب تعديل المزاج بتعديل[7] الأخلاط و قسرها على
١٥ الاجتماع و الاعتدال، لا طبيب[8] و لا غيره و إن تسببت أنا فى أمراض
نفسى ببرد أو حر أو طعام أتناوله أو غير ذلك لأنه قادر على ما يريد.

---

(١) فى ظ و مد: بخلقه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل و مد: قلب.
(٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) فى ظ: شرب (٦) من مد، و فى
الأصل و ظ: بينهما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تسبب عن تعديل.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل: طيب.

و لما كان الإنسان مطبوعا على الاجتهاد فى حفظ حياته و بقاء مهجته، نسب[1] فعل الموت إليه إعظاما[2] للقدرة فقال: ﴿ و الذى يميتنى ﴾ أى حسا و إن اجتهدت فى دفع الموت، [3]و معنى و إن اجتهدت فى دفع الجهل[3].

و لما كان الإحياء حسا بالروح و معنى بالهداية عظيما، أتى بأداة التراخى لذلك و لطول المكث فى البرزخ فقال: ﴿ ثم يحيين [4] ﴾ للجازاة ٥ فى الآخرة كما شفانى من[4] المرض و إن وصلت إلى حد لا أرجى فيه، و لم[5] يأت هنا بما يدل على الحصر لأنه [لا -[6]] مدعى للاحياء و الإماتة إلا[7] ما ذكره سبحانه عن نمرود فى سورة البقرة[8]، و أن إبراهيم عليه السلام أبهته ببيان عجزه فى إظهار صورة من مكان[9] من الأمكنة بلا شرط من روح و لا غيرها، و إذا عجز عن ذلك كان عجزه عن إيجاد صورة ١٠ أبين، فكيف إذا انضم إلى ذلك إفادتها روحا أو سلبها منها، فعدّ ادعاؤه لذلك - مع القاطع المحسوس الذى أبهته[10] - عدما، و الله أعلم.

و لما ذكر البعث، ذكر ما يترتب عليه فقال: ﴿و الذىٓ اطمع ﴾ هضما لنفسه[11] و اطراحا لأعماله و إشارة إلى أنها بالنسبة إلى الحضرة الأعظمية غير قادرة لها حق قدرها، فان الطمع كما قال الحرالى فى البقرة ١٥

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: فسبب (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: اعظا.
(٣-٣) ما بين الرقمين بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٤) فى ظ: فى.
(٥) فى ظ: لما (٦) زيد من ظ ومد (٧) فى ظ: ان (٨) آية ٢٥٨ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: المكان (١٠) زيد فى الأصل: و بهت غيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) فى ظ: الى نفسه.

[١] تعلق البال [١] بالشيء من غير تقدم سبب - انتهى . فلذلك لم يعدله عملا ﴿ ان يغفر ﴾ أى يمحو و يستر .

و لما كان الله سبحانه منزها عن الغرض ، فكانت المغفرة لحظ العبد ليس غير ، قال : ﴿ لى ﴾ [و أسند الخطيئة إليه هضما لنفسه و تواضعا

٥ [لربه فقال -[٢]] : ﴿خطيٓـئتى﴾ أى تقصيرى عن أن أقدره حق قدره ، فان الضعيف العاجز لايبلغ كل ما ينبغى من خدمة العلى الكبير ، و ما فعله فهو باقداره سبحانه فلا صنع له فى الحقيقة أصلا ﴿يوم الدين[٣]﴾

/٧٣٣ أى[٣] / الجزاء .

و لما أثنى [على -[٢]] الله تعالى بما [هو -[٢]] أهله ، و ختم بذكر

١٠ هذا اليوم العظيم ، دعا بما ينجى من هوله ، فدل صنيعه على أن تقديم الثناء على السؤال[٤] أمر مهم ، و له فى الإجابة أثر عظيم ، فقال ملتفتا إلى مقام المشاهدة إشارة[٥] إلى أن الأمر مهول ، و أنه لاينقذ من خطره إلا عظيم القدرة ، لما طبعت عليه النفس من النقائص : ﴿ رب ﴾ أى[٦] [أيها -[٢]] المحسن إلىّ ﴿هب لى حكما﴾ أى عملا متقنا بالعلم ، و أصله

١٥ بناء الشيء على ما توجبه الحكمة . و لما كان الاعتماد إنما هو على محض الكرم ، فان من نوقش الحساب عذب ، قال : ﴿ و الحقنى بالصٰلحين ﴾ أى الذين جعلتهم أئمة للمتقين فى الدنيا و الآخرة ، و هم من كان قوله

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فغلق الباب (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل : يوم الدين يوم ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) فى ظ : الرسول - كذا (٥) فى ظ : فاشار (٦) سقط من ظ .

و فعله صافيا[١] عن شوب فساد .

و لما كان الصالح قد لا[٢]يظهر عمله، و كان إظهار[٣] الله له مجلبة للدعاء[٤] و زيادة فى الأجر، قال: ﴿و اجعل لى لسان صدق﴾ أى ذكرا[٥] جميلا، و قبولا عاما، و ثناء حسنا، بما أظهرت منى من خصال الخير ﴿فى الأخرين﴾ أى الناس الذين يوجدون بعدى إلى يوم الدين، لأكون للمتقين إماما، ٥ فيكون لى مثل أجورهم، فان «من سن سنة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة» و قد كان ذلك إجابة من الله تعالى لدعائه، و من أعظمه أن[٦] جعله الله شجرة مباركة فرع منها الأنبياء الذين أحيي بهم عليهم الصلاة و السلام [٧]ذكره الذى[٧] من أعظمه ما كان على لسان أعظمهم النبي الأمى صلى الله عليه و سلم من قوله «صل على محمد كما صليت ١٠ على إبراهيم» إلى آخره .

و لما طلب سعادة الدنيا، و كانت لا نفع لها[٨] إلا باتصالها بسعادة الآخرة التى هى الجنة، و كانت الجنة لا تنال إلا بمنه، [٩]لا بشيء من ذلك، و لذلك شبه إدخالها بالإرث[١٠] الذى يحصل بغير اكتساب من الوارث و هو أقوى أسباب الملك، قال[١١]: ﴿و اجعلنى﴾ أى مع ذلك كله ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مصافيا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: اظهر.
(٤) فى ظ: بالدعاء (٥) فى مد: ذكر (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اى .
(٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كثرة الدين (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بها (٩) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بالارض (١١) فى ظ: فقال .

بفضلك و رحمتك ﴿ من ورثة جنة النعيم ﴾ .

و لما دعا لنفسه ، ثنى بأحق الخلق[1] بيره فقال: ﴿و اغفر لابى﴾ ثم علل دعاءه بقوله : ﴿ انه كان ﴾ فى أيام حياته ﴿ من الضآلين ﴾ و الظاهر أن هـذا كان قبل معرفته بتأبيد شقائه[2] ، و لذلك قال: ٥ ﴿ و لا تخزنى ﴾ أى تهنى بموته على ما يوجب دخوله النار[3] و لا بغير ذلك ﴿يوم يبعثون ﴾ أى هؤلاء المنكرون للبعث ، وكأن هذا الدعاء كان بحضورهم فى الإنكار عليهم فى عبادة الأصنام ، و الظاهر أن تخصيص الدعاء بأبيه لأن أمه كانت آمنت كما ورد عن . . .[4] فقد صح أنه يقول يوم القيامة : يا رب ! إنك[5] وعدتنى ألا تخزنى ، أىّ خزى[6] أخزى من أبى ١٠ الأبعد ، فيبدل الله صورة أبيه صورة ذيخ ثم يلقى به فى النار - كما رواه البخارى فى غير موضع[7] عن أبى هريرة رضى الله عنه ، و أن الله تعالى يقول له : إنى حرمت الجنة على الكافرين . و لو كانت أمه كافرة لسأله[8] فيها .

/٧٣٤ و لما / نبه على أن المقصود هو الآخرة ، صرح بالتزهيد فى الدنيا ١٥ بتحقير[9] أجل ما فيها فقال : ﴿ يوم لاينفع ﴾ أى أحدا ﴿مال ﴾ أى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحق (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : شقاوته (٣) فى ظ : للنار (٤) بياض فى الأصول يساوى عشر كلمات (٥) فى ظ و مد : قد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تخزى - كذا (٧) راجع مثلا باب قول الله عز وجل "و اتخذ الله ابرٰهيم خليلا" من كتاب الأنبياء (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لسال (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحقير .

يفتدى [به - [1]] أو [2] يبذله لشافع أو ناصر مقاهر ﴿ و لا بنون ﴾ ينتصر بهم أو يعتضد فكيف بغيرهم ﴿ الا من اتى الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الغنى المطلق فى هذا الموطن ﴿ بقلب سليم ﴾ أى عن مرض غيّره عن الفطرة الأولى [3] التى فطره [4] الله عليها ، و هى الإسلام الذى رأسه التوحيد ، و الاستقامة على فعل الخير ، و حفظ طريق السنة كما ٥ تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ليس فيها من جدعاء فان "المال و البنون" ينفعانه بما تصرف [5] فيهما من خير ، [6] و الاستثناء [6] مفرغ ، و الظاهر أن قوله - ﴿ و ازلفت ﴾ أى قربت بأيسر [وجه - [1]] - حال من واو "يبعثون" ﴿ الجنة للتقين ﴾ و عرف أهل الموقف أنها لهم خاصة تعجيلا لسرورهم و زيادة فى شرفهم ﴿ و برزت ﴾ أى كشفت كشفا عظيما سهلا ١٠ ﴿ الجحيم ﴾ أى النار الشديدة التأجج ، و أصلها نار عظيمة فى مهواة بعضها فوق بعض ﴿ للغوين ﴾ أى الضالين الهالكين بحيث عرف أهل الموقف أنها لهم ﴿ و قيل لهم ﴾ تبكيتا و تنديما و توبيخا ، و أبهم القائل ليصلح لكل أحد ، تحقيرا لهم ، و لأن المنكى [5] نفس القول لا كونه من معين : ﴿ اينما كنتم ﴾ بتسلك [7] الأخلاق التى هى كالجبلات [8] ﴿ تعبدون ﴾ أى ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اى (٣) موضعه نقاط فى ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فطر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصرف (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فالاستثناء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتلك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالجهلات - كذا .

فى الدنيا على سبيل التجديد و الاستمرار . [١]و حقر معبوداتهم بقوله[١] : ﴿من دون﴾ [أى من أدنى رتبة من رتب -[٢]] ﴿الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له، و كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم و يقونكم شر هذا اليوم ﴿هل ينصرونكم﴾ فيمنعون عنكم ما نزل لكم ﴿او ينتصرون﴾

٥ أى هم بالدفع عن أنفسهم .

و لما تسبب عن هذا التبريز و القول إظهار قدرته تعالى [و -[٢]] عجزهم بقذفهم فيها قال : ﴿فكبكبوا﴾ أى الأصنام و نحوها ، قلبوا و صرعوا و رموا ، قلبا عظيما مكررا سريعا [من كل من أمره الله بقلبهم - [٢]] بعد هذا السؤال، إظهارا لعجزهم بالفعل حتى عن الجواب قبل الجواب

١٠ ﴿فيها﴾ أى فى مهواة[٣] الجحيم قلبا عنيفا مضاعفا كثيرا بعضهم فى أثر بعض ﴿هم﴾ أى الأصنام و ما شابهها[٤] مما عبد من الشياطين و نحوهم ﴿و الغاون﴾ أى الذى ضلوا بهم ﴿و جنود ابليس﴾ من شياطين الإنس و الجن ﴿اجمعون﴾ .

و لما علم بهـــذا أنهم لم يتمكنوا من قول فى جواب استفهامهم

١٥ توبيخا ، و كان من المعلوم أن الإنسان مطبوع على أن يقول فى كل شيء ينوبه ما يثيره له إدراكه مما يرى أنه يبرد من غلته ، و ينفع من علته ، تشوف السامع [إلى معرفة -[٢]] قولهم بعد الكبكبة ، فأشير إلى ذلك

(١-١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل، ملأناه من ظ ومد (٢) زيد من ظ و مد.
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : سهوات (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : شابهما - كذا .

بقوله

بقوله: ﴿ قالوا ﴾ أى العبدة ﴿ و هم فيها ﴾ أى الجحيم ﴿ يختصمون لا ﴾ أى مع[1] المعبودات: ﴿ تالله ﴾ أى الذى له جميع الكمال ﴿ ان كنا لفى ضلٰل مبين ﴾ أى ظاهر جدا لمن كان له قلب ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ نسويكم ﴾ فى[2] الرتبــة ﴿ برب العلمين ه ﴾ أى الذى[3] فطرهم و دبرهم حتى عبدناكم ﴿ و مآ اضلنا ﴾ أى ذلك[4] الضلال المبين عن الطريق البين ﴿ الا المجرمون ه ﴾ ٥

/ أى العريقون فى صفة الإجرام، المقتضى لقطع كل ما ينبغى أن يوصل ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ لنا ﴾ اليوم[5]؛ و زادوا فى تعميم النفى بزيادة الجار فقالوا: ﴿ من شافعين لا ﴾ يكونون سببا لإدخالنا الجنة، لأنا صرفنا ما كان يجب علينا لذى[6] الأمر إلى من لا أمر له؛ و لعله لم يفرد الشافع لأنهم دخلوا فى الشفاعة العظمى. ١٠ / ٧٣٥

و لما كان الصديق قد لا يكون أهلا لأن يشفع[7]، قالوا تأسفا على أقل ما يمكن: ﴿ و لا صديق ﴾ أى يصدق فى ودنا ليفعل ما ينفعنا. و لما كان أصدق الصداقة ما كان من[8] القريب قال: ﴿ حميم ه ﴾ أى قريب، و أصله المصافى[9] الذى يحرقه ما يحرقك، لأنا قاطعنا بذلك كل من له أمر فى هذا اليوم؛ و أفرد تعميما للنفى و إشارة إلى قلتـه فى حد ذاته أو عدمه. ١٥

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: أى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تلك (٥) سقط من ظ و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ينفع (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٩) فى ظ: الصافى.

و لما وقعوا فى هذا الهلاك، و انتفى عنهم الخلاص، تسبب عنه تمنيهم المحال فقالوا: ﴿ فلو ان لنا كرة ﴾ أى رجعة إلى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم وصفا لا زما، فأزلفت لهم الجنة.

٥ و لما كان فى هذه القصة أعظم زاجر[1] عن الشرك، و آمر بالإيمان، نبه على ذلك بقوله: ﴿ان فى ذلك﴾ أى هذا الأمر العظيم الذى قصصته من قول إبراهيم عليه السلام فى إقامة البرهان على إبطال الأوثان، و نصب الدليل على أنه لا حق إلا الملك[2] الجليل الديان، و ترغيبه و ترهيبه و إرشاده[3] إلى التزود فى [4]أيام المهلة[4] ﴿لاية[5]﴾ أى عظيمة على بطلان

١٠ الباطل و حقوق الحق ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿كان اكثرهم﴾ أى الذين شهدوا منه هذا الأمر العظيم و الذين سمعوه عنه ﴿مؤمنين﴾ أى بحيث صار الإيمان صفة لهم ثابتة، و فى ذلك أعظم تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم بأعظم آبائه عليهم الصلاة و السلام ﴿و ان ربك﴾ أى المحسن إليك بارسالك و هداية الأمة بك[5] ﴿لهو العزيز﴾ أى القادر

١٥ على إيقاع النقمة بكل من خالفه حين يخالفه ﴿ الرحيم ﴾ أى الفاعل فعل الراحم فى إمهاله العصاة مع إدرار النعم، و دفع النقم، و إرسال الرسل، و نصب الشرائع، لبيان ما يرضاه ليتبع، و ما يسخطه ليتجنب،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: زاجرا (٢) فى ظ: للملك (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الايام المهملة (٥) سقط من ظ.

فلا يهلك إلا بعد إقامة الحجة بإيضاح المحجة .

و لما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الأقرب ، أتبعها - دلالة على وصفى العزة و الرحمة - قصة الأب الثانى ، مقدما لها على[1] غيرها ، لما له من القدم فى الزمان ، إعلاما بأن البلاء قديم ، و لأنها أدل على صفتى الرحمة و النقمة التى هى أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتهم ، ٥ ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع أهل الأرض فقال: ﴿ كذبت ﴾ باثبات التاء اختيارا للتأنيث - و إن كان تذكير القوم أشهر - للتنبيه على أن فعلهم أخس الأفعال ، [أو إلى أنهم مع عتوهم و كثرتهم كانوا عليه سبحانه أهون شيء و أضعفه بحيث جعلهم هباء منثورا و كذا من بعدهم -[2]] ﴿قوم نوح﴾ و هم أهل الأرض كلهم من الآدميين قبل اختلاف الأمم ١٠ بتفرق اللغات ﴿ المرسلين ﴾ أى بتكذيبهم نوحا عليه السلام ، لأنه أقام الدليل على نبوته بالمعجزة ، و من كذب بمعجزة[3] / واحدة فقد كذب /٧٣٦ بجميع المعجزات لتساوى أقدامها فى الدلالة على صدق الرسول ، و قد سئل الحسن البصرى رحمه الله تعالى عن ذلك فقال: من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الكل لأن الآخر جاء بما جاء به الأول - حكاه ١٥ عنه البغوى[4] . و لقصد التسلية عبر بالتكذيب فى كل قصة ﴿ اذ ﴾ أى[5] حين ﴿قال لهم﴾ لم يتأنوا بطلب دليل ، و لا ابتغاء وجه جميل ؛ و أشار إلى نسبه[6] فيهم بقوله: ﴿ اخوهم ﴾ زيادة فى تسلية هذا النبي الكريم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : معجزة .
(٤) راجع المعالم على هامش اللباب ٥/١٠٠ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : نسبة .

﴿ نوح ﴾ و أشار إلى حسن أدبه، و استجلابهم برفقه و لينه، بقوله: ﴿ الا تتقون ﴾ أي[1] تكون لكم تقوى، و هي[2] خوف يحملكم على أن تجعلوا [بينكم - [3]] و بين سخطه وقاية بطاعته بالتوحيد و ترك الالتفات إلى غيره؛ ثم علل أهليته للأمر عليهم بقوله: ﴿ انى لكم ﴾ [أي - [3]] ٥ مع كوني أخاكم يسوءني ما يسوءكم و يسرني ما يسركم ﴿ رسول ﴾ أي من عند خالقكم، فلا مندوحة لي عن إبلاغ ما أمرت به ﴿امين ﴾ أي لا غش عندي كما تعلمون ذلك مني على طول خبرتكم بي، و لا خيانة في شيء من الأمانة، فلذلك لا بد لي من [4]إبلاغ جميع[4] الرسالة.

و لما عرض عليهم التقوى بالرفق، و علل ذلك بما ثبت به أمرها، ١٠ تسبب عنه الجزم بالأمر[5] فقال: ﴿ فاتقوا الله ﴾ أي أوجدوا الخوف و الحذر و التحرز [6]من الذي[6] اختص بالجلال و الجمال، مبادرين إلى ذلك بتوحيده لتحرزوا أصل السعادة فتكونوا من أهل الجنة ﴿و اطيعون ﴾ أي في كل ما آمركم لتحرزوا[7] رتبة الكمال في ذلك، فلا يمسكم عذاب.

و لما أثبت أمانته[8]، نفى تهمته فقال: ﴿ و مآ اسئلكم عليه ﴾ أي ١٥ على هذا الحال الذي أتيتكم به؛ و أشار إلى الإعراق في النفي بقوله: ﴿من اجر ﴾ [أي - [3]] ليظن ظان[9] أني جعلت الدعاء سببا له؛ ثم

---

(١) زيد في الأصل: ان، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و في الأصل: هو (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و في الأصل: جميع بليغ - كذا (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) في ظ و مد: للذي. (٧) في ظ: لتحوزوا (٨) من ظ و مد، و في الأصل: امامته (٩) سقط من ظ و مد.

أكد

أكد هذا النفي بقوله: ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ اجري ﴾ أي في دعائي لكم ﴿ الا على رب العلمين ﴾ أي الذي دبر جميع الخلائق و رباهم .

و لما انتفت التهمة ، تسبب عن انتفائها أيضا ما قدمه ، فأعاده إعلاما بالاهتمام بذلك زيادة في الشفقة عليهم [و تأكيدا له في قلوبهم تنبيها على أن الأمر في غاية العظمة لما يعلم من قلوبهم من شدة الجلافة -[1]] ٥ فقال: ﴿ فاتقوا الله ﴾ أي الذي حاز جميع صفات العظمة ﴿ و اطيعون ﴾.

و لما قام الدليل على نصحه و أمانته ، أجابوا بما ينظر[2] إلى محض الدنيا كما أجاب من قال من أشراف العرب "ما لهذا الرسول" الآيات ، و قال: لو طردت هؤلاء الضعفاء لرجونا أن نتبعك حتى نزل في ذلك "و لا تطرد الذين يدعون ربهم" و نحوها من الآيات ، بأن ﴿ قالوآ ﴾ ١٠ أي قومه ، منكرين لاتباعه استنادا[3] إلى داء الكبر الذي ينشأ منه بطر الحق و غمط الناس - أي احتقارهم: ﴿ انؤمن لك ﴾ أي لأجل قولك هذا و ما أثبته من أوصافك ﴿ و ﴾ الحال أنه قد[4] ﴿ اتبعك الارذلون ﴾ أي المؤخرون في الحال و المآل ، و الأحوال و الأفعال ، فيكون إيماننا بك سببا لاستوائنا معهم ، فـلو[5] طردتهم لم يكن لنا ١٥ عذر في التخلف عنك ، و لا مانع من اتباعك ، فكان ما متعوا به من العرض الفاني[6] مانعا لهم عن السعادة الباقية ، و أما الضعفاء فانكسار قلوبهم و خلوها عن شاغل موجب لإقبالها على الخير

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ : شطر (٣) من مد ، و في الأصل وظ : اسنادا.
(٤) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ ومد فحذفناها (٥) من ظ ومد ، و في الأصل : و لو (٦) سقط من ظ .

و قبولها له ، لأن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم ، و هكذا قالت قريش
في أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم ، [١]و ما زالت أتباع الرسل كذلك
/٧٣٧ حتى صارت / من سماتهـم و أماراتهم كما قال هرقل[٢] في سؤاله عن
أتباع النبي صلى الله عليه و سلم ، فكان مثال المستكبرين مثال شخص كان
٥ آخر دونه بدرجة ، فأصبح فوقه بدرجة ، فأنف من أن يرتقي إلى درجته
لئلا يساويه ، و رضي لنفسه أن يكون دونه ، فما أسخف[٣] عقله ! و ما أكثر
جهله ! فلا شيء أبين[٤] من هذا في أن التقدم[٥] في الأمور الدنيوية داء
لا دواء له إلا إماتة النفس بالتبرؤ منه و البعد عنه .

و لما كانت الجواهر متساوية في أنها مخلوقات الله ، و إنما تتشرف
١٠ بآثارها ، فالآدمي إنما يشرف أو يرذل[٦] بحاله من قاله و فعاله ،
أشار إلى أنه إنما يعتبر ما[٧] هم عليه الآن من الأحوال الرفيعة ، و الأوصاف
البديعة ، فلذلك ﴿ قال ﴾ نافيا لعلمه بما قالوه[٨] في صورة استفهام إنكاري :
﴿ و ما ﴾ أي و أيّ شيء ﴿ علمي بما كانوا يعملون ﴾ أي قبل أن
يتبعوني ، أي و ما لي و للبحث عن ذلك ، [٩]إنما لي[٩] ظاهرهم الآن و هو

---

(١) العبارة من هنا إلى « عليه و سلم » ساقطة من ظ (٢) راجع من صحيح
البخاري بابه الأول (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : استخف (٤) موضعه
بياض في الأصل ، ملأناه من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : التقديم.
(٦) من مد ، و في الأصل : يرذك ، و في ظ : يزول (٧) من ظ و مد ، و في
الأصل : مما (٨) في ظ و مد : قالوا (٩-٩) في ظ : اغاني .

خير ظاهر، فهم[1] الأشرفون و إن كانوا أفقر الناس و أخسّهم نسبا، فان الغنى غنى الدين، و النسب نسب التقوى؛ ثم أكد أنه لايبحث عن بواطنهم بقوله: ﴿ان﴾ أي ما ﴿حسابهم﴾ أي في الماضي و الآتي ﴿الا على ربي﴾ المحسن إليّ باتباعهم لي [ليكون لي -[2]] مثل أجرهم، المخفف عني أن يكلفني بحسابهم و تعرف بواطنهم، لأنه المختص بضبط جميع الأعمال ٥ و الحساب عليها[3] ﴿لو تشعرون﴾ أي لو كان لكم نوع شعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما هو دائر على أمور الدنيا فقط، و لا نظر له إلى يوم الحساب.

و لما أفهم قوله رد ما أفهمه قولهم من طردهم، صرح به في قوله: ﴿و مآ﴾ أي و لست ﴿انا بطارد المؤمنين﴾ أي الذين صار الإيمان لهم ١٠ وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع في إيمانكم و لا لغيره من[4] اتباع شهواتكم؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان﴾ أي ما ﴿انا الا نذير﴾ أي محذر، لا وكيل مناقش على البواطن. و لا متعنت على الاتباع ﴿مبين﴾ أوضح ما أرسلت به فلا أدع[5] فيه لبسا.

و لما أيأسهم مما أرادوا من طرد أتباعه لما أوهموا من اتباعه ١٥ لو طردهم خداعا، أقبلوا على التهديد، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك بقوله: ﴿قالوا لئن لم تنته﴾ ثم[6] سموه باسمه جفاء و قلة أدب فقالوا:

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: فيهم الاشراف (٢) زيد من ظ و مد.
(٣) من ظ و مد. و في الأصل: عليهما (٤) من ظ و مد، و في الأصل: عن.
(٥) في ظ: فلا اضع (٦) من ظ و مد، و في الأصل: اى.

﴿ يٰنوح لتكونن من المرجومين ﴾ أى المقتولين ، و لا ينفعك أتباعك هؤلاء الضعفاء .

و لما أيس منهم [1] بما سمع من المبالغة بالتأكيد فى قولهم ، و رأى بما يصدقه من فعلهم ، قال تعالى مخبرا عنه [1] [جوابا لسؤال من يريد تعرف

٥ حاله بعد ذلك - [2]] : ﴿ قال ﴾ شاكيا إلى الله تعالى ما هو أعلم [3] به منه توطئة للدعاء عليهم و إلهابا إليه و تهييجا ، معرضا عن تهديدهم له صبرا و احتسابا ، لأنه [من - [2]] لازم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، [و اكتفاء عنه بسببه - [2]] : ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ .

و لما كان الحال مقتضيا لأن يصدقوه لما له فى نفسه [من الأمانة ،

١٠ و بهم من القرابة ، و لما [4] أقام على ما دعاهم إليه من الأدلة مع ما له فى نفسه - [2]] من الوضوح ، أكد الإخبار [5] بتكذيبهم ، إعلاما بوجوده ، و بأنه تحققه منهم من غير شك فقال : ﴿ ان قومى كذبون ﴾ أى فلا نية لهم فى اتباعى ﴿ فافتح ﴾ أى احكم ﴿ بينى و بينهم فتحا ﴾ أى حكما يكون لى / فيه فرج ، و به من الضيق مخرج [6] ، فأهلك المبطلين و أنجز / ٧٣٨

١٥ حتفهم ﴿ و نجنى و من معى ﴾ أى فى الدين ﴿ من المؤمنين ﴾ [7] مما تعذب به الكافرين .

(١ - ١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « المنكر » س ٨ ، و الترتيب من ظ و مد إلا أن « بما سمع » ليس فيهما (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ . (٤) فى مد : ما (٥) فى ظ : الاختيار (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : مخرجا . (٧) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كان فى إهلاكهم و إنجائه من بديع الصنع ما يجل عن الوصف، أبرزه فى مظاهر العظمة فقال: ﴿ فانجينه و من معه ﴾ أى من[1] لايخالفه فى الدين على ضعفهم و قلتهم ﴿ فى الفلك ﴾ و لما كانت سلامة المملوء جدا أغرب قال: ﴿ المشحون ﴾ أى المملوء بمن حمل فيه من الناس و الطير و سائر الحيوان، و ما حمل من زادهم و ما يصلحهم. ٥

و لما كان إغراقهم كلهم من الغرائب عظمه بأداة البعد [و مظهر العظمة -[2]] فقال: ﴿ ثم اغرقنا بعد ﴾ أى بعد حمله[3] الذى هو سبب إنجائه ﴿ البقين ﴾ أى من بقى على الأرض و لم يركب معه فى السفينة[4] على قوتهم و كثرتهم، [و كان ذلك -[2]] علينا يسيرا.

[و لما -[2]] كان ذلك أمرا باهرا، عظمه بقوله: ﴿ان فى ذلك ﴾ ١٠ أى الأمر العظيم من الدعاء و الإمهال ثم الإنجاء و الإهلاك ﴿ لاية ﴾ أى عظيمة لمن شاهد ذلك أو سمع به، على أنا ننتقم ممن عصانا، و ننجى من أطاعنا، و أنه [لا -[2]] أمر لأحد معنا فيهديه[5] إلى الإيمان، و يحمله[6] على الاستسلام و الإذعان ﴿و ما﴾ أى و الحال أنه ما ﴿كان اكثرهم﴾ أى أكثر العالمين بذلك ﴿مؤمنين﴾ و قد كان ينبغى لهم إذ فاتهم الإيمان ١٥ لمحض الدليل أن يبادروا إليه و يركبوا معه حين رأوا أوائل العذاب أو بعد أن ألجمهم الغرق ﴿و ان ربك﴾ المحسن إليك بارسالك، و تكثير أتباعك،

(١) فى ظ: مما (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: حمل.
(٤) زيد فى الأصل: و لما كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٥) فى ظ: فنهديه (٦) فى ظ: نحمله.

و تعظيم أشياعك ﴿ لهو العزيز ﴾ أي القادر بعزته على كل من قسرهم على الطاعة ، و إهلاكهم في أول أوقات المعصية ﴿ الرحيم ع ﴾ أي[1] الذي [2]يخص من يشاء[2] من عباده بخالص وداده[3] ، و يرسل إلى الضالين عن محجة العقل القويمة الرسل لبيان ما يحب و ما يكره ، فلا يهلك إلا بعد
٥ البيان الشافي ، و الإبلاغ الوافي .

و لما كان كأنه قيل : إن هذا لأمر هائل ، في مثله موعظة[4] ، فما فعل من جاء بعدهم ؟ هل اتعظ ؟ أجيب بقوله دلالة على الوصفين معا : ﴿ كذبت عاد ﴾ أي تلك القبيلة التي مكن الله لها في الأرض بعد قوم نوح ﴿ المرسلين ج ﴾ بالإعراض عن معجزة هود عليه الصلاة و السلام ؛
١٠ ثم سلى هذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم بقوله : ﴿ اذ ﴾ [أي حين -[5]] ﴿ قال لهم اخوهم هود ﴾ لم يتوقفوا في تكذيبه و لم يتأخروا عن وقت دعائه لتأمل و لا غيره ، و قد عرفوا صدق إخائه ، و عظيم نصحه و وفائه ﴿ الا ﴾ بصيغة العرض تأدبا معهم و تلطفا بهم و لينا لهم ﴿ تتقون ج ﴾ أي تكون منكم تقوى لربكم الذي خلقكم فتعبدوه وحده و لا تشركوا به ما
١٥ لا يضر و لا ينفع ؛ ثم علل بقوله : ﴿ اني لكم رسول ﴾ أي فهو الذي حملني على أن أقول لكم ذلك ﴿ امين لا ﴾ أي لا أكتم عنكم شيئا مما أمرت به و لا أخالف شيئا منه ﴿ فاتقوا ﴾ أي فتسبب عن ذلك أني أقول لكم : اتقوا ﴿ الله ﴾ الذي هو أعظم[6] من كل شيء ﴿ و اطيعون ج ﴾ أي في

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ و مد ، و في الأصل : خص من شاء (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : وداه (٤) في ظ و مد : عظة (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) في ظ : اعلم .

كل ما آمركم به من دوام تعظيمه ﴿ و مآ ﴾ أى أنا رسول داع و الحال أنى ما ﴿ اسئلكم عليه ﴾ أى الدعاء ﴿ من اجرٍ ﴾ فتتهمونى به ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى الا على رب العٰلمين ۝ ﴾ .

و لما فرغ من الدعاء إلى الأصل، و هو الإيمان بالرسول و المرسل، أتبعه إنكار بعض ما هم عليه مما أوجبه الكفر، / و أوجب الاشتغال به ٥ / ٧٣٩ الثبات على الغى، واعظا لهم [بما - [١]] كان لمن [٢] قبلهم من الهلاك، مقدمة على زيادة التأكيد فى التقوى و الطاعة لأن [٣] حالهم حال الناسى لذلك الطوفان، الذى أهلك [٤] الحيوان، و هدم [٥] البنيان فقال: ﴿ اتبنون بكل ريع ﴾ أى مكان مرتفع؛ قال أبوحيان [٦]: و قال أبوعبيدة: الريع [٧] الطريق . و قال مجاهد [٨]: الفج بين الجبلين [٩]، و قيل: السبيل سلك [١٠] ١٠ أم لم يسلك . و أصله فى اللغة الزيادة ﴿ اٰية ﴾ أى علامة على شدتكم لأنه لو كان لهداية أو نحوها لكفى بعض الأرياع دون كلها .

و لما كان إقامة الدليل على قوتهم بمثل [١١] ذلك قليل الجدوى عند التأمل، قال: ﴿ تعبثون ۝ ﴾ و العاقل ينبغى له [١٢] أن يصون أوقاته النفيسة

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : و ان (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هدد (٦) راجع البحر المحيط ٧ / ٢٩ (٧) زيد فى ظ و مد : أيضا (٨) راجع روح المعانى ٦ / ٢١٨ (٩) فى ظ و مد : جبلين (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسلك (١١) فى ظ : مثل (١٢) سقط من ظ .

عن العبث الذى لايكون سبب نجاته، وكيف يليق ذلك بمن الموت من ورائه..

و لما كان من يموت لاينبغى له إنكار الموت بفعل و لا قول قال: ﴿ و تتخذون مصانع ﴾ أى أشياء [بأخذ الماء، أو قصورا مشيدة ٥ و حصونا -[1]] تصنعونها، هى فى إحكامها بحيث تأكل الدهر قوة و ثباتا، فلا يبنيها إلا من حاله حال الراجى للخلود، و لذلك قال: ﴿لعلكم تخلدون ج﴾ و هو[2] معنى ما فى البخارى[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما من تفسيرها بكأنكم.

و لما بين أن عملهم عمل من لايخاف الموت، أتبعه ما[4] يدل على ١٠ أنهم لايظنون الجزاء فقال: ﴿و اذا بطشتم﴾ [أي -[1]] بأحد، أخذتموه أخذ سطوة فى عقوبة ﴿ بطشتم جبارين ج ﴾ أى غير مبالين بشيء من قتل أو غيره؛ قال البغوى[5]: و الجبار الذي يضرب و يقتل على الغضب.

و لما خوفهم لهذا الإنكار عقاب الجبار، تسبب عنه [أن -[1]] قال: ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الذى له [6]جميع صفات[6] الجلال و الإكرام ١٥ ﴿ و اطيعون ج ﴾.

و لما كان إدكار الإحسان موجبا للاذعان، قال مرغبا فى الزيادة و مرهبا من الحرمان: ﴿ و اتقوا الذى امدكم ﴾ أى جعل لكم مددا[7]،

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: هى (٣) راجع كتاب التفسير ٢/٧٠٣ (٤) فى ظ: بما (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٠٢. (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ: صفات جميع (٧) فى ظ: مدادا.

و هو

و هو اتباع الشيء بما [١] يقويه على الانتظام [٢] ﴿ بما تعلمون ﴾ أى ليس فيه [٣] نوع خفاء حتى تعذروا فى الغفلة عن تقييده بالشكر .

و لما أجمل ، فصل ليكون أكمل ، فقال : ﴿ امدكم بانعام ﴾ أى تعينكم على الأعمال و تأكلون منها و تبيعون [٤] . و لما قدم ما يقيم الأود ، أتبعه قوله : ﴿ و بنين ﴾ أى يعينونكم [٥] على ما تريدون عند العجز . ثم أتبعه ما يحصّل كمال العيش فقال : ﴿ و جنت ﴾ أى بساتين ملتفة الأشجار بحيث تستر داخلها ، و أشار إلى دوام الرى [٦] بقوله : ﴿ و عيون ﴾ .

و لما كانوا فى إعراضهم كأنهم يقولون : ما الذى تبقيه منه ؟ قال : ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ أى لأنكم قومى يسوءنى ما يسوءكم - إن تماديتم على المعصية ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ و تعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب ﴿ قالوا ﴾ راضين بما عندهم من داء الإعجاب ، الموقع فى كل ما عاب : ﴿ سوآء علينآ اوعظت ﴾ أى [٧] خوفت و حذرت [٧] و كنت علامة زمانك فى ذلك بأن تقول منه ما لم يقدر أحد على مثله ، دل على ذلك قوله : ﴿ ام لم تكن من الواعظين ﴾ أى متأهلا لشيء من رتبة الراسخين فى الوعظ ، [معدودا فى عدادهم ، مذكورا فيما بينهم ، فهو أبلغ من «أم لم تعظ» أو «تكن واعظا» - [٨]] ، و الوعظ [٩] - كما قال البغوى [١٠] - : كلام

---

(١) فى مد : ما (٢) فى ظ و مد : انتظام (٣) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تتبعون (٥) فى ظ و مد : يعينوكم (٦) فى ظ : الرأى (٧-٧) فى ظ : حذرت و خوفت (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (١٠) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/١٠٢ .

/٧٤٠ يلين القلب / بذكر[1] الوعد و الوعيد . و المعنى أن الأمر مستوٍ فى الحالتين فى أنا[2] لا نطيعك فى شىء ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى الذى جئتنا به ﴿ الا خلق ﴾ بفتح الخاء و إسكان اللام فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائى[3] ﴿الاولين[4] ۝﴾ أى كذبهم ،
٥ أو ما هذا الذى نحن فيه إلا عادة الأولين فى حياة ناس و موت[5] آخرين ، و عافية قوم و بلاء آخرين ، و عليه تدل قراءة الباقين بضم الخاء و اللام ﴿و ما نحن بمعذبين ۝ ﴾ لأنا أهل قوة و شجاعة و نجدة و براعة.

و لما تضمن هذا التكذيب ، سبب عنه قوله : ﴿ فكذبوه ﴾ ثم سبب عنه قوله : ﴿فاهلكنهم ﴾ أى بالريح بما لنا من العظمة التى لا تذكر
١٠ عندها عظمتهم ، و القوة التى بها كانت قوتهم ﴿ان فى ذلك﴾ أى الإهلاك فى كل قرن للعاصين و الإنجاء للطائعين ﴿ لاية ﴾ أى عظيمة لمن بعدهم على أنه سبحانه فاعل ذلك وحده بسبب أنه يحق الحق و يبطل الباطل ، و أنه مع أوليائه و من كان معه لا يذل ، و على أعدائه و من كان عليه لا يعز ﴿و ما كان اكثرهم﴾ أى أكثر[6] من كان بعدهم ﴿مؤمنين ۝﴾
١٥ فلا تحزن أنت على من أعرض عن الإيمان ﴿و ان ربك﴾ أى المحسن إليك بإرسالك و غيره من النعم ﴿ لهو العزيز ﴾ فى انتقامه ﴿الرحيم ۝﴾ فى إنعامه و إكرامه و إحسانه ، مع عصيانه و كفرانه ، و إرسال المنذرين

---

(١) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : مذكر (٢) فى ظ : ان (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٩ (٤) تقدم فى الأصل على « بفتح الخاء » و الترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ : فوت (٦) سقط من ظ .

و تأييدهم بالآيات المعجزة لبيان الطريق الأقوم ، و المنهج الأسلم ، فلا يهلك إلا بعد الإعذار بأبلغ الإنذار ؛ ثم دل على ذلك لمن قد ينسى إذ[1] كان الإنسان مجبولا على النسيان بقوله : ﴿ كذبت ثمود ﴾ و هم أهل الحجر ﴿ المرسلين ﴾ و أشار إلى زيادة التسلية بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تأمل و لا توقف بقوله : ﴿ اذ ﴾ أي حين ﴿ قال لهم اخوهم ﴾ أي ٥ الذي يعرفون صدقه و أمانته ، و شفقته و صيانته ﴿ صلح ﴾ و أشار إلى تلطفه بهم بقوله على سبيل العرض : ﴿ الا تتقون ﴾ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انى لكم رسول ﴾ أي من الله ، فلذلك عرضت عليكم هذا لأني مأمور بذلك ، و إلا لم أعرضه عليكم ﴿ امين ﴾ لا شيء من الخيانة عندي ، بل أنصح لكم في إبلاغ جميع ما أرسلت به إليكم من خالقكم ، الذي ١٠ لا أحد أرحم بكم منه .

و لما قدم ذكر الرسالة فصار له عذر في المواجهة بالأمر ، سبب عنه قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الغنى المطلق . و لما ذكر الأمانة قال[2] : ﴿ و اطيعون ﴾ .

و لما أثبت ما يوجب الإقبال عليه ، نفى ما يستلزم عادة الإدبار ١٥ عنه فقال : ﴿ و ما ﴾ أي إني [3- لكم -3] كذا و الحال أني ما ﴿ اسئلكم عليه ﴾ و أعرق [4- في النفي -4] بقوله : ﴿ من اجر ﴾ . [5- ثم زاد في تأكيد هذا

---

(١) في ظ : اذا (٢) في ظ : فقال (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) في ظ : عليه بالنفي - كذا (٥ - ٥) تقدم ما بين الرقمين في الأصل على « و أعرق » ، و الترتيب من ظ و مد .

النبي بقوله] : ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ اجرى ﴾ على أحد ﴿ الا على رب العلمين ﴾
أي المحسن إليهم أجمعين ، منه أطلب أن يعطيني كما أعطاهم .

و لما ثبتت[1] الأمانة ، و انتفى موجب الخيانة ، شرع ينكر عليهم أكل
خيره و عبادة غيره ، فقال مخوفا لهم من سطواته ، و مرغبا / في المزيد /٧٤١
٥ من خيراتـــه . منكرا عليهم إخلادهم إلى شهوة البطن ، و استنادهم إلى
الرفاهية و الرضى بالفاني : ﴿ اتتركون ﴾ [أي -[2]] من أيدى النوائب
التي لايقدر عليها إلا الله ﴿ في ما ههنآ ﴾ أي في بلادكم هذه من النعم
حال كونكم ﴿ امنين ﴾ أي و أنتم تبارزون الملك القهار[3] بالعظائم .

و لما كان للتفسير بعد الإجمال شأن . بين ما أجمل بقوله مذكرا لهم
١٠ بنعمة الله ليشكروها : ﴿ في جنت ﴾ أي بساتين تستر الداخل فيها و تخفيه
لكثرة أشجارها ﴿ و عيون ﴾ تسقيها مع ما لها[4] من البهجة و غير ذلك
من المنافع ﴿ و زروع ﴾ و أشار إلى عظم[5] النخيل و لاسيما ما كان
عندهم بتخصيصها بالذكر بعد دخولها في الجنات بقوله : ﴿ و نخل طلعها ﴾
أي ما يطلع منها من الثمر ؛ قال الزمخشري[6] : كنصل السيف في جوفه
١٥ شماريخ القنو ، و القنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه و شماريخه .
﴿ هضيم ﴾ أي جواد كريم من قولهم : يد هضوم - إذا كانت تجود بما
لديها ، و تفسيره[7] بذلك يجمع أقوال العلماء ، و إليه يرجع ما قال أبو عبد الله

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : اثبتت (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ
و مد ، القاهر (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : لهم (٥) من ظ و مد ،
و في الأصل : عظيم (٦) راجع الكشاف ٢ / ١٠٠٤ (٧) في ظ : تفسيرها .

القزاز معناه أنه قد هضم - أى ضغط - بعضه بعضا لتراكبه[1]. فانه لايكون كذلك إلا[2] و هو كثير متقارب النضد[3]، لا فرج بينه، و لطيف لين هش طيب الرائحة، من الهضم بالتحريك، و هو خمص البطن و لطف[4] الكشح؛ و الهاضم و هو ما فيه رخاوة، و الهضم: البخور، و المهضومة: طيب يخلط بالمسك و اللبان؛ قال الرازى فى اللوامع: أو يانع نضيج لين ٥ رخو و متهشم متفتت إذا مس، أو يهضم الطعام، و كل هـذا يرجع إلى لطافته.

و لما ذكر اللطيف من أحوالهم[5]، أتبعه الكثيف من أفعالهم، [فقال -[6]] عطفا على "اتتركون" أو مبينا لحال[7] الفاعل فى "ا'منين": ﴿وتنحتون﴾ أى و الحال أنكم تنحتون إظهارا للقدرة ﴿من الجبال بيوتا فرهين﴾ ١٠ أى مظهرين النشاط و القوة، تعظما بذلك و بطرا، لا لحاجتكم إلى شيء من ذاك ﴿فاتقوا﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لكم: اتقوا ﴿الله﴾ الذى له جميع العظمة بأن تجعلوا بينكم و بين عذابه وقاية باتباع أوامره، و اجتناب زواجره ﴿و اطيعون﴾ أى فى كل ما آمركم به [8]و أنهاكم[8] عنه. فانى لا آمركم إلا بما يصلحكم فيكون سببا لحفظ ما أنتم فيه و تزدادون[9] ١٥ ﴿و لا تطيعوآ﴾.

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لتراكبه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القصد (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: لطيف (٥) فى ظ: احوالكم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كحال. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) فى مد: تزادون.

و لما كان الانقياد للآمر إنما هو بواسطة ما ظهر من أمره قال: ﴿امر المسرفين ۝﴾ أي المتجاوزين للحدود الذين[1] صار[2] لهم ذلك[2] خلقا؛ ثم وصفهم بما بين إسرافهم، و هو ارتكاب الفساد الخالص المصمت الذي لا صلاح معه فقال: ﴿الذين يفسدون في الارض﴾ أي يعملون ٥ ما يؤدي إلى الفساد لكونه غير محكم باستناده[3] إلى الله.

و لما كان ربما ادعى في بعض الفساد أن فيه صلاحا، نفى ذلك بقوله: ﴿و لا يصلحون ۝﴾ أي لأنهم أسسوا أمرهم على الشرك فصاروا بحيث لا يصلح/ لهم عمل و إن تراءى غير ذلك، أو[4] أن المعنى أن المسرف /٧٤٢ من كان عريقا في الإسراف يجمع[5] هذين الأمرين.

١٠ و لما دعا إلى الله تعالى بما لا خلل فيه، فعلموا أنهم عاجزون عن الطعن في شيء منه، عدلوا إلى التخييل على عقول الضعفاء بأن ﴿قالوآ انمآ انت من المسحرين ۝﴾ أي الذين بولغ في سحرهم مرة بعد مرة مع كونهم آدميين ذوي سحور، و هي الرئات، فأثر فيك السحر حتى غلب عليك؛ و نقل البغوي[6] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: من[7] ١٥ المخلوقين المعللين بالطعام و الشراب، يقال: سحره أي علله بالطعام و الشراب. و يؤيده تفسيره بقولهم إشارة إلى أنه لا يصلح للرسالة:

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: الذي (٢ - ٢) في ظ و مد: ذلك لهم. (٣) في ظ: باستاده (٤) في ظ و مد «و» (٥) من ظ و مد، و في الأصل: بجميع (٦) في معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٥/١٠٢ (٧) من ظ و مد و المعالم، و في الأصل: ما.

﴿ مآ انت الا بشر مثلنا صلے ج ﴾ أى فلا وجه خصوصيتك عنا بالرسالة ، وهل يكون الرسول من البشر ، وإتباعهم [الوصف - [1]] الوصف من غير عطف يدل على أنهم غير جازمين بتكذيبه . فالوصفان عندهم بمنزلة شيء واحد كما إذا قيل : الزمان حلو حامض ، أى مر [2] ، ويؤيد كونهم فى رتبة الشك لم يتجاوزوها إلى الجزم أو الظن بالتكذيب قولهم : ٥ ﴿ فات باية ﴾ أى علامة [3] تدلنا على صدقك ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ ﴿ من الصدقين ﴾ أى العريقين فى الصدق بخلاف ما يأتى قريبا فى قصة شعيب عليه السلام .

ولما أسرع الله تعالى فى إجابته حين دعاه أن يعطيهم ما اقترحوا ، أشار [4] إلى ذلك بقوله : ﴿ قال ﴾ أى جوابا لاقتراحهم : تعالوا انظروا ١٠ ما آتيكم [5] به آية على صدقى ، فأتوا فأخرج الله له من الصخرة ناقة عشراء كما اقترحوا . فقال مشيرا إليها بأداة القرب إشارة إلى سهولة إخراجها وسرعته : ﴿ هذه ناقة ﴾ أى أخرجها ربى من الصخرة كما اقترحتم ؛ ثم أشار إلى أن فى هذه الآية آية أخرى بكونها [6] تشرب ماء البئر كله فى يوم وردها [7] وتكف عنه فى اليوم الثانى لأجلهم ، بقوله : ﴿ لها شرب ﴾ ١٥ أى نصيب من الماء فى يوم معلوم ﴿ ولكم شرب يوم ﴾ أى نصيب

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد . وفى الأصل : تر (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : عامة (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : اشارة (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : اتيتكم (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : لكونها (٧) من مد ، وفى الأصل وظ : ورودها .

من الماء في يوم ﴿معلوم﴾ لا زحام بينكم و بينها في شيء من ذلك.

و لما أرشد السياق [1]إرشادا بينا[1] إلى أن المعنى : فخذوا شربتكم و اتركوا لها شربها، عطف عليه قوله: ﴿ و لاتمسوها بسوٓء ﴾ أي كائنا ما كان و إن قل، لأن ما كان من عند الله يجب إكرامه، و رعايته ٥ و احترامه؛ ثم خوفهم بما يتسبب[2] عن عصيانهم فقال : ﴿ فياخذكم ﴾ أي يهلككم ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ بسبب ما حل فيه من العذاب، فهو أبلغ من وصف العذاب بالعظم[3]، و أشار إلى سرعة عصيانهم بفاء التعقيب في قوله: ﴿ فعقروها ﴾ [أي قتلوها بضرب ساقها بالسيف ـ[4]] .

و لما تسبب عن عقرها[5] حلول مخايل العذاب، أخبر عن ندمهم ١٠ على[6] قتلها من حيث أنه يفضي[7] إلى الهلاك، لا من حيث أنه معصية لله و رسوله. فقال: ﴿فاصبحوا ندمين﴾ أي على عقرها لتحقق العذاب؛ و أشار إلى أن ذلك الندم لا على وجه التوبة / أو[8] أنه عند رؤية البأس /٧٤٣ فلم ينفع، أو[9] أن ذلك كناية عن أن[10] حالهم صار حال النادم، لا أنه وجد منهم[11] ندم على شيء ما، فانه نقل عنهم أنه أتاهم العذاب و هم

(١ ـ ١) من ظ و مد، و في الأصل : اشار مبينا ـ كذا (٢) من ظ و مد، و في الأصل: تسبب (٣) من ظ و مد . و في الأصل : العظيم ، و العبارة من « فهو أبلغ » إلى هنا تأخرت في الأصل عن «فعقروها» والترتيب من ظ و مد. (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد في الأصل : لتحقق العذاب ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) في ظ : عن (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : يفيض . (٨) في ظ « و » (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : اى (١٠) سقط من ظ . (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : عنهم .

يحاولون أن[1] يقتلوا صالحا عليه السلام، بقوله: ﴿ فاخذهم العذاب ﴾ أى المتوعد[2] به .

و لما كان فى الناقة و فى حلول المخايل كما تقدم أعظم دليل على صدق الرسول الداعى إلى الله قال: ﴿ان فى ذلك لاية ﴾ أى دلالة عظيمة على صحة ما أمروا به عن الله، ﴿ وما ﴾ أى و الحال أنه مع ٥ ذلك ما ﴿ كان اكثرهم مؤمنين ﴾ .

و لما كان ربما توهم أنه سبحانه غير متصف بالعزة لعدم قسرهم على الإيمان، أو بالرحمة لإهلاكهم، قال: ﴿ و ان ربك لهو العزيز ﴾ أى فلا يخرج شيء عن قبضته و إرادته، و هو الذى أراد لهم الكفر ﴿الرحيم ﴾ فى كونه لم[3] يهلك أحدا حتى أرسل إليهم رسولا فبين لهم ١٠ ما يرضاه سبحانه و ما يسخطه، و أبلغ فى إنذارهم حتى أقام الحجة بذلك، ثم هو سبحانه يضل من يشاء لما تعلم[4] من طبعه على ما يقتضى الشقاوة، و يوفق من علم منه الخير لما يرضيه، فيتسبب عن ذلك سعادته، و فى تكريره سبحانه هذه الآية آخر كل قصة على وجه التأكيد و إتباعها ما دلت عليه [5]من كفر[5] من أتى بعد أصحابها، من غير اتعاظ بحالهم، و لانكوب ١٥ عن مثل ضلالهم، خوفا من نظير نكالهم، أعظم تسلية لهذا النبي الكريم، و تخويف [6]لكل عليم حليم[6]، و استعطاف لكل ذى قلب سليم، و لذلك[7]

(١) فى ظ : انهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : التوعد (٣) من ظ ومد، وفى الاصل : لهم (٤) من ظ و مد، وفى الأصل : علم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦-٦) ما بين الرقمين بياض فى مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : كذلك .

قال واصلا[1] بالقصة: ﴿كذبت﴾ أى دأب من تقدم كأنهم تواصوا به ﴿قوم لوط المرسلين ج﴾ لأن من كذب رسولا - كما مضى - فقد[2] كذب الكل، لتساوى المعجزات فى الدلالة على الصدق. و قد صرحت هذه الآية بكفرهم بالتكذيب، و بين إسراعهم فى الضلال بقوله: ﴿اذ﴾

٥ أى حين ﴿قال لهم اخوهم﴾ أى فى السكنى فى البلد لا فى النسب لأنه ابن أخى إبراهيم عليه السلام، و هما من بلاد الشرق من بلاد بابل، و كأنه عبر بالأخوة لاختياره لمجاورتهم، و مناسبتهم [بمصاهرتهم -[3]]، و إقامته بينهم فى مدينتهم مدة مديدة، و سنين عديدة، و إتيانه بالأولاد من نسائهم[4]، مع موافقته لهم [5]فى أنه قروى[5]؛ ثم بينه بقوله:

١٠ ﴿لوط الا تتقون ج﴾ اى تخافون الله فتجعلوا بينكم و بين سخطه وقاية.

و لما كان مضمون هذا الدعاء لهم و الإنكار عليهم فى عدم التقوى، علل ذلك بقوله: ﴿انى لكم﴾ أى خاصة ﴿رسول امين لا﴾ أى لا[6] شيء من غش و لا خيانة عندى، و لذلك سبب عنه قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ [أى -] لقدرته على إهلاك من يريد و تعاليه فى عظمته ﴿و اطيعون ج﴾

١٥ أى لأن[7] طاعتى سبب نجاتكم، لأنى لا آمركم إلا بما يرتضيه، و لا أنهاكم إلا عما يغضبه.

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: واصفا (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: نسائه (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بمصاهرتهم. (٦) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لا.

و لما أثبت الداعي إلى طاعته، نفى الناهي عنها فقال: ﴿و مآ اسئلكم عليه﴾ أي الدعاء إلى الله ﴿من اجر ج﴾ أي فتتهموني بسببه؛ و نفى سؤاله لغيرهم من الخلائق / بتخصيصه بالخالق فقال[1]: ﴿ان﴾ أي ما ﴿أجرى الا على رب العلمين ه﴾ أي المحسن إليهم بإيجادهم ثم تربيتهم. / ٧٤٤

فلما[2] وجدوا[3] المقتضى لاتباعه و انتفى المانع، أنكر عليهم ما يوجب[4] عذابهم [من إيثارهم شهوة الفرج المخرج لهم إلى ما صاروا به سبة في الخلق - [5]]. فقال موبخا مقرعا بيانا لتفاحش فعلهم و عظمه: ﴿اتاتون﴾ [أي - [5]] إتيان المعصية ﴿الذكران﴾ و لعلهم كانوا يفعلون بالذكور من غير الآدميين توغلا في الشر و تجاهرا بالتهتك لقوله: ﴿من العلمين لا﴾ أي كلهم[6]، أو يكون المعنى: من بين الخلائق، أي أنكم اختصصتم بإتيان الذكران، لم يفعل هذا الفعل غيركم [من الناكحين - [5]] من الخلق ﴿و تذرون[7]﴾ أي تتركون لهذا الغرض ﴿ما خلق لكم﴾ أي للنكاح[8] ﴿ربكم﴾ المحسن إليكم ﴿من ازواجكم ط﴾ أي و هن[9] الإناث، على أن «من» للبيان، و يجوز أن تكون مبعضة، و يكون المخلوق كذلك[10] هو القبل.

و لما كانوا كأنهم [11]قالوا: نحن لم نترك أزواجنا، حملا لقوله على[11]

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: ثم (٣) من ظ و مد، و في الأصل: وجد.
(٤) في ظ: وجب (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ: كلكم (٧) زيد في الأصل: لكم، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد و في الأصل: النكاح (٩) من ظ و مد، و في الأصل: عني (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: لذلك (١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

"الترك أصلا و رأسا و إن كانوا[1] قد فهموا أن مراده تركهن حال الفعل في الذكور ، قال مضربا عن مقالهم[2] هذا المعلوم تقديره لما أرادوه به[3]، حيدة عن الحق ، و تماديا في الفجور : ﴿ بل انتم قوم عدون ﴾ أي تركتم الأزواج بتعدى الفعل بهن و تجاوزه إلى الفعل بالذكران ، و ليس ذلك ٥ يبدع من أمركم ، فان العدوان - الذي هو مجاوزة الحد في الشر - وصف لكم أنتم عريقون فيه ، فلذلك لا تقفون[4] عند حد حده الله تعالى .

فلما اتضح الحق ، و عرف المراد ، و كان غريبا عندهم ، و تشوف السامع إلى جوابهم ، استؤنف الإخبار عنه ، فقيل إعلاما بانقطاعهم و أنهم عارفون أنه لا وجه لهم في ذلك أصلا لعدولهم[5] إلى الفحش : ﴿ قالوا ﴾ ١٠ مقسمين : ﴿ لئن لم تنته ﴾ [و سموه باسمه جفاء و غلظة فقالوا -[6]] : ﴿ يلوط ﴾ عن مثل إنكارك هذا علينا .

و لما كان لما له من العظمة[7] بالنبوة و الأفعال الشريفة التي توجب إجلاله و إنكار كل من يسمعهم أن يخرج مثله ، زادوا في التأكيد فقالوا : ﴿ لتكونن من المخرجين ﴾ أي [ممن -[6]] أخرجناه من بلدنا [على وجه ١٥ فظيع تصير مشهورا به بينهم -[6]] . إشارة إلى أنه غريب عندهم ، و أن عادتهم المستمرة نفي من اعترض عليهم ، و كان قصدهم بذلك أن يكونوا هم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : فعالهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : لا تتقون . (٥) من ظ و مد ، و في الأصل لعدوهم (٦) زيد من ظ و مد . (٧) سقط من ظ .

المتولين لإخراجه إهانة له للاستراحة[1] منه ، فكان إخراجه . لكن إخراج إكرام للإستراحة منهم و النجاة من عذابهم بتولى الملائكة الكرام ﴿قال﴾ أي[2] جوابا لهم : ﴿انى﴾ مؤكدا لمضمون ما يأتى به ﴿لعملكم﴾ و لم يقل : قال ، بل زاد في التأكيد بقوله : ﴿من القالين﴾ أى المشهورين ببغض هذا العمل الفاحش ، العريقين فى هذا الوصف ، المذكورين[3] بين ٥ الناس بمنابذة من يفعله ، لا يردنى عن إنكاره تهديدكم لى باخراج و لا غيره ، و القلاء : بغض شديد كأنه يقلى الفؤاد .

و لما بادأهم بمثل هذا الذى من شأنه الإفضاء إلى الشر ، أقبل على من يفعل ذلك لأجله ، و هو القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ، فقال : ﴿رب نجنى واهلى مما﴾ أى من الجزاء الذى يلحقهم لما ﴿يعملون﴾ . ١٠

و لما قبل سبحانه و تعالى دعاءه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿فنجينه و اهله﴾ مما عذبناهم به باخراجنا له من بلدهم / حين استخفافهم[4] / ٧٤٥ له ، و لم يؤخره عنهم إلى حين خروجه إلا لأجله ، و عين سبحانه المراد مبينا أن أهله كثير بقوله : ﴿اجمعين﴾ أى أهل بيته و المتبعين[5] له على دينه ﴿الا عجوزا﴾ و هى امرأته ، كائنة ﴿فى﴾ حكم ﴿الغبرين﴾ ١٥ أى الماكثين الذى تلحقهم الغبرة بما يكون من الداهية فانتا [لم - [6]] نتجها لقضائنا بذلك فى الأزل ، لكونها لم تتابعه فى الدين ، و كان هواها مع قومها .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستراحة (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : المذكور (٤) فى ظ : استحقاقهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتقين .
(٦) زيد من ظ و مد .

و لما ذكر نجاته المفهمة لهلاكهم، صرح به على وجه هوله بأداة التراخي لما علم[1] غير مرة أنه كان عقب خروجه، لم يتخلل بينهما مهلة[2] فقال : ﴿ ثم دمرنا ﴾ أي أهلكنا هلاكا بغتة [صلبا أصم في غاية النكد -[3]]، و ما أحسن التعبير عنهم بلفظ ﴿ الأخرين ﴾ لإفهام تأخرهم
٥ من كل وجه .

و لما كان معنى "دمرنا" : حكمنا بتدميرهم[4]، عطف عليه قوله : ﴿ و امطرنا ﴾ و دل[5] على العذاب بتعديته[6] بـ"على" فقال: ﴿ عليهم مطرا ﴾ أي و أي مطر ! و لذلك سبب عنه قوله : ﴿ فسآء مطر المنذرين ﴾ أي ما أسوأ مطر الذين خوفهم لوط عليه السلام بما أشار إليه إنكاره و تعبيره
١٠ بالتقوى و العدوان .

و لما كان في جرى المكذبين و المصدقين على نظام واحد من الهلاك و النجاة أعظم عبرة و أكبر موعظة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ إن في ذلك لأية ﴾ أي دلالة عظيمة على صدق الرسل في جميع ترغيبهم و ترهيبهم و تبشيرهم و تحذيرهم .

١٥ و لما كان من أتى بعد هذه الأمم كقريش و من تقدمهم قد علموا أخبارهم، و ضموا إلى بعض الأخبار نظر الديار، و التوسم[7] في الآثار

---

(١) زيد في الأصل : من، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و في الأصل : ملة (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل : بتميرهم - كذا (٥) في ظ : وكل - كذا (٦) من ظ و مد، و في الأصل : بتعذيبه (٧) في ظ : التوهم .

قال معجبا من حالهم فى ضلالهم : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما[١] ﴿ كان اكثرهم مؤمنين ﴾ .

و لما كان فى ذلك إشارة إلى الإنذار بمثل ما حل بهم[٢] من الدمار ، أتبعه التصريح بالتخويف و الإطماع فقال : ﴿ و ان ربك لهو[٣] ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ [أى -[٤]] فى بطشه بأعدائه ﴿ الرحيم ﴾ فى لطفه ٥ بأوليائه ، و رفقه بأعدائه ، بارسال الرسل ، و بيان كل مشكل ؛ ثم وصل بذلك دليله ، فقال مذكرا الفعل لشدة كفرهم بدليل ما يأتى من إثبات الواو فى " و ما انت الا بشر مثلنا[٥] " : ﴿ كذب اصحب لئيكة ﴾ أى الغيضة ذات الأرض الجيدة التى تبتلع[٦] الماء فتنبت الشجر الكثير الملتف ﴿ المرسلين ﴾ لتكذيبهم شعيبا عليه السلام فيما أتى به من المعجزة المساوية ١٠ - فى خرق العادة و عجز المتحدين بها عن مقاومتها - لبقية المعجزات الآتى بها الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ﴿ اذ قال لهم ﴾ .

و لما كانوا أهل بدو[٧] و كان هو[٨] عليه السلام قرويا ، قال : ﴿ شعيب ﴾ [و لم يقل : أخوهم ، إشارة -[٤]] إلى أنه لم يرسل نبيا إلا من أهل القرى ، تشريفا لهم لأن البركة و الحكمة[٩] فى الاجتماع ، و لذلك نهى النبى صلى الله ١٥

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم (٣) تأخر فى الأصل عن «وحده» ، و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبلغ - كذا (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : بدر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : هود (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحسا - كذا .

عليه و سلم عن التعرب بعد الهجرة، و قال: من يرد الله به خيرا ينقله من البادية إلى الحاضرة[1]. ﴿الا تتقون ﴾ أى تكونون[2] من أهل التقوى، و هى المخافة من الله سبحانه و تعالى.

/٧٤٦ و لما كان / كأنه قيل: ما لك و لهذا؟ قال: ﴿ انى ﴾ و أشار إلى تبشيرهم إن أطاعوه بقوله: ﴿ لكم رسول ﴾ أى من الله، فهو أمرنى ٥ أن أقول لكم ذلك ﴿ امين ﴾ أى لاغش عندى و لاخداع و لاخيانة، فلذلك أبلغ جميع ما أرسلت به، و لذلك سبب عنه قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ أى المستحق لجميع العظمة، و هو المحسن إليكم بهذه الغيضة و غيرها ﴿ و اطيعون ﴾ [أى -[3]] لما ثبت من نصحى.

١٠ و لما قدم ما هو المقصود بالذات، عطف على خبر "ان" قوله: ﴿و مآ اسئلكم عليه من اجر ﴾ نفيا لما ينفر عنه؛ ثم زاد فى البراءة مما يوكس من الطمع فى أحد من الخلق فقال: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿اجرى الا على رب العلمين ﴾ [أى -[3]] المحسن إلى الخلائق كلهم، فأنا لا أرجو أبدا أحدا يحتاج إلى الإحسان إليه، و إنما أعلق أملى بالمحسن ١٥ الذى لا يحتاج إلى أحد، و كل أحد سائل[4] من رفده، و آخذ من عنده، و لقد اتضح أن الرسل متطابقون فى الدعوة فى الأمر بالتقوى و الطاعة و الإخلاص فى العبادة، مع النصح و العفة، و الأمانة و الخشية و الحسبة.

و لما كان كأنه قيل: ما الذى تنحى فيه؟ قال ﴿ مبينا أن داءهم

---

(١) و قد مر الحديث فى سورة يوسف عليه السلام (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تكونوا (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: ساير.

حب المال، المفضى بهم إلى سوء الحال - [1]]: ﴿ اوفوا الكيل ﴾ أى أتموه إتماما[2] لا شبهة فيه إذا كلتم كما توفونه إذا اكتلتم لأنفسكم[3].
و لما أمرهم[4] بالإيفاء نهاهم عن النقص على وجه أعم فقال: ﴿ و لا تكونوا ﴾ أى كونا هو[5] كالجبلة، و لعله إشارة إلى ما يعرض من نحو ذلك من[6] الخواطر أو[7] الهيئات التى يغلب الإنسان فيها الطبع ثم يرجع عنها رجوعا ٥ يمحوها، و لذلك قال: ﴿ من المخسرين ﴾ أى الذين يخسرون - أى ينقصون - أنفسهم أديانها باخسار الناس دنياهم بنقص الكيل أو غيره من أنواع النقص من كل ما يوجب الغبن، فتكونوا مشهورين بذلك[8] بين من يفعله.

و لما أمر بوفاء الكيل، أتبعه بمثل ذلك فى الوزن، و لم يجمعهما ١٠ لما للتفريق من التعريف بمزيد الاهتمام فقال: ﴿ وزنوا ﴾ أى لأنفسكم و غيركم[9] ﴿ بالقسطاس ﴾ أى الميزان الأقوم؛ و أكد معناه بقوله: ﴿ المستقيم ﴾.

و لما أمر بالوفاء فى الوزن، أتبعه نهيا عن تركه عاما كما فعل فى الكيل [ليكون آكد فقال: ﴿ و لا تبخسوا ﴾ أى تنقصوا ﴿ الناس اشياءهم ﴾

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تماما (٣) سقط من ظ ومد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: امر (٥) زيد فى الأصل: لكم، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: العوارض، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٨) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: غيرهم.

أى فى كيل -[1]] أو وزن أو غيرهما نقصا يكون كالسبخة لافائدة فيه[2]. ثم أتبع ذلك بما هو أعم منه فقال: ﴿و لا تعثوا﴾ أى تتصرفوا ﴿فى الارض﴾ عن[3] غير تأمل [4]حال كونكم[4] ﴿مفسدين﴾ أى فى المال أو[5] غيره، قاصدين بذلك الإفساد - كما تقدم بيانه فى سورة هود[6]

٥ عليه السلام .

و لما وعظهم فأبلغ فى وعظهم بما ختمه بالنهى عن الفساد، خوفهم من سطوات الله تعالى ما[7] أحـل بمن[8] هو أعظم منهم فقال: ﴿و اتقوا الذى خلقكم﴾ أى فاعدامكم أهون شىء[9] عليه، و أشار إلى ضعفهم و قوة من كان قبلهم بقوله: ﴿و الجبلة﴾ أى الجماعة و الأمة ﴿الاولين﴾

١٠ الذين كانوا على خلقة و طبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة و صلابة لاسيما قوم هود عليه السلام الذين هم عرب مثلكم، و قد / بلغت بهم الشدة فى /٧٤٧ أبدانهم، و الصلابة فى جميع أركانهم، إلى[5] أن قالوا "من اشد منا قوة" و قد بلغكم ما أنزل بهم سبحانه من بأسه، لأن العرب أعلم الناس باخبارهم .

١٥ ولما كان حاصل ما مضى الإعلام بالرسالة، و التحذير [10]من المخالفة[10]،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: له . (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: حالكم وكونكم، و فى مد بياض (٥) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٦) راجع آية ٨٥ (٧) سقط من ظ (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٩) سقط من ظ و مد (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بالمخالفة .

لأنها تؤدى إلى الضلالة ، إلى أن ختم ذلك بالإشارة بالتعبير بالجبلة إلى أن عذابه تعالى عظيم ، لا يستعصى عليه صغير و لا كبير ، أجابوه بالقدح فى الرسالة أولا ، و باستصغار الوعيد ثانيا ، بأن[1] ﴿قالوآ انمآ انت من المسحرين﴾ أى الذين كرر سحرهم مرة بعد أخرى حتى اختبلوا ، فصار كلامهم [على -[2]] غير نظام ، أو من المعللين بالطعام و الشراب كما مضى فى صالح عليه السلام ، ٥ أى فأنت بعيد من الصلاحية للرسالة ؛ ثم أشاروا إلى عدم صلاحية البشر مطلقا لها و لو كانوا أعقل الناس و أبعدهم عن الآفة[3] بقولهم ، عاطفين بالواو إشارة إلى عراقته فيما وصفوه به من جهة السحر و السحر ، و أنه لا فرق [4]بينه و بينهم[4] : ﴿و مآ انت الا بشر مثلنا﴾ [أى -[2]] فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك ، و الدليل على أن عطف ذلك أبلغ من إتباعه ١٠ من غير عطف جزمهم بظن كذبه[5] فى قولهم : ﴿و ان﴾ أى و إنا ﴿نظنك لمن الكذبين﴾ أى العريقين فى الكذب - هذا مذهب البصريين فى أن " ان " مخففة من الثقيلة[6] ، و الذى يقتضيه السياق ترجح مذهب الكوفيين هنا فى أن " ان[7] " نافية ، فانهم أرادوا باثبات الواو [فى - [2]] " و ما " المبالغة فى نفى إرساله بتعداد ما ينافيه ، فيكون مرادهم أنه ليس ١٥ لنا ظن يتوجه إلى غير الكذب ، و هو أبلغ من إثبات الظن به ، و يؤيده

---

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ : الامة . (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينهم و بينه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذبهم (٦) فى ظ : الثقيل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

تسبيبهم عنه[1] سؤاله استهزاء به و تعجيزا له إنزال العذاب بخلاف ما تقدم عن قوم صالح عليه السلام، فقالوا: ﴿ فاسقط علينا كسفا ﴾ باسكان[2] السين على قراءة الجماعة و فتحها فى رواية حفص[3]، و كلاهما جمع كسفة، أى قطعا ﴿من السمآء﴾ أى السحاب، أو[4] الحقيقة، و هذا
٥ الطلب لتصميمهم على التكذيب[5]، و لو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما[6] أخطروه بالهم [فضلا عن طلبه و لا سيما كونه على وجه التهكم، و لذلك قالوا - [7]]: ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا هو لك[8] كالجبلة ﴿من الصدقين ؁﴾ أى العريقين فى الصدق، المشهورين فيما بين أهله، [لنصدقك - [7]] فيما لزم من أمرك لنا باتخاذ الوقاية من العذاب من
١٠ التهديد بالعذاب، و ما أحسن نظره إلى تهديده لهم[9] بما لله عليهم من القدرة فى خلقهم و خلق من كانوا أشد منهم قوة و إهلاكهم بأنواع العذاب لما عصوه بتكذيب رسله.

و لما كان عذاب العاصى يتوقف على العلم المحيط بأعماله، و[10] القدرة على نكاله، استأنف تعالى الحكاية[11] عنه فى تنبيهه لهم على ذلك بقوله:
١٥ ﴿قال﴾ [12]مشيرا إلى أنه لا شيء من ذلك إلا [13]إلى من[13] أرسله، و هو

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: باسقاط (٣) راجع نثر المرجان ٥/٦٢ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٥) فى ظ: الكذب (٦) فى ظ و مد: ما (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بدا - كذا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: المكانة (١٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٣-١٣) فى ظ: لمن.

متصف بكلا الوصفين ، و أما هو فانه و إن كان عالما فهو قاصر العلم فهو غير قادر : ﴿ ربي اعلم ﴾ أي مني ﴿ بما تعملون ﴾ لأنه محيط العلم فهو شامل القدرة ، فهو يعلم استحقاقكم للعذاب[1] ، و مقدار ما / تستحقون /٧٤٨ [منه -[2]] [3]و وقت إنزاله[3] ، فان شاء عذبكم ، و أما أنا فليس علي إلا البلاغ و أنا مأمور به ، فلم أخوفكم من نفسي و لا ادعيت قدرة على عذابكم ، فطلبكم ٥ ذلك مني ظلم منكم مضموم إلى ظلمكم بالتكذيب .

و لما كان محط كلامهم كله على تكذيبهم[4] له من غير قدح في قدرة الخالق ، سبب العذاب عن تكذيبهم فقال : ﴿ فكذبوه ﴾ أي استمروا على تكذيبه ﴿ فاخذهم ﴾ أي أخذ هلاك ﴿ عذاب يوم الظلة ﴾ و هي سحابة على نحو ما طلبوا من قطع السماء ، أتتهم بعد حر شديد نالهم حتى ١٠ من الأسراب في داخل الأرض أشد مما نالهم من خارجها ليعلم أن لا فاعل إلا الله ، و أنه يتصرف كيف شاء[5] على مقتضى العادة و غير مقتضاها فوجدوا من تلك الظلة نسيما باردا ، و روحا طيبا ، فاجتمعوا تحتها استرواحا [إليها -[2]] و استظلالا بها ، فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا بنحو مما[6] اقترحوا و أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، فنفذت فيهم سهام ١٥ القدرة ، و لم يجدوا من دونها وقاية و لا سترة من غير أن تدعو حاجة إلى سقوط شيء من جرم السماء ، و لا بما دونها من العماء[7] .

(١) في ظ : العذاب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) في ظ : تكذيبه (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : يشاء (٦) في ظ : بما (٧) أي السحاب المرتفع أو الكثيف الممطر .

و لما كان الحال موجبا للسؤال عن يوم الظلة ، قال تعالى مهولا لأمره و[1] معظما لقدره: ﴿ انه كان ﴾ فأكد بـ « إن » [و عظم بـ « كان » -[2]] ﴿ عـذاب يوم عظيم ﴾ و زاده عظما بنسبته إلى اليوم، فصار له من الهول ، ببديع هـذا القول ، ما تجب له القلوب و تعظم
٥ الكروب[3] .

و لما كان لتوالى[4] الإخبار باهلاك هذه القرون ، و إبادة من ذكر[5] من تلك الأمم ، من الرعب ما لا يبلغ وصفه ، و لا يمكن لغيره سبحانه شرحه ، قال تعالى مشيرا إليه تحذيرا من مثله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الإنجاء المطرد لكل رسول و من أطاعه ، و الأخذ المطرد
١٠ لمن عصاه فى كل عصر بكل قطر ، بحيث لا يشذ من الفريقين إنسان ، قاص و لا دان ﴿ لاية ﴾ أى لدلالة واضحة عظيمة على صدق الرسل و أن يكونوا جديرين بتصديق العباد لهم[6] فى جميع ما قالوا من البشائر و النذائر بأن الله تعالى يهلك من عصاه ، و ينجى من والاه ، لأنه الفاعل المختار ، لامانع له ، و لاسيما أنت و أنت أعظمهم منزلة ، و أكرمهم رتبة ،
١٥ و لاسيما و قد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم بك معرفة قبل ذلك ، فكيف [7]و هم[7] عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ ، و فى الأصل : الكروم ، و الكلمة مطموسة فى مد (٤) فى ظ : لتعالى (٥) زيد فى الأصل : من هذه القرون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهم .

لهجة ، و أعظمهم أمانة ، و أغزرهم عقلا ، و أوضحهم نبلا ، و أعلاهم همة ، و أبعدهم عن كل دنس - و إن قل - ساحة ؛ ثم عجب من توقفهم فى الإيمان مع ما عرفوا من صدق نبيهم و طهارة أخلاقه ، و وفور شفقته عليهم ، و لم يخافوا[1] من مثل ما تحققوه من إهلاك هذه الأمم فقال[2] : ﴿ و ما كان اكثرهم ﴾ أى أكثر قومك كما كان من قبلهم مع رؤية ٥ هذه الآيات ، و إحلال المثلات حتى لكأنهم[3] تواصوا بذلك ﴿مؤمنين ه﴾ / أى عريقين فى الإيمان ، بل ما يؤمنون إلا و هم[4] مشركون . /٧٤٩

و لما كان هذا كله تأسية للداعى صلى الله عليه و سلم ، و تهديدا لمن تمادى على تكذيبه ، و ترجية لمن رجع[5] عن ذنوبه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بكل ما يعلى شأنك ، و يوضح ١٠ برهانك ﴿ لهو العزيز ﴾ فلا يعجزه أحد ، و لاينسب فى إمهال عاص إلى إهمال و لا عجز ﴿ الرحيم ع ﴾ فلا يأخذ إلا بعد تجاوز الحد ، و اليأس عن[6] الرد ، مع البيان الشافى ، فى الإبلاغ الوافى ، و التلطف الكافى ، وكرر الختام بهذا الكلام فى هذه السورة ثمانى مرات فلعل من أسراره الإشارة إلى سبق الرحمة للغضب ، لأن[7] من السورة - المفتتحة بالكتاب القيم و العبد ١٥ الكامل بالإضافة إلى الملك الأعظم اللذين هما[8] رحمة الخالق للخلائق ، و ذكر فيها [مع تقديمها فى الترهيب -[9]] أهل الرحمة من أهل الكهف

(١) فى ظ : لم يخافوه (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : يقال (٣) فى ظ : كانهم .
(٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : اكثرهم (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : يرجع .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٧) فى ظ : لا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم (٩) زيد من ظ و مد .

الذين قالوا "هب لنا من لدنك رحمة" [و موسى و الخضر عليهما السلام اللذين آتى كلا منهما من لدنه رحمة -[1]] ، و ذا القرنين الذى آتاه[2] من كل شيء سببا [3]فأتبع سببا[3] و قال "هذا رحمة من ربى" - إلى سورة الرحمة بانزال الفرقان على عبده المضاف إليه للانذار المؤذن بصفة العزة
٥ - ثمانى سور ، فكل منها ثامنة[4] الأخرى ، و افتتحت السورة الوالية للفرقان تفصيلا لما فى أول الكهف بقوله "لعلك باخع نفسك" و بذكر ما على الأرض من زينة "الم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم" كل ذلك تذكيرا بما فى تلك من الكتاب الجامع بالرحمة ، و تحذيرا مما[5] فى القرآن من الإنذار الفارق بالعزة . فلما كان ذلك كررت صفتا العزة
١٠ التى أذنت بها الفرقان ، و الرحمة التى صرحت بها الكهف ثمانى مرات بحسب ذلك العدد ، تذكيرا بهذا المعنى البديع ، و ترغيبا و ترهيبا و تذكيرا بأبواب الرحمة الثمانية مع ما لختم القصص بذلك من الروعة فى النفس ، و الهيبة فى القلب ، و الأنس البالغ للروح ، [و قدمت هنا صفة العزة الناظرة للانذار بالفرقان على طريق النشر المشوش مع ما اقتضى ذلك
١٥ من الحال هنا - [1]] و جعلت القصص سبعا تحذيرا من أبواب النقمة السبعة - إلى غير ذلك من الأسرار التى لا تسعها الأفكار .

و لما كانت آثار هذه القصص آيات مرئيات ، و الإخبار بها آيات

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ : الله (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بامنه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .

مسموعات، و كان فى اطراد إهلاك العاصى و إنجاء الطائع فى كل منها، على تباعد الأعصار، و تناهى الأقطار، و اختلاف الديار، أعظم دليل على صدق الرسل، و تقرير الرسالات لتوافقهم فى الدعوة إلى الله، و تواردهم على التوحيد، و العدل مع العزوف عن الدنيا التى هى شر محض، و الإقبال على الآخرة التى هى خير صرف، و التحلى بما أطبق ٥ العباد على أنه معالى الأخلاق، و محاسن الأعمال، و التخلى[١] عن جميع الدنايا، و التنزه عن كل نقص، عطف على قوله أول السورة "و ما يأتيهم من ذكر" - الآية الإخبار[٢] برسالة محمد صلى الله عليه و سلم، إشارة إلى ما فى الإخبار عن آثار هذه[٣] القصص بالآيات المسموعات من عظيم الدلالات على رسالته صلى الله عليه و سلم بما فيها[٤] من الإعجاز من جهة التركيب ١٠ و الترتيب و غير ذلك من عجيب الأساليب الذى[٥] [لم -[٦]] تؤته / أمة[٧] ٧٥٠ / من الأمم السالفات، و من جهة أن الآتى بتلك القصص الغريبة، و الأنباء البديعة العجيبة، أمى لم يخالط عالما [مع شدة ملاءمة القرآن لخصوص ما فى قصة شعيب عليه السلام من العدل فى الكيل و الوزن الذى هو مدار القرآن، و من أنه الظلة الجامعة للخير، و القسطاط الدافع ١٥ لكل ضير -[٦]]، فقال ردا للمقطع على المطلع: ﴿ و انه ﴾ أى الذكر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المتحالى (٢) من ظ و مد، و فى الاصل: الاخبار (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عدة (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: فيه (٥) فى ظ: التى (٦) زيد من ظ و مد (٧) تكرر فى الأصل فقط.

الذى أتاهم بهـذه الأخبار و هم عنـه معرضون و له تاركون ﴿ لتنزيل رب العلمين ﴾ أى الذى رباهم بشمول علمه ، و عظيم قدرته ، بما يعجز عن أقل شيء منه غيره لكونه أتاهم بالحق منها على لسان من لم يخالط عالما قط[١] . و مع أنه سبحانه غذاهم بنعمته ، و دبرهم بحكمته ،
٥ فاقتضت حكمته أن يكون هذا الذكر جامعا لكونه ختاما ، و أن يكون معجزا لكونه تماما ، و نزله على حسب التدريج شيئا فشيئا . مكررا فيه ذكر القصص سابقا فى كل سورة منها ما يناسب المقصود من تلك السورة ، معبرا عما يسوقه منها [٢]بما يلائم[٢] الغرض من ذلك السياق مع مراعاة الواقع ، و مطابقة الكائن .

١٠ و لما كان الحال مقتضيا لأن[٣] يقال : من أتى بهذا[٤] المقال ، عن ذى الجلال ؟ قال : ﴿ نزل به ﴾ أى نجوما على سبيل التدريج من[٥] الأفق الأعلى الذى هو محل البركات ، و عبر عن جبرءيل عليه السلام بقوله : ﴿ الروح ﴾ دلالة على أنه مادة[٦] خير ، و أن الأرواح تحيى[٧] بما ينزله[٧] من الهدى ، و قال : ﴿ الامين ﴾ إشارة إلى كونه معصوما من
١٥ كل دنس ، فلا يمكن منه خيانة ﴿ على قلبك ﴾ أى يا محمد الذى هو أشرف القلوب و أعلاها ، و أضبطها و أوعاها ، فلا زيغ فيه و لا عوج ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقط (٢ - ٢) فى ظ : بملايم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهذه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما تنزله - كذا .

حتى صار خلقا له، و فى إسقاط الواسطة إشارة إلى أنه - لشدة إلقائه السمع و إحضاره الحس - يصير فى تمكنه[1] منه بحيث يحفظه فلا ينسى، و يفهمه حق فهمه فلا يخفى، فدخوله[2] إلى القلب فى غاية السهولة حتى كأنه وصل إليه بغير واسطة السمع عكس ما يأتى عن المجرمين، و هكذا كل من وعى شيئا غاية الوعى حفظه كل الحفظ، انظر إلى قوله تعالى "و لا تعجل ٥ بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه و قل رب زدنى علما[3]"، "لا تحرك به لسانك لتعجل به" - الآية[4].

و لما كان السياق فى هذه السورة للتحذير، قال معللا للجملة التى قبله[5]: ﴿لتكون من المنذرين﴾ أى المخوفين المحذرين لمن أعرض عن الإيمان، و فعل ما نهى [6]عنه من[6] العصيان. ١٠

و لما كان القصد[7] من السورة التسلية عن[8] عدم إيمانهم بأنه لسفول شأنهم، لا لخلل[9] فى بيانه، و لا لنقص فى شأنه، قال تعالى [موضحا لتمكنه من قلبه -[10]]: ﴿بلسان عربى﴾. و لما كان فى العربى ما هو حوشى لفظا أو تركيبا، مشكل على كثير من العرب، قال: ﴿مبين﴾ أى بين فى نفسه كاشف لما يراد منه غير تارك لبسا[11] عند من تدبره ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تمكينه (٢) فى ظ: بدخوله (٣) سورة ٢٠ آية ١١٤ (٤) سورة ٧٥ آية ١٦ (٥) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد. (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٧) فى ظ: المقصود (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٩) فى ظ: بخلل (١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى ظ: شيئا، و الكلمة متكررة فى الأصل.

حق تدبره على ما يتعارفه العرب فى مخاطباتها ، من سائر لغاتها ، بحقائقها و مجازاتها ، على اتساع إراداتها ، و تباعد مراميها فى محاوراتها ، و حسن مقاصدها فى كناياتها و استعاراتها ، و من يحيط / بذلك حق الإحاطة غير /٧٥١ العليم الحكيم الخبير البصير ، و إنما كانت عربيته و إبانته [1]موضحة لسبقه قلبه[1] ، لأن من تكلم[2] بلغته - فكيف بالبين[3] منها - تسبق[4] المعانى ٥ الألفاظ إلى قلبه ، فلو كان أعجميا لكان نازلا على السمع ، لأنه يسمع أجراس حروف لا يفهم معانيها ؛ قال الكشاف[5] : و قد يكون الرجل عارفا بعدة لغات ، فاذا كلم[6] بلغته التى لقنها أولا[7] و نشأ عليها و تطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى[8] المعانى ، [9]و لا يكاد[9] يفطن للألفاظ[10] ، و إن كلم بغيرها ١٠ و إن كان ماهرا فيها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها - انتهى . ففيه تقريع عظيم لمن يعرف لسان العرب و لا يؤمن به[11] .

و لما كان الاستكثار من الأدلة مما يسكن النفوس ، و تطمئن به

(١-١) ما بين الرقمين فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و مد (٢) فى ظ : كلم. (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و اليمين (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تستبق (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : «الكسائى»، و المراد : صاحب الكشاف ، راجع منه ٢ / ١٠٠٨ (٦) من الكشاف ، و فى الأصل : تكلم ، و فى ظ و مد : كلمته (٧) من ظ و مد و الكشاف ، و فى الأصل : الا (٨) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد و الكشاف (٩-٩) من ظ و مد و الكشاف ، و فى الأصل : فلا يكاد (١٠) زيد فى ظ : الى قلبه ، و زيد فى الكشاف : كيف جرت (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها .

القلوب، قال تعالى: ﴿ و انه ﴾ أى هذا القرآن أصوله و كثير من قصصه و أمهات فروعه ﴿لفى زبر ﴾ أى كتب ﴿ الاولين ﴾ المضبوطة الظاهرة فى كونها أتت من السماء إلى أهلها الذين سكنت النفوس إلى أنه أتتهم[1] رسل، و شرعت لهم شرائع نزلت عليهم بها كتب من غير أن يخالط هذا الذى جاء به أحدا منهم أو من غيرهم فى علم ما، وكان ذلك دليلا ٥ قاطعا على [2] أنه ما[2] أتاه به إلا الله تعالى.

و لما كان التقدير: ألم يكن لهم أمارة على صدق ذلك أن يطلبوا تلك الزبر فينظروها فيذوقوا ذلك منها ليصلوا إلى حق اليقين؟ عطف عليه قوله: ﴿ او لم يكن لهم﴾.

١٠ [و لما كان هذا أسلوب الاستدلال، اقتضى تقديم الخبر على الاسم فى قراءة الجمهور بالتذكير و النصب، فقال بعد تقديم لما اقتضاه من الحال -[3]]: ﴿ اية ﴾ أى علامة على النسبة إلينا؛ ثم أتبع ذلك الاسم محلولا إلى «أن» و الفعل لأنه أخص [و أعرف -[3]] و أوضح من ذكر المصدر، فقال: ﴿ان يعلمه﴾ أى هذا الذى أتى به نبينا من عندنا؛ ١٥ [4]و أنث ابن عامر الفعل و رفع «اية» اسما و أخبر عنها بأن و الفعل[4] ﴿ علمٰٓؤا بنىٓ اسرآءيل ﴾ [فيقروا به -[3]] و لاينكروه، ليؤمنوا به و لايهجروه، فان قريشا كانوا كثيرا ما يرجعون إليهم و يعولون[5] فى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: امتهم (٢ - ٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يقولون.

الأخبار الإلهية عليهم، فان كثيرا منهم أسلم و[1] ذكر تصديق التوراة و الإنجيل [و الزبور و غيرها من أسفار الأنبياء عليهم السلام -[2]] للقرآن فى صفة النبي صلى الله عليه و سلم، و فى[3] ذلك ما يؤيد صدقه، و يحقق أمره، و قد عربت الكتب المذكورة بعد ذلك، و أخرج منها علماء ٥ الإسلام كثيرا [مما -[2]] أهملوه حجة عليهم، و لافرق فى ذلك بين من أسلم منهم و بين غيرهم، فانها حين نزول القرآن كان التبديل[4] قد وقع فيها باخبار الله تعالى، [و -[5]] عن ابن عباس[6] رضى الله عنهما أن أهل مكة بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن محمد صلى الله عليه و سلم فقالوا: هذا زمانه، و إنا[7] لنجد فى التوراة صفته. فكان ذلك ملزما لهم باخبار الله ١٠ تعالى، وكذلك كل ما استخرج من الكتب يكون حجة على أهلها.

و لما كان التقدير: لم يروا شيئا من ذلك آية و لا آمنوا، عطف عليه أو[8] على قوله تعالى أول السورة[9] "فقد كذبوا" الآية: ﴿و لو نزلنه﴾ أى على ما هو عليه من الحكمة و الإعجاز بما لنا من العظمة ﴿على بعض الاعجمين﴾ الذين لايعرفون شيئا / من لسان العرب من /٧٥٢

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل: غير، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: التغيير. (٥) زيد من مد؛ والعبارة من بعده إلى «لهم باخبار الله تعالى» ساقطة من ظ. (٦) راجع اللباب ٥ / ١٠٤ (٧) من مد و اللباب، و فى الأصل: اما - كذا. (٨) فى ظ «و» (٩) سقط من ظ.

البهائم أو الآدميين، جمع أعجم، و هو من لايفصح و فى لسانه عجمة، و الأعجمى مثله بزيادة تأكيد لزيادة [ياء -[1]] النسبة ﴿فقراه عليهم﴾ أى[2] ذلك الذى[3] نزلناه عليه على ما هو عليه من الفصاحة و الإعجاز مع علمهم القطعى أنه لايعرف[4] شيئا من اللسان ﴿ما كانوا به مؤمنين ۝﴾ [5] أى راسخين و لتمحلوا لكفرهم عذرا فى تسميته سحرا أو غير ذلك من ٥ تعنتهم "و ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون[5]" من فرط عنادهم، و تهيؤهم للشر و استعدادهم له، بل لايسمعونه حق السماع، و لا يعونه حق الوعى، بل سماعا و فهما على غير وجهه .

و لما كان [ذلك -[1]] محل عجب، و كان ربما ظن أن الأمر على غير حقيقته، قرر مضمونه و حققه بقوله: ﴿كذٰلك﴾ أى مثل ١٠ هذا السلك[6] العجيب - الذى[3] هو سماع و فهم ظاهرى - فى صعوبة مدخله و ضيق مدرجه .

و لما لم يكن السياق مقتضيا لما اقتضاه سياق الحجر[7] من التأكيد، اكتفى بمجرد الحدوث فقال : ﴿سلكنٰه﴾ أى كلامنا و الحق الذى أرسلنا به رسلنا [بما لنا من العظمة، فى قلوبهم - هكذا كان الأصل، ١٥ و لكنه علق الحكم بالوصف. و عم كل زمن و كل من اتصف به فقال -[1]]: ﴿فى قلوب المجرمين ۝﴾ أى الذين طبعناهم على الإجرام، و هو القطيعة

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يعرفه (٥ - ٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٦) فى ظ : السالك (٧) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد .

لما ينبغي وصله ، كما ينظم السهم إذا رمى به ، أو الرمح إذا طعن به في القلب، لايتسع له ، و لا ينشرح به، بل تراه ضيقا حرجا .

و لما كان هذا المعنى خفيا ، بينه بقوله : ﴿ لا يؤمنون به ﴾ أى من أجل ما جبلوا عليه من الإجرام ، و جعل على قلوبهم من الطبع و الختام ٥ ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ فحينئذ يؤمنون حيث لاينفعهم الإيمان و يطلبون الأمان [حيث لا أمان -[1]] .

و لما كان إتيان الشر لمجاءة أشد . و كان أخذه لهم عقب رؤيتهم له من غير مهلة يحصل فيها نوع استعداد أصلا ، دل على ذلك مصورا لحاله بقوله دالا بالفاء على الأشدية و التعقيب : ﴿ فياتيهم بغتة ﴾ .

١٠ و لما كان البغت الإتيان على غفلة ، حقق ذلك نافيا[2] للتجوز بقوله : ﴿ و هم لايشعرون ﴾ و دل على تطاوله في محالهم ، و جوسه لخلالهم ، و تردده في حلالهم ، بقوله دالا على ما هو أشد عليهم من المفاجأة بالإهلاك : ﴿ فيقولوا ﴾ أى تأسفا و استسلاما و تلهفا في تلك الحالة لعلمهم بأنه لا طاقة به بوجه : ﴿ هل نحن منظرون ﴾ أى مفسوح[3] لنا ١٥ في آجالنا لنسمع و نطيع .

و لما حقق أن حالهم عند الأخذ الجؤار بالذل و الصفار [به -[1]] ، تسبب عنه ما يستحقون[4] باستعجاله من الإنكار في قوله ، منبها على أن قدره يفوق الوصف بنون العظمة : ﴿ افبعذابنا ﴾ أى و قد تبين لهم[5]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ثانيا (٣) في ظ : منسوخ (٤) في ظ : يستحقونه (٥) في ظ : لكم .

كيف

كيف كان أخذه للأمم الماضية، و القرون الخالية، و الأقوام العاتية!
﴿ يستعجلون ﴾ أى بقولهم: أمطر علينا حجارة [1]من السماء[1]، أسقط السماء
علينا كسفا، ائت بالله و الملائكة قبيلا، كما قال هؤلاء الذين قصصنا / أمرهم، ٧٥٣/
و تلونا ذكرهم "فاسقط علينا كسفا من السماء" و نحو ذلك.

و لما تصورت حالة مآبهم، فى أخذهم بعذابهم، [و كان استعجالهم ٥
به يتضمن الاستخفاف و التكذيب و الوثوق بأنهم ممتعون، و تعلق آمالهم
بأن تمتيعهم بطول زمانه، و كان من يؤذونه يتمنى لو عجل لهم -[2]]،
سبب عن ذلك سبحانه سؤال داعيهم مسليا و مؤسيا و معزيا فقال:
﴿ افرءيت ﴾ أى هب أن الأمر كما يعتقدون من طول عيشهم فى النعيم
فأخبرنى ﴿ ان متعنهم ﴾ أى فى الدنيا برغد العيش و صافى[3] الحياة. ١٠

و لما كانت حياة الكافر فى غاية الضيق[4] و النكد و إن كان فى
أصفى رغد، عبر بما يدل على القحط بصيغة القلة و إن كان السياق يدل
على أنها للكثرة[5] فقال: ﴿ سنين ۙ ثم جآءهم ﴾ أى بعد تلك السنين
المتطاولة، و الدهور المتواصلة ﴿ ما كانوا يوعدون ۙ ﴾ أى مما طال إنذارك
إياهم به و تحذيرك لهم منه على غاية التقريب لهم و التمكين فى إسماعهم، ١٥
أخبرنى ﴿ مآ ﴾ أى أىّ شىء ﴿ اغنى عنهم ﴾ أى فيما أخذهم من العذاب
﴿ ما كانوا ﴾ أى كونا هو فى غاية[6] المكنة و طول الزمان ﴿ يمتعون ۚ ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: صار فى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المضيق (٥) فى ظ: الكثرة (٦) زيد فى ظ: بيان.

تمتيعا هو فى غاية السهولة عندنا، و صوره بصورة الكائن تنديما عليه، و المعنى أنه ما أغنى عنهم شيئا لأن عاقبته الهلاك، و زادهم بعدا[1] من الله و عذابا بزيادة الآثام الموجبة لشديد[2] الانتقام.

و لما كان التقدير: لم يغن عنهم شيئا لأنهم ما أخذوا إلا بعد إنذار ٥ المنذرين، لمشافهتك إياهم به، و سماعهم لمثل ذلك عمن مضى قبلهم من الرسل، عطف عليه قوله: ﴿ و مآ اهلكنا ﴾ أى بعظمتنا، و أعلم بالاستغراق بقوله: ﴿ من قرية ﴾ أى من القرى[3] السالفة، بعذاب الاستئصال ﴿ الا لها منذرون ﴾ رسولهم و من تبعه من أمته و من سمعوا من الرسل بأخبارهم مع أممهم من قبل، و أعراها من الواو لأن الحال لم يقتض ١٠ التأكيد كما[4] فى الحجر، لأن[5] المنذرين مشاهدون. و إذا تأملت آيات الموضعين ظهر لك ذلك؛ ثم علل الإنذار بقوله: ﴿ ذكرى ﴾ أى تنبيها عظيما على ما فيه[6] النجاة، و تذكيرا بأشياء يعرفونها بما أدت إليه فطر عقولهم، و قادت إليه بصائر قلوبهم، و[7] جعل المنذرين نفس الذكرى كما قال تعالى "قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا[8]" و ذلك إشارة إلى ١٥ إمعانهم فى التذكير حتى صاروا إياه.

و لما كان التقدير: فما أهلكنا قرية منها إلا بالحق، عطف عليه

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بعد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لشدايد.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القرون (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد: فان (٦) زيد فى ظ: من (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٨) راجع سورة ٦٥ آية ١٠ و ١١.

قوله: ﴿ و ما كنا ﴾ أو[1] الواو للحال من نون "اهلكنا" ﴿ ظلمين ﴾ أي في إهلاك شيء منها لأنهم كفروا نعمتنا، و عبدوا غيرنا، بعد الإعذار إليهم، و متابعة الحجج[2]، و مواصلة الوعيد[3].

و لما أخبر سبحانه أن غاية إنزال هذا القرآن كونه صلى الله عليه و سلم من المنذرين، و أتبع ذلك ما لاءمه حتى ختم باهلاك من كذب المنذرين، ٥ عطف على قوله "نزل به الروح" قوله إعلاما بأن العناية شديدة في هذا السياق بالقرآن لتقرير أنه من عند الله و نفي اللبس عنه بقوله[2]: ﴿ و ما تنزلت به ﴾ أي القرآن / ﴿ الشيطين ﴾ أي ليكون سحرا أو كهانة /٧٥٤ أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون.

و لما كان لا يلزم من عدم التلبس بالفعل عدم الصلاحية له قال: ١٠ ﴿ و ما ينبغي لهم ﴾ أي ما يصح و ما يتصور منهم النزول بشيء[4] منه لأنه خير كله[5] و بركة، و هم مادة[6] الشر و الهلكة، فبينهما تمام التباين، و أنت سكينة و نور، و هم زلزلة و ثبور، فلا إقبال لهم عليك، و لا سبيل بوجه إليك.

و لما كان عدم الانتفاء لا يلزم منه عدم القدرة قال: ١٥ ﴿ و ما يستطيعون ﴾ أي النزول به و إن اشتدت معالجتهم على تقدير أن يكون لهم قابلية لذلك؛ ثم علل هذا بقوله: ﴿ انهم عن السمع ﴾ أي

(١) من مد، وفي الأصل وظ: اي (٢) سقط من ظ (٣) في ظ ومد: الوعد.
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: لشيء (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: لكم.
(٦) في ظ: قادة.

الكامل الحق، من الملأ الأعلى ﴿لمعزولون﴾ أى بما حفظت به السماء من الشهب و بما باينوا به الملائكة فى الحقيقة لأنهم خير صرف، و نور خالص، و هؤلاء شر بحت و ظلمة محضة، فلا يسمعون إلا خطفا، فيصير - بما يسبق إلى أفهامهم، و يتصور من باب الخيال فى أوهامهم - خلطا
٥ لاحقيقة لأكثره[1]، فلا وثوق بأغلبه[2]، و لا يبعد أن يكون ذلك عاما حتى يشمل السماع من المؤمنين لما شاركوا به الملائكة من النور و الخير، انظر ما ورد فى آية الكرسى من أنها لا تقرأ فى بيت فيقر به شيطان، و فى رواية: إلا خرج منه الشيطان، و ورد نحوه فى الآيتين من آخر سورة البقرة، و كذا ما كان من أشكال ذلك، و أعظم منه قوله عليه
١٠ الصلاة و السلام[3] لعمر رضى الله عنه: إنه يا ابن الخطاب و الذى نفسى بيده ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك. و ترك تعليل الانبغاء[4] لظهوره.

و لما كان تقديره أنهم إلى الطواغيت الباطلة يدعون، و القرآن داع إلى الله الحق المبين، سبب عنه قوله: ﴿فلا تدع﴾ و خاطب نبيه
١٥ عليه الصلاة و السلام و هو أكرم الخلق لديه، و أعزهم عليه، ليكون لطفا لغيره فيما يأتيه من الإنذار، فيكون الوعيد أزجر له، و يكون هو له أقبل ﴿مع الله﴾ أى الحائز لكل كمال الداعى إليه هذا القرآن الذى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لكثرة (٢) سقط من ظ (٣) راجع مسند الإمام أحمد ١ / ١٧١ و قد رواه البخارى فى غير مناسبة (٤) من مد، و فى الأصل: الاشتغاء، و فى ظ: الابتغاء - كذا.

نزل به عليك الروح الأمين، لما بينك و بينهما من تمام النسبة بالنورانية و الخير ﴿ الٰهًا ﴾ و تقدم فى آخر الفرقان حكمة الإتيان بقوله: ﴿ اٰخر[1] فتكون ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن تكون[2] ﴿ من المعذبين ﴾ من القادر على ما يريد بأيسر أمر و أسهله، و هذا الكلام لكل من سمع القرآن فى الحث على تدبر معناه، و مقصده و مغزاه، ليعلم أنه فى غاية ٥ المباينة للشياطين و ضلالهم، و الملاءمة للقربين و أحوالهم، و لعله خاطب به المعصوم، زيادة فى الحث على اتباع الهدى، و تجنب الردى، و ليعطف[3] عليه قوله: ﴿ و انذر ﴾ أى بهذا القرآن ﴿ عشيرتك ﴾ أى قبيلتك ﴿ الاقربين ﴾ أى الأدنين فى النسب، و لا تحاب أحدا، فان المقصود الأعظم به النذارة لكف الخلائق عما يثمر[4] الهلاك من اتباع الشياطين ١٠ الذين اجتالوهم عن دينهم بعد أن كانوا حنفاء كلهم، و إنذار الأقربين يفهم الإنذار / لغيرهم من باب الأولى[5]، و يكسر من أنفة الأبعد للواجهة /٧٥٥ بما يكره، لأنه سلك به مسلك الأقرب، و لقد[6] قام صلى الله عليه و سلم بهذه الآية حق القيام؛ روى البخارى[7] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت صعد النبى صلى الله عليه و سلم على الصفا فجعل ينادى: ١٥ يا بنى فهر [يا بنى عدى -[8]] - لبطون قريش حتى[9] اجتمعوا، فجعل الرجل

---

(١) تقدم فى الأصل على « و تقدم »، و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: يكون (٣) فى ظ: لنعطف (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: يقر. (٥) فى ظ: الاول (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٧) راجع كتاب التفسير ٢/٧٠٢ (٨) زيد من ظ و مد و الصحيح (٩) سقط من ظ.

إذا لم يستطع [١]أن يخرج[١] أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب
و قريش ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير
عليكم أكنتم[٢] مصدقىّ ؟ قالوا : نعم ! ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال : فانى
نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ،
٥ ألهذا[٣] جمعتنا ؟ فنزلت " تبت يدا ابى لهب و تب " و فى رواية[٤] أنه
صلى الله عليه و سلم قال : يا معشر قريش ! اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم
من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف ! لا أغنى عنكم من الله شيئا ! يا عباس بن
عبد المطلب ! لا أغنى عنك من الله شيئا ، [٥]و يا صفية عمة رسول الله !
لا أغنى عنك من الله شيئا[٥] ، و يا فاطمة بنت محمد ! سلينى ما شئت من
١٠ مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئا . و روى القصة أبو يعلى[٦] عن الزبير
ابن العوام رضى الله عنه أن قريشا جاءته فحذرهم و أنذرهم ، فسألوه
آيات سليمان فى الريح و داود فى الجبال و موسى فى البحر و عيسى
فى [٧]إحياء الموتى[٧] ، و أن يسير الجبال ، و يفجر الأنهار ، و يجعل الصخر
ذهبا ، فأوحى الله[٨] إليه و هم عنده ، فلما سرى عنه أخبرهم أنه اعطى ما
١٥ سألوه ، و لكنه[٩] إن أراهم فكفروا عوجلوا[١٠] . فاختار صلى الله عليه و سلم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد والصحيح ، وفى الأصل : كنتم (٣) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : لهذا (٤) راجع كتاب التفسير ٢/٧٠٢ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٦) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٥ . (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاحياء (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ : لكنهم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : عجلوا .

[الصبر - [1]] عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة .

و لما كانت النذارة إنما هي للتولين، أمر بضدها لأضدادهم فقال: ﴿ و اخفض جناحك ﴾ أي لن غاية اللين ، و ذلك لأن [2] الطائر إذا أراد أن يرتفع رفع جناحيه، فاذا أراد أن ينحط كسرهما و خفضهما، فجعل ذلك مثلا في التواضع ﴿ لمن اتبعك ﴾ و لعله احترز بالتعبير بصيغة الافتعال ه عن مثل أبي طالب ممن لم يؤمن أو آمن ظاهرا و كان منافقا أو [3] ضعيفا في الإيمان فاسقا ؛ و حقق المراد بقوله : ﴿ من المؤمنين ﴾ أي الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة سواء كانوا من الأقربين أو الأبعدين .

و لما أفهم ذلك أن هذا الحكم عام في جميع أحوالهم، فصل بقوله: ﴿ فان عصوك ﴾ أي هم فغيرهم [4] [من باب الأولى - [1]] ﴿ فقل ﴾ أي ١٠ تاركا لما كنت تعاملهم به حال الإيمان من اللين : ﴿ اني برئ ﴾ أي منفصل غاية الانفصال ﴿ مما تعملون ﴾ أي من العصيان الذي أنذر منه القرآن، و خص المؤمنين إعلاء لمقامهم، بالزيادة في إكرامهم، ليؤذن ذلك المزلزل بالعلم بحاله فيحثه ذلك على اللحاق بهم .

[5] و لما [5] أعلمت هذه الآية بمنابذة من عصى كائنا من كان و لو [6] ١٥ كان ممن ظهر منه الرسوخ في الإيمان، لما يرى منه [7] من عظيم الإذعان، أتبعه قوله : ﴿ و توكل ﴾ [أي - [1]] في عصمتك و نجاتك و الإقبال

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل: ان (٣) من ظ و مد ، و في الأصل « و » (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : و غيرهم (٥ - ٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فما (٦) في ظ : لما (٧) من ظ و مد . و في الأصل : فيه .

/٧٥٦ بالمنذرين إلى الطاعة، و قراءة / أهل المدينة و الشام[1] بالفاء السببية أدل على ذلك ﴿ على العزيز ﴾ أى القادر على الدفع عنكم و الانتقام منهم ﴿الرحيمِ لا﴾ أى المرجو لإكرام[2] الجميع برفع المخالفة و الشحناء، و الإسعاد بالاستعمال فيما يرضيه ؛ ثم أتبع الأمر بالتوكل الوصف بما يقتضى

٥ الكفاية فى كل ما ينوب من دفع الضر[3] و جلب النفع، و ذلك هو العلم المحيط المقتضى لجميع أوصاف الكمال، فقال: ﴿الذى يرىٰك﴾ أى بصرا و علما ﴿حين تقوم لا﴾ من نومك من فرشك[4] تاركا لحبك، لأجل [رضا - [5]] ربك ﴿ و ﴾ يرى ﴿ تقلبك ﴾ فى الصلاة ساجدا و قائما ﴿فى السّجدين ه ﴾ أى المصلين من أتباعك المؤمنين، لكم دوى بالقرآن

١٠ كدوى النحل، و تضرع من خوف الله، و دعاء و زفرات تصاعد و بكاء، [أى - [6]] فهو جدير لإقبالكم عليه، و خضوعكم بين يديه، بأن يحبوكم بكل ما يسركم.

و لما كانت هذه الأحوال مشتملة على الأقوال، و كان قد قدم الرؤية المتضمنة للعلم، علل ذلك بالتصريح به مقرونا بالسمع فقال:

١٥ ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى لجميع أقوالكم ﴿ العليم ه ﴾ أى بجميع ما تسرونه و تعلنونه من أعمالكم. و قد تقدم غير مرة أن شمول العلم

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٧١ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاكرام.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الضرر (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ، و الكلمة مطموسة فى مد (٦) زيد من ظ و مد.

يستلزم تمام القدرة ، فصار كأنه قال : إنه السميع العليم البصير القدير ، تثبيتا للتوكل عليه .

و لما بين سبحانه أن القرآن مناف لأقوال الشياطين ، و بين أن حال النبي صلى الله عليه و سلم و حال أتباعه منافية لأحوالهم و أحوال من يأتونه من الكهان بما[1] ذكره سبحانه من فعله صلى الله عليه و سلم ٥ و فعل أشياعه رضى الله عنهم من الإقبال على الله ، و الإعراض عما سواه ، فعلم أن بينهم و بينهم[2] بونا بعيدا ، و فرقا كبيرا شديدا ، و أن حال النبي صلى الله عليه و سلم موافق لحال الروح الأمين ، النازل عليه بالذكر الحكيم ، تشوفت النفس إلى معرفة أحوال[3] إخوان الشياطين ، فقال [4]محركا لمن يريد ذلك ، متمما[4] لدفع اللبس عن كون القرآن من عند الله ، و فرق ١٠ بين الآيات المتكفلة[5] بذلك تطرية لذكرها و تنبيها على تأكيد أمرها : ﴿ هل انبئكم ﴾ أى أخبركم خبرا جليلا[6] نافعا فى الدين ، عظيم الجدوى فى الفرقان [بين - [7]] أولياء الرحمن و إخوان الشيطان ﴿على من تنزل﴾ و تتردد[8] ﴿ الشيٰطين ۵ ﴾ حين تسترق السمع على[9] ضرب من الخفاء بما آذن به حذف[10] التاء ، و دخل حرف الجر على الاسم المتضمن للاستفهام، ١٥

---

(١) فى ظ : لما (٢) فى ظ : بينه (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجيبا لمن أراد ذلك متهما (٥) من مد ، و فى الأصل : المتكلفة ، و فى ظ : المتكللة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جليا (٧) زيد من ظ و مد . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تردد (٩) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : حرف .

لأن معنى التضمن أنه كان أصله : أمن ، فحذفت منه الهمزة حذفا مستمرا كما فعل فى "هل" لأن أصله "أهل" كما قال :

سائل فوارس يربوع بشـدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم

فالاستفهام مقدر قبل الجار - أفاده الزمخشرى[1] .

٥ ولما كان كأنه قيل : نعم أنبئنا ! قال : ﴿ تنزل ﴾ على سبيل التدريج والتردد ﴿ على كل افاك ﴾ أى صراف - على جهة الكثرة والمبالغة - للأمور عن وجوهها بالكذب والبهتان ، والخداع والعدوان ، من جملة[2] الكهان وأخدان الجان ﴿ اثيم ﴾ فعال[3] للآثام بغاية جهده ، / وهؤلاء الأئمة[4] ﴿ يلقون السمع ﴾ إلى الشياطين ، ويصغون إليهم غاية /٧٥٧

١٠ الإصغاء ، لما بينهما من التعاشق[5] بجامع إلقاء الكذب من غير [6]اكتراث ولاتحاش[6] ، أو يلقى الشياطين[7] ما يسمعونه مما يسترقون استماعه من الملائكة إلى أوليائهم ، فهم بما سمعوا[8] منهم يحدثون ، وبما زينت لهم نفوسهم يخلطون ﴿ واكثرهم ﴾ أى الفريقين ﴿ كذبون ﴾ فيما ينقلونه عما يسمعونه من الإخبار بما حصل فيما وصل إليهم من التخليط ، وما

١٥ زادوه من [9]الافتراء والتخبيط انهما كا[9] فى شهوة علم المغيبات ، الموقع

---

(١) راجع الكشاف ٢/١٣٠ . (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : جهة (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : فقال (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : لائمة . (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : التفاسق (٦-٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : التراب ولا تحاس - كذا (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : الشيطان (٨) فى ظ ومد : يسمعون (٩-٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : الاختلاط والتفريق ومن الافتراق والتخبيط انما كا - كذا .

فى الإفك و الضلالات [١]؛ قال الرازى فى اللوامع ما معناه أنه حيثما كان استقامة [٢] فى حال الخيال - أى القوة المتخيلة - كانت منزلة الملائكة ، و حيثما كان اعوجاج فى حال الخيال كان منزل الشياطين ، فمن ناسب الروحانيين من الملائكة كان مهبطهم عليه ، و ظهورهم له ، و تأثيرهم فيه ، و تمثلهم [به - [٣]] ، حتى إذا ظهروا عليه تكلم بكلامهم و تكلموا بلسانه ، ٥ و رأى بأبصارهم و أبصروا بعينيه [٤] ، فهم ملائكة يمشون فى الأرض مطمئنين "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة" و من ناسب الشياطين من الأبالسة كان مهبطهم عليه ، و ظهورهم له ، [و تأثيرهم فيه - [٣]] ، و تمثلهم به ، [حتى إذا ظهروا عليه تكلم بكلامهم و تكلموا بلسانه ، و رأى بأبصارهم و أبصروا - [٣]] بعينيه ، هم شياطين ١٠ الإنس يمشون فى الأرض مفسدين - انتهى .

و لما بطل - بابعاده عن دركات الشياطين ، و إصعاده إلى درجات الروحانيين ، من الملائكة المقربين ، الآتين عن رب العالمين - كونه سحرا ، و كونه أضغاثا و مفترى ، نفى سبحانه كونه شعرا بقوله : ﴿و الشعرآء يتبعهم﴾ أى بغاية الجهد ، [فى - [٣]] قراءة غير نافع بالتشديد [٥] ، لاستحسان مقالهم ١٥ و فعالهم ، فيتعلمون منهم و ينقلون عنهم ﴿ الغاون ﴾ أى الضالون المائلون عن السنن الأقوم إلى الزنا و الفحش و كل فساد يجر إلى الهلاك ، و هم كما ترى بعيدون من أتباع

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الضلال (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : استفهامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعينه .
(٥) راجع نثر المرجان ٥/٧٣ .

محمد صلى الله عليه و سلم و رضى عنهم الساجدين الباكين الزاهدين ؛

و لما قرر حال أتباعهم ، فعلم منه أنهم هم أغوى منهم ، لتهتكهم[1] في شهوة اللقلقة باللسان ، حتى حسن لهم الزور و البهتان ، [دل - [2]] علـى ذلك بقوله : ﴿ الم تر انهم ﴾ أى الشعراء . و مثل حالهم بقوله :

٥ ﴿ فى كل واد ﴾ أى من أودية القول من المدح و الهجو و النسيب و الرثاء و الحماسة و المجون[3] و غير ذلك ﴿ يهيمون ﴾ أى يسيرون سير الهائم[4] حائرين ، و عن طريق الحق جائرين ، كيفما جرهم القول انجروا من القدح[5] فى الأنساب ، و التشبيب بالحرم ، و الهجو . و مدح من لا يستحق المدح و نحو ذلك ، و لهذا قال : ﴿ و انهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ أى لأنهم

١ لم يقصدوه . و إنما ألجأهم[6] إليه الفن الذى سلكوه[7] فأكثر أقوالهم لا حقائق لها . انظر إلى مقامات الحريرى و ما اصطنع فيها من الحكايات ، و ابتدع[8] بها من الأمور المعجبات . التى لا حقائق لها ، و قد جعلها / أهل الاتحاد /٧٥٨ أصلا لبدعتهم الكافرة ، و قاعدة لصفقتهم الخاسرة ، فما أظهر حالهم ، و أوضح ضلالهم ! و هذا بخلاف القرآن فانه معان جليلة محققة ، فى ألفاظ

١٠ متينة[9] جميلة منسقة ، و أساليب معجزة مفحمة ، و نظوم معجبة محكمة ،

---

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : لتهكهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد . و فى الأصل : المجون (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : البهايم . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المفتوح (٦) فى ظ : الجاه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسلكوه (٨) فى الأصل : ابتدى ، و فى ظ : ابدى ، و الفعل مطموس فى مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثبتة .

لا

لا كلفة فى شىء منها، فـلا رغبة لذى طبع سليم عنها، فأنتج ذلك أنه لايتبعهم على أمرهم إلا غاو مثلهـم، و لايزهد فى [هـذا - [1]] القرآن إلا من طبعه جاف، و قلبه مظلم مدلهم .

و لما كان من الشعر - كما قال النبى صلى الله عليه و سلم - حكمة، و كان - كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها - بمنزلة الكلام منه حسن ٥ و منه قبيح، و كان من الشعراء من يمدح الإسلام و المسلمين، و يهجو الشرك و المشركين، و يزهد[2] فى الدنيا و يرغب[3] فى الآخرة، و [4]يحث على[4] مكارم الأخلاق، و ينفر عن مساوئها، و كان الفيصل بين قبيلى[5] حسنة و قبيحـة كثرة ذكر[6] الله، قال تعالى: ﴿ الا الذين ءامنوا ﴾ أى بالله و رسوله ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ أى التى شرعها ١٠ الله و رسوله لهم ﴿ و ذكروا الله ﴾ مستحضرين ما له من الكمال ﴿ كثيرا ﴾ لم يشغلهم الشعر عن الذكر، بل بنوا شعرهم على أمر الدين و الانتصار للشرع[7]، فصار لذلك كله[8] ذكر الله، و يكفى مثالا لذلك قصيدة عزيت لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنـه و جوابها لابن الزبعرى، و كان إذ ذاك على شركه، و ذلك فى أول سرية كانت فى الإسلام، و هى سرية ١٥ عبيدة بن الحارث [بن المطلب بن عبد مناف - [9]] رضى الله تعالى عنه،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : زهد (٣) فى ظ : رغب (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل : يبعث على (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : قبلى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : على (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : للشيوع .
(٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ و مد و الإصابة فى معرفة الصحابة .

فان قصيدة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليس فيها بيت إلا و فيه[1] ذكر الله إما صريحا و إما بذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم أو شيء من دينه، و ما[2] ليس فيه شيء من ذلك فهو آئل[3] إليه لبنائه عليه، و أما نقيضتها فلا شيء في ذلك فيها؛ قال ابن إسحاق[4]: قال أبو بكر رضي الله تعالى
٥ عنه في غزوة عبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنه:

آيل

أ من طيف سلمى بالبطاح الدمائث ... أرقت و أمر في [5]العشيرة حادث[5]
ترى من لؤى فرقة لا يصدها ... عن الكفر تذكير و لا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فكذبوا ... عليه و قالوا لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا ... و هروا هرير المجحرات اللواهث
١٠ فكم قد متتنا فيهم بقرابة ... و ترك التقى شيء لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم و عقوقهم ... فما طيبات الحل مثل الخبائث
و إن يركبوا طغيانهم و ضلالهم ... فليس عذاب الله عنهم بلابث
و نحن أناس من ذؤابة غالب ... لنا العز منها في الفروع الأثائث
فأولى برب الراقصات عشية ... حراجيج تخدى في السريح الرثائث
١٥ كأدم ظباء حول مكة عكف[6] ... يردن حياض البئر [7]ذات النبائث[7]
/ لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم ... و لست إذا آليت قولا بحانث

/٧٥٩

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: فيها (٢) سقط من ظ ومد (٣) من ظ ومد، و في الأصل: آيد (٤) راجع سيرة ابن هشام ٢ / ٣ (٥ - ٥) من ظ و مد والسيرة، و في الأصل: العيشة حارث (٦) في ظ: عاكف (٧ - ٧) من ظ و مد و السيرة، و في الأصل: نات النهايث - كذا.

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث
تغادر[1] قتلى تعصب الطير حولهم ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث
فأبلغ[2] بنى سهم لديك رسالة وكل كفور يبتغى الشر باحث
فان تشعثوا عرضى على سوء رأيكم فانى[3] من أعراضكم غير شاعث

[4]فأجابه ابن الزبعرى[5] فقال : ٥

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث بكيت بعين دمعها غير لابث
ومن عجب الأيام والدهر كله له عجب من سابقات وحادث
لجيش[6] أتانا ذى عرام يقوده عبيدة يدعى فى الهياج ابن حارث
[لنترك أصناما بمكة عكفا مواريث موروث كريم لوارث -[7]]
فلما لقيناهم بسمر ردينة وجرد عتاق فى العجاج لواهث ١٠
وبيض كأن الملح فوق متونها بأيدى كماة كالليوث العوائث
نقيم بها أصعار ما كان مائلا ونشفى الذحول[8] عاجلا غير لابث
فكفوا على[9] خوف شديد وهيبة وأعجبهم [10]أمر لهم[10] أمر رائث

---

(١) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : تغار (٢) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : فبلغ (٣) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : فاين (٤) العبارة من هنا إلى « فقال » ساقطة من ظ ومد (٥) فى الأصل : الزعبرى - خطأ . (٦) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : لجنس - كذا (٧) زيد البيت من ظ ومد والسيرة (٨) من السيرة ، وفى الأصول : الدخول (٩) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : عن (١٠ - ١٠) من ظ ومد والسيرة . وفى الأصل : اموالهم .

و لو أنهم لم يفعلوا نـاح نسوة أيامى[1] لهم من بين نسء و طامث
و قد [2] غودرت قتلى[2] يخبرّ عنهم حفيّ بهم أو غـافل غير باحث
فأبلـــغ أبا بـــكر لديك رسالة فما أنت عن أعراض فهر[3] بماكث
و لـما تجبْ منى يمين غليظـة تجـــدد حربا حلفه غير حانث

٥ و روى البغوى[4] بسنده من طريق عبد الرزاق من حديث كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه و سلم: إن الله قد أنزل فى الشعر[5] ما أنزل، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: إن المؤمن يجاهد بسيفه[6] و لسانه، و الذى نفسى بيده! لكأنما ترمونهم به نضح النبل. و قد كان ابن عباس[7] رضى الله عنهما ينشد الشعر و يستنشده[8] فى المسجد، ١٠ و[9] روى الإمام أحمد[10] حديث كعب هذا، و روى النسائى[11] برجال احتج[12] بهم مسلم عن أنس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: جاهدوا[13] المشركين بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم. قال البغوى[7]: و روى أنه - أى ابن عباس رضى الله عنهما - دعا عمر بن أبى ربيعة المخزومى

(١) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصول: اياس (٢ - ٢) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: غودت فلى (٣) من مد و السيرة، و فى الأصل وظ: فهو (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ١٠٨ (٥) من المعالم، و فى الأصول: الشعراء (٦) من المعالم، و فى الأصول: بنفسه (٧) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/١٠٩ (٨) فى ظ: ينشده (٩) سقطت الواو من ظ (١٠) راجع مسنده ٦/٣٨٧. (١١) راجع من سننه أول كتاب الجهاد ص ٤٨٢ (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يحتج (١٣) من ظ و مد و السنن، و فى الأصل: جاهد.

فاستنشده

فاستنشده القصيدة التي قالها[1] :

أمن آل نعمى أنت غاد فبكر غداة[2] غد أم[3] رائح فمهجر

و هي قريب من تسعين[4] بيتا ، فلما فرغها أعادها ابن عباس و كان حفظها بمرة واحدة ، و يكفي الشاعر في التفصي[5] عن ذم هذه الآية له أن لا يغلب عليه الشعر فيشغله[6] عن الذكر حتى يكون من الغاوين ، و ليس ٥ من شرطه أن لا يكون في شعره هزل أصلا ، فقد كان حسان رضي الله تعالى عنه ينشد النبي صلى الله عليه و سلم مثل قوله في قصيدة[7] / طويلة / ٧٦٠ مدحه صلى الله عليه و سلم فيها :

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل و ماء[8]

إذا ما الأشربات ذكرن[9] يوما فهن[10] لطيب الراح الفداء ١٠

نوليها الملامة إن ألمنا إذا ما كان مغث أو لحاء

و نشربها فتتركنا ملوكا و أسدا ما ينهنهنا اللقاء[11]

---

(١) من ظ و مد و المعالم ، و في الأصل : قال فيها (٢) من ظ و مد و المعالم ، و في الأصل : غدا (٣) زيد في الأصل : انت ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و المعالم فحذفناها (٤) من المعالم ، و في الأصول : سبعين (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : النقص (٦) من ظ و مد . و في الأصل : فيشتغله (٧) راجع شرح ديوانه المطبوع بمصر ص ٣ (٨) زيد في الديوان :

على أنيابها أو طعم غض من التفاح هصره الجناء

(٩) من ظ و مد و الديوان ، و في الأصل : لكون - كذا (١٠) في الأصل بياض ، ملأناه من ظ و مد و الديوان (١١) من ظ و مد و الديوان ، و في الأصل : القاء .

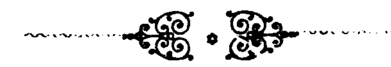
و قد كان تحريم الخمر سنة ثلاث من الهجرة أو سنة أربع، و هذه القصيدة قالها حسان رضى الله تعالى عنه فى الفتح سنة ثمان أو فى عمرة القضاء سنة سبع، فهى مما[1] يقول الشاعر ما لا يفعل.

و لما عرف سبحانه بحال المستثنين فى الذكر الذى هو أساس كل ٥ أمر، أتبعه ما[2] حملهم على الشعر من الظلم الذى[3] رجاهم النصر[4] فقال: ﴿ و انتصروا ﴾ أى كلفوا أنفسهم أسباب النصر بشعرهم فيمن آذاهم ﴿ من بعد ما ظلموا ﴾ أى وقع ظلم الظالم لهم بهجو و نحوه.

و لما أباح سبحانه الانتصار من الظالم، و كان البادئ - إذا اقتصر المجيب على جوابه - أظلم، و كان - إذا تجاوز - جديرا بأن يعتدى فيندم، ١٠ حذر الله الاثنين[5] مؤكدا للوعيد بالسين فى قوله الذى كان السلف الصالح يتواعظون به [6]لأنك لا تجد[6] أهيب منه، و لا أهول و لا أوجع لقلوب المتأملين[7]، و لا أصدع لأكباد المتدبرين[8]: ﴿ و سيعلم ﴾ و بالتعميم فى قوله: ﴿ الذين ظلموآ ﴾ أى كلهم من كانوا، [و -[9]] بالتهويل بالإبهام فى قوله: ﴿ اىّ منقلب ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة ﴿ ينقلبون ؏ ﴾ و قد ١٥ انعطف آخرها - كما ترى بوصف الكتاب المبين بما[10] وصف به من

(١) من مد، و فى الأصل: ما، و فى ظ: بما (٢) فى ظ: بما (٣) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ: الشعر. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الايتين (٦ - ٦) فى ظ: لانه لايجد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: المتالمين (٨) فى ظ: المنذرين (٩) زيد من ظ و مد. (١٠) فى ظ: كما.

الجلالة و العظم بأنه من [عند -[1]] الله متنزلا به خير مليكته[2]، على أشرف خليقته[3]، مزيلا لكل لبس، منفيا[4] عنه كل باطل، و بالختام بالوعيد على الظلم[5] - على أولها فى تعظيم الكتاب المبين، و تسلية النبي الكريم، صلى الله عليه و سلم، و وعيد الكافرين الذين هم أظلم الظالمين، و اتصل بعدها فى وصف القرآن المبين، و بشرى[6] المؤمنين و وعيد الكافرين[6]، ٥ فسبحان من أنزله على النبي الأمى الأمين، هدى للعالمين، و آية بينة باعجازه للخلائق أجمعين، باقية إلى يوم الدين[7].



(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ملائكته (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: خلقه (٤) فى ظ: منفيها (٥) فى ظ: الظالم (٦ - ٦) من مد، و فى الأصل: للمومنين و وعيد الكافرين، و سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٧) زيد فى الأصل: جعلنا اسن الناجين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

سورة النمل[1]

مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين ، بالفصل بين الصراط المستقيم ، و طريق الحائرين ، و الجمع لأصول الدين ، لإحاطة علم منزله بالخفي و المبين ، و بشارة المؤمنين ، و نذارة الكافرين ، بيوم[2] اجتماع الأولين و الآخرين ، وكل ذلك يرجع إلى العلم / المستلزم للحكمة ، فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم و الحكمة [كما -[3]] كان مقصود التى قبلها إظهار البطش و النقمة ، و أدل ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير و سداد المذاهب فى العيش ، و لاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد فى السياسة ، و حسن التعبير عن ذلك القصد ، و بلاغة التادية ﴿ بسم الله ﴾ الذى كمل علمه فبهرت حكمته ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالهداية بأوضح البيان[4] ﴿ الرحيم ﴾ الذى منّ بجنان النعيم ، على من ألزمه الصراط المستقيم ﴿ طس ﴾ يشير إلى طهارة الطور [و ذى طوى منه -[3]] و طيب طيبه ، و سعد بيت المقدس الذى بناه سليمان عليه الصلاة و السلام [التى انتشر منها الناهى عن الظلم ، و إلى أنه -[3]] لما طهر سبحانه بنى إسراءيل ، و طيبهم بالابتلاء فصبروا[5] ، خلصهم من فرعون و جنوده بمسموع موسى عليه الصلاة و السلام للوحى[6] المخالف لشعر الشعراء ، و إفك الآثمين و زلته[7] من الطور ،

---

(١) السابعة و العشرون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آيها خمس و تسعون آية حجازى و أربع بصرى و شامى و ثلاث كوفى - راجع روح المعانى ٦/٢٠٢ (٢) فى ظ : يوم (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بيان (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها . (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : الوحى (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : رسالته .

و لم يذكر تمام أمرهم باغراق فرعون ، لأن مقصودها إظهار العلم و الحكمة دون البطش و النقمة ، [1]فلم يقتض[1] الحال ذكر الميم .

و لما ختم[2] التي قبلها بتحقيق أمر القرآن ، و أنه من عند الله ، و نفى الشبه عنه و تزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة إلى السحر و الأضغاث و الافتراء و الشعر ، الناشئ كل ذلك عن أحوال الشياطين ، ٥ و ابتدأ هذه بالإشارة إلى [أنه من الكلام القديم - [3]] المسموع المطهر عن وصمة تلحقه من شيء من ذلك ، تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم بمجموع لفظا و معنى لا فصم فيه و لا خلل ، و لا وصم[4] و لا زلل ، فهو جامع لأصول الدين ناشر لفروعه ، بما[5] أشار إليه من الكون من المسلمين فقال : ﴿ تلك ﴾ [أى - [3]] الآيات العالية المقام، البعيدة المرام، البديعة النظام ﴿ ءايت القرءان ﴾ ١٠ أى الكامل فى قرآنيته الجامع للأصول ، الناشر للفروع ، الذى لاخلل فيه و لا فصم ، و لا صدع و لا وصم ﴿ و ﴾ آيات ﴿ كتب ﴾ أى و أىّ كتاب هو مع كونه جامعا لجميع ما يصلح المعاش و المعاد ، قاطع فى إحكامه ، غالب فى أحكامه ، فى كل من نقضه و إبرامه ، و عطفه دون إتباعه للدلالة على أنه[6] كامل فى كل من قرآنيته و كتابيته ﴿ مبين ﴾ أى بين ١٥ فى نفسه أنه من عند الله [كاشف - [3]] لكل مشكل ، موضح لكل ملبس مما كان و مما هو كائن[7] من الأحكام و الدلائل فى الأصول و الفروع ، و النكت و الإشارات و المعارف ، فيا له من جامع فارق واصل فاصل .

(١-١) من ظ و مد ، و فى الاصل : نقتص (٢) فى ظ و مد : ختمت (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : و هم (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيدت الواو فى ظ .

و لما كانت العناية فى هذه السورة بالنشر - الذى هو من لوازم الجمع فى مادة 'قرا' كما مضى بيانه أول الحجر - أكثر، قدم القرآن،يدل على ذلك انتشار أمر[1] موسى عليه الصلاة و السلام فى أكثر قصته بتفريقه من أمه، و خروجه من وطنه إلى مدين، و رجوعه مما صار إليه إلى ما كان فيه، ٧٦٣/ ٥ و التماسه[2] لأهله الهدى و الصلى و اضطراب العصى و بث الخوف منها، و آية اليد و جميع الآيات التسع، و اختيار التعبير بالقوم الذى أصل معناه القيام، و إبصار الآيات، و انتشار الهدهد، و إخراج الخبأ الذى منه تعليم منطق الطير، و تكليم الدابة للناس، و انتشار المرأة [و -[3]] قومها و عرشها بعد تردد الرسل[4] بينهما و بين سليمان عليه الصلاة و السلام، و كشف ١٠ الساق، و افتراق ثمود إلى فريقين، مع الاختصام المشتت، و انتثام[5] قوم لوط عليه السلام إلى ما [لا -[3]] يحل، و تفريق الرياح نشرا، و تقسيم الرزق بين السماء و الأرض، و مرور الجبال، و نشر الريح لنفخ الصور الناشىء عنه فزع الخلائق المبعثر للقبور، إلى غير ذلك مما إذا تدبرت السورة انفتح لك بابه، و انكشف عنه حجابه، وهذا بخلاف ما فى الحجر على ما مضى.

١٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أوضح فى سورة الشعراء عظيم رحمته بالكتاب، و بيان ما تضمنه مما فضح به الأعداء، و رحم به الأولياء، و براءته من أن تتسور[6] الشياطين عليه، و باهر آياته الداعية من اهتـــدى بها إليه، فتميز[7] بعظيم آياته كونه فرقانا قاطعا، و نورا ساطعا، أتبع سبحانه ذلك مدحة و ثناء، و ذكر من شملته رحمته به تخصيصا و اعتناء، فقال " تلك ايت القران " أى الحاصل عنها بمجموع تلك الأنوار

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : انقسامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : المرسل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : انتشار (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : نشور (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : فيتميز.

آيات القرآن "و كتب مبين هدى و بشرى للؤمنين" ثم وصفهم ليحصل للتابع قسطه من بركة التبع، و ليتقوى رجاؤه فى النجاة مما أشار إليه "و سيعلم الذين ظلموا" من عظيم ذلك المطلع ؛ ثم اتبع ذلك بالتنبيه على صفة الآهلين لما تقدم من التقول و الافتراء تنزيها لعباده المتقين، و أوليائه المخلصين، عن دنس الشكوك و الامتراء فقال "ان الذين لايؤمنون ٥ بالأخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون" أى يتحيرون فلا يفرقون بين النور و الإظلام، لارتباك الخواطر و الأفهام ؛ ثم اتبع[1] ذلك بتسليته عليه الصلاة و السلام بالقصص الواقعة بعد تنشيطا له و تعريفا بعلى[2] منصبه، و إطلاعا له على عظيم[3] صنعه تعالى فيمن تقدم، ثم ختمت[4] السورة بذكر أهل القيامة و بعض ما بين يديها، و الإشارة إلى الجزاء و نجاة المؤمنين، و تهديد ١٠ من تنكب[5] عن سبيله عليه الصلاة و السلام - انتهى.

و لما عظم سبحانه آيات الكتاب بما فيها من[6] الجمع من النشر مع الإبانة، ذكر حاله فقال : ﴿ هدى ﴾ و لما كان الشيء قد يهدى إلى مقصود يكدر حال قاصده. قال نافيا لذلك، و عطف [عليه -[7]] بالواو دلالة على الكمال فى كل من الوصفين : ﴿ و بشرى ﴾ [أى -[8]] عظيمة. ١٥

فلما تشوفت النفوس[9]، و ارتاحت القلوب. فطم من ليس بأهل عن عظيم هذه الثمرة فقال : ﴿ للمؤمنين لا ﴾ أى الذين صار ذلك لهم

---

(١) فى ظ : تبع (٢) فى ظ : بعلو (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : عجيب.
(٤) فى ظ : ختم (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : نكب (٦) فى ظ : مع (٧) زيد من ظ (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : النفس.

/٧٦٣ وصفا[1] لازما بما كان لهم قبل دعاء الداعي / من طهارة الأخلاق، و طيب الأعراق، و في التصريح بهذا الحال تلويح بأنه فتنة و إنذار للكافرين "يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا فاما الذين في قلوبهم زيغ" - الآية، "قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء"، "و الذين لايؤمنون في آذانهم وقر و هو عليهم عمى" - إلى غير ذلك من الآيات.

و لما كان وصف الإيمان خفيا، وصفهم بما يصدقه من الأمور الظاهرة فقال: ﴿الذين يقيمون الصلوة﴾ أي بجميع حدودها الظاهرة و الباطنة من المواقيت و الطهارات[2] و الشروط و الأركان و الخشوع و الخضوع و المراقبة و الإحسان إصلاحا لما بينهم و بين الخالق.

و لما كان المقصود الأعظم من الزكاة إنما هو التوسعة على الفقراء قال: ﴿و يؤتون الزكوة﴾ أي إحسانا فيما بينهم و بين الخلائق.

و لما كان الإيمان بالبعث هو الجامع لذلك و لغيره من سائر الطاعات، ذكره معظما لتأكيده، فقال معلما بجعله حالا [إلا -[3]] أنه شرط لما قبله: ﴿و هم﴾ أي و الحال أنهم.

و لما كان الإيمان بالبعث هو السبب الأعظم للسعادة و هو محط للحكمة، عبر فيه بما يقتضي الاختصاص، لا للاختصاص بل للدلالة على غاية الرسوخ في الإيمان به، فقال: ﴿بالاخرة هم﴾ أي المختصون بأنهم ﴿يوقنون ﴾ أي يوجدون الإيقان حق [4]الإيجاد و يجددونه[4] في كل حين[5]

(١) في ظ: وصف (٢) في ظ و مد: الطهارة (٣) زيد من ظ و مد.
(٤ - ٤) من ظ و مد، و في الأصل: الاتخاذ و يجدونه (٥) من ظ و مد، و في الأصل: حال.

بما يوجد منهم من الإقدام على الطاعة ، و الإحجام[1] عن المعصية .

و لما أفهم التخصيص أن ثَم من يكذب[2] بها و كان أمرها مركوزا في الطباع ، لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل و السماع ، تشوفت نفس[3] السامع على سبيل التعجب[4] إلى حالهم ، فقال مجيبا له مؤكدا تعجيبا[5] ممن ينكر ذلك : ﴿ ان الذين لايؤمنون ﴾ أى يوجدون الإيمان و يجددونه ٥ ﴿ بالأخرة زينا ﴾ أى بعظمتنا التى لايمكن دفاعها ﴿ لهم اعمالهم ﴾ أى القبيحة ، حتى أعرضوا عن الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها ، و الإسناد إليه سبحانه حقيق عند أهل السنة لأنه الموجد الحقيق ، و إلى الشيطان مجاز سببى ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ يعمهون ؏ ﴾ أى يخبطون خبط من لابصيرة له أصلا و يترددون فى أودية الضلال ، و يتمادون ١٠ فى ذلك ، [6]فهم كل لحظة فى خبط جديد ، بعمل غير سديد و لا سعيد ، فان العمه التحير و التردد كما هو حال الضال[6] .

و لما خص المؤمنين بما علم منه أن لهم حسن الثواب ، و أنهم فى الآخرة هم الفائزون ، ذكر ما يختص بـــه هؤلاء من ضد ذلك فقال : ﴿ اولـئك ﴾ أى [7]البعداء البغضاء[7] ﴿ الذين لهم ﴾ أى خاصة ﴿ سوٓء العذاب ﴾ ١٥ فى الدارين : فى الدنيا بالأسر و القتل و الخوف ﴿ و هم فى الاخرة هم ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاحكام (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : النفس (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التعجيب (٥) من ظ و مد ، و فى الاصل : معجيبا (٦-٦) تداخل ما بين الرقمين فى ظ و مد بعد « لا بصيرة له أصلا » (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : البغضاء البعداء .

المختصون بأنهم ﴿ الاخسرون ﴾ أى أشد الناس خسارة لأنهم خسروا ما لا خسارة مثله ، و هو أنفسهم التى لايمكنهم إخلافها .

/٧٦٤ و لما وصف القرآن من الجمع و الفرقان ، بما اقتضى / بيان أهل الفوز و الخسران ، و كان حاصل حال الكفرة أنهم يتلقون كفرهم [١]الذى هو[٦] ٥ فى غاية [السفه إما عن الشياطين الذين هم فى غاية الشر ، و إما عن آبائهم الذين هم فى غاية -[٢]] الجهل ، وصف النبى صلى الله عليه و سلم بضد حالهم ، فذكر جلالة المنزل عليه و المنزل ليكون أدعى إلى قبوله . فقال عاطفا على " ان الذين لايؤمنون بالاخرة " : ﴿ و انك ﴾ أى و أنت أشرف الخلق و أعلمهم و أحلمهم و أحكمهم ﴿ لتلقى القرآن ﴾ أى تجعل ١٠ متلقيا له من الملك ، و حذف هنا الواسطة و بناه للمفعول إعلاء له .

و لما كانت الأمور التى من عند الله تارة تكون على مقتضى الحكمة فتسند إلى أسبابها ، و أخرى خارقة للعادة فتنسب[٣] إليه سبحانه ، و الخارقة [تارة -[٢]] تكون فى أول رتب الغرابة[٤] فيعبر عنها بعند ، و تارة تكون فى أعلاها فيعبر عنها بلدن ، نبه سبحانه على أن هذا القرآن فى الذروة ١٥ من الغرابة فى أنواع الخوارق فقال : ﴿ من لدن ﴾ .

و لما مضى فى آخر الشعراء [٥]ما تقدم[٥] من الحكم الجمة فى تنزيله بهذا اللسان ، و على قلب سيد ولد عدنان ، بوساطة[٦] الروح الأمين ، مباينا لأحوال الشياطين ، إلى غير ذلك مما مضى إلى أن ختمت بتهديد الظالمين ،

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذين هم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيتسبب (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرابة . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بواسطة .

وكان الظالم إلى الحكمة أحوج منـــه إلى [مطلق -[1]] العلم، و قدم في هذه أنه هدى، و كان الهادي لا يقتدى به و لا يوثق بهدايته إلا إن كان في علمه حكيما، اقتضى السياق تقديم وصف الحكمة، و اقتضى الحال التنكير لمزيد التعظيم فقال: ﴿ حكيم ﴾ أي بالغ الحكمة، [2]فلا شيء[2] من أفعاله إلا و هو في غاية الإتقان ﴿ عليم ه ﴾ أي عظيم العلم واسعه تامه ٥ شامله، فهو بعيد جدا عما ادعوه فيه من أنه كلام الخلق الذي لا علم لهم و لا حكمة إلا ما آتاهم الله، و مصداق ذلك عجز جميع الخلق عن الإتيان بشيء من مثله، و إدراك شيء من مغازيه حق إدراكهم .

و لما وصفه بتمام الحكمة و شمول العلم، دل على كل من الوصفين، و على إبانة[3] القرآن و ما له من العظمة التي أشار إليها أول السورة بما[4] ١٠ يأتي في السورة من القصص و غيرها، و اقتصر في هذه السورة على هذه القصص لما بينها من عظيم التناسب [المناسب -[5]] لمقصود السورة، فابتدئ بقصة أطبق فيها الأباعد على الكفران فأهلكوا، و الأقارب على الإيمان فأنجوا، و ثنى بقصة أجمع فيها الأباعد على الإيمان، لم يتخلف منهم إنسان، و ثلث بأخرى حصل بين الأقارب فيها الفرقان، باقتسام الكفر و الإيمان، ١٥ و ختم بقصة تمالأ الأباعد فيها على العصيان، و أصروا على الكفران[6]،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و في الأصل: فامسى (٣) من ظ و مد، و في الأصل: اياته (٤) من ظ و مد، و في الأصل: مما (٥) زيد في الأصل: فابتدى بقصة، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و في الأصل: الكفر .

فابتلعتهم الأرض ثم غطوا بالماء كما بلع[1] الأولين الماء فكان فيه النواء .

و لما كان تعلق "اذ" باذكر من الوضوح[2] في حد لا يخفى على أحد ، قال دالا على حكمته و علمه: ﴿اذ﴾ طاويا لمتعلقه لوضوح أمره فصار كأنه ﴿قال﴾ : اذكر حكمته و علمه حين قال ﴿موسى لاهله﴾ [أي زوجه - [3]] و هو راجع من مدين إلى مصر . قيل : و لم / يكن ٧٦٥ / ٥ معه غيرها : ﴿انى انست﴾ أي أبصرت إبصارا حصل لي الأنس ، و أزال عني الوحشة و النوس ﴿نارا﴾ فعلم بما في هذه القصة من الأفعال المحكمة المنبئة عن تمام العلم اتصافه بالوصفين علما مشاهدا ، و قدم [ما - [3]] الحكمة فيه أظهر لاقتضاء الحال التأمين من نقص ما يؤمر ١٠ به من الأفعال .

و لما كان كأنه قيل : فما ذا تصنع[4]؟ قال آتيا بضمير المذكر المجموع للتعبير عن[5] الزوجة المذكورة بلفظ "الاهل" الصالح للذكر و الجمع صيانة لها و سترا ، جازما بالوعد للتعبير بالخير الشامل للهدى و غيره ، فكان[6] تعلق الرجاء به أقوى من تعلقه بخصوص[7] كونه هدى ، و لأن[8] ١٥ مقصود السورة يرجع إلى العلم ، فكان الأليق به الجزم ، و لذا عبر بالشهاب الهادي لأولي الألباب : ﴿سآتيكم﴾ أي بوعد صادق و إن أبطأت

(١) في ظ : ابلغ (٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ ومد فحذفناها . (٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ : تفعل ، و هو في مد مطموس (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : على (٦) في ظ : و كان (٧) في ظ : بخصوصه (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : لا .

منها

﴿ منها بخبر ﴾ أي و لعل بعضه يكون مما نهتدى به فى هذا الظلام إلى الطريق، و كان قد ضلها ﴿ او اتيكم بشهاب ﴾ أى شعلة من نار ساطعة ﴿ قبس ﴾ أى عود جاف مأخوذ من معظم النار فهو بحيث قد استحكمت فيه النار فلا ينطفئ[٥]؛ و قال البغوى[١]: و قال بعضهم: الشهاب شيء ذو[٢] نور مثل العمود، و العرب تسمى كل أبيض ذى نور شهابا، و القبس: ٥ القطعة من النار . فقراءة الكوفيين بالتنوين على البدل أو الوصف، و قراءة غيرهم بالإضافة[٣]، لأن القبس أخص . و علل إتيانه بذلك إفهاما لأنها ليلة باردة بقوله: ﴿ لعلكم تصطلون ه ﴾ أى لتكونوا فى حال من يرجى أن يستدفئ[٥] بذلك أى يجد به الدفء لوصوله معى فيه النار، و آذن بقرب وصوله فقال: ﴿ فلما جآءها ﴾ أى تلك التى ظنها نارا . ١٠

و لما كان البيان بعد الإبهام أعظم، لما فيه من التشويق[٤] و التهيئة للفهم، بنى للمفعول قوله: ﴿ نودى ﴾ اى[٥] من قبل الله تعالى .

و لما أبهم المنادى فتشوفت النفوس إلى بيانه، و كان البيان بالإشارة أعظم . لما فيه من توجه النفس إلى الاستدلال، نبه [سبحانه -[٦]] عليه بجعل الكلام على طريقة كلام القادرين، إعلاما بأنه الملك الأعلى فقال ١٥ بانيا للمفعول، [آتيا -[٦]] بأداة التفسير، لأن النداء[٧] بمعنى القول[٧]:

---

(١) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/١١٠ (٢) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: ذى (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٧٩ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: التشريق (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد. (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لمعنى المقول .

﴿ ان بورك ﴾ أى ثبت تثبيتا يحصل منه من النماء و الطهارة و جميع الخيرات ما لا يوصف ﴿ من فى النار ﴾ أى بقعتها، أو طلبها و [1]هو طلب[1] بمعنى الدعاء، و العبارة تدل على أن الشجرة كانت كبيرة و أنها لما دنا منها بعدت منه النار إلى بعض جوانبها [فتبعها، فلما توسط الدوحة ٥ أحاط به النور -[2]]، و سمى النور نارا على ما كان فى ظن موسى عليه الصلاة و السلام، [و قال سعيد بن جبير[3]: بل كانت نارا كما رأى موسى عليه السلام -[2]]، و النار من حجب الله كما فى الحديث: حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. ﴿ و من حولها[4] ﴾ من جميع الملائكة عليهم السلام و تلك الأراضى المقدسة ١٠ [على ما أراد الله فى ذلك الوقت و فى غيره -[2]] /و حق [4]لتلك الأراضى[4] أن تكون كذلك لأنها مبعث الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و مهبط الوحى عليهم[5] و كفاتهم أحياء و أمواتا.

٧٦٦ /

و لما أتاه النداء - كما ورد - من[6] جميع الجهات، فسمعه[7] بجميع الحواس، أمر بالتنزيه، تحقيقا لأمر من أمره سبحانه، و تثبيتا له، فقال ١٥ عاطفا على ما[8] أرشد السياق إلى تقديره من مثل: فأبشر بهذه البشرى العظيمة: ﴿ و سبحن الله ﴾ أى و نزه الملك الذى له الكمال المطلق تنزيها[9]

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: و مر موسى و هو خير (٢) زيد من ظ و مد. (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١١١ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاراضى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اليهم (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ: يسمعه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بما.

يليق بجلاله، [1] ويجوز أن يكون خبرا معطوفا على "بورك" [أي - [2]] وتنزه الله سبحانه تنزها [3] يليق بجلاله عن أن يكون في موضع النداء أو غيره من الأماكن.

ولما كان تعليق ذلك بالاسم العلم دالا [4] على أنه يستحق [5] ذلك لمجرد ذاته المستجمع لجميع صفات الكمال، من الجلال والجمال، وصفه بما [6] ٥ يعرف أنه يستحقه أيضا لأفعاله بكل مخلوق التي منها ما يريد أن يربي [7] به موسى عليه الصلاة والسلام كبيرا بعد ما رباه به [8] صغيرا، فقال: ﴿ رب العٰلمين ۝ ﴾.

ولما تشوفت النفس إلى تحقق الأمر تصريحا، قال معظما له تمهيدا لما أراد سبحانه إظهاره [9] على يده من المعجزات الباهرات [9]: ﴿ يٰموسىٰٓ انه ﴾ ١٠ أي الشأن العظيم الجليل الذي لا يبلغ وصفه ﴿ انا الله ﴾ أي البالغ من العظمة ما تقصر عنه الأوهام، وتتضاءل دونه نوافذ الأفهام [8]، ثم أفهمه ما تضمن ذلك وصفين يدلانه على أفعاله معه [8] وقال: ﴿ العزيز ﴾ [أي - [10]] الذي يصل إلى جميع ما يريد ولا يوصل إلى شيء مما عنده من غير الطريق التي يريد ﴿ الحكيم ۝ ﴾ أي [8] الذي ينقض كل ما يفعله غيره إذا أراد، ١٥

(١) العبارة من هنا إلى «يليق بجلاله» ساقطة من ظ (٢) زيد من مد.
(٣) من مد، وفي الأصل: تنزيها (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: لا (٥) زيد في ظ: ايضا لا فعله بكل مخلوق (٦) في ظ: ما (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: يرى (٨) سقط من ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد.
(١٠) زيد من ظ ومد.

و لا يقدر غيره أن ينقض شيئا من[1] فعله .

و لما كان التقدير : فافعل جميع ما آمرك به فانه لا بد منه ، و لا تخف من شيء فانه لا يوصل إليك بسوء لأنه متقن بقانون الحكمة ، محروس بسور العزة ، دل عليه بالعطف في قوله : ﴿ و الق عصاك[4] ﴾ أي لتعلم ٥ علما شهوديا عزتي و حكمتي - [2]أو هو معطوف على "ان بورك[2]" - [3]فألقاها كما أمر ، فصارت[3] في الحال - بما أذنت به الفاء - حية عظيمة جدا ، هي[4] - مع كونها في غاية العظم - في نهاية الخفة و السرعة في اضطرابها عند محاولتها ما يريد ﴿ فلما راها تهتز ﴾ أي تضطرب [في تحركها - [5]] مع كونها في غاية الكبر ﴿ كأنها جآن ﴾ أي حية صغيرة في خفتها ١٠ و سرعتها ، و لا ينافي ذلك كبر جثتها ﴿ ولى ﴾ أي[6] موسى عليه الصلاة و السلام .

و لما كانت التولية مشتركة بين معان ، بين المراد بقوله : ﴿ مدبرا ﴾ أي التفت هاربا منها مسرعا جدا لقوله : ﴿ و لم يعقب[4] ﴾ أي لم يرجع على عقبه ، و لم يتردد في الجد في الهرب ، و لم يلتفت إلى ما وراءه ١٥ بعد توليته ، يقال : عقب عليه تعقيبا ، أي كر . و عقب في الأمر تعقيبا : تردد[7] في طلبه مجدا - هذا في ترتيب المحكم . و في القاموس : التعقيب :

---

(١) في ظ : مما (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣ - ٣) تأخر ما بين الرقمين في ظ و مد عن « به الفاء » (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : اي . (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : ترد .

الالتفات . و قال القزاز في ديوانـه : عقب[1] - إذا انصرف راجعا فهو/ معقب .

/ ٧٦٧

و لما تشوفت النفس إلى ما قيل له عند هذه الحالة ، أجيبت بأنه قيل له : ﴿ يموسى لا تخف ﴾ ثم علل هذا النهي بقوله ، مبشرا بالأمن و الرسالة : ﴿ انى لا يخاف لدىّ ﴾ أي [في -[2]] الموضع الذي هو من ٥ غرائب نواقض العادات ، و هي وقت الوحي و مكانه ﴿المرسلون﴾ أي لأنهم معصومون من الظلم ، و لا يخاف من الملك العدل إلا ظالم .

و لما دل أول الكلام و آخره على أن التقدير ما ذكرته ، و علم منه أن من ظلم خاف ، و كان المرسلون بل الأنبياء معصومين عن صدور[3] ظلم ، و لكنهم لعلو مقامهم ، و عظيم شأنهم ، يعد عليهم خلاف الأولى ، ١٠ بل بعض المباحات المستوية ، بل أخص من ذلك ، كما قالوا « حسنات الأبرار سيئات المقربين » ، استدرك سبحانه من ذلك بأداة الاستثناء ما يرغب المرهبين من عواقب الظلم آخر تلك في التوبة ، و ينبه موسى عليه السلام على غفران[4] وكزة القبطي له ، و أنه لا خوف عليه بسببه و إن كان قتله مباحا لكونه خطأ مع أنه كافر ، لكن علو المقام يوجب التوقف ١٥ عن الإقدام إلا باذن خاص ، و لذلك سماه هو ظلما فقال " [رب -[5]] انى ظلمت نفسي فاغفر لى " و هو من[6] التعريضات التي[7] يلطف مأخذها

---

(١) في ظ : اعقب (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : صدوزد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : غفرانه (٥) زيد من ظ و مد و القرآن الكريم آية ٤٤ من النمل (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : في . (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : ما .

فقال: ﴿ الا ﴾ [١]أو المعنى[١]: لكن ﴿ من ظلم ﴾ كائنا من كان، بفعل سوء[٢] ﴿ ثم بدل ﴾ بتوبته ﴿ حسنا بعد سوٓء ﴾ و هو الظلم الذى كان عمله[٣]، أى جعل الحسن بدل[٤] السوء كالسحرة الذين آمنوا بعد ذلك بموسى عليه الصلاة و السلام فانى أغفره له بحيث يكون كأنه لم يعمله أصلا،

٥ و أرحمه بما أسبغ عليه من[٥] ملابس الكرامة المقارنة للأمن و العز[٦] و إن أصابه قبل ذلك نوع خوف. ثم علل ذلك بأن المغفرة و الرحمة صفتان له ثابتتان، فقال: ﴿ فانى ﴾ [أى أرحمه بسبب أنى -[٧]] ﴿ غفور ﴾ أى من شأنى أنى[٨] أمحو الذنوب محوا يزيل جميع آثارها ﴿ رحيم ۝ ﴾ أعامل التائب منها معاملة الراحم البليغ الرحمة بما يقتضيه حاله[٩] من

١٠ الكرامة، فازيل أثر ما كان وقع فيه من موجب[١٠] الخوف و هو الظلم.

و لما أراه سبحانه [هذه الخارقة فيما كان فى يده بقلب جوهرها إلى جوهر شىء آخر حيوانى، أراه -[٧]] آية أخرى فى يده نفسها بقلب عرضها الذى كانت عليـــه إلى عرض آخـــر نورانى، فقال: ﴿ و ادخل يدك فى جيبك ﴾ أى فتحة ثوبك، و هو ما قطع منه ليخيط

١٥ بعنقك ﴿ تخرج ﴾ أى إذا أخرجتها ﴿ بيضآء ﴾ أى بياضا عظيما نيرا

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: موسى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: علمه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بعد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: منى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: العفو (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: حلمه (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: موجبة.

جدا، له شعاع كشعاع الشمس .

و لما كان ربما وقع فى وهم أن هذا لآفة ، قال : ﴿من غير سوٓءٍ﴾ أى برص و لا غيره من الآفات ، آية أخرى كائنة ﴿فى﴾ جملة ﴿تسع ايٰت﴾ كما تقدم شرحها فى سورة الإسراء و غيرها ، منتهية على يدك برسالتى لك ﴿الى فرعون و قومه ﴾ أى الذين هم أشد [1]أهل هذا[1] الزمان قياما فى ٥
الجبروت و العدوان ؛ ثم علل إرساله إليهم بالخوارق بقوله : ﴿انهم كانوا﴾ أى كونا كأنه[2] جبلة لهم ﴿قوما فسقين ﴾ أى خارجين عن طاعتنا / لتردهم إلينا . ٨٦٨ /

و لما كان التقدير : فأتاهم كما أمرناه فعاندوا أمرنا ، قال منبها على ذلك ، دالا بالفاء على سرعة إتيانه إليهم امتثالا لما امر به : ﴿فلما جآءتهم ايٰتنا﴾ ١٠
أى على يده ﴿مبصرة﴾ أى سبب الإبصار لكونها منيرة[3] ظاهرة جدا ، فهى هادية لهم إلى الطريق الأقوم هداية النور لمن يبصر ، فهو لايخطئ شيئا ينبغى أن ينتفع به ﴿قالوا هٰذا سحر﴾ أى خيال لاحقيقة له ﴿مبين ﴾ أى واضح فى أنه خيال ﴿و جحدوا﴾ أى أنكروا عالمين ﴿بها﴾ أى أنكروا كونها آيات موجبات لصدقه مع علمهم بابطالهم ١٥
لأن الجحود الإنكار مع العلم .

و لما كان الجحد معناه إنكار الشيء مع العلم به ، حقق ذلك بقوله : ﴿و استيقنتهآ﴾ أى و الحال أنهم قد طلبوا الوقوف على حقائق أمرها

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٢) سقط من ظ (٣) سقط من ظ و مد .

حتى تيقنتها فى كونها حقا[1] ﴿ انفسهم ﴾ و تخلل عليها صميم عظامهم ، فكانت ألسنتهم مخالفة لما فى قلوبهم ، و لذلك أسند الاستيقان إلى النفس . ثم علل جحدهم و وصفهم لها بخلاف وصفها فقال : ﴿ ظلما و علوا ﴾ أى إرادة وضع الشيء فى غير حقه ، و التكبر على الآتى به ، تلبيسا[2]
٥ على عباد الله .

و لما كان التقدير : فأغرقناهم أجمعين أيسر سعى و أهون أمر فلم يبق منهم مخبر[3] تطرف ، و لم يرجع منهم مخبر ، على كثرتهم و عظمتهم و قوتهم ، عطف عليه تذكيرا به مسببا عنه قوله : ﴿ فانظر ﴾ و نبه على أن خبرهم [4]مما تتوفر[4] الدواعى على السؤال عنه[5] لعظمته ، فقال معبرا
١٠ بأداة الاستفهام : ﴿ كيف كان ﴾ وكان الأصل : عاقبتهم ، أى آخر أمرهم ، و لكنه أظهر فقال : ﴿ عاقبة المفسدين ع ﴾ ليدل [على][6] الوصف الذى كان سببا لأخذهم تهديدا لكل من ارتكب مثله .

و لما تم بهذه القصة الدليل على حكمته ، توقع السامع الدلالة على علمه سبحانه ، فقال مبتدئا بحرف[7] التوقع مشيرا إلى أنه لا نكير فى
١٥ فضل الآخر على الأول عاطفا على ما تقديره : فلقد آتينا موسى و أخاه[8] هارون عليهما السلام حكمة و هدى و علما و نصرا على من

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حق (٢) فى ظ : تلبسا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عين (٤-٤) من ظ و مد . و فى الأصل : يتوفد - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : برفع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اختار .

خالفهما و عزا: ﴿و لقد 'اتينا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿داود[1] و سليمن﴾ أى ابن داود، و هما من أتباع موسى عليهم السلام و بعده بأزمان متطاولة ﴿ علما ء﴾ أى جزاء من العلم عظيما من منطق الطير و الدواب و غير ذلك لم نؤته[2] لأحد قبلهما.

و لما كان التقدير: فعملا بمقتضاه، عطف عليه قوله: ﴿و قالا﴾ ٥ شكرا عليه[3]، دلالة على شرف العلم و تنبيها لأهله على التواضع: ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بجميع أوصاف[4] الكمال ﴿ لله ﴾ أى الذى لامثل له و له الجلال و الجمال ﴿ الذى فضلنا ﴾ أى بما آتانا من ذلك ﴿ على كثير من عباده المؤمنين ه﴾ أى الذين[5] صار [6]الإيمان لهم[6] خلقا.

و لما كان كل منهما عليهما السلام قد أوتى ما ذكر، أشار إلى ١٠ فضل سليمان عليه السلام بأنه جمع إلى ما آتاه ما كان منح به أباه فقال: ﴿ و ورث سليمن داود ﴾ أى أباه / عليهما السلام دون إخوته /٧٦٩ فى النبوة و العلم و الملك الذى كان قد خصه الله دون قومه بجمعه له إلى النبوة، فشكر الله على ما أنعم بـه[7] عليه أولا و ثانيا ﴿ و قال ﴾ أى سليمان عليه السلام محدثا بنعمة ربه و منبها على ما شرفه الله به، ليكون ١٥ أجدر فى قبول الناس ما يدعوهم إليه من الخير: ﴿يـٰأيها الناس ﴾.

---

(١) وقع فى الأصل بعد « لقد 'اتينا » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لم نوجه (٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ: الاوصاف (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى. (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم الايمان (٧) سقط من ظ.

و لما كان من المعلوم أنه [1]لامعلم له[1] إلا الله، فانه لايقدر على ذلك غيره، قال بانيا للفعول: ﴿ علمنا ﴾ أى أنا و أبى [بأيسر أمر و أسهله ممن لايقدر على ما علمنا سواه و لو كان المقصود هو وحده لم يكن من التعاظم فى شىء، بل هو كلام الواحد المطاع، تنبيها على تعظيم الله بما عظمه به مما يختص بالقدرة عليه أو بالأمر به كما كان النبى صلى الله عليه و سلم يفعل إذا كان هناك حال يحوج إليه كما قال فى الزكاة: إنا آخذوها و شطر ماله[2] عزمة من عزمات ربنا عز و جل، و كما كان يكتب لبعض الجبابرة -[3]] ﴿ منطق الطير ﴾ أى فهم ما يريد كل طائر إذا صوت، و المنطق ما يصوت[4] به من المفرد و المؤلف المفيد و غير المفيد، و لا بدع فى أن الذى آتى كل نفس هداها و علمها[5] تميز منافعها و مضارها يؤتيها قوة تدرك بها تخاطبا بينها يتفاهم كل نوع منها به فيما يريد، و يكون ذلك قاصرا عن[6] إدراك الإنسان لخصوصه بالجزئيات الناشئة عن الحسيات ﴿ و اوتينا ﴾ ممن له العظمة بأيسر أمر من أمره ﴿ من كل شىء ﴾ أى يكمل به ذلك من أسباب الملك و النبوة و غيرهما[7]، و عبر باداة الاستغراق تعظيما للنعمة كما يقال لمن يكثر تردد الناس إليه: فلان[8] يقصده كل أحد.

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: يعلم (٢) و فى مسند الإمام ٥/٢: إبله. (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بتصوت (٥) فى ظ: علمنا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: غيرها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فلا.

و لما كان هذا أمرا باهرا، دل عليه بقوله مؤكدا بأنواع التأكيد [1] و شاكرا [1] حاثا لنفسه على مزيد الشكر و هازّا لها إليه: ﴿ ان هٰذا ﴾ أى الذى أوتيناه ﴿ لهو الفضل المبين ه ﴾ أى البين فى نفسه لكل من ينظره، الموضح لعلو قدر صاحبه و وحدانية مفيضه و مؤتيه .

و لما كان هذا مجرد خبر [2]. أتبعه ما يصدقه فقال: ﴿ و حشر ﴾ أى ٥ جمع جمعا حتما بقهر و سطوة و إكراه بأيسر سعى ﴿ لسليٰمن جنوده ﴾ .

و لما دل ذلك على عظمه، زاد فى الدلالة عليه بقوله: ﴿ من الجن ﴾ بدأ بهم لعسر جمعهم [3] ﴿ و الانس ﴾ ثنى بهم لشرفهم و مشاركتهم لهم فى ذلك من حيث تباعد [4] أغراضهم و تناءى قصودهم .

و لما ذكر ما يعقل و بدأ به لشرفه ، أتبعه ما لايعقل فقال : ١٠ ﴿ و الطير ﴾ و لما كان الحشر معناه الجمع بكره . فكان لا يخلو عن انتشار، وكان التقدير : و سار بهم فى بعض الغزوات ، سبب عنه قوله تعظيما للجيش و صاحبه : ﴿ فهم يوزعون ه ﴾ أى يكفون بحيث أولهم على آخرهم بأدنى أمر و أسهله ليتلاحقوا، فيكون ذلك أجدر بالهيبة، و أعون على النصرة . و أقرب إلى السلامة ؛ عن قتادة [5] أنه كان على كل [3] ١٥ صنف من جنوده وزعة ترد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا فى المسير، قال : و الوازع : الحابس و هو النقيب . و أصل الوزع [6] الكف و المنع [6] .

(١-١) من ظ ومد ، وفى الأصل : شاكرا و (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : خيره (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و مد : تباعدهم (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ١١٤/٥ (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : و المانع .

و لما كان التقدير : فساروا، لأن الوزع لا يكون إلا عن سير ، غياه بقوله: ﴿حتى[٢] اذآ اتوا﴾ أي أشرفوا . و لما كان على بساطه فوق متن الريح بين[١] السماء و الأرض . عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على واد النمل[٧]﴾ و هو واد بالطائف - كما نقله البغوي[٢] عن كعب ، و هو الذي تميل إليه النفس فانه معروف إلى الآن عندهم بهذا الاسم، و يسمى أيضا نخب[٣] وزن كتف ، و قد رأيته لما قصدت تلك الديار لرؤية مشاعدها، و التطواف[٤] في معابدها و معاهدها . و التبرك بآثار الهادي، في الانتهاء و المبادئ ، و وقفت بمسجد فيه قرب سدرة تسمى الصادرة مشهور[٥] عندهم أن النبي صلى الله عليه و سلم صلى به، و هذه السدرة[٦] مذكورة في غزوة الطائف من السيرة الهشامية[٧] و اقتصر في تسمية الوادي على نخب، و أنشدت فيه يوم وقوفي ببابه، و تضرعي في أعتابه[٨] :

/٧٧٠

مررت بوادي النمل يا صاح بكرة فصحت وأجريت الدموع على خدي
و تمت منه موقف الهاشمي الذي ملا[٩] الأرض توحيدا يزيد على العد
و كم موقف أفرشته حر جبهتي و أبديت في أرجائه ذلة العبد[١٠]

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٢) في المعالم بهامش اللباب ٥/١١٤ .
(٣) راجع معجم البلدان ٨/ ٢٧٢ (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : التطواف .
(٥) من مد ، و في الأصل وظ : مشهورة (٦) زيد في الأصل : مشهورة ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) في ظ : الهاشمية - خطأ ، - راجع منها ٣/٢٤ (٨) زيد في ظ : قال (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : ما (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : الصدى .

في

- فى قصيدة طويلة .

و لما كانوا فى أمر يهول منظره، و يوهى القوى مخالطته و مخبره، فكان التقدير : فبدت طلائعهم، و تراءت راياتهم و لوامعهم، و أحمالهم و ضائعهم[١]، [نظم به قوله -[٢]] : ﴿قالت نملة﴾ أى من النمل الذى بذلك الوادى : ﴿يٰأيها النمل﴾ و لما حكى عنهم سبحانه ما هو من[٣] شأن العقلاء، ٥ عبر بضمائرهم فقال : ﴿ ادخلوا ﴾ أى قبل وصول ما أرى من الجيش ﴿ مسٰكنكم ج ﴾ ثم عللت أمرها معينة لصاحبه إذ[٤] كانت أماراته لاتخفى فقالت جوابا للأمر [٥]أو بدلا منه[٥] : ﴿لا يحطمنكم﴾ أى يكسرنكم و يهشمنكم أى لا تبرزوا فيحطمنكم . فهو[٦] نهى لهم عن البروز فى صورة نهيه و هو أبلغ من التصريح بنهيهم لأن من نهى كبيرا عن شىء كان لغيره أشد ١٠ نهيا ﴿سليمٰن و جنوده لا﴾ أى فإنهم لكثرتهم إذا صاروا فى هذا الوادى استعلوا عليه فطبقوه[٦] فلم يدعوا منه موضع شبر خاليا ﴿ و هم ﴾ أى سليمان عليه السلام و جنوده ﴿لا يشعرون ه ﴾ أى بحطمهم لكم [٧]لاشتغالهم بما هم[٧] فيه من أحوال السير، و تعاطى مصالحه، مع صغر أجسامكم، و خفائكم [٨]على الستر[٨] فى حال اضطرابكم و مقامكم، [٩]و قولها هذا يدل على[٩] ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنايقهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٤) فى ظ : اذا (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : استينافا أو بدلا من ادخلوا - مع البياض فى البداية (٦) سقط من ظ . (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاشتغالهم بما هو (٨-٨) من ظ و مد . و فى الأصل : عن الساترين (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

[1]علمها بأنهم لو شعروا بهم ما آذوهم لأنهم أتباع نبي فهم رحماء[1] .

و لما كان هذا أمرا معجبا لما فيه من جزالة الألفاظ و جلالة المعاني ، تسبب عنه قوله : ﴿ فتبسّم ﴾ و لما دل ذلك على الضحك ، و كان [2]ذلك قد يكون[2] للغضب ، أكده و حقق[3] معناه بقوله : ﴿ ضاحكا من قولها ﴾

٥ أي لما أوتيته من الفصاحة و البيان ، و سرورا بما وصفته به من العدل في أنه و جنوده لا يؤذون أحدا و هم يعلمون ﴿ و قال ﴾ متذكرا ما أولاه[4] ربه سبحانه بحسن تربيته من فهم كلامها إلى ما أنعم عليه من غير ذلك : ﴿ رب ﴾ أي أيها المحسن إليّ ﴿ اوزعني[5] أن ﴾ أي اجعلني مطيقا لأن ﴿ اشكر نعمتك ﴾ أي وازعا له كافا مرتبطا حتى لا يغلبني . و لا يتفلت

١٠ / مني ، و لا يشذ عني وقتاما . /٧٧١

و لما أفهم ذلك تعلق النعمة [به -[6]] ، حققه بقوله : ﴿ التيّ انعمت عليّ ﴾ و ربما أفهم قوله[7] : ﴿ و على والديّ ﴾ أن أمه كانت [أيضا -[6]] تعرف منطق الطير . و تحقيق معنى هذه العبارة أن مادة " وزع " - بأيّ ترتيب كان - يدور على المعوز - لخرقه بالية[8] يلف بها الصبي ، ١٥ و يلزمها التميز ، فان الملفوف بها يتميز عن غيره ، و منه الأوزاع[9] ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ربما (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : حققه (٤) في ظ و مد : آتاه (٥) ليس في الأصل فقط (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : بقوله . (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : تاليه - كذا (٩) من القاموس ، و في الأصل : الازاع ، و في ظ و مد : الاوزاعي .

و هم الجماعات المتفرقة، و يلزمها أيضا الإطاقة فان أكثر الناس يجدها[1]، و منه العزون - لعصب من الناس[2]، فانهم يطيقون ما يريدون و يطيقهم من يريدهم[3]، [4]و منه الوزع[4] و هو كف ما يراد كفه، و الولوع[5] بما يراد، و منه الإيعاز - للتقدم بالأمر و النهى، و الزوع للجذب، و يلزمها أيضا الحاجة فانه لايرضى بها دون الجديد إلا محتاج، فمعنى الآية: اجعلنى ٥ وازعا - أى مطيقا - أن أشكرها كما يطيق[6] الوازع كف ما يريد[7] كفه، و يمكن أن يكون مدار المادة الحاجة لأن الأوزاع - و هم الجماعات - يحتاجون إلى الاجتماع جملة، و الكاف محتاج إلى امتثال ما يكفه لأمره، و الجاذب محتاج إلى الزوع أى الجذب، و المولع بالشىء فقير إليه، و الموعز محتاج إلى قبول وصيته، فالمعنى[8]: اجعلنى وازعا أى فقيرا إلى الشكر، أى ١٠ ملازما له مولعا به، لأن كل فقير[9] إلى شىء مجتهد فى تحصيله، و يلزم على هذا التخريج احتقار العمل، فيكون سببا للأمن من الإعجاب، [و فى الآية تنبيه على بر الوالدين فى سؤال القيام عنهم بما لم يبلغاه من الشكر -[10]] - و الله الموفق. و الشكر فى اللغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما كالثناء على المنعم بما يدل على أن الشاكر قد عرف نعمته و اعترف له ١٥ بها و حسن موقعها عنده، و خضع قلبه له لذلك، و حاصله أنه اسم لمعرفة النعمة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم فانه إذا عرفها تسبب فى[11]

---

(١) فى مد: نجدها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الباس (٣) فى ظ: يردهم، و فى مد: يردوهم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الوازع (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يطلق (٧) فى ظ: يراد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فان المعنى (٩) زيد فى ظ: محتاج. (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: عن.

التعرف إليه ، فسلك طريق التعرف و جد في الطلب ، و من جد وجد ، و يروى عن داود عليه الصلاة و السلام أنه قال : يا رب كيف أشكرك و الشكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها[1] إلى شكر آخر ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا داود ! إذا علمت أن ما بك من نعمة فمني فقد شكرتني . و الشكر
٥ ثلاثة أشياء : الأول معرفة النعمة بمعنى إحضارها في الخاطر بحيث يتميز [عندك -[2]] أنها نعمة ، فرب جاهل يحسن إليه و ينعم عليه و هو لا يدري ، فلا جرم أنه لا يصح[3] منه الشكر . و الثاني : قبول النعمة بتلقيها من المنعم بإظهار الفقر و الفاقة ، فان ذلك شاهد بقبولها حقيقة ، و الثالث : الثناء بها بأن تصف المنعم بالجود و الكرم و نحوه مما يدل على حسن
١٠ تلقيك لها و اعترافك بنزول مقامك في الرتبة عن مقامه ، فان اليد العليا خير من اليد السفلى ، و هو على ثلاث درجات : الأولى الشكر على المحاب[4] أي الأشياء المحبوبة ، و هذا شكر تشارك فيه المثبتون المسلمون و اليهود و النصارى و المجوس ، فان الكل يعتقدون ان الإحسان الواصل من الرحمن واجب معرفته على الإنسان[5] ، و من سعة بر الباري سبحانه و تعالى أن عده
١٥ شكرا مع كونه واجبا على الشاكر ، و وعد عليه الزيادة ، و أوجب فيه المثوبة إحسانا و لطفا . الثانية : الشكر في المكاره ، و هو إما من[6] رجل لا يميز بين الحالات ، بل يستوي عنده المكروه و المحبوب ، فاذا نزل به المكروه شكر الله عليه بمعنى أنه أظهر الرضا بنزوله به ، و هذا مقام الرضا . و إما من رجل

/ ٧٧٢

---

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : اليها (٢) زيد من ظ ومد (٣) زيد في الأصل : عندك ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : المحات - كذا (٥) من ظ ومد ، و في الأصل : الاحسان (٦) سقط من ظ .

يميز بين الأحوال فهو لا يحب المكروه و لا يرضى بنزوله، فإن نزل به مكروه فشكره عليه إنما هو كظم الغيظ و ستر الشكوى و إن كان باطنه[1] شاكيا، و الكظم[2] إنما هو لرعاية الأدب بالسلوك فى مسلك العلم، فإنه يأمر العبد بالشكر فى السراء و الضراء. الثالثة[3]: أن لا يشهد العبد إلا المنعم باشتغاله بالاستغراق فى مشاهدته عن مشاهدة النعمة، و هذا الشهود على ثلاثة أقسام: ٥ أحدها أن يستغرق فيه عبودة، فيكون مشاهدا له مشاهدة العبد للسيد بأدب العبيد إذا حضروا بين يدى سيدهم، فانهم ينسون ما هم فيه من الجاه و القرب الذى ما حصل لغيرهم، باستغراقهم فى الأدب، و ملاحظتهم لسيدهم خوفا من أن يسير[4] إليهم[5] فى أمر فيجدهم غافلين، و هذا أمر معروف عند من صحب الملوك. فصاحب هذا الحال إذا أنعم عليه سيده ١٠ فى هذه الحالة، مع قيامه فى حقيقة العبودة[6]، استعظم الإحسان، لأن العبودة[7] توجب عليه أن يستصغر نفسه. ثانيها أن يشهد[8] سيده شهود محبة غالبة، فهو يسبب هذا الاستغراق فيه، يستحلى[9] منه الشدة، و قد قال بعض عشاق حسن الصورة لا صورة الحسن فأحسن:

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوا فقد جهل المحبة ادعى. ١٥

ثالثها أن يشهد شهود تفريد يرفع التنويه و يفنى[10] الرسم و يذهب الغيرية[11]،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: باطنا (٢) فى ظ: الكاظم (٣) فى ظ: الثالث.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يشير (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ و مد: العبودية (٧) فى ظ: العبودية (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يستشهد.
(٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يستحن (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: نفى (١١) فى ظ: الغيرة.

فاذا وردت عليه النعمة أو الشدة كان مستغرقا في الفناء فلم يحس بشيء منهما .

و لما علم من هذا كله أن الشاكر هو المستغرق في الثناء على المنعم بما[1] يجب عليه من العمل من فناء أو غيره بحسب ما يقدر عليه ، و كان ٥ ذلك العمل مما يجوز أن يكون زين لذلك العبد كونه حسنا و هو ليس كذلك ، قال صلى الله عليه و سلم مشيرا إلى هذا المعنى : ﴿و ان اعمل صلحا﴾ أي في نفس الأمر . و لما كان العمل الصالح قد لا يرضى المنعم لنقص في العامل كما قيل [2]في معنى ذلك[2] :

/ إذا كان المحب قليل حظ فما حسناته إلا ذنوب /٧٧٣

١٠ قال : ﴿ ترضنه﴾ .

و لما كان العمل الصالح المرضى قد لا يعلى[3] إلى درجة المرضى[4] عنهم ، لكون العامل منظورا إليه بعين السخط ، لكونه ممن سبق عليه الكتاب بالشقاء ، لأن الملك المنعم تام الملك عظيم الملك فهو بحيث لا يسأل عما يفعل ، قال معرضا عن عمله معترفا بعجزه ، معلما بأن المنعم ١٥ غني عن العمل و عن غيره ، لا تضره معصية و لا ينفعه طاعة : ﴿و ادخلني برحمتك﴾ أي لا بعملي[5] ﴿ في عبادك الصلحين ﴾ أي [لما -[6]] أردتهم له من تمام النعمة بالقرب و النظر إليهم بعين العفو

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : مما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد .
(٣) في ظ : على (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : المرض (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : بعمل (٦) زيد من ظ و مد .

و الرحمة و الرضا .

و لما كان التقدير : فوصل إلى المنزل الذى قصده فنزله و تفقد أحوال جنوده كما يقتضيه العناية بأمور الملك ، أى تجنب فقدم بأن تعرف من هو منهم موجود و من هو منهم مفقود[١] ، الذى يلزمه أن لايغيب أحد منهم : ﴿و تفقد الطير﴾ إذ[٢] كانت أحد أركان جنده ففقد الهدهد ٥ ﴿فقال ما لى﴾ أى أىّ شىء حصل لى حال كونى ﴿لآارى الهدهد ﴾ [٣]أى أهو[٣] حاضر ، و ستره عنى ساتر ، و قوله : ﴿ام كان من الغآئبين ﴾ كما أنه يدل على ما[٤] قدرته يدل على أنه فقد جماعة من الجند ، فتحقق غيبتهم و شك فى غيبته ، و ذكره له دونهم يدل على عظيم منزلة الهدهد[٤] فيما له عنده من النفع ، [و أن غيبة غيره كانت بأمره عليه السلام . ثم ١٠ قال على سبيل الاستئناف إقامة لسياسة الملك ما يدل أيضا على عظمته -[٥]] ، قالوا : إنه يرى الماء فى الأرض كما يرى الإنسان[٦] الماء من داخل[٧] الزجاج فينقر الأرض فتأتى الشياطين فتستخرجه : ﴿لاعذبنه﴾ أى بسبب غيبته فيما لم آذن فيه ﴿عذابا شديدا﴾ أى مع إبقاء روحه تأديبا له و ردعا لأمثاله ﴿او لاَ اذْبحنَّهٓ﴾ أى تأديبا لغيره ﴿او لياتينى﴾ أى ليكون[٨] ١٥ أحد هذه الثلاثة الأشياء ، أو تكون " أو " الثانية بمعنى ' إلا أن '

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اذا (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو .
(٤) سقط من ظ ومد (٥) زيد من ظ ومد (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : الارض (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : دخل (٨) فى ظ : ليكون .

فيكون المعنى : ليكونن[1] أحد الأمرين[2] : التعذيب أو الذبح ، إلا أن يأتيني[3] ﴿ بسلطن مبين ﴾ أي حجة واضحة في عذره ، فكأنه قال : و الله ليقيمن عذره أو لأفعلن معه أحد الأمرين[4] ﴿ فمكث ﴾ أي فترتب على ذلك أنه مكث[5] بعد الحلف [6]بالتهديد زمانا[6] قريبا ﴿ غير بعيد ﴾ من زمان التهديد ، و أتى خوفا من هيبة سليمان عليه السلام ، و قياما بما يجب عليه من الخدمة[7] ، [قرأه عاصم و روح عن يعقوب بفتح الكاف على الأغلب في الأفعال الماضية ، و ضمه الجماعة إشارة إلى شدة الغيبة عن سليمان عليه السلام ليوافق إفهام حركة الكلمة ما أفهمه تركيب الكلام -[8]] ﴿ فقال ﴾ [عقب إتيانه مفخما للشأن و معظما لرتبة العلم و دافعا لما علم أنه أضمر من عقوبته -[8]] : ﴿ احطت ﴾ أي علما ﴿ بما لم تحط به ﴾ أي أنت من اتساع علمك و امتداد ملكك ، و الإحاطة : العلم بالشيء من جميع جهاته ، و في هذه المكافحة التنبيه على أن أضعف الخلق قد يؤتى ما لا يصل إليه أقواهم لتتحاقر إلى العلماء علومهم و يردوا العلم في كل شيء إلى الله ، و فيه إبطال لقول[9] الرافضة : إن الإمام لا يخفى عليه شيء ، و لا يكون في زمانه من هو أعلم منه .

و لما أبهمه تشويقا[10] ، و أخذ بمجامع القلب إلى تعرفه ، ثنى بمدح

---

(١) في ظ : ليكون (٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : اتاني (٤) زيد في الأصل : قريبا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥) زيد في ظ : اي (٦ - ٦) في ظ : و التهديد زمنا - كذا (٧) زيد في الأصل : من جميع الجهات ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : القول (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : تشريفا .

/ الخبر مجلياً بعض إبهامه، هزاً للنفس إلى طلب إتمامه، فقال: ﴿ و جئتك ﴾ أى الآن ﴿ من سبا ﴾ قيل: إنه اسم رجل صار علما[1] لقبيلة، و قيل: أرض فى بلاد اليمن، و حكمة تسكين قبل[2] له بنية الوقف الإشارة[3] إلى تحقير أمرهم بالنسبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام بأنهم ليست لهم معه حركة أصلا على ما هم فيه من الفخامة و العز و البأس الشديد ﴿ بنبا ﴾ أى خبر عظيم ﴿ يقين ﴾ و هو من أبدع الكلام موازنة فى اللفظ و مجانسة[4] فى الخط مع ما له من الانطباع و الرونق، فكأنه قيل: ما هو؟ فقال: ﴿ انى وجدت امراة ﴾ و هى بلقيس بنت شراحيل ﴿ تملكهم ﴾ [أى أهل سبأ -[5]].

/ ٧٧٤

و لما كانت قد أوتيت من كل ما يحتاج إليه الملوك أمرا كبيرا قال: ﴿ و اوتيت ﴾ بنى الفعل للمفعول[6] إقرارا بأنها[6] مع ملكها مربوبة ﴿ من كل شىء ﴾ تهويلا لما رأى من أمرها.

و لما كان عرشها - أى السرير الذى تجلس عليه للحكم - زائدا فى العظمة، خصه بقوله: ﴿ و لها عرش ﴾ أى سرير تجلس عليه للحكم ﴿ عظيم ﴾ أى لم أر لأحد مثله.

و لما كان فى خدمة أقرب أهل ذلك الزمان إلى الله لحصل له من النورانية ما هاله لأجله إعراضهم عن الله، قال مستأنفا تعجبيا:

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد و نثر المرجان ٥ / ٩١، و فى الأصل: مثل - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: للاشارة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مجالسة (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اقرار مع أنها هى.

﴿ وجدتها و قومها ﴾ أى كلهم على ضلال كبير، و ذلك أنهم ﴿ يسجدون للشمس ﴾ مبتدئين ذلك ﴿ من دون الله ﴾ أى [من - [1]] أدنى رتبة من رتب الملك الأعظم الذى لامثل له، و هى رتبة الأفعال لانها مصنوع من مصنوعاته تعالى سواء كان ذلك [2] مع الاستقلال [2] ٥ أو الشرك ﴿ و زين لهم الشيطٰن اعمالهم ﴾ أى هذه القبيحة حتى صاروا يظنونها حسنة .

و لما تسبب عن ذلك أنه أعماهم عن طريق الحق قال: ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ أى الذى لا سبيل إلى الله غيره، و هو الذى بعث به [3] أنبياءه و رسله عليهم الصلاة و السلام .

١٠ و لما تسبب عن ذلك ضلالهم، قال: ﴿ فهم ﴾ أى بحيث ﴿ لا يهتدون ﴾ أى لايوجد لهم هدى، بل هم فى ضلال صرف، و عمى [4] محض .

و لما كان هذا الضلال عجبا فى نفسه فضلا عن أن يكون من قوم يجمعهم جامع ملك مبناه السياسة [5] التى محطها [5] العقل الذى هو نور الهداية، و دواء الغواية، علله بانتفاء أعظم مقرب إلى الله: السجود، تعظيما له ١٥ و تنويها به فقال: ﴿ الّا ﴾ [أى لئن لا - [1]] ﴿ يسجدوا ﴾ أى حصل لهم هذا العمى العظيم الذى استولى به [6] عليهم الشيطان لانتفاء سجودهم، و يجوز

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاستقلال .
(٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل: صرف، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥-٥) زيد من ظ و مد، و فى الأصل: الذى محطها (٦) سقط من ظ .

أن يتعلق بالتزيين، أى زين لهم لئلا يسجدوا ﴿لله﴾ أى يعبدوا الذى له الكمال كله بالسجود الذى هو محل الأنس، و محط القرب، و دارة المناجاة، و آية المعافاة، فانهم لو سجدوا له سبحانه لاهتدوا، فان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، ففات الشيطان ما يقصده منهم من الضلال، و على قراءة الكسائى و أبى جعفر[1] بالتخفيف [2]و إشباع فتحة الياء[2] ٥ يكون استئنافا، بدئ بأداة الاستفتاح تنبيها لهم على عظم المقام لئلا / يفوت ٧٧٥ / الوعظ أحدا منهم بمصادفته غافلا، ثم نادى لمثل ذلك و حذف المنادى إيذانا بالاكتفاء بالإشارة لضيق الحال، خوفا من المبادرة بالنكال عن استيفاء العبارة التى كان حقها: ألايا هؤلاء اسجدوا لله، أى لتخلصوا من أمر[3] الشيطان، فان السجود مرضاة للرحمن، و مجلاة[4] للعرفان، و مجناة ١٠ لثمام الهدى و الإيمان.

[5]و لما كانت [القصة -[6]] فى بيان علمه سبحانه السابق لعلم الخلائق المستلزم للحكمة، وصفه بما يقتضى ذلك فقال: ﴿الذى يخرج الخبء﴾ و هو الشىء المخبوء[7] بالفعل المخفى فى غيره، و هو ما وجد و غيب عن الخلق كالماء الذى فى بطن[8] الأرض، أو بالقوة و هو ما لم يوجد أصلا، ١٥ و خصه بقوله: ﴿فى السموت و الارض﴾ لأن ذلك منتهى مشاهدتنا،

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٩٣ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) فى ظ: امر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مجراة (٥) العبارة من هنا إلى «ذلك فقال» ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الخبا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بعض.

فننظر ما [1]يتكون فيها[1] بعد أن لم [يكن -[2]] من سحاب و مطر و نبات و توابع ذلك من الرعد و البرق و غيرهما، و ما يشرق من الكواكب و يغرب - إلى غير ذلك من الرياح، و البرد و الحر، و الحركة و السكون، و النطق و السكوت[3]، و ما [لا -[2]] يحصيه إلا الله تعالى، و المعنى أنه ٥ يخرج ما هو فى عالم الغيب فيجعله فى عالم الشهادة.

و لما كان ذلك قد [يخص بما لم يضمر فى القلوب كالماء الذى كان يخرجه الهدهد و كان ذلك قد -[2]] يعرف بأمارات، و كان ما تضمره القلوب[4] أخفى، قال: ﴿و يعلم ما يخفون[5]﴾ و لما كان هذا مستلزما لعلم الجهر، و كان للتصريح ما ليس لغيره من المكنة و الطمأنينة، مع ١٠ أن الإعلان ربما[6] كان فيه من اللغط [7]و اختلاط[7] الأصوات ما يمنع [8]المستمع من العلم[8]، قال: ﴿ و ما يعلنون[5]﴾ أى يظهرون.

و لما كان هذا الوصف موجبا لأن يعبد سبحانه وحده، صرح بما يقتضيه فى قوله: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له؛ [و لما كان هذا إشارة إلى أنه لا سمى له، أبعه التصريح بأنه لا كفوء له -[2]] ١٥ فقال: ﴿لآ اله الا هو ﴾ و لما [كان -[2]] وصف عرشها بعظم ما، قال: ﴿ رب﴾ أى[2] مبدع و مدبر ﴿العرش العظيم﴾ (السجدة) أى الكامل فى

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: تكون بها (٢) زيد من ظ و مد. (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الظنون (٥) قرأه الكسائى و حفص بالتاء الفوقانية - راجع نثر المرجان ٥/٩٤ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: المستمتع للعلم.

العظم الذى لا عظيم[1] يدانيه، و هو محتو على جميع الأكوان، [و قد ثبت أن صاحبه أعظم منه و من كل عظيم بآية الكرسى و بغيرها، فقطع ذلك لسان التعنت عند ذكره مع مزيد اقتضاء السياق له لأنه للانفراد بالإلهية المقتضية للقهر و الكبر بخلاف آية[2] المؤمنون - [3]]، و هذه آية سجدة على كل[4] القراءتين، لأن مواضع السجود إما مدح [5]لمن أتى[5] بها، أو ذم ٥ لمن تركها، كقراءة التشديد، أو أمر بالسجود كقراءة التخفيف، [و الكل ناظر إلى العظمة - [3]].

و لما صح قوله فى كون هذا خبرا عظيما، و خطبا جسيما، حصل التشوف إلى جوابه فقيل: ﴿ قال ﴾ أى سليمان عليه السلام للهدهد: ﴿ سننظر ﴾ أى نختبر ما قلته ﴿ اصدقت ﴾ أى فيه فنعذرك. و لما ١٠ كان الكذب بين يديه - لما أوتيه من العظمة بالنبوة و الملك الذى لم يكن لأحد بعده - يدل على رسوخ القدم فيه، قال: ﴿ ام كنت ﴾ أى كونا هو كالجبلة[6] ﴿ من الكذبين ﴾ - أى معروفا بالانخراط فى سلكهم، [فانه لايجترئ على الكذب عندى إلا من كان عريقا فى الكذب - [3]] دون "أم كذبت" لأن هذا يصدق بمرة واحدة. ١٥ ثم شرع فيما يختبره به، فكتب له كتابا على الفور فى غاية الوجازة قصدا للاسراع فى إزالة المنكر على تقدير / صدق الهدهد بحسب الاستطاعة، و دل على إسراعه فى كتابته بقوله جوابا له: ﴿اذهب بكتبى هذا﴾ [7] قول من /٧٧٦

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عظم (٢) ٨٦ (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لوافى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بالجبلة (٧) زيد فى الأصل: اى هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

كان مهيئا عنده و دفعه إليه .

و لما كان عليه السلام قد زاد قلقه بسجودهم لغير الله، أمره بغاية الإسراع، و كأنه كان[1] أسرع الطير طيرانا و أمده الله زيادة على ذلك بمعونة منه إكراما لنبيه صلى الله عليه و سلم فصار كأنه البرق، فأشار إلى ذلك بالفاء في قوله: ﴿فالقه﴾ و لما [لم - [2]] يخصها[3] في الكتاب دونهم بكلام[4] لتصغر إليهم أنفسهم بخطابه مع[5] ما يدلهم على عظمته[6]، جمع فقال: ﴿اليهم﴾ أي الذين[7] ذكرت أنهم يعبدون الشمس، و ذلك للاهتمام بأمر الدين .

و لما كان لو تأخر عنهم بعد إلقائه إلى موضع يأمن فيه على نفسه على ما هو فيه من السرعة لداخلهم شك في أنه هو الملقي له، أمره بأن يمكث بعد إلقائه يرفرف على رؤسهم حتى يتحققوا أمره، فأشار سبحانه إلى ذلك بأداة التراخي بقوله: ﴿ثم﴾ أي بعد وصولك و إلقائك ﴿تول﴾ أي تنح ﴿عنهم﴾ إلى مكان تسمع فيه كلامهم و لا يصلون معه إليك ﴿فانظر﴾ عقب توليك[8] ﴿ما ذا يرجعون ۝﴾ أي من القول من بعضهم إلى بعض بسبب الكتاب .

و لما كان العلم واقعا بأنه يفعل ما أمر به لامحالة، و أنه لا يدفعه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ : يصنها (٤) في ظ : و كلام (٥) في ظ : على (٦) في ظ : عظمتهم (٧) من ظ و مد، و في الأصل : الذي (٨) زيد في الأصل : سواء، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

إلا إلى الملكة[1] التي بالغ في[2] وصفها، تشوفت النفس إلى قولها عند ذلك، فكان كأنه قيل: فأخذ الكتاب و ذهب به، فلما ألقاه إليها و[3] قرأته، وكانت قارئة كاتبة من قوم تبع ﴿قالت﴾ لقومها بعد أن جمعتهم معظمة لهم، أو لأشرافهم فقط: ﴿يأيها الملؤا﴾ أي الأشراف.

و لما كان من شأن الملوك أن لا يصل إليهم أحد بكتاب و لا غيره ٥ إلا على أيدي جماعتهم، عظمت[4] هذا الكتاب بأنه وصل إليها على غير ذلك المنهاج فبنت[5] للمفعول قولها: ﴿إني ألقي إلي﴾ أي بالقاء ملق على وجه غريب ﴿كتب﴾ أي صحيفة مكتوب فيها كلام وجيز جامع.

و لما كان الكريم - كما تقدم في الرعد - من ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها لأنه ضدا للئيم، وكان هذا الكتاب قد حوى من الشرف ١٠ أمرا باهرا لم يعهد مثله من جهة المرسل و الرسول و الافتتاح بالاسم الأعظم إلى ما له من وجازة اللفظ و بلوغ المعنى، قالت[6]: ﴿كريم ٥﴾ ثم بينت كرمه أو استأنفت جوابا لمن يقول: ممن هو و ما هو؟ فقالت: ﴿انه﴾ أي الكتاب ﴿من سليمن﴾ و فيه [دلالة -[7]] على أن الابتداء باسم صاحب الكتاب لا يقدح في الابتداء بالحمد ﴿وانه﴾ أي ١٥ المكتوب فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم لا﴾ لحمد المستحق للحمد و هو الملك الأعلى المحيط عظمه بدائرتي الجلال و الإكرام، العام الرحمة[8]

(١) في ظ: اللائكة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: بعد.
(٤) من ظ و مد، و في الأصل: عظمته (٥) من ظ و مد، و في الأصل: فبنيت (٦) من ظ و مد، و في الأصل: قال (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و في الأصل: الرحمن رحمة.

بكل نعمة ، فلك[1] الملوك من فائض ما له من الإنعام الذى يخص بعد العموم من يشاء بما يشاء مما ترضاه ألوهيته من إنعامه العام ، بعد التعريف باسمه / إشارة[2] إلى أنه المدعو إليه للعبادة بما وجب له لذاته و ما استحقه بصفاته ، و ذلك كله بعد التعريف بصاحب الكتاب ليكون[3] ذلك أجدر ٥ بقبوله ، لأن أكثر الخلق إنما يعرف الحق بالرجال ، و لما فى كتابه من الدلالة على نبوته ، فسر مراده[4] بأمر قاهر فقال[5] : ﴿ الا تعلوا علىّ ﴾ أى لاتمتنعوا[6] من الإجابة لى ، و الإذعان لأمرى ، كما يفعل الملوك ، بل اتركوا علوهم[7] ، لكونى داعيا إلى الله الذى أعلمت فى باء البسملة بأنه لا تكون حركة و لا سكون إلا به ، فيجب الخضوع له لكونه رب كل ١٠ شىء ﴿ و اتونى مسلمين ع ﴾ أى منقادين خاضعين بما رأيتم من معجزتى فى أمر الكتاب .

/٧٧٧

و لما تشوفت النفس إلى جوابهم ، أعلم[8] سبحانه بأنهم بهتوا فقال : ﴿ قالت يـٰايها الملؤا ﴾ ثم بينت ما داخلها[9] من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها : ﴿ افتونى ﴾ أى تكرموا علىّ بالإبانة عما أفعله ﴿ فىٓ امرى ج ﴾ ١٥ هذا الذى أجيب[10] به عن هذا الكتاب ، جعلت المشورة فتوى توسعا ، لأن الفتوى الجواب فى الحادثة ، و الحكم بما هو صواب[11] ، مستعار من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملك (٢) فى ظ : فشارف (٣) فى ظ : فيكون.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يراده (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لاتمنعوا.
(٧) من ظ و مد ، و فى الاصل : علوكم (٨) زيد فى ظ : انه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : داخلا ـ كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجبت .
(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : صوابه .

الفتاء فى السن الذى هو صفوة العمر؛ ثم عللت أمرها لهم [١] بذلك بأنها [٢] شأنها دائما مشاورتهم فى كل جليل و حقير، فكيف بهذا الأمر الخطير، و فى ذلك استعطافهم بتعظيمهم، و إجلالهم و تكريمهم، فقالت: ﴿ما كنت﴾ أى كونا ما ﴿قاطعة امرا﴾ أى فاعلته و فاصلته غير مترددة فيه ﴿حتى تشهدون ﴾ و قد دل هذا على غزارة عقلها و حسن ٥ أدبها، و لذلك جنت ثمرة أمثال ذلك طاعتهم لها فى المنشط و المكره، فاستأنف تعالى الإخبار عن جوابهم بقوله: ﴿قالوا﴾ أى الملأ مائلين إلى الحرب: ﴿نحن اولوا قوة﴾ أى بالمال و الرجال ﴿و اولوا باس﴾ أى عزم فى الحرب ﴿شديد﴾ ﴿و الأمر﴾ راجع [و - [٣]] موكول ﴿اليك﴾ أى كل من المسالمة و المصادمة ﴿فانظرى﴾ [٤] بسبب أنه لا نزاع [٥] معك ١٠ ﴿ما ذا تامرين ﴾ أى به فانه مسموع.

و لما علمت أن [٦] من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء يريده، و لا أحد يكيده، [٧] مالت إلى [٧] المسالمة، فاستأنف سبحانه و تعالى الإخبار عنها بقوله: ﴿قالت﴾ [٤] جوابا لما أحست فى جوابهم من ميلهم إلى الحرب أن [٨] الصواب من غير ارتياب أن نحتال فى عدم قصد ١٥ هذا الملك المطاع؛ ثم عللت هـذا الذى أفهمه سياق كلامها بقولها:

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بان (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يدع (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: سالمت اى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الى.

﴿ ان الملوك ﴾ أى مطلقا ، فكيف بهذا النافذ الأمر ، العظيم القدر ﴿ اذا دخلوا قرية ﴾ أى عنوة بالقهر [1]و الغلبة[1] ﴿ افسدوها ﴾ أى [2]بالنهب و التخريب[2] ﴿ و جعلوآ اعزة اهلهآ اذلة ج ﴾ أى بما يرونهم من البأس ، و يحلون بهم من السطوة . ثم أكدت هذا المعنى بقولها :
٥ ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل هذا الفعل العظيم الشأن ، الوعر المسلك / البعيد الشاو[3] ﴿ يفعلون ه ﴾ دائما ، هو خلق لهم مستمر جميعهم على هذا ، فكيف بمن تطيعه الطيور ، ذوات الوكور ، فيما يريده من الأمور .

/ ٧٧٨

و لما بينت ما فى المصادمة من الخطر ، أتبعته ما عزمت عليه من المسالمة ، فقالت : ﴿ و انى مرسلة ﴾ و أشار سبحانه إلى عظيم ما ترسل ١٠ به بالجمع فى قولها : ﴿ اليهم ﴾ أى إليه و إلى جنوده ﴿ بهدية ﴾ أى تقع منهم موقعا . قال البغوى[4]: و هى العطية على طريق الملاطفة . ﴿ فنظرة ﴾ عقب ذلك و بسببه ﴿ بم ﴾ أى بأىّ شىء ﴿ يرجع المرسلون ه ﴾ بتلك الهدية عنه من المقال[5] أو الحال ، فنعمل بعد ذلك على حسب ما نراه من أمره ، فنكون قد سلمنا من خطر الإقدام على ما لم نعرف عاقبته ، ١٥ و لم يضرنا ما فعلنا شيئا .

و لما كان[6] التقدير : فأرسلت بالهدية ، و هى فيما يقال خمسمائة

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالغلبة (٢-٢) فى ظ : بالهرب و التخويف - كذا (٣) من مد ، و فى الأصل : المشار ، و فى ظ : التناول - كذا (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٢٠ (٥) من ظ ، و فى الأصل : المال ، و الكلمة ساقطة من مد (٦) فى ظ : كانت .

غلام مرد، زينتهم بزى الجوارى، و أمرتهم بتأنيث الكلام، و خمسمائة
جارية فى زى الغلمان، و أمرلهم بتغليظ الكلام. و جزعة معوجة الثقب،
و درة غير مثقوبة - [و غير ذلك -[1]]، و سألته[2] أن يميز بين الغلمان
و الجوارى، و أن يثقب الدرة، و أن يدخل فى الجزعة[3] خيطا، فأمرهم
بغسل الوجوه و الأيدى، فكانت الجارية تأخذ الماء باحدى يديها ثم ٥
تنقله إلى الأخرى ثم تضرب الوجه و تصب الماء على باطن ساعدها
صبا، وكان الغلام كما يأخذ الماء[4] يضرب به وجهه و يصب الماء على
ظهر الساعد و يحدره على يديه حدرا، و أمر الأرضة فثقبت الدرة،
و الدودة فأدخلت السلك فى الثقب المعوج، رتب عليه قوله مشيرا
بالفاء إلى سرعة[5] الإرسال: ﴿ فلما جآء ﴾ أى الرسول الذى بعثته ١٠
[6]و أرسلته[6]، و المراد به الجنس؛ قال أبوحيان[7]: و هو يقع على الجمع
و المفرد و المذكر و المؤنث. ﴿ سليمن ﴾ فدفع إليه ذلك ﴿ قال ﴾ أى
سليمان عليه السلام للرسول و لمن فى خدمته استصغارا لما[8] معه:
﴿ اتمدونن ﴾ أى أنت و من معك و من أرسلك ﴿ بمال ﴾ [و إنما
قصدى لكم لأجل الدين -[9]]، تحقيرا لأمر الدنيا و إعلاما بأنه لا التفات ١٥

---

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الحديد (٤) زيد فى الأصل: لما، و لم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى ظ: الى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين
من ظ و مد (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ٧٤ (٨) فى ظ: لمن (٩) زيد
من ظ و مد.

له نحوها بوجه، ولا يرضيه شيء دون طاعة الله. ثم سبب عنه ما أوجب له [1]استصغار ما معه[1] فقال: ﴿فمآ ءاتىٰنِ ۦ الله﴾ أى الملك الأعظم الذى له جميع الكمال من المال و الجلال بالنبوة و الملك و القرب منه سبحانه، و هو الذى يغنى مطيعه عن كل ما سواه، فمهما سأله أعطاه، و ذلك أنه صف الشياطين ٥ و الإنس و السباع و الوحش و الطير و الهوام صفوفا فراسخ عدة، و بسط[2] المكان كله بلبن الذهب إلى غير ذلك مما يليق به ﴿خير ممآ ءاتىٰكم ج﴾ أى من [الملك -[3]] الذى لا نبوة فيه، و لا تأييد [4]من الله[4].

و لما كان التقدير: و لكنكم[5] لاتعلمون أن هديتكم مما زهد فيه لتقيدكم بظاهر [من -[3]] الحياة الدنيا، نسق عليه قوله: ﴿ بل انتم ﴾ ١٠ أى بجهلكم لذلك تستعظمون ما أنتم فيه، فأنتم ﴿ بهديتكم تفرحون ۝ ﴾ بتجويزكم أن الدنيا تردنى عنكم / لأنها غاية قصدى، و يجوز أن يراد /٧٧٩ أنكم تفرحون بما يهدى إليكم فتتركون من كنتم تريدون غزوه لأجل ما آتاكم [منه -[3]] من الدنيا، فحالى خلاف حالكم، فانه لا يرضينى إلا الدين. ثم أفرد الرسول إرادة لكبيرهم بقوله: ﴿ارجع﴾ و جمع فى قوله: ﴿اليهم﴾ ١٥ إكراما لنفسه، و صيانة لاسمها عن التصريح بضميرها، و تعميما لكل من يهتم بأمرها و يطيعها ﴿ فلناتينهم بجنود لا قبل ﴾ أى طاقة ﴿لهم بها﴾ أى بمقابلتها لمقاومتها و قلبها عن قصدها، أى لا يقدرون أن يقابلوها

(١ - ١) فى ظ و مد: استصغاره (٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لكنهم.

﴿ ولنخرجنهم منهآ ﴾ أى من بلادهم ﴿ اذلة ﴾ .

و لما كان الذل قد يكون لمجرد الانقياد، لا على سبيل الهوان، حقق المراد بقوله[1]: ﴿ و هم صاغرون ﴾ أى[2] لا يملكون شيئا من المنعة[3] إن لم يقروا بالإسلام .

و لما ذهب الرسل[4]، و علم صلى الله عليه و سلم مما رأى من ٥ تصاغرهم لما رأوا من هيبته و جلاله الذى حباه به ربه و عظمته أنهم يأتون بها مذعنة ﴿ قال ﴾ لجماعته تحقيقا لقوله " و اوتينا من كل شيء " لإعلامه بأنها استوثقت من عرشها : ﴿ يٰـايها الملؤا ﴾ أى الأشراف ﴿ ايكم ياتيني بعرشها ﴾ لنرى بعض ما آتانى الله من الخوارق، فيكون أعون على متابعتها فى الدين، و لآخذه قبل أن يحرم أخذه باسلامها، ١٠ و أختبر بـه عقلها ﴿ قبل ان ياتونى ﴾ [أى -[5]] [6]هى و جماعتها[6] ﴿ مسلمين ﴾ أى منقادين لسلطانى، تاركين لعز سلطانهم، منخلعين من عظيم شأنهم، ليكون[7] ذلك أمكن فى إقامـة الحجة عليها فى نبوتى و أعون على رسوخ الإيمان فى قلبها و إخلاصها فيه ﴿ قال عفريت ﴾ .

و لما كان هذا اللفظ يطلق على الأسد، و على المارد القوى، ١٥ و على الرجل النافذ فى الأمر المبالغ فيه مع دهاء و قوة - و قال الرازى :

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : بقولهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : النعمة (٤) فى ظ : الرجل (٥) زيد من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) فى ظ : فيكون .

مع خبث و مكر - و على غيره[1]، بينه بأن قال: ﴿من الجن انا﴾ [2] الداهية الغليظ الشديد[2] ﴿اتيك به﴾ و لما علم أن غرضه الإسراع قال: ﴿قبل ان تقوم من مقامك ج﴾ أى مجلسك هذا، ثم أوثق الأمر و أكده بقوله: ﴿و انى عليه﴾ أى الإتيان به سالما ﴿لقوى﴾ لا يخشى
٥ عجزى عنه ﴿امين ه﴾ لا يخاف انتقاضى[3] شيئا منه.

و لما كانت القصة لإظهار فضل العلم المستلزم للحكمة، دلالة على أنه تعالى حكيم عليم، ترغيبا فى القرآن، و حثا على ما أفاده من البيان، قال حاكيا[4] لذلك استئنافا جوابا لاستشرافه[5] صلى الله عليه و سلم لأقرب من ذلك: ﴿قال الذى عنده﴾.

١٠ و لما كان لكتب الله من العظمة ما لا يحيطه إلا الله، أشار إلى ذلك بتنكير ما لهذا الذى يفعل مثل[6] هذا الخارق العظيم من ذلك فقال: ﴿علم﴾ [تنبيها على أنه اقتدر على ذلك بقوة العلم ليفيد ذلك تعظيم العلم و الحث على تعلمه، و بين أن هذا الفضل إنما هو للعلم الشرعى فقال -[7]]: ﴿من الكتب﴾ أى الذى [لا كتاب فى الحقيقة
١٥ غيره، و هو المنسوب إلينا، و كأنه الذى -[7]] كان شهيرا فى ذلك الزمان، و لعله التوراة و الزبور، إشارة إلى أن من خدم كتابا حق الخدمة

---

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و على الرجل » ص ١٦٣ س ١٦ و الترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: انتقاص (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: جاليا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: انه - مع بياض قبله (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بمثل (٧) زيد من ظ و مد.

كان الله - تعالى كما ورد فى شرعنا - سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر بـه، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها، أى أنه يفعل / له ما يشاء، و قيل[1] فى تعيينه إنه آصف بن برخيا و كان صديقا عالما: ﴿ انا اتيك به ﴾ [2]و هذا أظهر فى كونه اسم فاعل لأن الفعل قارن الكلام[2]؛ و بين فضله على العفريت بقوله: ﴿قبل ان يرتد﴾ [أى يرجع -[3]] ﴿اليك طرفك[4]﴾ أى بصرك إذا طرفت بأجفانك فأرسلته إلى منتهاه[4] ثم رددته؛ قال القزاز: طرف العين: امتداد بصرها حيث أدرك، و لذلك يقولون: لا أفعل ذلك[5] ما ارتد الىّ طرفى، أى ما دمت أبصر، و يقال: طرف[6] الرجل يطرف - إذا حرك جفونه، و قيل: الطرف اسم لجامع البصر لا يثنى و لا يجمع . و بين تصديق فعله لقوله أنه استولى عليه قبل أن يتحكم منه العفريت فبادر الطرف إحضاره كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ فلما راه ﴾ أى العرش .

/ ٧٨٠

٥

١٠

و لما كانت الرؤية قد تكون عن بعد و مجازية، و كذلك العندية، بين أنها حقيقية[7] باظهار العامل فى الظرف و من حقه فى غير هذا السياق الحذف فقال: ﴿ مستقرا عنده ﴾ أى ثابتا ثباتا لا مرية فيه، ما هو بسحر[8] و لا منام و لا مثال؛ قال الإمام جمال الدين ابن هشام[9] فى الباب

١٥

---

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ١٢٣ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: منتها. (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: طرق (٧) فى ظ: حقيقة (٨) من ظ ومد، و فى الأصل: مسحر (٩) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى المتوفى سنة ٧٦٢ هـ و اسم كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » - راجع =

الثلث من كتابه المغنى : زعم ابن عطية أن "مستقرا" هو المتعلق الذى يقدر فى أمثاله قد ظهر ، و الصواب ما قاله أبو البقاء و غيره من[1] أن هذا الاستقرار معناه عدم التحرك[2] لامطلق الوجود[3] و الحصول ، فهو كون خاص[3] . ﴿قال﴾ أى سليمان عليه السلام شكرا لما آتاه الله من هذه الخوارق : ﴿هٰذا﴾ أى الإتيان المحقق ﴿من فضل ربى﴾ أى المحسن إلىّ ، لا بعمل[4] أستحق به شيئا ، فانه أحسن إلىّ باخراجى[5] من العدم و تطويقى للعمل[6] ، فكل عمل نعمة منه يستوجب علىّ به الشكر ، و لذلك قال ﴿ليبلونى﴾ أى يفعل معى فعل المبتلى الناظر ﴿ءاشكر﴾ فأعترف بكونه فضلا ﴿ام اكفر﴾ بظن أنى أوتيته باستحقاق . ثم زاد فى حث نفسه على الشكر بقوله : ﴿و من شكر﴾ أى أوقع الشكر لربه ﴿فانما يشكر لنفسه﴾ فان نفعه لها ، و أما[7] الله تعالى فهو أعلى من أن يكون له فى شىء نفع أو عليه فيه ضر ﴿و من كفر فان ربى﴾ أى المحسن إلىّ بتوفيق لما أنا فيه من الشكر ﴿غنى﴾ أى عن شكر ، لا يضره تركه شيئا ﴿كريم﴾ يفعل معه بادرار النعم عليه فعل من أظهر محاسنه و ستر مساوئه ، [ثم هو جدير بأن يقطع إحسانه إن استمر على إجرامه كما

= كشف الظنون ٢/٤٧٣ .

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الترك (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : باخراج حى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العمل . (٧) من مد ، و فى الأصل : انا ، و الكلمة ساقطة من ظ .

يفعل

يفعل الغنى بمن أصر على كفر إحسانه فاذا هو قد هلك - [1]] .

و لما قدم - كما هو دأب الصالحين - الشكر، و علم أنه يفعل في العرش ما لأجله أحضره، تشوفت النفس إليه فأجيبت[2] بقوله: ﴿قال﴾ [أى -[1]] سليمان عليه السلام: ﴿نكروا لها عرشها﴾ أى بتغيير بعض معالمه و هيئته اختبارا لعقلها كما اختبرتنا هى بالوصفاء و الوصائف ٥ و الدرة و غير ذلك، و إليه الإشارة بقوله: ﴿ننظر اتهتدى﴾ أى إلى معرفته فيكون ذلك سببا لهدايتها فى[3] الدين ﴿ام تكون من الذين﴾ شأنهم أنهم ﴿لايهتدون ه﴾ أى بل هم فى غاية الغباوة[4]، لايتجدد لهم اهتداء، / بل لو هدوا لوقفوا عند الشبه، و جادلوا بالباطل و ما حلوا. و أشار ٧٨١ / إلى سرعة مجيئها إشارة إلى خضوعها بالتعبير بالفاء فى قوله: ﴿فلما جآءت﴾ ١٠ وكان مجيئها - على ما قيل - فى اثنى عشر ألف قيل من وجوه اليمن، تحت يد كل قيل ألوف كثيرة، وكانت قد وضعت[5] عرشها داخل بيت منيع، و وكلت به حراسا أشداء ﴿قيل﴾ أى لها و قد رأت عرشها بعد تنكيره بتقليب[6] نصبه و تغييره، [7]من قائل لايقدر على السكوت عن جوابه لما نالها من الهيبة و خالطها من الرعب من عظيم ما رأت[7]، فقرعها ١٥ بكلمة تشمل على أربع كلمات: هاء التنبيه، و كاف التشبيه، و اسم الإشارة،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاجيب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : للغباوة (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : وصفت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : و تقليب.
(٧-٧) تأخر ما بين الرقمين ومد فى الأصل عن «اهكذا » و الترتيب من ظ و مد.

مصدرة بهمزة الاستفهام، أى تنبهى ﴿ أهكـذا ﴾ أمثل ذا العرش ﴿عرشك[1] قالت﴾ عادلة عن حق[2] الجواب من 'نعم' أو'لا' إشارة إلى أنها غلب على ظنها أنه هو بعينه كما قالوا فى "كأن زيدا قائم": ﴿ كانه هو ج ﴾ و ذلك يدل على ثبات كبير، و فكر ثاقب، و نظر ثابت[3]، وطبع منقاد، لتجويز

٥ المعجزات و الإذعان لها مع دهشة القدوم، و اشتغال الفكر بما دهمها من هيبته و عظيم أمره، فعلم سليمان عليه السلام [رجاحة عقلها و بطلان ما قال الشياطين من نقصه خوفا من أن يتزوجها فتفشى عليه أسرار الجن لأن أمها كانت جنية - [4]] - على ما قيل[5]، و قالوا : إن رجلها كحافر الحمار، و إنها كثيرة الشعر جدا .

١٠ و لما كانت مع ذلك قد شبه عليها و لم تصل إلى حاق الانكشاف مع أنها غلبت على عرشها مع الاحتفاظ[6] عليه، استحضر صلى الله عليه و سلم[7] ما خصه الله به من العلم زيادة فى حثه على الشكر، فقال عاطفا على ما تقديره: فأوتيت من أمر عرشها علما، و لكنه يخالجه[8] شك، فدل[9] على أنها فى الجملة من[10] أهل العلم[11] المهيئ للهداية، أو[12] يكون التقدير

---

(١) العبارة من هنا إلى « زيدا قائم » ساقطة من ظ (٢) فى مد : سياق (٣) من مد، و فى الأصل : باهت، و فى ظ : مايت - كذا (٤) زيد من ظ و مد . (٥) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/١٢٤ (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : احتفاظ . (٧) زيد فى الأصل : فضل، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : يخالطه (٩) من ظ و مد . و فى الأصل : فدخل . (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : مما (١١) من ظ و مد . و فى الأصل : العلم (١٢) فى ظ « و » .

بما دل عليه ما يلزم من قولها " كأنه " : بجهات[1] أمر عرشها على كثرة ملابستها له : ﴿ و اوتينا ﴾ معبرا بنون الواحد المطاع ، لاسيما و المؤتى سبب لعظمة شرعية ، و هو العلم الذى لايقدر على إيتائه[2] غير الله ، و لذلك بنى الفعل[3] للفعول لأن فاعله معلوم ﴿ العلم ﴾ أى[4] بجميع ما آتانا الله عليه ، و منه أنه يخفى عليها ﴿من قبلها﴾ أى من قبل إتيانها ، [5]بأن عرشها ٥ يشتبه عليها ، أو[6] من قبل علمها بما ظنت من أمر عرشها ، أو أنا و أسلافى من قبل وجودها ، فنحن عريقون فى العلم ، فلذلك نحن على حقيقة من جميع أمورنا ، و إنما قال " ننظر اتهتدى " بالنسبة إلى جنوده . ثم ذكر السبب فى وجود العلم و اتساعه و ثباته فقال : ﴿ وكنا ﴾ أى مع العلم الذى هيأنا الله له بما جعل فى غرائزنا من[7] النورانية ﴿مسلمين ﴾ أى خاضعين ١٠ لله تعالى عريقين فى ذلك مقبلين على جميع أوامره بالفعل على حسب أمره كما أشار إليه قوله تعالى[8] " و اتقوا الله و يعلمكم الله " ، " يهديهم ربهم بايمانهم[9] " .

و لما كان المعنى : و أما[10] هى فانها و إن أوتيت علما فلم يكن ثابتا ، و لا كان معه دين ، ترجمه بقوله : ﴿و صدها﴾ / أى هى عن كمال العلم ١٥ / ٧٨٢

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجمات ـ كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعطايه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعله (٤) سقط من ظ .
(٥) العبارة من هنا إلى « أو أنا » تكررت فى الأصل فقط (٦) فى ظ والعبارة المتكررة : اى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٨) راجع سورة ٢ آية ٢٨٢ (٩) سورة ١٠ آية ٩ (١٠) فى ظ : انما .

كما صدها عن الدين ﴿ ما ﴾ أي المعبود الذي ﴿ كانت ﴾ أي [1]كونا ثابتا[1] في الزمن الماضي ﴿ تعبد ﴾ أي عبادة مبتدئة ﴿ من دون الله[2] ﴾ أي غير الملك الأعلى الذي[2] له الكمال كله أو أدنى رتبه من رتبته، وهي عبادة الشمس ليظهر الفرق بين حزب الله الحكيم العليم و[3]حزب إبليس

٥ السفيه الجهول[3] . ثم علل ذلك إشارة إلى عظيم نعمة الله عليه بالنعمة على أسلافه[4] بقوله : ﴿ انها ﴾ و قرئ[5] بالفتح على البدل من فاعل "صد" ﴿ كانت من قوم ﴾ أي ذوي بطش و قيام ﴿ كفرين ﴾ أي فكان ذلك سببا - و إن كانت في غاية من وفور العقل و صفاء الذهن و قبول العلم كما دل عليه ظنها في عرشها ، ما يهتدي له إلا من عنده قابلية الهدى - في

١٠ اقتفائها لآثارهم في الدين ، فصديت مرآة فكرها و نَبَتْ صوارم عقلها .

و لما تم ذلك ، كان كأنه قيل : هل كان بعد ذلك اختبار[6]؟ فقيل : نعم ! ﴿ قيل لها ﴾ [أي -[7]] من قائل من جنود سليمان عليه السلام ، فلم تمكنها المخالفة لما هناك من الهيبة بالملك و النبوة و الدين : ﴿ ادخلي الصرح ﴾ [و هو قصر -[7]] بناء قبل قدومها ، و جلس في صدره ، و جعل صحنه

١٥ من الزجاج الأبيض الصافي ، و أجرى تحته الماء ، و جعل فيه دواب البحر ، و أصله - كما قال في الجمع بين العباب و المحكم : بيت واحد يبنى منفردا ضخما

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الذين (٣-٣) من ظ و مد ، و في الأصل : علم السفينة الجهوك - كذا (٤) من ظ ومد، وفي الأصل : اسلامه (٥) راجع نثر المرجان ٥/١١٠ (٦) من ظ ومد، و في الأصل : اختيارا (٧) زيد من ظ و مد .

ضخما طويلا فى السماء، قال: و قيل: كل بناء متسع مرتفع، و قيل: هو القصر، و قيل: كل بناء عال مرتفع، و الصرح: الأرض المملسة. و صرحة الدار ساحتها. و دل على مبادرتها لامتثال الأمر [و سرعة دخولها - [1]] بالفاء فقال: ﴿ فلما راته ﴾ و عبر بما هو من الحسبان دلالة على أن عقلها و إن كان[2] فى غاية الرجاحة[3] ناقص لعبادتها لغير[4] الله فقال: ٥ ﴿ حسبتـــه ﴾ أى لشدة صفاء الزجاج و اتصال الماء بسطحه الأسفل ﴿ لجة ﴾ أى غمرة[5] عظيمة من ماء، فعزمت على خوضها[6] إظهارا لتمام الاستسلام ﴿ و كشفت عن ساقيها ﴾ أى لئلا تبتل ثيابها فتحتاج إلى تغييرها قبل الوصول إلى سليمان عليه السلام، فرآها أحسن الناس ساقا و قدما غير أنها شعراء. ١٠

و لما حصل مراده، استؤنف الإخبار عن أمره بعده فقيل: ﴿ قال ﴾ أى مبينا لعظم[7] عقله و علمه. و حكمته و قدرته، مؤكدا لأنه لشدة اشتباهه [8]بجودة المادة[8] و تناهى حسن الصنعة[9] و إحكامها لا يكاد يصدق أنه حائل دون الماء: ﴿ انه ﴾ أى هذا الذى ظننته ماءا ﴿ صرح ﴾ أى قصر ﴿ ممرد ﴾ أى مملس، و أصل المرودة[10]: الملاءمة و الاستواء ١٥

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: كانت (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الزجاجة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بغير (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: من شدة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كونها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لعظيم (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: جودة الماء (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الصفة (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: المرود.

﴿ من ﴾ أى كائن من ﴿ قواريرَ ﴾ أى زجاج ليتصف بشفوفة الماء فيظن أنه لا حائل دونه، فلما رأت ما فضله الله به من العلم : المؤيد بالحكمة، المكمل بالوقار و السكينة، المتمم بالخوارق، بادرت إلى طاعته علما بأنه رسول الله، فاستأنف تعالى الإخبار عن ذلك[1] بقوله : ﴿ قالت ﴾

٥ مقبلة [2]على من[2] آتاه، للاستمطار من فضله، و الاستجداء من عظيم وبله : ﴿ ربّ ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ﴿ انى ظلمت نفسى ﴾ أى بما كنت فيه[3] من العمى بعبادة غيرك عن[4] عبادتك ﴿ و اسلمت ﴾ أى ليظهر علىّ ثمرات[5] الإسلام.

/ ٧٨٣ و لما / ذكرت هذا الأساس الذى لا يصح بناء[6] طاعة إلا عليه،

١٠ أتبعته الداعى[7] الذى لا تتم ثمرات الأعمال المؤسسة عليه إلا بحبه، و الإذعان له، و الانقياد و الاعتراف بالفضل، و بهدايته إلى ما يصلح منها و ما لا يصلح علــى[8] الوجوه التى لا تقوم إلا بها من الكميات و الكيفيات. فقالت[9] : ﴿ مع سليمٰن ﴾.

و لما ذكرت صفة الربوبية الموجبة للعبادة بالإحسان، ذكرت الاسم

١٥ الأعظم الدال على الذات المستجمع للصفات الموجبة للالهية [للذات - [10]]

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : دعاية - كذا (٢-٢) فى ظ : لمن (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ : من (٥) زيد فى الأصل : الايمان و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : عن (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : فقال (١٠) زيد من ظ و مد.

فقالت : ﴿ لله ﴾ أى مقرة له بالألوهية[1] والربوبية على سبيل الوحدانية . ثم رجعت [إشارة - [2]] إلى العجز عن معرفة الذات حق المعرفة إلى الأفعال التى هى بحر المعرفة فقالت : ﴿رب العلمين ﴾ فعمت بعد أن خصت إشارة إلى الترقى من حضيض دركات العمى إلى أوج درجات الهدى ، فلله درها ما أعلمها ! و أطيب أعراقها و أكرمها ! و يقال : إن ٥ سليمان عليه السلام تزوجها و اصطنع الحمام - و هو أول من اتخذه[3] - و أذهب شعرها بالنورة .

و لما أتم سبحانه هذه القصة المؤسسة على العلم المشيد بالحكمة المنبئة[4] عن أن المدعوين فيها أطبقوا على الاستسلام للدخول فى الإسلام ، مع أبالة الملك و رئاسة العز ، و القهر على يد غريب عنهم بعيد منهم ، أتبعها ١٠ قصة انقسم أهلها مع[5] الذل و الفقر[5] فريقين مع أن الداعى منهم لا يزول باتباعه شىء من العز عنهم ، مع ما فيها من الحكمة ، و إظهار دقيق العلم بإبطال المكر ، بعد طول[6] الأناة و الحلم ، فقال تعالى مفتتحا بحرف التوقع و التحقيق لمن ظن أن هذا شأن كل رسول مع من[7] يدعوهم ، عاطفا على " و لقد اتينا داود " : ﴿ و لقد ارسلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ١٥ ﴿ الى ثمود ﴾ ثم أشار إلى العجب من توقفهم بقوله : ﴿اخاهم صلحا﴾ لجمع إلى حسن الفعل حسن الاسم و قرب النسب . ثم ذكر المقصود من الرسالة بما[8] لا أعدل منه و لا أحسن ، و هو الاعتراف بالحق لأهله .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالالهية (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : اتخذه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المنبة (٥-٥) فى ظ و مد : الفقر و الذل (٦) فى ظ و مد : طويل (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : ما . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .

فقال : ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم [الذى لا كفوء له - [1]]
وحده[2] ، و لاتشركوا به شيئا و لاسيما شيئا لايضر بوجه و لاينفع ،
بيانا لأن الرسل عليهم الصلاة و السلام متفقون على ذلك عربهم و عجمهم.
ثم زاد فى التعجيب منهم بما أشارت إليه الفاء و أداة المفاجأة من المبادرة
٥ إلى الافتراق بما يدعو إلى الاجتماع فقال : ﴿ فاذا هم ﴾ أى ثمود
﴿ فريقٰن ﴾ ثم بين بقوله : ﴿ يختصمون ه ﴾ أنها فرقة افتراق بكفر
و إيمان، لافرقة اجتماع فى هدى و عرفان، فبعضهم صدق صالحا و اتبعه
-كما مضى فى الأعراف . و تأتى هنا[3] الإشارة [إليه -[1]] بقوله "و بمن[4]
معك" - و بعضهم استمر على شركه و كذبه، وكل فريق يقول : أنا على
١٠ الحق و خصمى على الباطل . ثم استأنف بما / أشار إليه حرف التوقع ٧٨٤ /
من شدة التشوف قائلا : ﴿ قال ﴾ أى صالح مستعطفا فى هدايته :
﴿ يٰقوم ﴾ أى يا أولاد عمى و من فيهم كفاية للقيام بالمصالح
﴿ لم تستعجلون ﴾ [5]أى تطلبون العجلة [بالإتيان - [6]] ﴿ بالسيئة ﴾
أى الحالة التى مساءتها ثابتة[7] و هى العقوبة التى أنذرت بها من كفر
١٥ ﴿ قبل ﴾ الحالة ﴿ الحسنة ﴾ من الخيرات التى أبشركم بها فى الدنيا
و الآخرة إن آمنتم ، [8]و الاستعجال : طلب الإتيان بالأمر قبل الوقت

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ : لاشريك له (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : من (٥) العبارة من هنا إلى « من كفر » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٨) العبارة من هنا إلى «المضروب له » ص ١٧٥ س ١ وقعت فى الأصل قبل « بالسيئة » . و الترتيب من ظ و مد .

المضروب

المضروب له، و استعجالهم لذلك[1] للاصرار على سببه و قولهم استهزاء "ائتنا بما تعدنا" ﴿ لولا ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ تستغفرون الله ﴾ أى تطلبون غفران الذى له صفات الكمال لذنوبكم السالفة بالرجوع إليه بالتوبة باخلاص[2] العبادة له ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لتكونوا على رجاء[3] من أن تعاملوا [من كل من فيه خير -[4]] معاملة المرحوم [5]باعطاء الخير و الحماية من ٥ الشر[5]، ثم استأنف حكاية جوابهم فقال : ﴿ قالوا ﴾ فظاظة و غلظة مشيرين بالإدغام إلى أن ما يقولونه إنما يفهمه الحذاق بمعرفة الزجر [و إن كان الظاهر خلافه بما أتاهم به من الناقة التى كان فى وجودها من البركة أمر عظيم -[4]]: ﴿ اطيرنا ﴾ أى تشاءمنا ﴿ بك و بمن معك ﴾ أى و هم الذين آمنوا بك. فانه وقع بيننا بسببكم الخلاف، و كثر القال[6] و القيل ١٠ و الإرجاف، و حصلت لنا شدائد[7] و اعتساف. لأنا جعلناكم مثل الطائر الذى يمر من جهة الشمال - على ما يأتى فى الصافات ﴿ قال طٓئركم ﴾ أى ما تيمنون به فيثمر ما يسركم، أو تتشاءمون به[8] فينشا عنه ما يسوءكم[9]، و هو عملكم من الخير أو[10] الشر ﴿ عند الله ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بكل شىء علما و قدرة، و ليس شىء منه بيد غيره و لا ينسب إليه، [فان ١٥ شاء جعلنا سببه و إن شاء جعل غيرنا -[4]].

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : بذلك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : باخلاصكم (٣) فى ظ : الرجاء (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « فقال »، و الترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : المقال (٧) فى ظ : شديد (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : يسركم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل « و ».

و لما كان [معنى - [1]] نسبته إلى الله أن هذا الذى بكم الآن من الشر ليس منا، قال: ﴿ بل انتم قوم تفتنون ﴾ أى تختبرون من الملك الأعلى [2] بما تنسبونه إلى الطير من الخير و الشر، أى [3] تعاملون به [3] معاملة الاختبار هل تصلحون للخير [4] بالرجوع عن الذنب فيخفف عنكم ٥ أو لا فتمحنوا.

و لما أخبر عن عامة هذا الفريق بالشر، أخبر عن شرهم بقوله: ﴿ و كان فى المدينة ﴾ أى مدينتهم الحجر من عظماء القرية و أعيانها ﴿ تسعة رهط ﴾ أى رجال، مقابلة لآيات موسى التسع.

و لما كان الرهط بمعنى القوم و الرجال، أضيفت التسعة إليه، ١٠ فكأنه قيل: تسعة رجال، و إن كان لقوم [5] و رجال مخصوصين، و هم ما بين الثلاثة أو السبعة [إلى العشرة - [1]]، و ما دون التسعة فنفر، و قال فى القاموس: إن النفر ما دون العشرة [6] غير أنه يفهم التفرق، و الرهط يفهم العظمة و الشدة و الاجتماع ﴿ يفسدون ﴾ و قال: ﴿ فى الارض ﴾ إشارة إلى عموم فسادهم و دوامه.

١٥ و لما كان الكفرة كلهم مفسدين [7] بالكفر، و كان بعضهم ربما كان يصلح فى بعض أفعاله، بين أن هؤلاء ليسوا كذلك، بل هم شر

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تعاملونه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الخير (٥) فى ظ: القوم (٦) فى ظ و مد: التسعة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: مفسدون.

محض / لحقق خلوصهم للفساد بقوله مصرحا بما أفهمته صيغة المضارع: / ٧٨٥
﴿ ولا يصلحون ﴾.

ولما اقتضى السياق السؤال عن بيان بعض حالهم، أجاب بقوله: ﴿ قالوا تقاسموا ﴾ أمر بما[1] منه القسم، أى أوقعوا المقاسمة والمحالفة بينكم[2] ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا سمى له لما شاع من عظمته، وشمول ٥ إحاطته فى علمه وقدرته[3]، فليقل كل منكم عن نفسه ومن معه إشارة إلى أنكم كالجسد الواحد: ﴿ لنبيتنه ﴾ أى صالحا ﴿ واهله ﴾ أى لنهلكن الجميع ليلا، فان البيات مباغتة[4] العدو ليلا.

ولما كانت[5] العادة جارية بأن المبيتين لا بد أن يبقى بعضهم، قالوا: ﴿ ثم لنقولن لوليّه ﴾ أى المطالب بدمه[6] إن بقى منهم أحد: ١٠ ﴿ ما شهدنا ﴾ أى حضرنا حضورا تاما ﴿ مهلك ﴾ أى هلاك[7] ﴿ اهله ﴾ أى أهل ذلك الولى فضلا عن أن نكون باشرنا، أو أهل صالح عليه السلام فضلا عن أن نكون شهدنا مهلك صالح أو باشرنا قتله ولا موضع إهلاكهم. ولما كانت الفجيعة من وليه بهلاكه - عليه السلام - أكثر من الفجيعة بهلاك أهله وأعظم، كان فى السياق ١٥ بالإسناد إلى الولى - على تقدير كون الضمير لصالح عليه السلام -

---

(١) فى ظ: بما (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: بينهم (٣) سقط من ظ.
(٤) من مد، وفى الأصل: مباينة، وفى ظ: باعة - كذا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: كان (٦) من مد، وفى الأصل: سه، والكلمة ساقطة من ظ.
(٧) من ظ ومد، وفى الأصل: اهلاكا.

أنه إرشاد إلى أن التقدير : و لا مهلكه .

و لما كانوا قد صمموا[1] على هذا الأمر ، وطنوا[2] أنفسهم على المبالغة في الحلف و الاجتراء على الكذب فقالوا : ﴿ و انا ﴾ أي و نقول في جملة القسم تأكيدا للقسم[3] ، إيهاما لنحقق الصدق : و إنا ﴿ لصدقون ﴾

٥ فيا للعجب من قوم إذا عقدوا اليمين فزعوا إلى الله العظيم ، ثم نفروا عنه نفور الظليم ، إلى أوثان أنفع منها الهشيم[4] .

و لما كان هذا[5] منهم عمل من لا يظن أن الله عالم به ، قال تعالى محذرا أمثالهم عن أمثال ذلك : ﴿ و مكروا مكرا ﴾ أي [ستروا - [6]] سترا عظيما أرادوا به الشر [بهذه المساومة على المقاسمة ، فكان مكرهم

١٠ الذي اجتهدوا في ستره لدينا مكشوفا و في حضرتنا معروفا و موصوفا ، فشعرنا بل علمنا به فأبطلناه - [6]] ﴿ و مكرنا مكرا ﴾ [أي و جزيناهم على فعلهم بما لنا من العظمة شيئا - [6]] [7] هو المكر في الحقيقة فانه لا يعلمه أحد من الخليقة ، و لذلك قال[7] : ﴿ و هم ﴾ مع اعتنائهم بالفحص عن الامور ، و التحرز من عظائم المقدور ﴿ لا يشعرون ﴾ أي لا يتجدد لهم

١٥ شعور بما قدرناه عليهم بوجه ما ، فكيف بغيرهم ، و ذلك أنا جعلنا تدميرهم في تدبيرهم ، فلم يقدروا على إبطاله ، فأدخلناهم في خبر كان ، لم يفلت منهم إنسان ، و أهلكنا جميع الكفرة من قومهم في أماكنهم

(١) من ظ و مد ، وفي الاصل : صمموا (٢) زيد في الأصل : انهم في ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : القسم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : هنا (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) ورد ما بين الرقمين في الأصل قبل « و مكرنا » و الترتيب من ظ و مد .

مساكنهم أو[1] غير مساكنهم، و أما مكرهم فكانوا على اجتهادهم فى إتقانه[2]، و إحكام شأنه، قد جوزوا فيه سلامة بعض من يقصدونه بالإهلاك، فشتان بين المكرين، و هيهات هيهات لما بين الأمرين، و قد ظهر[3] أن الآية إما احتباك أو شبيهة به: عدم الشعور دال على [4]حذف عدم[4] الإبطال من الثانى، و على حذف الشعور و الإبطال الذى هو نتيجته ٥ من الأول.

و لما علم من هذا الإبهام تهويل[5] الأمر، سبب عنه سبحانه زيادة فى تهويله قوله: ﴿ فانظر ﴾ و زاده عظمة بالإشارة بأداة الاستفهام إلى أنه أهل لأن يسأل عنه فقال: ﴿ كيف / كان عاقبة مكرهم لا ﴾ / ٧٨٦ فان ذلك سنتنا فى أمثالهم؛ ثم استأنف لزيادة التهويل قوله بيانا لما أبهم: ١٠ ﴿ انا ﴾ أى[6] بما لنا من العظمة، و من فتح فهو عنده بدل من "عاقبة" ﴿ دمرنهم ﴾ أى أهلكناهم، أى التسعة المتقاسمين، بعظمتنا التى[7] لا مثل لها[6] ﴿ و قومهم اجمعين ﴾ لم يفلت[8] منهم مخبر، و لا كان فى ذلك تفاوت بين مقبل و مدبر، و أين يذهب أحد منهم أو من غيرهم من قبضتنا[9] أو يفر من مملكتنا. ١٥

و لما كان يتسبب عن دمارهم زيادة الهول و الرعب بالإشارة إلى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ايقانه.
(٣) فى ظ: ظنوا (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عدم حذف (٥) فى ظ: بتهويل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: الذى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: نعلت (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: قضيتنا.

ديارهم ، لاستحضار أحوالهم ، و استعظامهم بعظيم أعمالهم ، قال : ﴿ فتلك ﴾ أي المبعدة بالغضب على أهلها ﴿ بيوتهم ﴾ أي ثمود كلهم ﴿ خاوية ﴾ أي خالية ، متهدمة بالية ، مع شدة أركانها ، و إحكام بنيانها ، فسبحان الفعال لما يريد ، القادر على الضعيف كقدرته على الشديد .

٥ و لما ذكر الهلاك ، أتبعه سببه في قوله : ﴿ بما ظلموا ﴾ أي أوقعوا من الأمور في غير مواقعها[1] فعل الماشي في الظلام ، كما عبدوا من الأوثان ما يستحق الهوان ، و لا يستحق شيئا من التعظيم بوجه ، معرضين عمن لا عظيم عندهم[2] غيره عند الإقسام ، و الشدائد و الاهتمام ، و خراب البيوت - كما قال أبو حيان[3] - و خلوها من أهلها حتى لا يبقى منهم أحد

١٠ مما يعاقب به الظلمة . ثم زاد في التهويل بقوله : ﴿ ان في ذلك ﴾ أي الأمر الباهر للعقول الذي فعل بثمود ﴿ لاية ﴾ أي عظيمة ، و لكنها ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أي لهم علم . و أما من لا ينتفع بها نادى على نفسه بأنه في عداد البهائم .

و لما كان ذلك ربما أوهم أن الهلاك عم الفريقين قال : ﴿ و انجينا ﴾

١٥ بعظمتنا ﴿ الذين ءامنوا ﴾ أي و هم [الفريق - [4]] الذين كانوا مع صالح عليه السلام كلهم ﴿ و كانوا يتقون ﴾ أي متصفين بالتقوى اتصافا كأنهم[5] مجبولون عليه ، فيجعلون بينهم و بين ما يسخط ربهم وقاية

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : مواضعها (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : عنده (٣) راجع البحر المحيط ٧/٨٦ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فانهم .

من الأعمال الصالحة، و المتاجر الرابحة. و كذلك[1] تفعل بكل من فعل فعلهم، قيل: كانوا أربعة آلاف، ذهب بهم صالح عليه السلام [إلى -[2]] حضرموت، فلما دخلوها مات صالح عليه السلام، فسميت بذلك.

و لما فرغ [من] قصة القريب [الذى -[2]] دعا قومه فاذا هم فريقان، بعد الغريب الذى لم يختلف عليه ممن[3] دعاهم اثنان، اتبعها[4] بغريب لم يتبعه ٥ ممن[3] دعاهم إنسان، فقال دالا على أنه له سبحانه الاختيار، فتارة يجرى الأمور على القياس، و أخرى على خلاف الأساس، الذى تقتضيه عقول الناس، فقال: ﴿ و لوطا ﴾ أى و لقد أرسلناه؛ و أشار إلى سرعة إبلاغه بقوله: ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قال لقومه ﴾ أى الذين كان سكن[5] فيهم لما فارق عمه [إبراهيم -[2]] الخليل عليه السلام و صاهرهم. و كانوا ١٠ يأتون الأحداث، منكرا موبخا: ﴿ اتاتون ﴾ و لما كان للابهام ثم التعيين من هز النفس و ترويعها ما ليس للتعيين من أول الأمر [قال -[2]]: ﴿ الفاحشة ﴾ أى الفعلة المتناهية فى القبح ﴿ و انتم تبصرون ﴾ / أى لكم عقول تعرفون بها المحاسن و المقابح[6]، و ربما كان بعضهم يفعله /٧٨٧ بحضرة بعض كما قال "و تاتون فى ناديكم المنكر" فيكون حينئذ ١٥ من البصر و البصيرة؛ ثم أتبع [هذا -[2]] الإنكار إنكارا آخر لمضمون جملة مؤكدة أتم تأكيد، إشارة إلى أن فعلتهم هذه مما يعي الواصف،

(١) فى ظ و مد: كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: من (٤) فى ظ: اتبعه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تسكن (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: القبائح.

و لا يبلغ كنه قبحها و لا يصدق ذو عقل أن أحدا يفعلها، فقال معينا لما أبهم: ﴿ ائنكم لتاتون ﴾ و قال: ﴿ الرجال ﴾ تنبيها على بعدهم عما يأتونه إليهم، ثم علله بقوله: ﴿ شهوة ﴾ إنزالا لهم إلى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد و لا عفاف؛ وقال: ﴿ من دون ﴾ أي إتيانا ٥ مبتدئا من غير، أو أدنى رتبة من رتبة ﴿ النسآء ﴾ إشارة إلى أنهم أساءوا من الطرفين في الفعل و الترك.

و لما كان قوله "شهوة" ربما أوهم أنهم لا غنى بهم عن إتيانهم للشهوة الغالبة لكون النساء لا تكفيهم، لذلك نفى هذا بقوله: ﴿ بل ﴾ أي أنكم لا تأتونهم لشهوة محوجة بل ﴿ انتم قوم ﴾ و لما كان مقصود ١٠ السورة إظهار العلم و الحكمة، و كانوا قد خالفوا ذلك إما بالفعل و إما لكونهم[1] يفعلون [2]من الإسراف وغيره[2] عمل الجهلة، قال: ﴿ تجهلون ﴾ أي تفعلون ذلك إظهارا للتزين بالشهوات فعل المبالغين في الجهل الذين ليس لهم نوع علم، في التجاهر بالقبائح[3] خبثا و تغليبا لأخلاق البهائم، مع ما رزقكم الله من العقول التي أهملتموها حتى[4] غلبت عليها الشهوة، ١٥ و أشار إلى تغاليهم في الجهل و افتخارهم به بما سببوا عن ذلك بقوله: ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ أي لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم حجة في دفعه بل و لا شبهة ﴿ الآ ان ﴾ صدقوه في نسبته[5] لهم إلى

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: بكونهم (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل: في الأشراف و غيرهم (٣) من ظ و مد، و في الأصل: فالقبايح (٤) من ظ و مد، و في الأصل: يعني (٥) من ظ و مد، و في الأصل: نسبة.

الجهل بأن ﴿ قالوا ﴾ عدولا[1] إلى المغالبة و تماديا فى الخبث ﴿ اخرجوا ال لوط ﴾ فأظهر ما أضمره فى الأعراف لأن الإظهار أليق بسورة العلم و الحكمة و إظهار الخبء؛ و قالوا: ﴿من قريتكم ﴾ منا عليه باسكانه عندهم؛ و عللوا ذلك بقولهم: ﴿انهم ﴾ و لعلهم عبروا بقولهم: ﴿ اناس ﴾ مع صحة المعنى بدونه تهكما عليه لما فهموا من[2] أنه أنزلهم ٥ إلى رتبة البهائم ﴿ يتطهرون ﴾ أى يعدون أفعالنا نجسة و يتنزهون عنها.

فلما وصلوا فى الخبث إلى هذا الحد، سبب سبحانه عن قولهم و فعلهم [قوله -[3]]: ﴿ فانجينه و اهله ﴾ أى كلهم، [أى -[3]] من أن يصلوا إليه بأذى أو يلحقه شيء من عذابنا ﴿ الا امراته ﴾ فكأنه قيل: فما كان من أمرها؟ فقيل[4]: ﴿ قدرنها ﴾ أى جعلناها بعظمتنا ١٠ و قدرتنا فى الحكم و إن كانت خرجت معه ﴿ من الغبرين ﴾ أى الباقين فى القرية فى لحوق الغبرة وجوههم و الداهية الدهياء أنفسهم و ديارهم حتى كانوا كأمس الدابر ﴿ و امطرنا ﴾ و أشار إلى أنه إمطار عذاب بالحجارة [مع تعديته بالهمزة و هو معدى بدونها فصارت كأنها لإزالة الإغاثة بالإتيان بضدها -[3]] بقوله: ﴿ عليهم ﴾ و أشار إلى سوء الأثر ١٥ لاستلزامه سوء الفعل الذى نشأ عنه و غرابته[5]، / بقوله: ﴿ مطرا ﴾ /٧٨٨ أى و[6] أى مطر[6]؛ و لذلك سبب عنه قوله: ﴿ فساء مطر المنذرين ﴾

(١) فى ظ: عدلا (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فقايل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اعرانيه - كذا (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: امطرنا.

أى الذين وقع إنذارنا لهم الإنذار[1] الذى هو الإنذار .

ولما تم بهذه القصص استنتاج ما أراد[2] سبحانه من الدليل على حكمته وعلمه ومباينته للأصنام فى قدرتـه وحلمه، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده شكرا على ما علم ويقررهم[3] بعجز أصنامهم ردا لهم ٥ عن الجهل بأوضح طريق وأقرب متناول فقال : ﴿ قل ﴾ ما أنتجه ما تقدم[4] فى هذه السورة ، وهو ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ أى مختص بالمستجمع[5] للأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، عند الإعدام كما كان عند الإيجاد ﴿ وسلم ﴾ أى سلامة وعافية وبقاء فى هذا الحين وكل حين ، كما كان قبل هذا فى غابر[6] السنين ، وأشار ١٠ بأنه لا وصول للعطب إليهم بأداة الاستعلاء فى قوله : ﴿ على ﴾ وأشار إلى شرفهم بقوله : ﴿ عباده ﴾ باضافتهـم إليه ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ الذين اصطفى ﴾ أى فى كل عصر وحين كما أن الحمد لمعبودهم أزلا وأبدا لا بذين ، وعطب وغضب على من عصى ، وخالف الرسل وأبى ، كما ترى فى أصحاب هذه الأنباء ، والمعنى أن هذا الحكم المستمر بنجاة ١٥ الرسل وأتباعهم ، وهلاك الكافرين وأشياعهم ، دليل قطعى على أن الإحاطة لله فى كل أمر ؛ قال أبو حيان[7] : وكان هذا صدر خطبة لما

---

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : للانذار (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : ارا - كذا (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : تقرر (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : قدمه (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : المستجمع (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : تمام (٧) راجع البحر المحيط ٧/٨٨ .

يلق من البراهين الدالة على الوحدانية و العلم و القدرة، و مما يتنبه[1] له أنه لم[2] يرد فى قصة لوط عليه السلام أكثر من نهيه لهم عن هذه[3] الفاحشة، فلا يخلو حالهم من أمرين: إما أنهم كانوا لايشركون بالله تعالى شيئا، و لكنهم لما ابتكروا[4] هذه المعضلة و جاهروا بها مصرين عليها، أخذوا بالعذاب لذلك و لكفرهم بتكذيبهم رسولهم، كما صرحت به آية ٥ الشعراء، و إما أنهم كانوا مشركين، و لكنه عليه السلام لما رآهم قد سفلوا إلى رتبة البهيمية[5]، رتب دعاءهم منها إلى رتبة الإنسانية، ثم إلى رتبة الوحدانية، و يدل على هذا التقدير الثانى قوله مشيرا إلى أن الله تعالى أهلكهم و جميع من كفر من قبلهم، و لم تغن عنهم معبوداتهم شيئا، بقوله: ﴿ آلله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ خير ﴾ أى ١٠ لعباده الذين اصطفاهم فأنجاهم ﴿ اما تشركون[8] ﴾ يا معاشر العرب من الأصنام و غيرها لعابديها و محبيها فانهم لايغنون عنكم شيئا كما لم يغنوا عمن عبدهم من هؤلاء الذين أهلكناهم شيئا[3]، و لا تفزعون[6] عند شدائدهم إلا إلى الله وحده، هذا على قراءة الخطاب للجماعة[7]، و التقدير على قراءة الغيب للبصريين و عاصم: أما[8] يشرك الكفار عامة قديما[9] و حديثا لمن ١٥ أشركوا بهم، فلم يقدروا على نفعهم عند إحلال البأس بهم، و أفعل

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ينبه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ان.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انكروا (٥) فى ظ: البهايم.
(٦) فى ظ و مد: لاتفزعوا (٧) راجع نثر المرجان ١٢٠/٥ (٨) فى ظ و مد: ام ما - كذا بالفك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: قديمة.

/٧٨٩ / التفضيل لإلزام الخصم و التنبيه على ظهور خطائه المفرط، و جهله المورط إلى حد لايحتاج فيه[1] إلى كشف لأعلى بابها.

و لما كان مع هذا البيان من الأمر الواضح أن التقدير زيادة فى توبيخ المشركين و تقريز المنكرين: من فعل هذه الأفعال البالغة فى الحكمة ٥ المتناهية فى العلم أم من سميتموه إلها، و لا أثر له أصلا، عاد له بقوله: ﴿[2] امّن﴾ و كان الأصل: أم هو، و لكنه عبر باسم موصول أصل وضعه لذى العلم، و وصله بما لايصح أن[3] يكون لغيره ليكون كالدعوى المقرونة بالدليل فقال: ﴿خلق السمٰوٰت و الارض﴾ تنبيها بالقدرة على بدء الخلق على القدرة على إعادته[4]، بل من باب الأولى، دلالة على الإيمان ١٠ بالآخرة تخلقا بأخلاق المؤمنين الذين[5] مضى أول السورة ان هذا القرآن المبين بشرى لهم.

و لما كان [6]الإنبات، من أدل[6] الآيات، على إحياء الأموات، قال: ﴿و انزل﴾ و زاد فى تقريعهم و تبكيتهم و توبيخهم بقوله: ﴿لكم﴾ أى لأجلكم خاصة و أنتم تكفرون به و تنسبون ما تفرد به من ذلك ١٥ لغيره: ﴿من السمآء مآء ج﴾ هو للأرض كالماء الدافق للأرحام [7]كالماء الذى[7] ينزل آخر الدهور على القبور.

(١) سقط من ظ (٢) يبتدئ من هنا الجزء العشرون من القرآن الكريم.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اعادتهم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الامان من اول (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كالذى.

فى وجوده و قدرته و اختياره لفعل المتباينات فى الطعم و اللون و الريح و الطبع و الشكل بماء واحد فى أرض واحدة و اختصاصه بفعل ذلك من غير مشاركة شيء[1] له فى شيء منه أصلا، و هو آيته العظمى على أمر البعث، عدل إلى التكلم [و - [2]] على وجه العظمة فقال: ﴿ فانبتنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ به حدآئق ﴾ أى بساتين محدقة - أى محيطة - بها أشجارها ٥ و جدرانها، و الظاهر أن المراد كل ما كان هكذا، فانه فى قوة أن يدار[3] عليه الجدار و إن لم يكن له جدار، و عن الفراء[4] أن البستان إن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة.

و لما كان الأولى بجمع الكثرة لما لا يعقل الوصف بالمفرد قال مفيدا أنها كالشيء الواحد فى ذلك الوصف: ﴿ ذات بهجة ج ﴾ أى بهاء ١٠ و حسن و رونق، و بشر بها و سرور على تقارب أصولها مع اختلاف أنواعها، و تباين طعومها و أشكالها، و مقاديرها و ألوانها.

و لما أثبت الإنبات له، نفاه عن غيره على وجه التأكيد[5] تنبيها على تأكد اختصاصه بفعله، و على أنه إن أسند إلى غيره فهو مجاز عن التسبب[6] و أن[6] الحقيقة ليست إلا له فقال: ﴿ ما كان ﴾ أى ما صح ١٥ و ما تصور بوجه من الوجوه ﴿ لكم ﴾ و أنتم أحياء فضلا عن شركائكم الذين هم أموات بل موات ﴿ ان تنبتوا شجرها[1] ﴾ أى شجر

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يدرا (٤) راجع معالم التنزيل على هامش اللباب ٥/١٢٧ (٥) زيدت الواو فى ظ (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: دون.

تلك الحدائق .

و لما [1]ثبت أنه المتفرد[1] بالألوهية ، حسن موقع الإنكار و التقرير[2] في قوله : ﴿ ءاله ﴾ أي كائن ﴿ مع الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي لا مثل له .

٧٩٠/ ٥ / و لما كان الجواب عند كل عاقل : لا وعزته ! قال معرضا عنهم للايذان بالغضب : ﴿ بل هم ﴾ أي في دعائهم معه سبحانه شريكا ﴿ قوم يعدلون ﴾ أي عن الحق الذي لا مرية فيه إلى غيره ، مع العلم بالحق ، فيعدلون بالله غيره .

و لما فرغ من آية اشترك فيها الخافقان ، ذكر ما تنفرد به الأرض ، ١٠ لأنها أقرب إليهم و هم بحقيقتها و ما لابسوه من أحوالها أعلم منهم بالأمور السماوية ، تعديدا للبراهين الدالة على تفرده بالفعل الدال على تفرده بالإلهية ، فقال مبدلا [3]من " امن[3] خلق " : ﴿ امن ﴾ أي أم[4] فعل ذلك الذي ﴿ جعل الارض قرارا ﴾ أي مستقرة في نفسها ليقر عليها غيرها ، و كان القياس يقتضي[5] أن تكون هاوية أو مضطربة كما ١٥ يضطرب ما هو معلق [6]في الهواء[6] .

و لما ذكر قرارها ، أتبعه دليله في معرض الامتنان فقال :

(١-١) تكرر من مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : التقدير (٣-٣) من ظ و مد ، و في الأصل : ممن (٤) سقط من ظ (٥) سقط من ظ و مد .
(٦-٦) من ظ و مد ، و في الأصل : بالهوى .

﴿وجعل خلالها﴾ أي في الأماكن المنفرجة بين جبالها ﴿انهرا﴾ أي جارية على حالة [1]واحدة، فلو اضطربت الأرض أدنى اضطراب، لتغيرت مجاري المياه بلا ارتياب.

و لما ذكر الدليل، ذكر[1] سبب القرار فقال: ﴿و جعل لها رواسي﴾ أي كراسي السفن، كانت[2] أسبابا في ثباتها على ميزان دبره سبحانه في مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت[3] جميع جوانبها فامتنعت من الاضطراب. ٥

و لما أثبت[4] القرار و سببه، و كان قد جعل سبحانه للأنهار طرقا تصرف [فيها -[5]] و لو حبسها عن الجري شيء لأوشك أن تستبحر، فيصير أكثر الأرض لاينتفع به في سير و لا نبات[6]، أو أن تخرق ذلك الحابس بما لها من قوة الجري و شدة النفوذ بلطافة السريان، لأن من عادة المياه التخلل بين[7] أطباق التراب و التغلغل بما لها من اللطافة و الرقة، و الثقل[8] في الأعماق و لو قليلا قليلا، و كان سبحانه قد سد ما بين البحرين: الرومي و الفارسي، و كان ما بينهما من الأرض إنما هو يسير جدا في بعض المواضع، و كان بعض مياه الأرض عذبا، و بعضه[9] ملحا[10]، مع ١٠ ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و في الأصل: كان. (٣) في ظ: اعتدل (٤) من ظ و مد، و في الأصل: ثبت (٥) زيد من ظ و مد. (٦) من ظ و مد، و في الأصل: انبات (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و في الأصل: انتقل (٩) كذا، و الأوفق: بعضها (١٠) تأخر في الأصل عن « ذلك العذب » ص ١٩٠ س ١، و الترتيب من ظ و مد.

القرب جدا من ذلك العذب ، سألهم - تنبيها لهم على عظيم القدرة - عن المسك لعدوان أحدهما على الآخر ، و لعدوان كل من خليجى الملح على ما بينهما لئلا يخرقاه فيتصلا فقال : ﴿و جعل بين البحرين حاجزا ؕ﴾ أى يمنع أحدهما أن يصل إلى الآخر .

٥ و لما كان من المعلوم أنه الله وحده . ليس عند عاقل شك فى ذلك ، كرر الإنكار فى قوله : ﴿ء اله مع الله ؕ﴾ أى المحيط علما و قدرة . و لما كان الجواب[1] الحق قطعا : لا ، و كان قد أثبت لهم فى الإضراب[2] الأول علما من حيث الحكم على المجموع ، و كان كل منهم يدعى رجحان العقل ، و صفاء[3] الفكر ، و رسوخ القدم فى العلم بما يدعيه [العرب -[4]] ، قال :

١٠ ﴿بل اكثرهم﴾ أى الخلق الذين[5] ينتفعون بهذه المنافع ﴿لايعلمون ؕ﴾ أى ليس لهم نوع من العلم ، بل هم كالبهائم لإعراضهم عن هذا الدليل الواضح .

/٧٩١ و لما دلهم بآيات الآفاق ، و كانت كلها من أحوال / السراء ، و كانت بمعرض الغفلة عن الإله ، ذكرهم بما فى[6] أنفسهم مما يوجبه تغير الأحوال

١٥ الدالة بمجردها على الإله ، و يقتضى لكل عاقل [صدق -[4]] التوجه إليه ،

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاضطراب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صف . (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المدين (٦) سقط من ظ .

 و إخلاص

و إخلاص النية لديه، و الإقبال عليه، على ذلك ركزت[١] الطباع، و انعقد الإجماع، فلم يقع فيه نزاع. فقال: ﴿امن يجيب المضطر﴾ أى جنس الملجأ إلى ما لا قبل له به، الصادق على القليل و الكثير إذا أراد إجابته كما تشاهدون، و عبر فيه و فيما بعده بالمضارع لأنه مما يتجدد[٢]، بخلاف ما مضى من خلق السماوات و ما بعده ﴿اذا دعاه﴾ أى حين ينسيكم ٥ الضر شركاءكم، و يلجئكم إلى من [٣]خلقكم و يذهل[٣] المعطل عن مذهبه و يغفله[٤] عن سوء أدبه عظيمُ إقباله على قضاء أربه.

و لما كانت الإجابة ذات شقين، جلب السرور، و دفع الشرور، و كان النظر إلى الثاني أشد، خصه[٥] بادئا به فقال: ﴿و يكشف السوء﴾ ثم أتبعه الأول على وجه أعم، فقال مشيرا إلى عظيم المنة عليهم بجعلهم مسلطين[٦] ١٠ عالين على جميع من فى الأرض و ما فى الأرض مشرفين بخلافته سبحانه، و لذلك أقبل عليهم. ﴿و يجعلكم خلفآء الارض﴾ أى فيما[٧] يخلف بعضكم[٨] بعضا، لايزال يجدد ذلك بإهلاك قرن و إنشاء آخر إلى قيام الساعة. و لما كان هذا أبين، كرر الإنكار فيه مبكتا لهم بالنسيان فقال: ﴿ءاله﴾ أى كائن أو موجود ﴿مع الله﴾ أى الملك الأعظم [٩]الذى لا كفوء له[٩]. ١٥

---

(١) من مد، و فى الأصل: ذكرت. و فى ظ: وكرت - كذا (٢) فى ظ: يتجرد (٣ - ٣) من ظ و مد. و فى الأصل: خلقهم و يذهب (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يعقل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: رخصه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: مسلمين (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بعضهم (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.

ثم استأنف التبكيت تفظيعا[1] له و مواجها به فى قرءاة الجماعة لما يؤذن به كشف هذه الأزمات[2] من القرب المقتضى للخطاب ، و لذلك أكد بزيادة "ما" فقال: ﴿قليلا ما تذكرون﴾ أى بأن من أنجاكم [3]من ذلك[3] وحده حين أخلصتم له التوجه عند اشتداد الأمر هو المالك لجميع ٥ أموركم فى الرخاء كما كان مالكا له فى الشدة ، و أن الأصنام لاتملك شيئا بشفاعة و لاغيرها كما لم[4] تملك شيئا[5] فى اعتقادكم عند الأزمات ، و اشتداد الكربات، فى الأمور المهمات ، فان هذا قياس ظاهر[6] ، و دليل باهر ، و لكن من[7] طبع الإنسان نسيان ما كان فيه من الضير ، عند مجيء الخير ، و من قرأ بالتحتانية[8] و هم أبو عمرو و هشام و روح ، فللايذان ١٠ بالغضب الأليق بالكفران ، مع عظيم الإحسان .

و لما ذكر آيات الأرض ، و ختم بالمضطر ، و كان المضطر قد لايهتدى لوجه حيلة ، أتبعها آيات السماء ذاكرا ما هو [من -[9]] أعظم صور الاضطرار فقال : ﴿ امن يهديكم ﴾ أى[10] إذا سافرتم بما رسم لكم من المعالم العلوية و السفلية ﴿ فى ظلمت البر ﴾ أى بالنجوم و الجبال ١٥ و الرياح ، و هى و إن كانت أضعفها فقد يضطر إليها [حيث -[9]] لايبدو

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعظيما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الازمان (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٥) زيد فى الأصل : من ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع (٨) راجع نثر المرجان ٥/١٢٥ حول اختلاف القراءة (٩) زيد من ظ و مد .

شيء من زينك ﴿ والبحر ﴾ بالنجوم و الرياح .

و لما كانت الرياح[1] كما كانت من أدلة السير، كان بعضها من أدلة المطر، قال : ﴿ و من يرسل الريح ﴾ أى التى هى من دلائل السير ﴿نشرا[2] ﴾ أى تنشر السحاب / و تجمعها ﴿ بين يدى رحمته[3] ﴾ /٧٩٢ أى [3] التى هى المطر تسمية للسبب باسم السبب؛ و الرياح[4] التى يهتدى بها ٥ فى المقاصد أربع : الصبا ، و الدبور ، و الشمال ، و الجنوب ، و هى أضعف الدلائل ؛ [5] قال الإمام أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكرى[6] فى كتاب أسماء الأشياء و صفاتها: الرياح أربع: الشمال، و هى التى تجيء عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق - يعنى: و ذلك ما بين مطالع الشمس الصيفية و بنات نعش، و هى فى الصيف حارة، و اسمها البارح، و الجنوب ١٠ تقابلها[7]، [و الصبا من مطلع الشمس و هى القبول، و الدبور تقابلها -[8]]، و يقال للجنوب: النعامى و الأرنب - انتهى . و هذه العبارة أبين العبارات فى تعيين هذه الرياح. و قال الإمام أبو العباس أحمد بن أبى أحمد بن القاص

---

(١) سقط من ظ (٢) و قراءة حفص بالباء (٣) سقط من مد (٤) كتب بهامش الأصل : مطلب مادة الرياح : قيل : كل ما كان فى القرآن من ذكر الرياح بزيادة ألف بعد الياء يكون رحمة، و كل ما كان بغير ألف فهو عذاب - انتهى. و كان عليه السلام إذا رأى الرياح جثا على ركبتيه و قال: اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) راجع ترجمته فى الأعلام ٢١١/٢ و ٢١٢ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : يقابلها . (٨) زيد من ظ و مد .

الطبري الشافعي[١] في كتابه أدلة القبلة : إن قبلة العراقيين إلى باب الكعبة كله إلى الركن الشامي الذي عند الحجر. و قال: و قد اختلف أهل العلم بهذا الشأن - أي[٢] في التعبير[٣] عن مواطن[٤] الرياح - اختلافا متباينا، و أقرب [٥]ذلك - على ما جربته و تعاهدته بمكة - أن الصبا تهب ما بين مطالع الشمس في الشتاء إلى مطلع[٥] سهيل . و سهيل يمان مسقطه في رأى العين على ظهر الكعبة إذا ارتفع . و قال[٦] صاحب القاموس[٧]: و الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش، و قال[٨]: و القبول كصبور[٩]: ريح الصبا ، لأنها تقابل[١٠] الدبور ، أو لأنها تقابل باب الكعبة، أو لأن النفس تقبلها . و قال الإمام أبو عبد الله القزاز : الصبا : [الريح -[١١]] التي[١٢] تهب من مطلع الشمس، و القبول : الريح التي تهب من مطلع الشمس . و ذلك لأنها تستقبل الدبور ، و قيل : لأنها تستقبل باب الكعبة و هي الصبا ، فقد[١٣] اتفقت أقوالهم كما ترى على خلاف ابن القاص ، [٥]و قال ابن القاص[٥] : و هي - أي[١٤] الصبا - ريح معها روح و خفة ، و نسيم تهب مما بين مشرق الشتاء و مطلع سهيل،

(١) قد مر التعليق عليه فيما مضى (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ان (٣) زيد في ظ : بهذا (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : بواطن (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : كان (٧) راجع مادة [صبو] (٨) راجع مادة [قبل] (٩) في ظ : كعصفور (١٠) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : مقابل (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الذي (١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : و قد (١٤) سقط من ظ .

و لما

و لها برد يقرص أشد من هبوبها . و تلقح الأشجار ، و لا تهب إلا بليل ،
سلطانها إذا أظلم الليل ، إلى أن يسفر النهار و تطلع الشمس ، و أشد
ما يكون فى وقت الأسحار [و - [1]] ما بين الفجرين ، و الجنوب تهب
ما بين مطلع سهيل إلى مغارب الشمس فى الصيف . و قال فى القاموس[2] :
و الجنوب : ريح تخالف[3] الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ، ٥
[4] و عن ابن هشام اللخمى[5] أن الجنوب هى الريح القبلية . و فى الجمع
بين العباب و المحكم : و الجنوب ريح تخالف الشمال تأتى عن يمين القبلة[6] ،
و قيل : [7] هى من الرياح ما استقبلك عن شمالك إذا وقفت فى القبلة ،
قال ابن الأعرابى : و مهب الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ،
و قال الأصمعى[8] : إذا جاءت الجنوب جاء معها[9] خير و تلقيح[10] ،/ و إذا ١٠ ٧٩٣/
جاءت الشمال نشفت ، و يقال للتصافيين : ريحهما جنوب . و إذا تفرقا[11]
قيل : شملت ريحهما ، و عن ابن الأعرابى[12] : الجنوب فى كل موضع حارة

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع مادة [جنب] (٣) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : يخالف (٤) زيد فى ظ : قال الأصمعى (٥) هو محمد بن أحمد ابن هشام بن خلف اللخمى أبو عبد الله - راجع لترجمته الأعلام ٦/٢١٢ (٦) زيد فى الأصل . وهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) ذكر قوله فى تاج العروس (٩) من ظ و مد و تاج العروس ، و فى الأصل : منها (١٠) من ظ و مد و تاج العروس ، و فى الأصل : تلقح (١١) من ظ و مد و تاج العروس ، و فى الأصل : تفرق (١٢) ذكر القول الآتى فى تاج العروس معزوا إلى بعض العرب .

إلا بنجد فانها باردة ؛ و قال ابن القاص : و إذا هبت فقوتها فى العلو و الهواء أكثر لأنها موكلة بالسحاب ، و تحرك الأغصان و رؤس الأشجار ، و مع ذلك فتراها تؤلف الغيم فى السماء ، فتراه متراكما مشحونا ، قال : و سمعت من يقول : [ما -[1]] اشتد هبوبها إلا خيف المطر ، و لا هبت ٥ جنوب قط ثم يتبعها دبور إلا وقع مطر ، و هى تهيج البحر و تظهر بكل ندى كامل فى الأرض ، و هى من ريح الجنة . و الدبور - قال فى القاموس : ريح تقابل[2] الصبا ، و قال القزاز : هى التى تأتى من دبر الكعبة و هى التى تقابل مطلع الشمس ، و قال ابن القاص : تهب ما بين مغارب الشمس فى الصيف إلى مطلع بنات نعش . و قوتها فى الأرض أشد من ١٠ قوتها فى الهواء ، و هى إذا هبت تثير الغبار . و تكسح الأرض ، و ترفع الذيول ، و تضرب الأقدام ، و أشد ما تثير الغبار إذا تنكبت[3] ، تراها كأنها تلعب بالتراب على وجه الأرض ، و ترى الأشجار فى الوادى و الرمال لها دوى من ناحية الدبور ، و قد اجتمع فى أصلها التراب و ما يلى الجنوب عاريا مكشوفا متحفزا و قوتها فى الأرض - و الله[4] أعلم ، ١٥ لأن عادا أوعدت بالتدمير بالرياح . فحفرت الآبار و استكنت فيها ، فبعث الله الدبور فدخلت الآبار و قذفتهم متدمرين حتى أهلكتهم . و الشمال - قال فى القاموس : الريح التى تهب من قبل الحجر ، و الصحيح أنه ما مهبه ما بين مطلع الشمس و بنات نعش ، أو من مطلع النعش إلى

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : يقابل .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسكبت (٤) سقط من ظ .

مسقط النسر الطائر، و لا تكاد تهب[1] ليلا . و قال القزاز : هي الريح التي تأتي عن شمالك إذا استقبلت مطلع الشمس ، و العرب تقول : إن الجنوب قالت[2] للشمال : إن لي عليك فضلا . أنا أسرى و أنت لا تسرين ، فقالت الشمال : إن الحرة لا تسرين[3] ، و قال الصغاني في مجمع البحرين : و الشمال : [الريح -[4]] التي تهب من ناحية القطب ، و عن أبي حنيفة : ٥ هي التي تهب من جهة القطب الشمالي و هي الجربياء و هي الشامية لأنها تأتيهم من شق الشام ، و في الجمع بين العباب و المحكم ، و البوارح : شدة الرياح [من الشمال في الصيف دون الشتاء كأنه جمع بارحة ، و قيل : البوارح : الرياح -[4]] الشدائد التي تحمل التراب ، واحدتها بارح . و الجربياء : الريح التي بين الجنوب و الصبا ، و قيل : [هي -[4]] النكباء التي تجري ١٠ بين الشمال و الدبور ، و هي ريح تقشع[5] السحاب ، و قيل : هي الشمال ، و جربياؤها بردها - قاله الأصمعي ، و قال الليث : هي الشمال الباردة ، و قال ابن القاص : و الشمال تهب ما بين مطلع [بنات نعش إلى مطلع -[4]] الشمس في الشتاء ، و هي تقطع الغيم و تمحوها ، و لذلك سميت الشمال المحوة ، قال : و هذا بارض الحجاز ، و أما أرض العراق و المشرق فربما ١٥ ساق الجنوب غيما و استداره و لم يحلبه حتى تهب الشمال فتحلبه ، /و الجنوب ٧٩٤/ و الشمال متماثلتان ، لأنهما موكلتان بالسحاب . فالجنوب تطردها

(١) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : تهبت (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : قال (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لا تسري (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد و تاج العروس [جرب] ، و في الأصل : يقشع ، و في ظ : تقسع - كذا .

و هي مشحونة ، و الشمال تردها و تمحوها إذا أفرغت ، قال أبو عبيدة :
الشمال عند العرب للروح ، و الجنوب للأمطار و الندى ، و الدبور للبلاء ،
و أهونه أن يكون غبارا عاصفا يقذى العيون ، و الصبا لإلقاح الشجر ، و كل
ريح من هذه الرياح انحرفت فوقعت بين ريحين فهي نكباء ، و سميت
لعدولها عن مهب[1] الأربع اللواتي وصفن قبل - انتهى . [و قال المسعودي
في مروج الذهب[2] في ذكر البوادي من الناس و سبب اختيار البدو : إن
شخصا من خطباء العرب وفد على كسرى فسأله عن أشياء منها الرياح
فقال : ما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر جنوب ، و ما بإزائهما مما
يستقبلهما من المغرب شمال ، و ما جاء من وراء الكعبة فهي دبور ،
١٠ و ما جاء من قبل ذلك فهي صبا -[3]] ، و نقل ابن كثير في سورة النور[4]
عن ابن أبي حاتم و ابن جرير عن عبيد بن[5] عمير الليثي أنه قال : يبعث الله
المثيرة فتقم الأرض قما ، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ، ثم يبعث الله
المؤلفة فتؤلف بينه ، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب .

و لما انكشف[6] بما مضى من الآيات . ما كانوا في ظلامه من
١٥ واهي الشبهات ، و اتضحت الأدلة ، و لم تبق لأحد في شيء من ذلك علة .
كرر سبحانه الإنكار في قوله : ﴿ ءاله مع الله ﴾ أي الذي كمل علمه
فشملت قدرته .

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : مهبت (٢) راجع ١/٣٠٦ (٣) زيد من ظ
و مد (٤) راجع تفسيره ٣/٢٩٧ (٥) من ظ و مد و التفسير ، و في الأصل : عن .
(٦) في الأصل : تكشفت ، و في ظ و مد : انكشفت .

و لما

و لما ذكر حالة الاضطرار[1]، و أتبعها من صورها ما[2] منه ظلمة البحر، و كانوا فى البحر يخلصون له سبحانه و يتركون شركاءهم، نبههم على أن ذلك موجب لاعتقاد كون الإخلاص [له -[3]] واجبا دائما، فأتبعه قوله على سبيل الاستعظام، معرضا عنهم باجماع العشرة إعراض من بلغ بـه الغضب: ﴿تعلى الله﴾ أى الفاعل القادر المختار الذى ٥ لا كفوء له ﴿عما يشركون﴾، أى فان شيئا منها لا يقدر على شيء من ذلك، و أين رتبة العجز من رتبة القدرة.

و لما رتب سبحانه هذه الأدلة على هذا الوجه ترقيا من أعم إلى أخص، و من أرض إلى سماء، ختمها بما يعمها و غيرها[4]، إرشادا إلى قياس ما غاب منها على ما شوهد، فلزم من ذلك قطعا القدرة على ١٠ الإعادة، فساقها لذلك سياق المشاهد المسلم، و عد من أنكره فى عداد من لا يلتفت إليه [فقال -[3]]: ﴿أمن يبدؤا الخلق﴾ أى كله: ما علمتم منه و ما لم تعلموا، ثم يبيده لأن كل شيء هالك إلا وجهه، له هذا الوصف باعترافكم يتجدد أبدا تعلقه. ولما كان من اللازم البين لهم الإقرار بالإعادة لاعترافهم بأن كل من أبدى شيئا قادر على إعادته، ١٥ لأن الإعادة أهون، قال: ﴿ثم يعيده﴾ أى بعد ما يبيده[5].

و لما كان الإمطار و الإنبات من أدل ما يكون على الإعادة، قال

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاضطراب (٢) من مد، و فى الأصل: من، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: غيرهما.
(٥) فى ظ: يبديه - كذا.

مشيرا إليهما على وجه عم جميع ما مضى: ﴿ و من يرزقكم من السمآء ﴾ أى بالمطر و الحر و البرد و غيرهما مما له سبب فى التكوين أو التلوين ﴿ و الارض ﴾ أى بالنبات و المعادن و الحيوان و غيرهما مما لايعلمه إلا الله، و عبر عنهما بالرزق لأن به تمام النعمة ﴿ ءاله مع الله ﴾ أى الذى له صفات الجلال و الإكرام، كائن، أو يفعل شيئا[1] من ذلك ٥

و لما كانت هذه كلها براهين ساطعة، و دلائل قاطعة، و أنوارا[2] لامعة، و حججا باهرة، و بينات ظاهرة، و سلاطين قاهرة، على التوحيد / المستلزم للقدرة على البعث و غيره من كل ممكن، أمره صلى الله عليه /٧٩٥ و سلم إعراضا عنهم، إيذانا بالغضب فى آخرها [بأمرهم -[3]] بالإتيان ١٠ ببرهان واحد على صحة معتقدهم فقال: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المدعين للعقول ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ أى على نفى شىء من ذلك عن الله تعالى، أو على إثبات شىء منه لغيره، لتثبت دعوى الشركة فى الخلق فتسمع دعوى الشركة فى الألوهية، و ليكن إتيانكم[4] بذلك ناجزا من غير مهلة، لأن من يدعى العقل لايقدم على شىء إلا ببرهان حاضر ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ ١٥ أى فى أنكم على حق فى أن مع الله غيره. و أضاف البرهان إليهم إضافة ما كأنه عتيد[5]، لا كلام فى وجوده و تحققه، و إنما[6] المراد الإتيان به كل ذلك تهكما بهم و تنبيها على أنهم أبعدوا فى الضلال، و أغرقوا فى

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: شىء (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: انوار. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اثباتكم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: عبيد (٦) فى ظ: ان.

المحال ، حيث رضوا لأنفسهم بتدين لا يصير إليه عاقل إلا بعد تحقق القطع بصحته ، و لا شبهة فى أنه لا شبهة لهم على شيء منه .

و لما كانت مضمونات هذه البراهين متوقفة على علم الغيب ، لأنه لا يخرج الخبء باختراع الخلق و كشف الضر و إحكام التدبير إلا به ، لأنه لا قدرة أصلا لمن لا علم له و لا تمام لقدرة من لا تمام لعلمه - كما ٥ مضى بيانه فى طه ، و طالبهم سبحانه آخر هذه البراهين بالبرهان على الشرك ، وكانوا ربما قالوا : سنأتى به ، أمر أن يعلموا أنه لا برهان لهم عليه ، بل البرهان قائم على خلافه ، فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم أو [1]لكل من[1] يدعى دعواهم : ﴿ لا يعلم ﴾ أحـــد ، و لكنه عبر بأداة[2] العقلاء فقال : ﴿ من ﴾ لئلا يخصها متعنت بما لا يعقل ، و عبر بالظرف تنبيها على أن ١٠ المظروف محجوب ، و كل ظرف حاجب لمظروفه عن علم ما وراءه ، فقال : ﴿ فى السمٰوٰت و الارض الغيب ﴾ أى الكامل فى الغيبة ، و هو الذى لم يخرج إلى عالم[3] الشهادة أصلا ، و لا دلت عليه أمارة ، ليقدر على شيء مما تقدم فى هذه الآيات [4]من الأمور فيعلمه[4] .

و لما كان الله تعالى منزها عن أن يحويه مكان ، جعل الاستثناء هنا ١٥ منقطعا ، و من حق المنقطع النصب [كما قرأ به ابن أبى عبلة شاذا -[5]] ، لكنه رفع [بإجماع العشرة -[5]] بدلا على لغة [بنى -[5]] تميم ، فقيل :

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمن (٢) فى ظ : عادة (٣) زيد فى الأصل : الغيب و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) وقع فى الأصل قبل « الا الله » ص ٢٠٢ س ١ ، و الترتيب من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد .

﴿ الا الله [4] ﴾ أي المختص بصفات الكمال كما قيل [1] في الشعر [1] :

و بلدة ليس بها أنيس   إلا اليعافير و إلا العيس

بمعنى : إن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس، بتا للقول بخلوها من الأنيس، فيكون معنى الآية : إن [كان -[2]] الله جل و علا ممن في السماوات و الأرض

٥ فيهم من يعلم الغيب، يعني أن علم أحدهم [3] الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله [4] منهم، و يصح كونه متصلا، [5] و الظرفية [5] في [حقه -[2]] سبحانه مجاز بالنسبة إلى علمه و إن كان فيه جمع بين الحقيقة و المجاز، و على هذا فيرتفع على البدل أو الصفة، و الرفع أفصح من النصب، لأنه من منفي، و قد عرف بهذا سر كونه لم يقل « لا يعلم أحد الغيب إلا هو » و هو التنبيه

١٠ على المظروفية و الحاجة، و أن الظرف حجاب، لا يرتاب فيه مرتاب، و جعل [6] ابن مالك [6] متعلق الظرف خاصا [7] تقديره : يذكر، و جعل غيره / "من" مفعولا و الغيب بدل اشتمال، و الاستثناء مفرغا، فالتقدير [8] : لا يعلم غيب المذكورين [9] - أي ما غاب عنهم - كلهم غيره .

/٧٩٦

و لما كان الخبر - الذي لم يطلع عليه أحد من الناس - قد يخبر به

١٥ الكهان، أو أحد من الجان، من أجواف الأوثان، و كانوا يسمون هذا غيبا و إن كان [1] في الحقيقة ليس به لسماعهم له من السماء بعد ما أبرزه الله إلى عالم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل : احد منهم (٤) سقط من ظ (٥-٥) في ظ : بالظرفية . (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل : ان تلك (٧) في ظ : خاصة (٨) من ظ و مد، و في الأصل : لتقدير (٩) من ظ و مد، و في الأصل : المذكورين .

الشهادة للملائكة و من يريد من عباده، وكانوا ربما تعنتوا به عن[1] العبارة، وكانت الساعة قد ثبت أمرها، و شاع في القرآن و[2] على لسان الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و أصحابهم رضي الله تعالى عنهم ذكرها، بحيث صارت بمنزلة ما لا نزاع فيه، و كان علم وقتها من الغيب المحض، قال[3]: ﴿و ما يشعرون﴾ أي [4]أحد ممن[4] في السماوات و الأرض و إن اجتمعوا ٥ و تعاونوا ﴿ ايان ﴾ [أي -[5]] أيّ وقت ﴿ يبعثون ه ﴾ فمن أعلم بشيء من ذلك على الحقيقة بان[6] صدقه، و من تخرص ظهر كذبه .

و لما كان النبي صلى الله عليه و سلم [قد -[5]] بعث و الكفر قد عم الأرض، و كانوا قد أكثروا في التكذيب بالساعة و القطع بالإنكار [لها -[5]] [7]بعضهم صريحا، و بعضهم لزوما، لضلاله عن[1] منهاج الرسل[8] ١٠ [9]و كان الذي ينبغي للعالم الحكيم أن لا يقطع بالشيء إلا بعد إحاطة علمه به، قال متهكما بهم كما تقول لأجهل الناس: ما أعلمك! استهزاء به[9] مستدركا لنفي شعورهم بها بيانا لكذبهم[10] باضطراب قولهم: ﴿بل ادّٰرك﴾ أي بلغ و تناهى ﴿علمهم في الأخرة ﴾ أي أمرها مطلقا: علم[11] وقتها و مقدار عظمتها في هو لها و غير ذلك من نعتها لقطعهم بانكارها و تمالؤهم ١٥

(١) من ظ و مد، و في الأصل: على (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: فقال .
(٤-٤) من ظ و مد، و في الأصل: من (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ: ان .
(٧) زيد في الأصل: كما يقول، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) زيد في الأصل هنا: لاجهل الناس ما اعلمك استهزاء به، والعبارة متكررة فحذفناها.
(٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٠) في ظ: لكذبه (١١) من ظ و مد، و في الأصل: اعلم .

عليه ، و تنويع العبارات فيه ، و تفريع القول فى أمره ـ هذا فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو[1] ، وكذا فى قراءة الباقين : ادارك بمعنى تـــدارك يعنى تتابع و استحكم .

و لما كانوا مع تصريحهم بالقطع فى إنكارها كاذبين فى قطعهم ، مرتبكين[2] فى جهلهم ، و قد يعبرون - دليلا على أنه لاعلم من ذلك عندهم - بالشك ، قال تعالى : ﴿ بل هم فى شك ﴾ و لما كانت لشـــدة ظهورها لقوة أدلتها كأنها موجودة ، عبر بمن ، أى مبتدئ ﴿ منهاقف ﴾ و لـما [كانوا يجزمون بنفيها تارة و يترددون أخرى ، و -[3]] كانت حقيقـة حال[4] من ينكر الشيء تارة عـلى سبيل القطع و أخرى وجه الشك الوصف بالجهل البالغ به قال : ﴿ بل هم ﴾ [و لـما كان الإنسان مطبوعا على نقائص موجبة لطغيانه ، و مبالغته فى العلو فى جميع شأنه ، و لايوهن تلك النقائص منه إلا الخوف من عرضه على ديانه ، الموجب لجهله . و تماديه عـــلى قبيح فعله ، فقال مقدما للجار -[5]] : ﴿ منها عمون ع ﴾ أى ابتدأ عماهم البالغ [الثابت -[5]] من اضطرابهم فى أمرها ، فضلوا فأعماهم ضلالهم عن جميع ما ينفعهم ، فصاروا لاينتفعون بعقولهم ، بل انعكس نفعها ضرا ، و خيرها [شرا -[5]] . و نسب ما ذكر لجميع من فى السماوات و الأرض ، لأن فعل البعض قد يسند إلى الكل لغرض ، و هو هنا[6] التنبيه على عظمة هذا الأمر ، و تناهى وصفه ، و أنه

---

(١) راجع نثر المرجان ١٢٧/٥ (٢) فى ظ : مرتكبين (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد ما بين الرقمين من ظ و مد .

يجب على الكل الاعتناء به، و الوقوف على حقه، و التناهي عن[1] باطله، [أو لشك البعض و سكوت الباقي لقصد تهويله، أو أن إدراك العلم من حيث التهويل بقيام الأدلة التي هي أوضح من الشمس، فهم بها في قوة من أدرك علمه بالشيء، و هو معرض عنه، فقد فوّت على نفسه من الخير ما لا يدري كنهه، ثم نزل درجة أخرى بالشك ثم أهلكها بالكلية، ٥ و أنزلها العمى عن رتبة البهائم التي لا همّ لها إلا لذة البطن و الفرج، و هذا كمن يسمع باختلاف المذاهب و تضليل بعضهم لبعض فيضلل بعضهم من غير نظر في قوله فيصير خابطا خبط عشواء، و يكون أمره على خصمه هينا - [2]]، أو[3] الشك لأجل أن أعمالهم أعمال الشاك، أو[4] انهم لعدم علم الوقت بعينه كأنهم في شك بل عمى، و لأن العقول و العلوم ١٠ / لا تستقل بادراك شيء من أمرها، و إنما يؤخذ ذلك عن الله /٧٩٧ بواسطة رسله من الملك و البشر، و من أخذ شيئا من علمها[5] عن غيرهم [ضل - [2]].

و لما كان التقدير لحكاية كلامهم الذي يشعر ببلوغ العلم، فقالوا مقسمين جهد أيمانهم: لا تأتينا الساعة، عطف عليه ما يدل على الشك ١٥ و العمى، و كان الأصل: و[5] قالوا، و لكنه قال: ﴿و قال الذين كفروا﴾ [أي ستروا دلائل التوحيد و الآخرة التي هي أكثر من أن تحصى و أوضح من الضياء - [2]]، تعليقا للحكم بالوصف، مستفهمين استفهام المستبعد المنكر: ﴿ء اذا كنا ترٰبا و ءابآؤنا﴾ و كرروا الاستفهام

---

(١) في ظ و مد: على (٢) زيد ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) في ظ «و».
(٤) من ظ و مد، و في الأصل «و» (٥) سقط من ظ.

إشارة إلى تناهي الاستبعاد و الجحود، و عد ما استبعدوه[1] محالا، فقالوا[2]:
﴿ ائنا ﴾ أي نحن و آباؤنا الذين طال العهد بهم، و تمكن[3] البلى فيهم
﴿ لمخرجون ﴾ أي من الحالة التي صرنا إليها من الموت و البلى إلى
ما كنا عليه قبل ذلك من[3] الحياة و القوة، ثم أقاموا الدليل في زعمهم
على ذلك فقالوا تعليلا[4] لاستبعادهم: ﴿ لقد وعدنا ﴾ .

و لما كانت العناية في هذه السورة بالإيقان بالآخرة، قدم قوله -:
﴿ هذا ﴾ أي الإخراج من القبور كما كنا[5] أول مرة - على قوله:
﴿ نحن و اباؤنا ﴾ بخلاف ما سبق في سورة المؤمنون[6]، و قالوا:
﴿ من قبل ﴾ زيادة في الاستبعاد، أي أنه قد مرت الدهور على هذا
١٠ الوعد، و لم يقع منه شيء، فذلك[7] دليل على أنه لا حقيقة له فكأنه
قيل: فما المراد به؟ فقالوا: ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ هذآ الآ اساطير الاولين ﴾
أي ما[8] سطروه كذبا لأمر لا نعرف مرادهم منه. و لا حقيقة لمعناه،
فقد [حط -[9]] كلامهم هذا كما ترى على أنهم[10] [تارة -[9]] في غاية
الإنكار دأب المحيط العلم، و تارة يستبعدون دأب الشاك، المركب
١٥ الجهل، الجدير بالتهكم[11] كما مضى أنه معنى الإضرابات - و الله الموفق.

(١) في ظ و مد: استبعدوا (٢) زيد في الأصل: تعليقا لاستبعادهم، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و في الأصل: تعليقا (٥) في ظ: كان (٦) آية ٨٣ (٧) زيد في الأصل: لان، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ. و في الأصل: مما، و في مد مطموس (٩) زيد من ظ و مد (١٠) في ظ: انه (١١) من ظ و مد، و في الأصل: بالمتهكم.

و لما لم يبق بعد هذا الذى أقامه من دلائل القدرة على كل شيء
عموما، و على البعث خصوصا، مقال[1]، يرد[2] عن الغى[3] إلا التهديد بالنكال،
[3]و كان[4] كلامهم هذا موجبا للنبى صلى الله عليه و سلم من الغم و الكرب
ما لا يعلمه إلا الله تعالى، قال سبحانه ملقنا له و مرشدا لهم فى صورة
التهديد: ﴿قل سيروا فى الارض﴾ أى أيها المعاندون أو[4] العمى الجاهلون. ٥
و لما كان المراد الاسترشاد للاعتقاد، و الرجوع عن الغى و العناد،
لكون السياق له، لا مجرد[5] التهديد، قال: ﴿فانظروا﴾ بالفاء المقتضية
للاسراع، و عظم المأمور بنظره بجعله أهلا للعناية به، و السؤال عنه، فقال:
﴿كيف كان﴾ أى كونا [هو -[6]] فى غاية المكنة ﴿عاقبة المجرمين ه﴾
أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل من الصلاة التى هى الوصلة[7] بين ١٠
الله و بين عباده، و الزكاة التى هى وصلة بين بعض العباد و بعض،
لتكذيبهم الرسل الذين هم الهداة إلى ما [لا -[6]] تستقل به العقول،
فكذبوا بالآخرة التى[8] ينتج التصديق بها كل هدى، و يورث التكذيب
بها كل عمى - كما تقدمت الإشارة إليه فى افتتاح السورة، فانكم إن نظرتم
ديارهم. و تأملتم أخبارهم، حق التأمل، أسرع بكم ذلك إلى التصديق ١٥
فنجوتم و إلا هلكتم[9]، فلم تضروا إلا أنفسكم، و قد تقدم لهذا مزيد بيان

---

(١) فى ظ: مقالا (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: على الغى (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فكان (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لمجرد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: الموصلة. (٨) زيد فى الأصل: هى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اهلكتم.

في النجل .

و لما دهم النبي صلى الله عليه و سلم من الأسف على جلافتهم في عماهم عن [1] السبيل ، الذي هدى إليه الدليل ، ما لا يعلمه إلا الله قال : ﴿ و لا تحزن عليهم ﴾ أي في عدم إيمانهم .

٥ /٧٩٨ و لما كانوا [2] لا يقتصرون على التكذيب ، بل يبغون / للمؤمنين الغوائل ، و ينصبون الحبائل ، قال : ﴿ و لا تكن ﴾ مثبتا للنون لأنه في سياق الإخبار عن عنادهم و استهزائهم مع كفايته سبحانه تعالى لمكرهم بما أعد لهم من سوء العذاب في الدارين . فلا مقتضي للتناهي في الإيجاز و الإبلاغ في نفي الضيق ، [فيفهم إثبات النون الرسوخ . فلا يكون منهيا عما لا ينفك عنه العسر

١٠ مما أشار إليه قوله تعالى " و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون " و إنما ينهى عن التمادي معه في الذكر -[3]] بخلاف ما مضى في النحل ، فان السياق هناك [4] للعدل في العقوبة بما وقع من المصيبة [5] في غزوة أحد المقتضي لتعظيم التسلية بالحمل على الصبر . و نفي [جميع -[3]] الضيق ليكون ذلك وازعا عن مجاوزة الحد ، بل حاملا على العفو [6] ﴿ في ضيق ﴾ أي

١٥ في الصدر ﴿ مما يمكرون ﴾ فان الله جاعل تدميرهم في تدبيرهم كطغاة قوم صالح .

---

(١) من مد ، و في الأصل : على ، و في ظ : من (٢) في ظ : كان (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : هنا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : المعصية (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : العقول .

و لما أشار إلى أنهم لم يبقوا في المبالغة في التكذيب بالساعة وجها ، أشار إلى أنهم بالوعيد بالساعة و غيرها من عذاب الله أشد مبالغة ، فقال : ﴿ و يقولون ﴾ بالمضارع المؤذن بالتجدد[1] كل حين للاستمرار : ﴿متىٰ هذا الوعد﴾ و سموه وعدا إظهارا للمحبة[2] تهكما به ، و هو العذاب و البعث و المجازاة ﴿ ان كنتم ﴾ أي أنت و من تابعك ، كونا هو في ٥ غاية الرسوخ ، كما تزعمون ﴿ صٰدقين ه ﴾ فأجابهم على هذا الجواب الغص بجواب الواسع القادر الذى لا يعتريه ضيق ، و لا تنوبه عجلة ، مشيرا إلى الاستعـــداد للدفاع أو الاستسلام[3] لذى الجلال و الإكرام ، كما فعلت بلقيس رضى الله عنها ، فقال مخاطبا الرأس الذى لا يقدر على هذه التؤدة حق القدرة غيره : ﴿قل﴾ يا محمد ﴿عسىٰٓ﴾ أي يمكن ﴿ان يكون﴾ ١٠ و[4] جدير و خليق[4] بأن يكون ﴿ ردف ﴾ أى تبع ردفا حتى صار كالرديف و لحق .

و لما قصر الفعل و ضمنه معنى ما يتعدى باللام لأجل الاختصاص قال : ﴿ لكم ﴾ أى لأجلكم خاصة ﴿ بعض الذى تستعجلون ه ﴾ إتيانه من الوعيد ، فتطلبون تعجيله قبل الوقت الذى ضربه الله له ، فعلى تقدير ١٥ وقوعه ما ذا أعددتم لدفاعه ؟ فان العاقل من ينظر في عواقب أموره ، و يبنيها على أسوأ التقادير ، فيعد لما يتوهمه من البلاء ما يكون فيه

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : للتجدد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لمحبته (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : للاستيلام ـ كذا (٤-٤) في ظ ومد : خليق و جدير .

الخلاص كما فعلت بلقيس رضى الله عنها من[1] الانقياد الموجب للأمان[2] لما غلب على ظنها أن الإباء يوجب الهوان ، لا كما فعل قوم صالح من الآبار، التى[3] أعانت على الدمار ، و غيرهم من الفراعنة .

و لما كان التقدير قطعا : فان ربك لا يعجل على أهل المعاصى ٥ بالانتقام مع القطع بتمام قدرته ، عطف عليه قوله[4] : ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بالحلم عن[5] أمتك و ترك المعاجلة لهم بالعذاب على المعاصى ﴿ لذو فضل ﴾ أى تفضل[6] و إنعام ﴿ على الناس ﴾ أى كافة ﴿ و لكن اكثرهم لا يشكرون ﴾ أى لا يوقعون الشكر له بما أنعم [عليهم ، و يزيدون فى الجهل بالاستعجال -[7]] .

١٠ و لما كان الإمهال قد يكون من الجهل بذنوب الأعداء ، قال نافيا لذلك : ﴿ و ان ربك ﴾ [8]أى و الحال أنه أشار بصفة الربوبية إلى إمهالهم إحسانا إليه و تشريفا له[8] ﴿ ليعلم ﴾ أى علما لا يشبه علمكم بل هو فى غاية الكشف لديه دقيقه و جليله ﴿ ما تكن ﴾ أى تضمر و تستر و تخفى ﴿ صدورهم ﴾ أى الناس كلهم فضلا عن قومك ١٥ ﴿ و ما يعلنون ﴾ أى يظهرون من [9]عداوتك فلا تخشهم[9] ، و ذكر هذا القسم لأن التصريح أقر للنفس و المقام للاطناب ، على أنه ربما

---

(١) زيد فى ظ : ان (٢) فى ظ : للايمان (٣) فى ظ : الذى (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ و مد : على (٦) فى ظ : تفضيل (٧) زيد من ظ و مد .
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩-٩) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و مد .

كان فى الإعلان لغط و اختلاط أصوات يكون سببا للخفاء .

و لما كان ثبات علم الناس فى الغالب / مقيدا بالكتاب، قال تقريبا / ٧٩٩
لأفهامهم : ﴿و ما من غآئبة﴾ [أى من هنة من الهنات - [1]] فى غاية
الغيبوبة ﴿فى السمآء و الارض﴾ أى فى أى موضع كان منهما [2]، و أفردهما
دلالة على إرادة الجنس الشامل لكل فرد ﴿الا فى كتٰب﴾ كتبه ٥
قبل إيجادها لأنه لا يكون شيء إلا بعلمه و تقديره ﴿مبين﴾ لا يخفى
شيء فيه على من تعرف ذلك منه كيفما كان ؛ ثم دل على ذلك
بقوله : ﴿ان هٰذا القراٰن﴾ أى الآتى به هذا النبي الأمى الذى لم يعرف
قبله علما و لا خالط عالما ﴿يقص﴾ أى يتابع الإخبار و يتلو شيئا فشيئا
على سبيل القطع الذى لا تردد فيه، من غير زيادة و لا نقص ١٠
﴿على بنى اسرآءيل﴾ أى الذين أخبارهم مضبوطة فى كتبهم لا يعرف
بعضها إلا قليل من حذاق أحبارهم ﴿اكثر الذى هم﴾ أى خاصة لكونه
من خاص أخبارهم التى لا علم لغيرهم بها ﴿فيه يختلفون﴾ أى من أمر
الدين و إن بالغوا فى كتمه ، كقصة الزانى المحصن فى إخفائهم أن حده
الرجم ، و قصة عزير و المسيح ، و إخراج النبي صلى الله عليه و سلم ذلك [3] ١٥
من توراتهم [4]، فصح بتحقيقه على لسان من لم [يلم - [1]] بعلم قط أنه
من عند الله ، و صح أن الله تعالى يعلم كل شيء إذ لا خصوصية لهذا دون
غيره بالنسبة إلى علمه سبحانه .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (٣) سقط من
ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : توارتهم .

و لما بان بهذا [1]دليل علمه، أتبعه[1] دليل فضله و حلمه، فقال: ﴿ و انه ﴾ أى القرآن ﴿ لهدى ﴾ أى موصل إلى المقصود لمن وفق ﴿ و رحمة ﴾ أى نعمة و إكرام ﴿ للمؤمنين ﴾ أى الذين طبعتهم على الإيمان، فهو صفة لهم راسخة كما أنه[2] للكافرين وقر فى أذانهم و عمى فى قلوبهم .

و لما ذكر دليل فضله ، أتبعه دليل عدله ، فقال مستأنفا لجواب من ظن أن فضله دائم العموم على الفريقين: ﴿ ان ﴾ و قال: ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بجمعه لك بين العلم و البلاغة و الدين و البراعة و الدنيا و العفة و الشجاعة تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم ﴿ يقضى بينهم ﴾ أى بين جميع المختلفين ﴿ بحكمه ج ﴾ أى الذى هو أعدل حكم و أتقنه[3] و أنفذه و أحسنه مع كفرهم به[4] و استهزائهم برسله ، لا بحكم غيره و لا بنائب يستثنيه ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه هو ﴿ العزيز ﴾ فلا يرد له أمر ﴿ العليم ج لا ﴾ فلا يخفى عليه سر و لا جهر ، فلما ثبت له العلم و الحكمة ، و العظمة و القدرة ، تسبب عن ذلك قوله : ﴿ فتوكل على الله ط ﴾ أى الذى له جميع العظمة بما ثبت من علمه و قدرته التى[5] أثبت بها أنك أعظم عباده الذين اصطفى فى استهزاء الأعداء و غيره من مصادمتهم و مسالمتهم لتدع الأمور كلها إليه[6]، و تستريح من تحمل المشاق، وثوقا بنصره ، و ما أحسن قول قيس بن الخطيم[7] و هو جاهلى :

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : ان (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايقنه (٤) زيد بعده فى ظ : و اشهدهم (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ : اليها (٧) راجع لمصادر ترجمته الأعلام ٦/٥٥ .

متى ما[1] تقد بالباطل الحق يأبه و أن تقد الأطوار بالحق تنقد .

ثم علل ذلك حثا على التحرى فى الأعمال، و فطما لأهل الإبطال، عن تمنى المحال، فقال: ﴿ انك على الحق المبين ﴾ أى البين فى نفسه الموضح لغيره ، فحقك لايبطل و وضوحه[2] لايخفى ، و نكوصهم ليس عن خلل فى دعائك لهم ، و إنما الخلل فى مداركهم ، فثق بالله فى تدبير ٥ أمرك فيهم ؛ ثم علل هذا الذى أرشد السياق إلى تقديره ، أو[3] استأنف لمن يسأل متعجبا عن وقوفهم عن الحق الواضح بقوله : ﴿ انك لاتسمع الموتى ﴾ أى لا توجد سمعا للذين هم كالموتى فى عدم الانتفاع بمشاعرهم التى هى فى غاية الصحة ، و هم إذا سمعوا الآيات أعرضوا عنها .

و لما كان تشبيههم بالموتى مؤيسا ، قال مرجيا : ١٠ ﴿ ولا تسمع / الصم الدعآء ﴾ أى لا تجدد ذلك لهم ، فشبههم بما فى أصل / ٨٠٠ خلقهم بما[4] جبلوا عليه [من - [5]] الشكاسة و سوء الطبع بالصم .

و لما كانوا[6] قد ضموا إلى ذلك الإعراض و النفرة فصاروا كالأصم المدبر ، و كان الأصم إذا أقبل ربما سمع بمساعدة بصره و فهمه ، قال : ﴿ اذا ولوا مدبرين ﴾ فرجاه فى إيجاد الإسماع إذا حصلت لهم[7] حالة ١٥ من الله تقبل[8] بقلوبهم .

و لما شبههم بالصم فى كونهم لايسمعون إلا مع الإقبال ، مثلهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : و وضوحك .
(٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ : بما (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : كان .
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : يقلب .

بالعمى فى أنهم لايهتدون فى[1] غير عوج أصلا إلا براعٍ لاتشغله عنهم فترة و لا ملال[2]، فقال: ﴿ و مآ أنت بهدى ﴾ أى بموجد الهداية على الدوام فى قلوب ﴿العمى﴾ [أى فى أبصارهم و بصائرهم مزيلا لهم و ناقلا و مبعدا - [3]] ﴿ عن ضللتهم[4] ﴾ عن الطريق بحيث تحفظهم عن أن

٥ يزالوا عنها أصلا، فان هذا لايقدر عليه إلا الحى القيوم، و السياق كما ترى يشعر بتنزيل كفرهم فى ثلاث رتب: عليا ككفر أبى جهل، و وسطى كعتبة بن ربيعة، و دنيا كأبى طالب و بعض المنافقين، و سيأتى فى سورة الروم لهذا مزيد[4] بيان.

و لما كان هذا ربما أوقف[5] عن دعائهم، رجاه فى انقيادهم و ارعوائهم

١٠ بقوله: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ تسمع ﴾ أى سماع انتفاع على وجه الكمال[6]، فى كل حال ﴿ الا من يؤمن ﴾ أى من علمنا أنه يصدق ﴿ بايٰتنا ﴾[7] بأن جعلنا فيه قابلية السمع. ثم سبب عنه قوله دليلا على إيمانه[8]: ﴿ فهم مسلمون ﴾ أى فى غاية الطواعية لك فى المنشط و المكره، لاخيرة لهم و لا إرادة فى شىء من الأشياء.

١٥ و لما فرغ من عظيم زجرهم بتسليته[9] صلى الله عليه و سلم فى أمرهم و ختم بالإسلام، عطف عليه ذكر[10] ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له استهزاء

(١) فى ظ: من (٢) فى ظ: ملالة (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: زيادة. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: وقف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كمال (٧) زيد فى ظ: اى (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: ايمانهم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بتسلية نبيه (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: قوله وذكره.

به[1]، و بدأ منه بالدابة التى تميز المسلم من غـيره[2]، فقال محققا بأداة التحقيق: ﴿و اذا وقع القول﴾ أى حان حين وقوع الوعيد الذى هو معنى القول، و كأنه لعظمه لاقول غيره ﴿ عليهم ﴾ بعضه بالإتيان حقيقة و بعضه بالقرب جدا ﴿ اخرجنا ﴾ [أى -[3]] بما لنا من العظمة ﴿ لهم ﴾ من أشراط الساعة ﴿ دآبة ﴾ و أىّ دابة فى هولها و عظمها ٥ خلقا و خلقا ﴿ من الارض ﴾ أى أرض مكة التى هى أم الأرض، لأنه لم يبق بعد إرسال أكمل الخلق بأعلى الكتب إلا كشف الغطاء .

و لما كان التعبير بالدابة يفهم أنها كالحيوانات العجم لا كلام لها قال: ﴿تكلمهم لا﴾ أى بكلام يفهمونه، روى البغوى[4] من طريق مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: قال سمعت رسول الله صلى الله ١٠ عليه و سلم يقول: إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، و خروج الدابة على الناس ضحى، و أيتهما[5] كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا . و من طريق ابن خزيمة عن أبى شريحة الغفارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: يكون للدابة ثلاث خرجات[6] من الدهر، فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية، و لا يدخل ١٥ ذكرها القرية - يعنى مكة، ثم تكمن[7] زمانا طويلا، ثم تخرج خرجة أخرى [قريبا -[8]] من مكة فيفشو ذكرها بالبادية و يدخل ذكرها القرية[9]، ثم بينما

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الكافر (٣) زيد من ظ و مد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/ ١٣٠ (٥) زيد فى المعالم: ما . (٦) فى ظ: خروجات (٧) فى المعالم: تمكث (٨) زيد من ظ و مد و المعالم . (٩) يعنى مكة - كما زيد فى المعالم .

الناس يوما فى أعظم المساجد على الله عز وجل حرمة و أكرمها على الله عز و جل - يعنى المسجد الحرام[1]، لم يرعهم إلا و هى فى ناحية المسجد تدنو و تدنو - كذا قال عمرو - يعنى ابن محمد العبقرى أحد رواة الحديث - ما بين الركن الأسود إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط

٥ ذلك، فارفض الناس / عنها و ثبت[2] لها عصابة عرفوا أنهم لن[3] يعجزوا الله ٨٠١ / فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب، فمرت بهم فجلت[4] عن وجوههم حتى تركتها[5] كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت[6] فى الأرض لا يدركها طالب، و لا يعجزها[7] هارب، حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان! الآن تصلى، فيقبل عليها بوجهه

١٠ فتسمه فى وجهه، فيتجاور الناس فى ديارهم، و يصطحبون فى أسفارهم، و يشتركون فى الأموال، يعرف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن: يا مؤمن، و يقال للكافر: يا كافر؛ و من طريق[8] الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: تخرج الدابة و معها عصا موسى، و خاتم سليمان عليهما السلام، فتجلو وجه

١٥ المؤمن بالعصا، و تخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الخوان[9]

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد و المعالم فحذفناها (٢) فى المعالم: تثبت (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فحملت (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تركها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ولدت (٧) فى المعالم: لا يفوتها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: طرق (٩) من المعالم، و فى الأصول: الجوار.

ليجتمعون[1] فيقول هذا: يا مؤمن، و هذا: يا كافر .

ثم علل سبحانه إخراجه لها بقوله: ﴿ ان الناس ﴾ أى بما[2] هم ناس لم يصلوا إلى أول أسنان الإيمان، و هو سن " الذين آمنوا " بل هم[3] نائسون مترد دون مذبذبون تارة، و تارة ﴿ كانوا ﴾ أى [كونا - [4]] هو لهم[5] كالجبلة ﴿ بآياتنا ﴾ أى المرئيات التى كتبناها بعظمتنا فى ذوات ٥ العالم، والمسموعات المتلوات، التى أتيناهم بها على ألسنة[6] أكمل [الخلق - [4]]: الأنبياء و الرسل، حتى ختمناهم بامامهم الذى هو أكمل العالمين، قطعا لحجاجهم، و ردا عن لجاجهم، و لذا عممنا برسالته و أوجبنا على جميع العقل اتباعه ﴿ لا يوقنون ﴾ من اليقين، و هو إتقان[7] العلم بنفى الشبه، بل هم فيها مزلزلون، فلم يبق بعده صلى الله عليه و سلم إلا كشف الغطاء ١٠ عما ليس من جنس البشر بما[8] لا تثبت له عقولهم .

و لما كان من فعل الدابة التميز بين المؤمن و الكافر بما لا يستطيعون دفعه، تلاه بتمييز كل فريق منهما عن صاحبه بجمعهم يوم القيامة فى ناحية، و سوقهم من غير اختلاط بالفريق الآخر، فقال عاطفا على [العامل فى - [4]] "و اذا وقع القول": ﴿ و يوم نحشر ﴾ أى نجمع - بما[9] ١٥ لنا من العظمة - على وجه الإكراه؛ قال أبو حيان[10]: الحشر: الجمع

---

(١) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : ليجمعون (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فما (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) ورد فى الأصل بعد «كالجبلة»، و الترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لسان .
(٧) من ظ و مد . و فى الأصل : اتباع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما .
(٩) فى ظ و مد: على ما (١٠) راجع البحر المحيط ٩٨/٧ .

على عنف ﴿ من كل امة فوجا ﴾ أى جماعة كثيرة ﴿ ممن يكذب ﴾
أى [يوقع التكذيب للهداة - ١] على الاستمرار ، [مستهينا - ١]
﴿ بايٰتنا ﴾ أى المرئية بعدم الاعتبار بها ، و المسموعة بردها و الطعن فيها
على ما لها ٢ من العظمة باضافتها إلينا ؛ و أشار إلى كثرتهم بقوله [متسببا
٥ عن العامل فى الظرف من نحو : يكونون فى ذل عظيم - ١] :
﴿ فهم يوزعون ۝ ﴾ أى يكف بأدنى إشارة [منه - ١] أولهم على
آخرهم ، و أطرافهم على أوساطهم ، ليتلاحقوا ، و لا يشذ منهم ٣ أحد ،
و لا يزالون كذلك ﴿ حتىٓ اذا جآءو ﴾ أى المكان الذى أراده الله لتبكيتهم
﴿ قال ﴾ لهم ملك الملوك غير مظهر لهم الجزم بما يعلمه من أحوالهم ،
١٠ فى عنادهم و ضلالهم ، بل سائلا لهم إظهارا للعدل بالزامهم بما يقرون
به من أنفسهم ، و فيه إنكار و توبيخ و تبكيت و تقريع : ﴿ اكذبتم ﴾
أى [أيها - ١] الجاهلون ﴿ بايٰتى ﴾ على ما لها من العظم فى أنفسها ، و باتيانها
إليكم على أيدى أشرف عبادى ﴿ و ﴾ الحال أنكم ﴿ لم تحيطوا بها علما ﴾ أى
من غير فكر و لا نظر يؤدى إلى الإحاطة بها فى معانيها و ما أظهرت
١٥ لأجله حتى تعلموا ما تستحقه و يليق بها بدليل لا مرية فيه ﴿ امّا ذا كنتم ﴾
أى فى تلك الأزمان بما هو لكم كالجبلات ﴿ تعملون ۝ ﴾ فيها هل صدقتم
[بها - ١] أو كذبتم بعد الإحاطة بعلمها ؟ أخبرونى عن ذلك كله ! مادهاكم ٤
حيث لم تشتغلوا بهذا العمل المهم ؟ فان هذا - و عزتى - مقام العدل

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنا (٣) فى ظ : عليهم.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : دعاكم .

و التحرير

و التحرير، و لا يترك[1] فيه قطمير و لا نقير، و لا ظلم فيه على أحد فى جليل و لا حقير، و لا قليل و لا كثير، و السؤال على هذا الوجه منبه على الاضطرار / إلى التصديق أو[2] الاعتراف بالإبطال، لأنهم إن قالوا: كذبنا، فان قالوا مع عدم الإحاطة كان فى غاية الوضوح فى الإبطال، و إن قالوا مع الإحاطة كان أكذب الكذب. /٨٠٢ ٥

و لما كان التقدير بما أرشد إليه السياق: فأجابوا بما تبين[3] به أنهم ظالمون، عطف عليه قوله: ﴿و وقع القول﴾ أى مضمون الوعيد الذى هو القول حقا، مستعليا ﴿عليهم بما ظلموا﴾ أى بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب و ما نشأ عنه من الضلال، فى الأقوال و الأفعال ﴿فهم لا ينطقون﴾ أى بسبب ما شغلهم من وقوع العذاب ١٠ المتوعد به بما[4] أحاط بقواهم، فهد أركانهم، و ما انكشف لهم من أنه لا ينجيهم شيء.

و لما ذكر الحشر، استدل [عليه -[5]] بحشرهم كل ليلة إلى المبيت، و الختم على مشاعرهم، و بعثهم من المنام، و إظهار الظلام الذى هو كالموت بعد النور، و بعث النور بعد إفنائه بالظلام، فقال: ﴿الم يروا﴾ مما ١٥ يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت و على كل ما أخبرناهم به ﴿انا جعلنا﴾ أى بعظمتنا التى لا يصل أحد إلى مماثلة شيء منها

(١) فى ظ: لا يقول (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: «و»، و زيد بعده فى ظ: الى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يبين (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٥) زيد من ظ و مد.

[الدالة على تفردنا و فعلنا بالاختيار - [1]] ﴿ اليل ﴾ أى مظلما ﴿ ليسكنوا فيه ﴾ عن الانتشار ﴿ و النهار مبصرا [4] ﴾ أى بابصار من يلابسه، لينتشروا فيه فى معايشهم بعد أن كانوا ماتوا الموتة الصغرى، وكم [من - [2]] شخص منهم بات سويا لا قلبة [3] به فمات، ولو شئنا
٥ لجعلنا الكل كذلك لم يقم منهم أحد، و عدل عن " ليبصروا [4] فيه " تنبيها على كمال كونه سببا للابصار، و على أنه ليس المقصود كالسكون، بل [وسيلة المقصود الذى هو جلب المنافع - [1]]، فالآية من الاحتباك : ذكر السكون أولا دليل [5] على الانتشار [ثانيا - [6]]، و ذكر الإبصار ثانيا دليل [5] على الإظلام أولا ؛ ثم عظم هذه الآية حثا على
١٠ تأمل ما فيها من القدرة الهادية إلى سواء السبيل فقال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الحشر و النشر الأصغرين مع آيتى الليل و النهار ﴿ لأيت ﴾ أى متعددة، بينة على التوحيد و البعث الآخر و النبوة، لأن [من - [1]] قلب الملوين [7] لمنافع الناس [الدنيوية - [1]]، [8] أرسل الرسل لمنافعهم فى الدارين [9] .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : غلبة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : ان يبصروا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : دليلا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : الملاوس . (٨) زيد فى الأصل : ثم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل : ثم عظم هذه الآية حثا على تأمل ما فيها، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها، و قد مرت هذه العبارة على س ٩ .

و لما كان من مبانى السورة تخصيص الهداية بالمؤمنين، خصهم بالآيات لاختصاصهم بالانتفاع بها و إن كان الكل مشتركين فى كونها دلالة لهم، فقال: ﴿ لقوم يؤمنون ه ﴾ أى قضيت بأن إيمانهم لا يزال يتجدد، فهم[1] كل يوم فى علو و ارتفاع[2].

و لما ذكر هذا الحشر الخاص، و الدليل على مطلق الحشر[3] و النشر[3]، ٥ ذكر الحشر العام، لئلا يظن أنه إنما يحشر الكافر[4]، فقال مشيرا إلى عمومهم بالموت كما عمهم بالنوم، و عمومهم بالإحياء كما عمهم بالإيقاظ: ﴿ و يوم ينفخ ﴾ أى بأيسر أمر ﴿ فى الصور ﴾ أى القرن الذى جعل صوته لإماتة الكل.

و لما كان ما ينشأ عنه من فزعهم مع كونه محققا مقطوعا[5] به ١٠ كأنه وجد و مضى، يكون فى آن واحد، أشار إلى ذلك و سرعة كونه بالتعبير بالماضى فقال: ﴿ ففزع ﴾ أى صعق بسبب هذا النفخ ﴿ من فى السموٰت ﴾.

و لما كان الأمر مهولا، كان الإطناب أولى، فقال: ﴿ و من فى الارض ﴾ أى كلهم ﴿ الا من شآء الله ﴾ أى[3] المحيط ١٥ علما و قدرة و عزة و عظمة، أن لا يفزع[3]؛ ثم أشار إلى النفخ لإحياء الكل بقوله: ﴿ وكل ﴾ أى من فزع و من لم / يفزع ﴿ اتوه ﴾ أى ٨٠٣/

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فيهم (٢) فى ظ و مد: ارتقاء (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) فى ظ: الكافرين (٥) فى الأصل: مقطوع، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ و مد إلى «مضى يكون».

بعد ذلك للحساب بنفخـــة أخرى يقيمهم بها ، دليلا على تمام القدرة في كونه أقامهم بما به أنامهم[1] ﴿داخرين﴾ أي صاغرين منكسرين ؛ و استغنى عن التصريح به بما يعلم بالبديهة من أنه لا يمكن إتيانهم في حال فزعهم الذي هو كناية عن بطلان إحساسهم ، هذا معنى ما قاله كثير من المفسرين
٥ والذي يناسب سياق الآيات الماضية - من كون الكلام في يوم القيامة الذي هو ظرف لما بين البعث و دخول الفريقين إلى داريهما - أن يكون هذا النفخ بعد البعث و بمجرد[2] صعق هو كالغشي[3] كما أن حشر الأفواج كذلك ، و يؤيده التعبير بالفزع ، و يكون الإتيان بعده بنفخة أخرى تكون بها الإفاقة[4] . فهاتان النفختان حينئذ هما المراد من قوله صلى الله
١٠ عليه و سلم : يصعق النـاس يوم القيامة - الحديث[5] ، و سيأتي الكلام [عليه -[6]] إن شاء الله تعالى لفظا و معنى ، و يحل[7] ما فيه من إشكال في آخر سورة الزمر .

و لمـا ذكر دخورهم[8] ، تلاه بدخور ما هو أعظم منهم خلقا ، و أهول أمرا ، فقال [عاطفا على ناصب الظرف مما تقديره : كانت
١٥ أمور محلولة -[6]] ، معبرا بالمضارع لأن ذلك و إن شارك الفزع في

---

(١) في ظ : اتاهم (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لمجرد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : كالعيش (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الاقامة . (٥) رواه البخاري في عدة مناسباته - راجع مثلا أول الخصومات من الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : حل . (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : دخور .

التحقق قد فارقه فى [1]الحدوث و التجدد[1] شيئا فشيئا: ﴿ و ترى الجبال ﴾ أى عند القيام من القبور، و الخطاب إما للنبى صلى الله عليه و سلم ليدل ذلك - لكونه صلى الله عليه و سلم أنفذ الناس بصرا و أنورهم بصيرة - على عظم الأمر، و إما لكل أحد لأن الكل صاروا بعد قيامهم أهلا للخطاب بعد غيبتهم فى التراب ﴿ تحسبها جامدة ﴾ أى قائمة ثابتة فى مكانها ٥ لا تتحرك، لأن كل كبير متباعد الأقطار[2] لا يدرك مشيته[3] إلا تخرصا ﴿ و هى تمر ﴾ أى تسير حتى تكون كالعهن المنفوش فينسفها الله فتقع حيث شاء كأنها الهباء المنثور، فتستوى الأرض كلها بحيث لا يكون فيها عوج، و أشار إلى أن سيرها خفى و إن كان حثيثا بقوله: ﴿ مر السحاب[4] ﴾ أى مرا سريعا لا يدرك على ما هو عليه لأنه إذا طبق ١٠ الجو لا يدرك سيره مع أنه لاشك فيه و إن لم تنكشف الشمس [4]بلا لبس[4]، و كذا كل كبير الجرم أو كثير[5] العد يقصر عن[6] الإحاطة به لبعد ما بين أطرافه بكثرته البصر، يكون سائرا، و الناظر الحاذق يظنه واقفا.

و لما كان ذلك[7] أمرا هائلا، أشار إلى عظمته[8] بقوله، مؤكدا ١٥

(١-١) من ظ، وفى الأصل: والحديث والتجرد، وفى مد: التجدد (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: شبه (٤-٤) من ظ ومد، وفى الأصل: باللبس حيث شاء (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كبير (٦) من ظ و مد، فى الأصل: عند (٧) فى ظ: كذلك (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عظمة.

لمضمون الجملة المتقدمة: ﴿ صنع الله ﴾ أى صنع الذى له الأمر كله ذلك الذى أخبر أنه كائن فى ذلك اليوم صنعا، و نحو هذا المصدر إذا جاء عقب كلام جاء كالشاهد بصحته، و المنادى على سداده، و الصارخ بعلو مقداره، و أنه ما[1] كان ينبغى أن يكون إلا هكذا، ثم زاد فى التعظيم
٥ بقوله دالا على تمام الإحكام فى ذلك الصنع: ﴿الذى اتقن كل شىء﴾.

و لما ثبت هذا على [هذا -[2]] الوجه المتقن[3]، و النظام الأمكن، أنتج قطعا قوله: ﴿ انه ﴾ أى الذى أحكم هذه الأمور كلها ﴿خبير بما يفعلون ﴾ أى لأن الإتقان نتيجة القدرة، و هى نتيجة العلم، فمن لم يكن شامل العلم لم يكن تام القدرة، و عبر بالفعل الذى هو أعم
١٠ من أن يكون بعلم أو لا، لأنه فى سياق البيان لعماهم، و نفى العلم عنهم، و قرئ بالخطاب[4] المؤذن بالقرب المرجى للرضا، المرهب من الإبعاد المقرون بالسخط، و بالغيبة المؤذنة بالإعراض الموقع فى الخيبة، و ما أبدع ما لاءم ذلك و لاحمه ما بعده على تقدير الجواب لسؤال من كأنه قال: ما ذا يكون حال أهل الحشر مع الدخور[5] عند الناقد البصير؟ فقال:
١٥ من إتقانه للأشياء أنه رتب / الجزاء أحسن ترتيب ﴿من جآء بالحسنة﴾ ٨٠٤ / أى الكاملة و هى الإيمان ﴿ فله ﴾ و هو من جملة إحكامه للأشياء ﴿خير﴾ أى أفضل ﴿ منها ج ﴾ مضاعفا، أقل ما يكون عشرة أضعاف إلى ما لا يعلمه إلا الله، [و أكرمت وجوههم عن النار - [2]]، و هؤلاء اهل القرب

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المتفق (٤) راجع نثر المرجان ٥/١٤١ (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: الدخول.

الذين سبقت لهم الحسنى ﴿وهم من فزع يومئذ﴾ [1]أي إذ[1] وقعت هذه الأحوال، العظيمة الأهوال ﴿آمنون﴾ أي حتى لا يحزنهم الفزع الأكبر، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، وأخذ بعضه بحجزة[2] بعض، كأنما أفرغ إفراغا واحدا، و لأمر ما أعجز القوى، وأخرس الشقاشق[3] والادعاء ﴿ومن جآء بالسيئة﴾ أي التي لا سيئة ٥ مثلها، وهي الشرك لقوله: ﴿فكبت﴾ أي بأيسر أمر ﴿وجوههم في النار[4]﴾ مع أنه ورد في الصحيح أن مواضع السجود - التي أشرفها الوجوه - لا سبيل للنار عليها، والوجه أشرف ما في الإنسان، فاذا هان كان ما سواه أولى بالهوان، والمكبوب عليه منكوس.

ولما كانوا قد نكسوا أعمالهم وعكسوها بعبادة غير الله، فوضعوا ١٠ الشيء في غير موضعه، فعظموا ما حقه التحقير. واستهانوا أمر العلي الكبير. وكان الوجه محل [ظهور -[4]] الحياء والانكسار، لظهور الحجة، وكانوا قد حدقوا الأعين جلادة وجفاء عند العناد، وأظهروا في الوجوه التجهم[5] والعبوس والارتداد، بدع قوله [بناء على ما تقديره بما دل عليه الاحتباك: وهم من فزع يومئذ خائفون، وليس لهم إلا مثل ١٥ سيئتهم -[4]]: ﴿هل﴾ [6]أي مقولا لهم: هل[6] ﴿تجزون﴾ [7]أي بغمس الوجوه[7]

(١-١) في ظ: اذا (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: بحجر (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: الشقاشر - كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفي الأصل وظ: التهجم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ إلا أن «مقولا لهم» ورد فيه بعد «مثل سيئتهم» (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]فى النار ؛ و بنى للفعول لأن المرغب المرهب الجزاء ، لا كونه من معين ، و إشارة إلى أنه يكون بأيسر أمر ، لأن من المعلوم أن المجازى هو الله لاغيره[1] ﴿ الا ما كنتم ﴾ أى بما هو لكم كالجبلة ﴿ تعملون ﴾ أى تكررون عمله و أنتم تزعمون أنه مبنى[2] على قواعد العلم [بحيث -[3]]

٥ يشهد كل [من -[3]] رآه أنه مماثل لأعمالكم سواء بسواء ، و هو شامل أيضا لأهل القسم الأول ، [و الآية من الاحتباك : ذكر الخيرية و الأمن أولا دليلا على حذف المثل و الخوف ثانيا ، و الكب فى النار ثانيا دليلا على الإكرام عنه أولا -[3]] .

و لما أتم أمر الدين بذكر الأصول الثلاثة : المبدأ و المعاد و النبوة ،

١٠ و مقدمات القيامة و أحوالها ، [و بعض صفتها و ما يكون من أهوالها -[3]] ، و ذلك كمال ما يتعلق بأصول الدين على وجوه مرغبة أتم ترغيب ، مرهبة أعظم ترهيب ، أوجب هذا الترغيب و الترهيب لكل سامع أن يقول : فما الذى نعمل [و من نعبد -[3]] ؟ فأجابه المخاطب بهذا الوحى[4] ، المأمور بابلاغ هذه الجوامع ، الداعى لمن سمعه ، الهادى لمن اتبعه[5] ، بأنه

١٥ رضى له ما رضى لنفسه ، و هو ما أمره به ربه ، فقال : ﴿ انمآ امرت ﴾ [أى بأمر من لايرد له أمر - [3]] ، و لا يبعد أن يكون بدلا من قوله " الحمد لله و سلم على عباده الذين اصطفى " فيكون محله نصبا بقل ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوحى - كذا (٥) فى ظ و مد : تبعه .

و عظم

[و عظم المأمور به باحلاله محل العمدة فقال -[1]] : ﴿ ان اعبد ﴾ أى بجميع ما أمركم به ﴿ رب ﴾ أى موجد و مدبر و ملك ؛ و عين المراد و خصه [و قربه -[1]] تشريفا و تكريما بقوله : ﴿هذه البلدة﴾ أى مكة التى تخرج الدابة منها فيفزع كل من راها، ثم تؤمن أهل السعادة، أخصه بذلك لا أعبد شيئا مما عدلتموه به سبحانه و ادعيتم أنهم ٥ شركاء، وهم[2] من جملة ما خلق ؛ ثم وصف المعبود الذى ما أمر بعبادة أحد غيره بما يقتضيه وصف الربوبية، و تعين البلدة التى أشار إليها بأداة القرب لحضورها[3] فى الأذهان لعظمتها و شدة الإلف بها و إرادتها بالأرض[4] التى تخرج الدابة منها، فصارت لذلك[5] بحيث إذا أطلقت البلدة انصرفت[6] إليها و عرف أنها مكة، فقال: ﴿ الذى حرمها ﴾ ١٠ تذكيرا لهم[7] بنعمته سبحانه عليهم و تربيته لهم بأن أسكنهم خير بلاده، و جعلهم بذلك مهابة فى قلوب عباده، بما ألقى فى / القلوب من أنها حرم، / ٨٠٥ [لا يسفك بها دم -[1]]، و لا يظلم أحد، و لا يباح بها صيد، و لا يعضد شجرها[8]، و خصها بذلك من بين سائر بلاده و الناس يتخطفون من حولهم و هم آمنون لا ينالهم شىء من فزعهم و هولهم . ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل : شركاده .
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل : لحضورها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و الأرض (٥) فى ظ : كذلك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انصرف .
(٧) من ظ و مد . و فى الأصل : له (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : شجر .

و لما كانت إضافتها إليه إنما هي لمحض التشريف، قال احتراسا عما لعله يتوهم: ﴿و له كل شيء ز﴾ أي من غيرها مما أشركتموه به و غيره خلقا و ملكا و ملكا، و ليس هو كالملوك الذين ليس لهم إلا ما حموه على غيرهم.

٥ و لما كانوا ربما قالوا: و نحن نعبده بعبادة من نرجوه يقربنا إليه زلفى، عين الدين الذي تكون به العبادة فقال: ﴿ و امرت ﴾ أي مع[١] الأمر بالعبادة له وحده، [و عظم المفعول المأمور به بجعله عمدة الكلام بوضعه موضع الفاعل فقال -[٢]]: ﴿ ان اكون ﴾ أي كونا هو في غاية الرسوخ ﴿ من المسلمين لا ﴾ أي المنقادين لجميع ما يأمر به كتابه أتم انقياد،

١٠ ثابتا على ذلك غاية الثبات.

و لما بين[٣] ما أمر به في نفسه، أتبعه ما تعم فائدته غيره فقال: ﴿ و ان اتلوا القرءان ج ﴾ أي أواظب على تلاوته و تلوه - أي إتباعه - عبادة لربي، و إبلاغا للناس ما أرسلت به إليهم مما لا يلم به ريب في أنه من عنده. [و لأكون - [٢]] مستحضرا لأوامره فاعمل[٤] بها، و لنواهيه

١٥ فأجتنبها، و ليرجع الناس إليه و يعولوا[٥] في كل أمر عليه. لأنه جامع لكل علم.

و لما تسبب عن ذلك [أن -[٢]] من انقاد له نجى نفسه، و من

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: من (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ: كان.
(٤) من ظ و مد، و في الأصل: لاعمل (٥) في ظ و مد: يعولون.

استعصى عليه أهلكها[1]، قال له ربه سبحانه مسليا و مؤسيا و مرغبا و مرهبا: ﴿ فمن اهتدى ﴾ أي باتباع هذا القرآن الداعي إلى الجنان ﴿فانما يهتدى لنفسهج﴾ لأنه يحييها بحوزة الثواب، و نجاته من العقاب، [فانما أنا من المبشرين، أبشره أنه من الناجين -[2]] ﴿ و من ضل ﴾ أي عن الطريق التى نهج و بينها من غير ميل و لا عوج ﴿ فقل ﴾[3] له ٥ كما تقول لغيره[4]: ﴿ انمآ انا من المنذرين ه ﴾ أي المخوفين له عواقب صنعه. و إنما فسره و رده[5] فلم أومر به الآن ﴿و قل﴾ أي إنذارا لهم و ترغيبا و ترجية و ترهيبا: ﴿الحمد﴾ أي الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿لله﴾ أي الذى له العظمة كلها سواء اهتدى الكل و ضل الكل، أو انقسموا إلى مهتد و ضال، لأنه لا يخرج شيء عن مراده . ١٠

و لما كانت نتيجة ذلك القدرة على كل شيء قال: ﴿ سيريكم ﴾ أي في الدنيا و الآخرة بوعد محقق لا شك في وقوعه ﴿ اٰيٰته ﴾ أي الرادة[6] لكم عما أنتم فيه يوم يحل لى هذه البلدة الذى حرمها بما أشار إليه جعلى من المنذرين و غير ذلك مما يظهر من وقائعه و يشتهر[7] من أيامه التى صرح[8] أو لوح بها القرآن، فيأتيكم تأويله فترونه عيانا. و هو ١٥ معنى ﴿ فتعرفونها ط ﴾ أي بتذكركم ما أتوعدكم الآن [به -[2]] و أصفه لكم

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: اهلها (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ: اى (٤) العبارة من هنا إلى «ترجية و ترهيبا» ساقطة من ظ (٥) كذا. و فى العبارة غموض مع بعض الزيادات المحوة فى مد (٦) فى ظ: الواردة. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يسهر (٨) زيد فى الأصل: بها، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

منها، لا تشكون فى شىء من ذلك أنه على ما وصفته و لا ترتابون، فتظهر لكم عظمة القرآن. و إبانة آيات الكتاب الذى هو الفرقان، و ترون ذلك حق اليقين "و لتعلمن نباه بعد حين"، "يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق هذا ما وعد الرحمن ٥ و صدق المرسلون".

و لما كان قد نفس لهم بالسين فى الآجال، و كان التقدير تسلية له صلى الله عليه و سلم: و ما ربك بتاركهم على هذا الحال من العناد لأن ربك قادر على ما يريد، عطف عليه قوله: ﴿ و ما ربك ﴾ أى المحسن إليك بجميع ما أقامك فيه من هذه الأمور العظيمة و الأحوال ١٠ [الجليلة - [1]] الجسيمة ﴿ بغافل عما تعملون ع ﴾ أى من مخالفة أوامره، و مفارقة زواجره، و يجوز أن تكون الجملة حالا من فاعل "يرى" أى يريكم غير غافل، و من قرأ بالخطاب [2] كان المعنى: عما تعمل أنت و أتباعك من الطاعة. و هم من المعصية، فيجازى كلا [3] منكم بما يستحق [فيعلى أمرك، و يشد إزرك، و يوهن أيدهم، و يضعف كيدهم، بما له ١٥ من الحكمة، و العلم و نفوذ الكلمة. فلا يظن ظان أن تركه للعاجلة بعقابهم لغفلة عن شىء من أعمالهم، إنما ذلك لأنه حد لهم حدا هم بالغوه لا محالة لأنه لا يبدل القول لديه. وقد رجع آخرها كما ترى بإبانة الكتاب و تفخيم القرآن و تقسيم الناس فيه إلى مهتد وضال إلى أولها، و عانق ختامها ابتداءها بحكمة منزلها، و علم مجملها و مفصلها - [1]]، إلى غير ذلك

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع نثر المرجان ٥/١٤٥ (٣) فى ظ : كل.

مما يظهر عند تدبرها و تأملها - و الله الموفق [١] للصواب، و إليه المرجع و المآب [١].

[٢] نجز الجزء المبارك من مناسبات البقاعى بحمد الله و عونه و يتلوه القصص إن شاء الله تعالى - اللهم اغفر لنا ذنوبنا و تجاوز عن سيئاتنا [٢].



(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد، و فى ظ: و اليه المآب و هو أعلم بالصواب.

(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و موضع ما بين الرقمين فى مد: تم الجزء المبارك من كتاب نظم الدرر فى مناسبة الآى و السور على يد أذل عبيد الله و أحوجهم الى عفوه عن ذنوبه العبد الفقير سالم السنهورى المالكى غفر الله له و لوالديه فى يوم الأربعاء المبارك ثالث شهر صفر سنة إحدى و سبعين و تسعمائة و حسبنا الله و نعم الوكيل.

٢ /

بسم الله الرحمن الرحيم

[١]و به الإعانة ، و صلى الله على أسعد مخلوقاته و زين عباده سيدنا محمد و آله و صحبه[١]

سورة القصص[٢]

مقصودها التواضع لله[٣] ، المستلزم لرد[٤] الأمر كله إليه ، الناشئ[٥] عن الإيمان بالآخرة[٥] ، الناشئ[٥] عن الإيمان [٦]بنبوة محمد[٦] صلى الله عليه و سلم ، [٧]الثابتة بإعجاز[٧] القرآن ، المظهر للخفايا[٨] على لسان من لم[٩] يتعلم علما قط من أحد من الخلق ، المنتج لعلو المتصف به ، و ذلك هو المأخوذ من تسميتها بالقصص الذى حكم لأجله [١٠]شعيب بعلو[١٠] الكليم عليهما السلام على من ناواه ، و قمعه لمن عاداه ، فكان المآل[١١] وفق ما قال ﴿بسم الله﴾ الذى اختص بالكبرياء و العظمة ، فألبس خدامه من ملابس هيبته ﴿الرحمن﴾ الذى عم بنعمة البيان ، حتى أهل الكفران ﴿ الرحيم ﴾ الذى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) الثامنة و العشرون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و هى ثمان و ثمانون آية بالاتفاق - راجع روح المعانى ٦/٣٢٦ (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمرد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالآية - كذا (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنبيه (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التابعة فإعجاز (٨) فى مد : للخفاء . (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : شعيبا لعلو (١١) فى ظ و مد : المآ - كذا .

خص بنعمة ما بعد البعث أهل الإيمان .

لما ختم تلك بالوعد المؤكد بأنه يظهر آياته فتعرف، و أنه ليس بغافل عن شيء، تهديدا للظالم، و تثبيتا للعالم، وكان من الأول ما يوحيه في هذه من الأساليب المعجزة من خفايا علوم أهل الكتاب، فلا يقدرون على رده، و من الثاني ما صنع بفرعون و آله، قال أول هذه[1]: ﴿طسم ۝﴾ ٥ مشيرا بالطاء المليحة بالطهر و الطيب إلى خلاص بني إسراءيل بعد طول ابتلائهم المطهر لهم عظيم، و بالسين الرامزة إلى السمو و السنا و السيادة إلى أن ذلك يكون بمسموع من[2] الوحي في ذي طوى من طور سيناء قديم، و بالميم المهيئة للملك[3] و النعمة إلى قضاء من الملك الأعلى بذلك كله تام عميم . ١٠

و لما كانت هذه إشارات عالية، و ما بعدها [لزوم - [4]] نظوم لأوضح الدلالات حاوية، [5]قال مشيرا[5] إلى عظمتها : ﴿تلك﴾ أي الآيات العالية الشأن ﴿ءايت الكتب﴾ أي المنزل على قلبك، الجامع لجميع المصالح الدنيوية و الأخروية ﴿المبين ۝﴾ أي الفاصل الكاشف الموضح المظهر، لأنه من عندنا من غير شك. و لكل ما يحتاج إليه من ذلك ١٥ و غيره، عند[6] من يجعله من شأنه و يتلقاه بقبول، و يلقي إليه السمع و هو شهيد؛ ثم أقام الدليل على إبانته . و أنه يقص على بني إسراءيل أكثر الذي هم فيه يختلفون، بما أورد هنا في قصة موسى عليه الصلاة و السلام

---

(١) زيد في ظ : السورة (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل : بالملك (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) في ظ : مشيرة (٦) من ظ و مد، و في الأصل : عن .

من الدقائق التى قل من يعلمها من حذاقهم، على وجه معلم[1] بما انتقم به من فرعون و آله، و من لحق بهم كقارون، و أنعم به على موسى عليه الصلاة و السلام و أتباعه، و لذلك بسط فيها من أمور القصة[2] ما لم يبسط فى غيرها فقال: ﴿تتلوا﴾ أى نقص قصا متتابعا متواليا بعضه فى أثر بعض

٥ ﴿عليك﴾ [3]بواسطة جبريل عليه الصلاة و السلام[3] .

و لما كان المراد إنما هو قص ما هو من الأخبار العظيمة بيانا للآيات بعلم الجليات و الخفيات، و المحاسبة و المجازاة، لا جميع الأخبار، قال: ﴿من نبا موسٰى و فرعون﴾ أى بعض خبرهما العظيم [4] متلبسا هذا النبأ و[4] كائنا ﴿بالحق﴾ أى الذى يطابقه الواقع، فانا ما أخبرنا فيه بمستقبل

١٠ إلا طابقه الكائن عند وقوعه، و نبه على أن هذا البيان كما سبق إنما ينفع أولى الإذعان بقوله: ﴿لقوم يؤمنون ۝﴾ أى يجددون الإيمان فى كل وقت عند كل حادثة لثبات إيمانهم. فعلم أن المقصود منها هنا الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم النبى الأمى بالاطلاع على المغيبات، و التهديد بعلمه المحيط، و قدرته الشاملة، و أنه ما شاء كان و لامدفع

١٥ لقضائه، و لاينفع حذر من قدره، فصح أنها دليل على قوله تعالى آخر /تلك "سيريكم اٰيٰته فتعرفونها" - [الآية -[5]]، و لذلك لخصت رؤس أخبار ٣ / القصة. فذكرت فيها أمهات الأمور الخفية، و دقائق أعمال[6] من ذكر

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يعلم (٢) سقط من ظ (٣-٣) ما بين الرقمين سقط من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مكتسيا هذا البيان.
(٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ و مد: الاعمال.

فيها

فيها من موسى عليه الصلاة و السلام و أمه و فرعون و غيرهم إلى ما تراه[1]
من الحكم التى لا يطلع عليها إلا عالم بالتعلم أو بالوحى، و معلوم لكل[2] مخاطب
بذلك انتفاء الأول عن المنزل عليه هذا الذكرُ صلى الله عليه و سلم،
فانحصر الأمر فى الثانى، يوضح لك[3] هذا المرام مع هذه الآية الأولى التى
ذكرتها قوله تعالى فى آخر القصة "و ما كنت بجانب الغربى" "و ما كنت ٥
بجانب الطور" و إتباع القصة بقوله تعالى: "و لقد وصلنا لهم القول لعلهم
يتذكرون" فالمراد بهذا السياق منها كما ترى غير ما تقدم من سياقاتها[4]
كما مضى، فلا تكرير فى شيء من ذلك - و الله الهادى . و قال الإمام
أبو جعفر بن الزبير: لما تضمن قوله سبحانه "انما امرت ان اعبد رب هذه
[5]الذى حرمها"[5]- إلى آخر السورة من التخويف و الترهيب و الإنذار ١٠
و التهديد لما[6] انجرّ معه الإشعار بأنه عليه الصلاة و السلام سيملك مكة
البلدة و يفتحها الله تعالى عليه، و يذل عتاة قريش و متمرديهم[7]، و يعز أتباع
رسول الله صلى الله عليه و سلم و من استضعفته قريش من المؤمنين، أتبع
سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من تطهير[8] ما أشار إليه من قصة بنى إسراءيل
و ابتداء امتحانهم بفرعون، و استيلائه[9] عليهم، و فتكه بهم إلى [أن -[10]] ١٥

(١) فى ظ: ما لا تراه (٢) فى ظ و مد: الكل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: سياقها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الاصل: ما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: متمردتهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: نظير (٩) فى ظ: استيلائهم (١٠) زيد من ظ و مد.

أعزهم الله و أظهرهم على عدوهم ، و أورثهم أرضهم و ديارهم ، و لهذا أشار تعالى فى كلا القصتين بقوله [فى الأولى - [1]] " سيريكم اٰيٰته فتعرفونها " و فى الثانية بقوله " و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون " ثم قص ابتداء أمر فرعون و حذره و استعصامه[2] بقتل ذكور ٥ الاولاد ثم لم يغن ذلك عنه من قدر الله شيئا ، ففى حاله عبرة لمن وفق[3] للاعتبار ، و دليل على[4] أنه سبحانه المتفرد بملكه ، يؤتى ملكه من يشاء ، و ينزعه ممن يشاء ، لا يزعه وازع[5] ، و لا يمنعه عما[6] يشاء مانع ، " قل الله مالك الملك " و قد أفصح قوله تعالى " وعد الله الذين اٰمنوا منكم و عملوا الصّٰلحٰت ليستخلفنهم فى الارض " - الآية بما[7] أشار إليه بجمل ما أوضحنا ١٠ اتصاله من خاتمة النمل و فاتحة القصص ، و نحن نزيده بيانا بذكر لمع من تفسير ما قصد التحامه فنقول : إن قوله تعالى معلما لنبيه صلى الله عليه و سلم و آمرا " انما امرت ان اعبد " إلى قوله " سيريكم اٰيٰته " لا خفاء بما تضمن ذلك من التهديد ، و شديد الوعيد ، ثم فى قوله " رب هذه البلدة " إشارة[8] إلى أنه عليه الصلاة و السلام سيفتحها و يملكها ، لأنه ١٥ بلد ربه و ملكه ، و هو عبده و رسوله ، و قد اختصه برسالته ، و له كل شيء ، فالعباد و البلاد ملكه ، ففى هذا من الإشارة مثل ما فى قوله تعالى

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : استعصايه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وقف (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : نازع . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عمن (٧) فى ظ : كما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشار .

" ان الذى فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد" و قوله تعالى " و ان اتلوا القرآن " أى ليسمعوه [1]فيتذكروا و يتذكر[1] من سبقت له السعادة، و يلحظ سنة الله فى العباد و البلاد، و يسمع ما جرى لمن عاند و غى و كذب و استكبر، فكيف وقصه[2] [الله - [3]] و أخذه و لم يغن عنه حذره، و أورث مستضعف عباده أرضه و دياره. و مكن لهم فى الأرض ٥ وأعز رسله وأتباعهم " تتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون" أى يصدقون و يعتبرون و يستدلون[4] و يستوضحون[4]، و قوله " سيريكم اٰيٰته" يشير إلى ما حل بهم يوم بدر، و بعد ذلك إلى يوم فتح مكة، و إذعان من لم يكن يظن انقياده، و إهلاك من طال تمرده و عناده، و انقياد العرب بجملتها بعد فتح مكة و دخول الناس فى الدين أفواجا، ١٠ و عزة أقوام و ذلة آخرين، / بحاكم " ان اكرمكم عند الله اتقىٰكم" إلى أن[5] فتح الله على الصحابة رضوان الله عليهم ما وعدهم به نبيهم صلى الله عليه و سلم، فكان كما وعد، فلما تضمنت هذه الآية[6] ما أشير إليه، أعقب بما هو فى قوة أن لو قيل: ليس عتوكم بأعظم من عتو فرعون و آله، و لا حال مستضعفى المؤمنين بمكة ممن قصدتم فتنته[7] فى دينه بدون ١٥ حال بنى إسرائيل حين كان فرعون يمتحنهم بذبح أبنائهم. فهلا تأملتم عاقبة الفريقين، وسلكتم أنهج الطريقين؟ " افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف

٤ /

(١ - ١) فى ظ و مد: فيتذكر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: و قد قصه.
(٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ: فيستوضحون.
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الآى (٧) من ظ و مد، و فى الاصل: فتنة.

كان عاقبة الذين من قبلهم" - إلى قوله :"فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون"
فلو تأملتم ذلك لعلمتم أن العاقبة للتقوى ، فقال سبحانه بعد افتتاح
السورة أن فرعون علا فى الأرض ، ثم ذكر [1] من خبره ما فيه
عبرة ، و ذكر سبحانه آياته الباهرة فى أمر موسى عليه السلام
٥ و حفظه و رعايته [1] و أخذ أم عدوه إياه "عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا" فلم يزل يذبح الأبناء خيفة من مولود يهتك ملكه حتى
إذا كان ذلك المولود تولى بنفسه تربيته و حفظه و خدمته ليعلم
لمن التدبير و الإمضاء ، و كيف نفوذ سابق الحكم و القضاء ، فهلا
سألت قريش و سمعت و فكرت و اعتبرت " او لم تاتهم بينة ما فى الصحف
١٠ الاولى " ثم أتبع سبحانه ذلك بخروج موسى عليه السلام من أرضه فخرج
منها خائفا يترقب ، و ما ناله عليه السلام فى ذلك الخروج من عظيم
السعادة ، و فى ذلك منبهة [2] لرسول الله صلى الله عليه و سلم على خروجه
من مكة و تعزية له و إعلام بأنه تعالى سيعيده إلى بلده و يفتحه عليه ،
و بهذا المستشعر من هنا صرح آخر السورة فى قوله تعالى " ان الذى
١٥ فرض عليك القرآن لرادك الى معاد " و هذا كاف فيما قصد - انتهى .

و لما كان كأنه قيل : ما هذا المقصوص من هذا النبأ ؟ قال [3] :
﴿ ان فرعون ﴾ ملك مصر الذى ادعى الإلهية ﴿ علا ﴾ أى بادعائه
الإلهية و تجبره على عباد الله و قهره لهم ﴿ فى الارض ﴾ [أى لأنا
جمعنا عليه الجنود فكانوا معه إلبا [3] واحدا فأنفذنا بذلك كلمته - [4]] ،

(١-١) فى مد : خبره (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تهنئة (٣) فى ظ : الما-
خطأ (٤) زيد من ظ .

و هى

وهى [و - [1]] إن كان المراد بها أرض مصر ففى إطلاقها ما يدل[2] على تعظيمها و أنها كجميع الأرض فى اشتمالها على ما قل أن يشتمل عليه غيرها .

[و لما كان التقدير بما دل عليه العاطف : فكفر تلك النعمة ، عطف عليه قوله - [1]] : ﴿ و جعل ﴾ [بما جعلنا له من نفوذ الكلمة - [1]] ﴿ اهلها ﴾ أى الأرض المرادة ﴿ شيعا ﴾ أى فرقا يتبع كل فرقة شيئا و تنصره ، و الكل تحت قهره و طوع أمره ، قد صاروا معه كالشياع ، و هو دق الحطب ، فرق بينهم لئلا يتمالؤا عليه ، فلا يصل إلى ما يريده منهم ، [فافترقت كلمتهم فلم يحم بعضهم لبعض فتخاذلوا فسفل أمرهم ، فالآية من الاحتباك ، ذكر العلو أولا دليلا على السفول ثانيا ، و الافتراق ثانيا دليلا على الاجتماع أولا - [1]] ، جعلهم كذلك حال كونه ﴿ يستضعف ﴾ أى يطلب و يوجد أن يضعف[3] ، أو هو استئناف ﴿ طآئفة منهم ﴾ وهم[4] بنو إسراءيل الذين[5] كانت حياة جميع أهل مصر على يدى واحد منهم ، و هو يوسف عليه السلام . و فعل معهم من الخير ما لم يفعله والد مع ولده ، و مع ذلك كافؤه فى أولاده و إخوته بأن استعبدوهم ، ثم ما كفاهم ذلك حتى ساموهم على يدى هذا العنيد[6] سوء العذاب [7]فيا بأبى[7] الغرباء بينهم قديما و حديثا ، ثم بين سبحانه الاستضعاف بقوله :

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يول (٣) فى ظ و مد : يستضعف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٥) فى ظ و مد : الذى (٦) فى ظ : العبيد (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : فيا .... لحال ، و فى ظ : فانا لى الحال - كذا .

﴿يذبح﴾ أى تذبيحا كثيرا ﴿ابنآءهم﴾ أى عند[1] الولادة، وكل بذلك أناسا ينظرون كلما ولدت[2] امرأة ذكرا ذبحوه خوفا على ملكه زعم من مولود منهم ﴿و يستحي نسآءهم[3]﴾ أى يريد حياة[3] الإناث فلا يذبحهن.

و لما كان هذا أمرا متناهيا فى الشناعة، ليس مأمورا به من جهة ٥ شرع ما، و لا له فائدة أصلا، لأن القدر - على تقدير صدق من أخبره[4] - لا يرده الحذر، قال تعالى مبينا لقبحه، شارحا لما أفهمه ذلك من حاله: ﴿انه كان﴾ أى كونا راسخا ﴿من المفسدين﴾ /٥ أى الذين لهم عراقة فى هذا الوصف، فلا بدع أن يقع منه هذا الجزئى[5] المندرج تحت ما هو قائم به من الأمر الكلى.

١٠ و لما كان التقدير كما أرشد إليه السياق لمن يسأل عن سبب فعله هذا العجيب: يريد بذلك زعم دوام ملكه بأن لايسلبه إياه واحد منهم أخبره بعض علمائه أنه يغلبه عليه و يستنقذ شعبه من العبودية، عطف عليه قوله[6] يحكى تلك الحال الماضية: ﴿و نريد﴾ أو[7] هى حالية، أى[8] يستضعفهم و الحال أنا نريد فى المستقبل أن نقويهم. أى يريد دوام ١٥ استضعافهم حال إرادتنا ضده من أنا نقطع ذلك بإرادة ﴿ان نمن﴾ أى نعطى بقدرتنا و علمنا ما يكون جديرا بأن نمتن[9] به

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: منذ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اولدت (٣) زيد فى الأصل: النساء، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اضره (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الجزى. (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٩) فى ظ و مد: نمن.

﴿ على الذين استضعفوا ﴾ اى حصل استضعافهم و هان هذا[1] الفعل الشنيع و لم[2] يراقب فيهم مولاهم ﴿ فى الارض ﴾ أى أرض مصر [فذلوا و أهينوا ، و نريهم فى أنفسهم و أعدائهم وفق ما يحبون و فوق ما يأملون -[3]] ﴿ و نجعلهم ائمة ﴾ أى مقدمين فى الدين و الدنيا ، علماء يدعون إلى الجنة عكس ما يأتى من عاقبة آل فرعون ، و ذلك ٥ مع تصييرنا لهم أيضا بحيث يصلح كل واحد منهم لأن يقصد للملك بعد كونهم مستعبدين فى غاية البعد عنه ﴿ و نجعلهم ﴾ [4]بقوتنا و عظمتنا[4] ﴿ الوٰرثين ﴾ أى للملك مصر لا ينازعهم فيه أحد من القبط ، و لكل بلد أمرناهم بقصدها ، و هذا إيذان باهلاك الجميع .

و لما بشر بتمليكهم فى سياق دال على مكنتهم ، صرح بها فقال : ١٠ ﴿ و نمكن ﴾ أى نوقع التمكين ﴿ لهم فى الارض ﴾ أى كلها لاسيما أرض مصر و الشام ، باهلاك أعدائهم و تأييدهم بكليم الله ، ثم بالأنبياء من بعده عليهم الصلاة و السلام بحيث نسلطهم بسببهم على من سواهم بما نؤيدهم[5] به من الملائكة و نظهر لهم من الخوارق .

و لما ذكر التمكين ، ذكر أنه مع مغالبة الجبابرة إعلاما بأنه أضخم ١٥ تمكين فقال : عاطفا على نحو : و نريد ان ناخذ الذين علوا فى الأرض و هم فرعون و هامان و جنودهما -[3]] : ﴿ و نرى ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فرعون ﴾ أى الذى كان [هذا -[3]] الاستضعاف منه ﴿ و هامٰن ﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل ومد : بهذا (٢) فى ظ : لا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤-٤) فى ظ و مد : بعظمتنا وقوتنا (٥) من مد ، و فى الأصل : يويدهم ، و فى ظ : يزيدهم .

وزيره ﴿ و جنودهما ﴾ [١]الذين كانا يتوصلان بهم إلى ما يريدانه من الفساد[١] ﴿ منهم ﴾ أى المستضعفين ﴿ ما كانوا ﴾ أى بجد عظيم منهم كأنــه غريزة ﴿ يحذرون ٥ ﴾ أى يجددون حذره فى كل حين على الاستمرار بغاية الجد[٢] و النشاط من ذهاب ملكهم بمولود منهم و ما يتبع
٥ ذلك ، قال البغوى[٣]: و الحذر : التوقى من الضرر . [و الآيــة من الاحتبـاك : ذكر الاستضعاف أولا دليلا على القوة ثانيا ، و إراءة المحذور ثانيا دليلا على إراءة المحبوب أولا ، و سر ذلك أنه ذكر المسلى والمرجى ترغيبا فى الصبر و انتظار الفرج -[٤]] .

و لما كان التقدير : فكان ما أردناه ، و طاح ما أراد غيرنا ، فأولدنا
١٠ من بنى إسراءيل الولد الذى كان يحذره فرعون على ملكه ، وكان يذبح أبناء بنى إسراءيل لأجله ، و قضينا بأن يسمى موسى ، بسبب أنه يوجد بين[٥] ماء و شجر ، و نربيه[٦] فى بيت الذى يحذره و يحتاط لأجله ، عطف على هذا المعلوم التقدير أول نعمة منّ بها على الذين استضعفوا فقال : ﴿ و اوحينآ ﴾ أى أوصلنا بعظمتنا بطريق خفى ، الله أعلم به هل هو ملك
١٥ أو غيره ، إذ لا بدع فى تكليم الملائكة الولى من غير نبوة ﴿ الىٓ ام موسىٰ ﴾ أى الذى أمضينا فى قضائنا أنه[٧] يسمى بهذا الاسم ، و أن يكون هلاك فرعون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ : الحذر (٣) فى معالم التنزيل - راجع هامش لباب التاويل ٥/١٣٤ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بسبب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يربيه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان .

و زوال ملكه على يده ، بعد أن ولدته و خافت أن يذبحه الذباحون ﴿ ان ارضعيه ج ﴾ ما كنت آمنة عليه، و حقق لها[1] طلبهم لذبحه بقوله[2]: ﴿ فاذا خفت عليه ﴾ أي منهم أن يصيح فيسمع فيذبح ﴿ فالقيه ﴾ أي بعد أن تضعيه في شيء يحفظه[3] من الماء ﴿ في اليم ﴾ [أي النيل، و اتركي رضاعه -[4]]، و عرفه و سماه يما - و اليم : البحر - لعظمته ٥ على غيره من الأنهار بكبره و كونه من الجنة، و ما يحصل به من المنافع، و عدل عن لفظ البحر إلى اليم لأن القصد فيه أظهر من السعة ؛ قال الرازي في اللوامع : و هذا إشارة إلى الثقة بالله ، و الثقة سواد عين التوكل، و نقطة دائرة التفويض، و سويداء / قلب التسليم، و لها درجات : الأولى درجة ١٦ / الأياس، و هو أياس العبد من[5] مقاواة الأحكام، ليقعد عن منازعة ١٠ الإقسام، فيتخلص من صحة الإقدام؛ و الثانية درجة الأمن،[6] و هو أمن[6] العبد من فوت المقدور، و انتقاص المسطور، فيظفر بروح الرضى و إلا فبعين اليقين، و إلا فبلطف الصبر؛ و الثالثة معاينة أولية الحق [جل جلاله -[4]]، ليتخلص من محن المقصود، و تكاليف الحمايات، و التعريج على مدارج الوسائل . ﴿ و لا تخافي ﴾ أي لا يتجدد لك خوف ١٥ أصلا من أن يغرق [أو يموت من ترك الرضاع و إن طال المدى -[4]] أو[7] يوصل إلى أذاه ﴿ و لا تحزني ج ﴾ أي و لا يوجد لك حزن[8] لوقوع فراقه .

---

(١) في ظ : لهم (٢) في ظ و مد : فقال (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : تحفظه.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : عن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) في ظ : ان (٨) في ظ : خوف .

و لما كان الخوف عما يلحق المتوقع[1]، و الحزن عما يلحق الواقع[2]، علل[3] نهيه عن الأمرين، بقوله فى جملة اسمية دالة على الثبات و الدوام، مؤكدة لاستبعاد مضمونها: ﴿انا رآدوه اليك﴾ فأزال مقتضى الخوف و الحزن؛ ثم زادها بشرى لا تقوم لها[4] بشرى[5] بقوله : ﴿و جاعلوه من المرسلين ﴾
٥ أى الذين هم خلاصة المخلوقين، [و الآية من الاحتباك، ذكر الإرضاع أولا دليلا على تركه ثانيا، و الخوف ثانيا دليلا على الأمن أولا، و سره أنه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها و تسكينا[6] لرعبها -[7]].

و لما كان الوحى إليها بهذا سببا لإلقائه فى البحر، و إلقاؤه سببه لالتقاطه، قال : ﴿ فالتقطه ﴾ أى فأرضعته[8] فلما خافت عليه صنعت له
١٠ صندوقا و قيرته لئلا يدخل إليه الماء و أحكمته و أودعته فيه و ألقته فى بحر النيل، و كأن بيتها[9] كان فوق بيت فرعون، فساقه الماء إلى قرب بيت فرعون، فتعوق بشجر هناك، فتكلف جماعة فرعون التقاطه[10]، قال البغوى[11]: و الالتقاط وجود الشىء من غير طلب. ﴿ ال فرعون ﴾ بأن أخذوا الصندوق، فلما فتحوه وجدوا موسى عليه السلام فأحبوه لما
١٥ ألقى الله تعالى عليهم من محبته فاتخذوه ولدا و سموه موسى، لأنهم وجدوه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : لمتوقع (٢) من مد، و فى الأصل : لواقع، و فى ظ : اذا وقع - كذا (٣) فى مد : ذكر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : له (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ، و فى مد : تمكينا (٧) زيد من ظ و مد.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل : فارضعت (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : بينما (١٠) زيدت الواو فى ظ (١١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٣٦.

فى ماء و شجر، و مو بلسانهم: الماء، و سا: الشجر .

و لما كانت عاقبة أمره إهلاكهم، و كان العاقل[١] لاسيما المتحذلق، لا ينبغى له[٢] أن يقدم على شيء حتى يعلم عاقبته فكيف إذا كان يدعى أنه إله . عبر سبحانه بلام العاقبة التى معناها التعليل، تهكما بفرعون - كما مضى بيان مثله غير مرة - فى قوله: ﴿ ليكون لهم عدوا ﴾ أى ٥ بطول خوفهم منه بمخالفته لهم فى دينهم و حملهم[٣] على الحق ﴿ و حزنا ﴾ أى بزوال ملكهم، لأنه يظهر فيهم الآيات التى يهلك الله بها من يشاء منهم، ثم يهلك[٤] جميع أبكارهم فيخلص[٥] [جميع -[٦]] بنى إسراءيل منهم، ثم يظفر بهم كلهم . فيهلكهم الله بالغرق على يده إهلاك نفس واحدة، فيعم الحزن و النواح أهل ذلك الإقليم كله، فهذه اللام للعلة استعيرت ١٠ لما أنتجته العلة التى قصدوها - و هى التبنى و قرة العين - من الهلاك، كما استعير الأسد للشجاع فأطلق عليه، فقيل: زيد أسد . لأن فعله كان فعله، و المعنى على طريق التهكم أنهم ما أخذوه إلا لهذا الغرض، لأنا نحاشيهم من الإقدام على ما لا يعلمون آخر أمره .

و لما كان [٧]لايفعل هذا الفعل[٧] إلا أحمق مهتور[٨] أو مغفل مخذول ١٥ لايكاد يصيب على[٩] ذلك بالأمرين فقال: ﴿ ان فرعون و هامن وجنودهما ﴾

---

(١) فى ظ: الفالق، و فى مد: العالى - كذا (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ: جهلهم (٤) فى ظ: اهلك (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فيتخلص . (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) فى ظ و مد: هذا لا يفعله (٨) من مد، و فى الأصل: متهور، و فى ظ: مقهور (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تخلل .

أى كلهم على طبع واحد ﴿ كانوا خطئين ﴾ أى دأبهم تعمد الذنوب
و الضلال عن المقاصد، فلا بدع فى خطائهم فى أن يربوا من لا يذبحون
الأبناء إلا من أجله، مع القرائن الظاهرة فى أنه من بنى إسرائيل الذين
يذبحون أبناءهم؛ قال فى الجمع بين العباب و المحكم: قال أبو عبيد: أخطأ
٥ و خطأ ـ لغتان بمعنى واحد. و قال ابن عرفة: يقال: خطأ فى دينه و أخطأ ـ
إذا سلك سبيلَ خطأ عامدا أو غير عامد. و قال الأموى: المخطئ من
أراد الصواب فصار إلى غيره، و الخاطئ: من تعمد ما لا ينبغى، و قال
ابن ظريف فى الأفعال: خطئ الشيء خطأ و أخطأه: لم يصبه.

و لما[1] أخبر تعالى عن آخر أمرهم معه، تخفيفا[2] على السامع بجمع طرفى
١٠ القصة إجمالا و تشويقا إلى تفصيل ذلك الإجمال، و تعجيلا بالتعريف بخطائهم
ليكون جهلهم الذى هو أصل شقائهم مكتنفا لأول الكلام و آخره، / أخبر ٧ /
عما قيل عند التقاطه فقال[3] عاطفا على "فالتقطه": ﴿ و قالت[4] امرات فرعون ﴾
أى لفرعون لما أخرجته من[5] التابوت، و هى التى قضى الله أن يكون لها
سعادة، و هى آسية بنت مزاحم إحدى نساء بنى إسرائيل - نقله البغوى[6]:
١٥ ﴿ قرت عين لى ﴾ أى به ﴿ و لك ﴾ أى يا فرعون.

و لما أثبت له أنه ممن تقر به العيون، أنتج ذلك استبقاءه، و لذلك

---

(١) زيد بعده فى الأصل: كان ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) من مد، و فى الأصل و ظ: تحقيقا (٣) سقط من ظ و مد (٤) من
ظ و مد و القرآن الكريم. و فى الأصل: قال (٥) من مد، و فى الأصل
و ظ: عن (٦) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٥/١٣٦.

نهت[1] عن قتله و خافت أن تقول : لا تقتله[2]، فيجيبها حاملا له على الحقيقة ثم يأمر بقتله ، و يكون مخلصا له عن الوقوع فى إخلاف الوعد ، فجمعت قائلة : ﴿لا تقتلوه قلى﴾ أى[3] أنت بنفسك و لا أحد[4] ممن تأمره بذلك ؛ ثم عللت ذلك أو استأنفت فقالت : ﴿ عسى ﴾ أى يمكن ، و هو جدير وخليق ﴿ ان ينفعنآ ﴾ أى لما أتخيل فيه من النجابة و لو كان[5] له ٥ أبوان معروفان ﴿ أو نتخذه ولدا ﴾ إن لم يعرف له أبوان ، فيكون نفعه أكثر ، فانه أهل لأن يتشرف به الملوك .

و لما كان هذا كله فعل من لا يعلم ، فلا يصح كونه إلها ، صرح بذلك تسفيها لمن أطاعه فى ادعاء ذلك فقال : ﴿ و هم ﴾ أى تراجعوا هذا القول و الحال أنهم ﴿ لا يشعرون ه ﴾ أى لا شعور لهم أصلا ، ١٠ لأن من لا يكون له علم إلا بالاكتساب فهو كذلك ، فكيف إذا كان لا يهذب نفسه باكتسابه ، فكيف إذا كان مطبوعا على قلبه ، و إذا كانوا[5] كذلك فلا شعور لهم بما يؤل إليه أمرهم معه من الأمور الهائلة المؤدية إلى هلاك المفسدين ليعملوا[6] لذلك أعماله من الاحتراز منه بما ينجيهم . ١٥

و لما أخبر عن حال من لقيه ، أخبر عن حال من فارقه ، فقال : ﴿ و اصبح ﴾ أى عقب الليلة التى حصل فيها فراقه ﴿ فؤاد ام موسى ﴾ أى قلبها الذى زاد احتراقه شوقا و خوفا و حزنا ، و هذا يدل على أنها ألقته ليلا ﴿ فرغا ط ﴾ أى فى غاية الذعر لما جبلت عليه من أخلاق البشر ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نهيت (٢) زيد فى مد : لا تقتلوه (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : احدا (٥) فى ظ و مد : كان .
(٦) من مد ، و فى الأصل : ليعلموا ، و فى ظ : لعلموا .

قد ذهب منه[١] كل ما فيه من المعانى المقصودة التى من شأنها ان يربط عليها[٢] الجأش؛ ثم وصل بذلك مستأنفا قوله: ﴿ ان ﴾ أى إنه ﴿ كادت ﴾ أى قاربت ﴿ لتبدى ﴾ أى يقع منها الإظهار لكل ما كان من أمره، مصرحة ﴿ به ﴾ أى بأمر موسى عليه السلام [٣]من أنه[٣] ولدها ٥ و نحو ذلك بسبب فراغ فؤادها من الأمور المستكنة؛ و توزع فكرها فى[٤] كل واد ﴿ لولآ ان ربطنا ﴾ بعظمتنا ﴿ على قلبها ﴾ بعد أن رددنا إليه[٥] المعانى الصالحة التى أودعناها فيه، فلم تعلق[٦] به لأجل ربطنا عليه حتى صار كالجراب الذى ربط فمه حتى لايخرج شىء مما فيه؛ ثم علل الربط بقوله: ﴿ لتكون ﴾ أى كونا هو كالغريزة[٧] لها ﴿ من المؤمنين ۝ ﴾ ١٠ أى المصدقين بما[٨] وعد الله [٩]به من نجاته[٩] و رسالته، الواثقين بذلك ؛

و لما أخبر عن كتمها[١٠]، أتبعه الخبر [١١]عن فعلها[١١] فى تعرف خبره الذى أطار خفاؤه [عليها -[١٢]] عقلها، فقال عاطفا على " و اصبح ": ﴿ و قالت ﴾ أى أمه ﴿ لاخته ﴾ أى بعد أن أصبحت على تلك الحالة، قد خفى عليها أمره: ﴿ قصيه ﴾ أى اتبعى[١٣] أثره و تشممى خبره برا و بحرا،

---

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بانه (٤) فى ظ و مد: من (٥) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لم تعلق. (٧) فى ظ و مد: الغريزة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه من نجابته (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: كبتها. (١١-١١) فى مد: بفعلها (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ابتغى.

فقعلت ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أى بعد من غير مواجهة . و لذلك[1] قال : ﴿و هم لايشعرون ﴾ أى ليس لهم شعور لابنظرها و لابأنها أخته ، بل هم فى صفة الغفلة التى هى فى غاية البعد عن رتبة الإلهية .

و لما كان ذلك أحد الأسباب فى [رده -[2]] ، ذكر فى جملة حالية سببا آخر قريبا منه[3] فقال : ﴿و حرمنا﴾ أى منعنا بعظمتنا / التى لايتخلف ٥ / ٨ أمرها ، و يتضاءل كل شيء دونها ﴿ عليه المراضع ﴾ جمع مرضعة ، و هى[4] من تكترى للرضاع من الأجانب ، أى حكمنا بمنعه من الارتضاع منهن ، استعار التحريم للمنع لأنه منع فيه رحمة ؛ قال الرازى فى اللوامع : تحريم منع لا تحريم شرع .

و لما كان قد ارتضع من أمه من حين ولدته إلى حين إلقائه فى ١٠ اليم ، فلم يستغرق التحريم الزمان الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿من قبل﴾ أى قبل أن تأمر أمه أخته بما أمرتها به و بعد إلقائها[5] له ، ليكون ذلك سببا لرده[6] إليها ، [فلم يرضع من غيرها فأشفقوا عليه فأتتهم أخته فقالوا لها : هل عندك مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها -[2]] ؟ ﴿فقالت﴾ أى فدنت أخته منه[7] بعد نظرها له فقالت لهم لما رأتهم فى غاية الاهتمام ١٥ برضاعه لما عرضوا عليه المراضع فأبى أن يرتضع من واحدة منهن : ﴿هل﴾ لكم حاجة [8]فى أن[8] ﴿ ادلكم على اهل بيت ﴾ و لم يقل :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ و مد : هن (٥) فى ظ و مد : القايه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمرده (٧) فى ظ و مد : من (٨ - ٨) فى ظ و مد : بانى .

على امرأة، لتوسع دائرة الظن ﴿يكفلونه لكم﴾ اى يأخذونه و يعولونه و يقومون بجميع مصالحه من الرضاع و غيره لأجلكم، و زادتهم رغبة بقولها: ﴿و هم له نصحون ﴾ أى ثابت نصحهم له، لايغشونه نوعا من الغش؛ قال البغوى[1]: و النصح ضد الغش، و هو تصفية العمل من شوائب ٥ الفساد فكادت بهذا الكلام تصرح[2] بأن المدلول عليها أمه، فارتابوا من كلامها فاعتذرت بانهم يعملون[3] ذلك تقربا إلى [الملك -[4]] و تحببا[5] إليه تعززا به، فظنوا ذلك، و هذا و أمثاله بيان من الله تعالى لأنه لا يعلم أحد فى السماوات و الأرض الغيب [6]إلا هو سبحانه. فلا يصح أن يكون غيره إلها. فلما سكنوا[7] إليها طلبوا[8] أن تدلهم، فأتت بأمها [فأحلنا له رضاعها -[4]] ١٠ فأخذ ثديها فقالوا: أقيمى[9] عندنا، فقالت: لا أقدر على فراق بيتى، [10]إن رضيتم أن أكفله فى بيتى[10] و إلا فلا حاجة لى، و أظهرت التزهد[11] فيه نفيا للتهمة، فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها، [و الآية[12] من الاحتباك: ذكر التحريم أولا دليلا على الإحلال ثانيا، و استفهام أخته ثانيا دليلا على استفهامهم لها أولا[13]، و سره أن ذكر الأغرب من أمره الأدل على القدرة -[4]]،

---

(١) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/١٣٧ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مقترح (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يعلمون (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تحننا (٦) زيد فى الأصل: الله الا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: سكتوا. (٨) فى ظ: ظنوا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اقيموا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) فى ظ و مد: الزهد (١٢) زيد فى ظ: فيها. (١٣) فى مد: ثانيا.

و لذلك سبب عما مضى قوله: ﴿فرددنه﴾ أى مع هذا الظاهر فى الكشف لسره الموجب للريبة فى أمره، و مع ما تقدم من القرائن[1] التى يكاد يقطع بها بأنه من بنى إسراءيل، منها إلقاؤه فى البحر على تلك الصفة، و منها [أن - [2]] المدلول عليها لإرضاعه من بنى إسراءيل، و منها أنه قبل ثديها دون غيرها من القبط و غيرهم، بأيدنا ٥ الذى لا يقاويه أيد، و لا يدانى ساحته شىء من مكر و لا كيد، من يد العدو الذى ما ذبح طفلا إلا رجاء الوقوع عليه، و الخلاص عما[3] جعل فى سابق العلم إليه ﴿إلى امه﴾ و كان من أمر الله - و الله غالب على أمره - أنه[4] استخدم لموسى - كما قال الرازى - عدوه فى كفالته و هو يقتل العالم[5] لأجله؛ ثم علله بقوله: ﴿كى تقر عينها﴾ ١٠ أى تبرد و تستقر عن الطرف فى تطلبه إلى كل جهة و تنام بارضاعه و كفالته فى بيتها، آمنة لا تخاف، و قرة العين بردها و نومها خلاف سخنتها[6] و سهرها بادامة تقليبها. قرت[7] عينه تقر - بالكسر و الفتح - قرة، و تضم، و قرورا[8]: بردت سرورا و انقطع بكاؤها، أو[9] رأت ما كانت متشوفة إليه، و أقرالله عينه و بعينه، و عين قريرة و قارة، ١٥

---

(١) فى ظ: القرآن (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: ما (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٥) فى ظ: الفا - كذا (٦) فى مد: سخنها (٧) من ظ و مد و القاموس. و فى الأصل: قر (٨) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: قرور (٩) زيد فى الأصل: كانت، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و قرتها ما قرت به، و قر[1] بالمكان يقر - بالفتح و الكسر - قرارا[2] و قرورا و قرا و تقرة: ثبت و استكن، و أصل قرة العين من القر و هو البرد، أي بردت فصحت و نامت[3] خلاف[4] سخنة عينه، و قيل: / من القرار، أي استقرت عيني[5]، [6] و قالوا[6]: دمعة الفرح باردة، و دمعة ٩ /

٥ الحزن حارة، فمعنى أقر الله عينك من الفرح و أسخنها من الحزن، و هذا قول الأصمعي، و قال أبو العباس: ليس كما ذكر الأصمعي بل كل دمع حار، فمعنى أقر الله عينك: صادفت[7] سرورا فنامت و ذهب سهرها، و صادفت ما يرضيك، أي بلغك الله أقصى أملك حتى تقر عينك من النظر إلى غيره استغناء و رضا بما في يديك، قالوا: و معنى قولهم: هو

١٠ قرة عيني: هو رضى نفسي، فهي تقر و تسكن بقربه فلا تستشرف إلى غيره ﴿ و لا ﴾ أي و كيلا ﴿ تحزن ﴾ أي بفراقه ﴿ و لتعلم ﴾ أي علما هو عين[8] اليقين، كما كانت عالمة به علم اليقين، و علم شهادة كما كانت عالمة علم غيب[9] ﴿ ان وعد الله ﴾ أي الأمر الذي وعدها به الملك الأعظم الذي له الكمال كله في حفظه و إرساله ﴿ حق ﴾ أي هو في

١٥ غاية الثبات [10] في مطابقة الواقع إياه[10]. و لما كان العلم هو النور الذي

---

(١) من ظ و مد و القاموس. وفي الأصل: قرا (٢) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل: قرار (٣) في ظ: قامت (٤) من ظ و مد، و في الأصل: خاف (٥) ليس في مد (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: فقالوا (٧) في ظ: صارت (٨) من ظ و مد، و في الأصل: علم (٩) في ظ و مد: الغيب. (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

من فقده لم يصح منه عمل، و لم ينتظم له قصد، قال عاطفا على ما تقديره:
فلمت ذلك برده عين اليقين بعد علم اليقين: ﴿ و لكن اكثرهم ﴾ أى
أكثر آل فرعون و غيرهم ﴿لايعلمون﴾ أى لا علم لهم أصلا، فكيف
يدعون ما يدعون من الإلهية و الكبرياء على من يكون الله معه.

و لما استقر الحال، على هذا المنوال، علم أنه ليس بعده إلا الخير ٥
و الإقبال، و العز بتبنى فرعون له و الجلال، فترك[1] ما بينه و بين[2]
السن الصالح للارسال، [و -[3]] قال مخبرا عما بعد ذلك من الأحوال:
﴿ و لما بلغ اشده ﴾ أى مجامع قواه و كمالاته[4] ﴿و استوى﴾ أى اعتدل
فى السن و تم استحكامه[5] بانتهاء الشباب، و هو من العمر ما بين إحدى
و عشرين سنة إلى[6] اثنتين و[6] أربعين، فتم بسبب ذلك فى الخلال[7] الصالحة ١٠
التى طبعناه عليها؛ و قال الرازى: قال الجنيد: لما تكامل عقله، و صحت
بصيرته، و صلحت نحيرته، و آن أوان خطابه - انتهى. أى و صار
إلى الحد الذى لا يزاد الإنسان بعده غريزة من الغرائز لم تكن فيه
أيام الشباب، بل لا يبقى بعد ذلك إلا الوقوف ثم النقصان ﴿ اتينه ﴾
أى خرقا[8] للعادة أسوة إخوانه من الأنبياء ابتداء[9] غرائز منحناه إياها من[9] ١٥
غير اكتساب أصلا ﴿ حكما ﴾ أى عملا محكما بالعلم ﴿ و علما ﴾ أى

---

(١) فى ظ و مد: فنزل (٢) فى ظ: س (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ و مد: حالاته (٥) فى مد: احتطامه (٦-٦) فى ظ و مد: ستين أو - كذا، و معظم القول فى جامع البيان للطبرى يرجع إلى أن الاستواء أربعون سنة - راجع تفسير الآية المعنية فيه (٧) فى ظ و مد: الحالة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: خرق (٩-٩) فى ظ و مد: غرائز منحناه إياه.

مؤيدا بالحكمة، تهيئة لنبوته، و إرهاصا لرسالته، جزيناه بذلك على ما طبعناه عليه من الإحسان، فضلا منا و منة، و اختار [الله -[1]] سبحانه هذا السن للارسال ليكون - كما أشير إليه - من جملة الخوارق، لأنه يكون به ابتداء الانتكاس الذى قال الله تعالى فيه "و من نعمره[2] - أى إلى ٥ اكتمال[3] سن الشباب - ننكسه فى الخلق" أى نوقفه، فلا يزاد [بعد ذلك -[1]] فى قواه الظاهرة و لا[4] الباطنة شيء، و[5] لا توجد[5] فيه غريزة لم تكن موجودة أصلا عشر سنين، ثم يأخذ فى النقصان - هذه عادة الله فى [جميع -[1]] بنى آدم [إلا -[1]] الأنبياء، فانهم فى حد الوقوف يؤتون من[6] بحار العلوم ما يقصر عنه الوصف بغير اكتساب، بل غريزة ١٠ يغرزها الله فيهم حينئذ، و يؤتون من قوة الأبدان أيضا بمقدار ذلك، ففى وقت انتكاس غيرهم يكون نموهم، وكذا من ألحقه الله بهم من صالحى[7] أتباعهم، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة يس من تمام هذا المعنى ما يفتح الله به لمن تأمله أبوابا من العلم، و لذلك قال [الله -[8]] تعالى عاطفا[9] على ما تقديره: [10]فعلنا به ذلك[10] و بأمه جزاء لهما على ١٥ إحسانهما فى إخلاصهما فيما يفعلانه اعتمادا على الله وحده من غير أدنى /١٠ / التفات إلى ما سواه: ﴿وكذلك﴾ أى و مثل هذا الجزاء العظيم

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد فى ظ و مد: ننكسه (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: اكمال (٤) سقط من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: نوجد - كذا (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: فى (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: صالح (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: عطفا. (١٠-١٠) فى ظ: فقلنا بذلك.

﴿ نجزى المحسنين ﴾ أى كلهم .

و لما أخبر بتهيئه لنبوته[1]، أخبر بما هو سبب لهجرته، و كأنها سنت بعد إبراهيم عليه الصلاة و السلام فقال : ﴿ و دخل المدينة ﴾ أى مدينة فرعون آتيا من قصره، لأنه كان عنده بمنزلة الولد، قال ابن جرير[2]: و هى مدينة منف[3] من مصر، و قال البغوى[4]: و قيل : عين ٥ الشمس . و قيل غير ذلك[5] ﴿ على حين غفلة ﴾ قيل بعيد[6]: و قيل بغير ذلك ﴿ من اهلها ﴾ أى[7] إحكاما لما جعلناه سببا لنقلته منها طهارة من عشرة القوم الظالمين ﴿فوجد فيها﴾ أى[8] المدينة ﴿رجلين يقتتلن ﴾ أى يفعلان مقدمات القتل من الملازمة مع الخنق و الضرب، و هما إسراءيلى[9] و قبطى، و لذا قال مجيبا لمن[7] كانه يسأل عنهما و هو ينظر ١٠ إليهما : ﴿هذا من شيعته﴾ أى من بنى إسراءيل قومه ﴿و هذا من عدوه ﴾ أى القبط، و كان قد حصل لبنى إسراءيل به عز لكونه ربيب الملك، مع أن مرضعته منهم، لا يظنون أن سبب ذلك[10] الرضاع

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : بالنبوة (٢) فى جامع البيان الجزء ٢٠/٢٦ . (٣) من ظ و مد و جامع البيان، و فى الأصل : منوف، و زيد بعده فى الأصل : قرية، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و الجامع فحذفناها (٤) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٥/١٣٨ (٥) فقد قال مقاتل : كانت قرية يقال لها حابين - راجع المعالم، و قيل : الإسكندرية - راجع البحر المحيط ٧/١٠٩ (٦) قال به علىّ - راجع المعالم (٧) سقط من ظ و مد (٨) زيد فى ظ و مد : فى (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : اسرائيل (١٠) زيد فى الأصل : الا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

﴿ فاستغاثـــه ﴾ أى طلب منه ﴿ الذى من شيعته ﴾ أن يغيثـــه ﴿ على الذى من عدوه[٥] فوكزه ﴾ أى فأجابه ﴿ موسى ﴾ فوكز أى فطعن[١] و دفع[٢] بيده العدو أو[٣] ضربه بجميع[٤] كفه، و كأنه كالكم، أو دفعه بأطراف أصابعه، و هو رجل أيد[٥] لم يعط أحد من أهل ذلك
٥ الزمان مثل ما أعطى من القوى الذاتية و المعنوية ﴿ فقضى ﴾ أى فأوقع القضاء[٦] الذى هو القضاء على الحقيقة، و هو الموت الذى لا ينجو منه بشر ﴿ عليه قـ ز ﴾ فقتله و فرغ منه، و كل شيء فرغت منه فقد قضيته و قضيت عليه، و خفى هذا على الناس لما هم فيه[٧] من الغفلة، فلم يشعر به أحد منهم.

١٠ و لما كان كأنه قيل: إن هذا الأمر عظيم[٨]، فما ترتب عليه من قول من أوتى حكما و علما؟ أجيب بالإخبار عنه بأنه ندم عليه فى الحال بقوله: ﴿ قال ﴾ أى موسى عليه السلام: ﴿ هذا ﴾ أى الفعل الذى جرك إليه الإسراءيلى ﴿ من عمل الشيطن ط ﴾ أى لأنى لم أومر[٩] به على الخصوص، و لم يكن من قصدى و إن[١٠] كان المقتول كافرا؛ ثم أخبر عن حال
١٥ الشيطان بما هو عالم به، مؤكدا له حملا لنفسه على شدة الاحتراس

---

(١) فى مد: طعن (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: رفع (٣) فى ظ "و". (٤) فى ظ و مد: بجمع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يدم اى (٦) زيد فى مد: عليه، وتبدو علامة الضرب على الكلمة (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: العظيم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لم ارم (١٠) فى ظ: اذا.

و الحذر منه فقال: ﴿ انه عدو ﴾ و مع كونه عدوا ينبغي الحذر منه فهو ﴿ مضل ﴾ لا يقود إلى خير أصلا، و مع ذلك فهو ﴿ مبين ﴾ أي عداوته[1] و إضلاله في غاية البيان، ما في شيء منهما[2] خفاء.

و لما كان هذا كافرا ليس فيه شيء غير الندم لكونه صلى الله عليه و سلم لم يأته في قتله إذن خاص، و كان قد أخبر عنه بالندم، ٥ تشوفت [3]أنفس البصراء[3] إلى[4] الاستغفار عنه، علما منهم بأن عادة الأنبياء و أهل الدرجات العلية استعظام الهفوات، فأجيبوا بالإخبار عن مبادرته إلى ذلك بقوله: ﴿ قال ﴾ و أسقط أداة النداء، على عادة أهل الاصطفاء، فقال: ﴿ رب ﴾ أي أيها المحسن إليّ.

و لما كان حال المقدم على شيء[5] دالة على إرادته فاستحسانه[6] ١٠ إياه، أكد قوله إعلاما بأن باطنه على غير ما دل عليه ظاهره فقال: ﴿ اني ظلمت نفسي ﴾ أي بالإقدام على ما لم [7]يتقدم إليّ[7] فيه [إذن -[8]] بالخصوص و إن كان مباحا.

و لما كان المقرب قد يعد حسنة غيره سيئته، قال مسببا عن ذلك: ﴿ فاغفر ﴾ أي امح هذه الهفوة عينها و آثرها ﴿ لى ﴾ أي لأجلي لا تؤاخذني ١٥ ﴿ فغفر ﴾ أي أوقع المحو لذلك كما سأل إكراما ﴿ له ﴾ ثم علل ذلك

---

(١) من مد، و في الأصل و ظ: عدوانه (٢) من ظ و مد، و في الأصل: منها (٣-٣) من مد، و في الأصل: النفس إلى البصر، و في ظ: النفس البصر. (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و في الأصل: الشيء (٦) من ظ و مد، و في الأصل: و استحسانه (٧-٧) في مد: يقدم لي (٨) زيد من مد.

بقوله مشيرا إلى أن صفة غيره عدم بالنسبة إلى صفته مؤكدا لذلك : ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿الغفور﴾ أى البالغ فى صفة الستر لكل من يريد ﴿ الرحيم ۝ ﴾ / أى العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية لمقام الإلهية ، و لأجل أن هذه [1] صفته ، رده [1] إلى فرعون و قومه حين ٥ أرسله[2] إليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص و لا غيره بعد أن نجاه منهم قبل الرسالة على غير قياس .

و لما أنعم عليه سبحانه بالإجابة إلى سؤله ، تشوف السامع إلى شكره عليها فأجيب بقوله : ﴿ قال رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ بكل جميل . و لما كان جعل الشيء عوضا لشيء أثبت له و أجدر بامضاء العزم ١٠ عليه قال: ﴿ بمآ انعمت علىّ ﴾ أى بسبب إنعامك علىّ بالمغفرة و غيرها . و لما كان فى سياق التعظيم للنعمة ، كرر حرف السبب تأكيدا للكلام ، و تعريفا أن المقرون به مسبب عن الإنعام ، و قرنه بأداة النفى الدالة على التأكيد فقال : ﴿ فلن اكون ظهيرا ﴾ أى عشيرا أو[3] خليطا أو[3] معينا ﴿ للمجرمين ۝ ﴾ أى القاطعين [4]لما أمر[4] الله به أن يوصل ، أى ١٥ لا أكون [5] بين ظهرانى [5] القبط ، فان فسادهم كثير ، و ظلمهم لعبادك أبناء أوليائك متواصل و كبير[6] ، و لا قدرة لى على ترك نصرتهم ، و ذلك يجر إلى أمثال هذه الفعلة ، فلا أصلح من المهاجرة لهم ، و هذا

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : صفة وده (٢) فى ظ : اوصله (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ " و " (٤-٤) فى ظ : لامر (٥-٥) فى ظ : ظهيرا فى ، و فى مد : ظهير (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثير .

من

من[1] قول العرب: جاءنا فى ظهرته - بالضم و بالكسر و بالتحريك، و ظاهرته، أى عشيرته.

و لما ذكر القتل و أتبعه ما هو الأهم من أمره بالنظر إلى الآخرة، ذكر ما تسبب عنه من أحوال الدنيا فقال: ﴿ فاصبح ﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام ﴿فى المدينة﴾ أى التى قتل القتيل فيها ﴿ خآئفا ﴾ أى ٥ بسبب قتله له ﴿يترقب﴾ أى لازم الخوف كثير الالتفات برقبته ذعرا[2] من طارقة تطرقه فى ذلك، قال البغوى[3]: و الترقب: انتظار المكروه. ﴿ فاذا ﴾ أى ففجئه ﴿ الذى استنصره ﴾ أى طلب نصرته من شيعته ﴿بالامس﴾ أى اليوم الذى يلى يوم الاستصراخ من قبله ﴿ يستصرخه[4] ﴾ أى يطلب ما يزيل ما[4] يصرخ بسببه من الضر[5] من قبطى آخر كان ١٠ يظلمه. فكأنه قيل: فما قال له موسى بعد ما أوقعه فيما يكره؟ فقيل: ﴿ قال له ﴾ أى لهذا المستصرخ ﴿ موسىٓ ﴾.

و لما كان الحال متقضيا أن ذلك الإسراءيلى يمكث مدة لا يخاصم أحدا خوفا من جريرة[1] ذلك القتيل، أكد قوله: ﴿ انك لغوى ﴾ أى صاحب ضلال بالغ ﴿ مبين ۝ ﴾ أى واضح الضلال غير خفيه، لكون ما ١٥ وقع بالأمس لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه و إن كنت مظلوما؛ ثم دنا منهما لينصره: [ثم قال -[6]] مشيرا بالفاء إلى المبادرة إلى إصراخه: ﴿ فلمآ ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكرا (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٣٩ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: النصر (٦) زيد لاستقامة العبارة.

وأثبت الحرف[1] الذى أصله[2] المصدر تأكيدا لمعنى الإرادة فقال: ﴿ان اراد﴾ أى شاء[3]، و طلب و قصد مصدقا[4] ذلك بالمشى ﴿ان يبطش﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام ﴿بالذى هو عدو لهما لا﴾ أى من القبط بأخذه بعنف و سطوة لخلاص الإسرائيلى منه ﴿قال﴾ أى الإسرائيلى الغوى[5] لأجل

٥ ما رأى من غضبه و كلمه به من الكلام الغض ظانا أنه ما دنا إلا يريد البطش به هو، لما أوقعه فيه لا بعدوه[6]: ﴿يموسى﴾ ناصا عليه باسمه العلم دفعا لكل لبس منكر الفعله الذى اعتقده لما رآه من دنوه إليهما غضبان و هو يذمه ﴿اتريد ان تقتلنى﴾ أى[7] اليوم و أنا من شيعتك ﴿كما قتلت نفسا بالامس ق صلے﴾ أى من شيعة أعدائنا، و الذى دل على أن

١٠ الإسرائيلى [8]هو الذى[8] قال له هذا الكلام السياق بكون[9] الكلام معه[7] – بما[10] أشير إليه بدخوله المدينة على حين غفلة من أنهم لم يره أحد غير الإسرائيلى، و بقوله "عدو لهما" من[11] ذم الإسرائيلى كما صرح به موسى عليه الصلاة و السلام.

/١٢ و لما نم عليه[12] و أفشى / ما لا يعلمه غيره، خاف غائلته فزاد فى

---

(١) فى الأصل: الحرك، و فى ظ و مد: الحذف – كذا (٢) فى ظ: اوصله.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: شيئا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مصدق.
(٥) فى ظ و مد: العفو (٦) فى ظ و مد: لا بعده (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لكون (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: كما (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: كما (١٢) زيد فى ظ و مد: السلام.

الإغراء به، مؤكدا[1] بقوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿تريد الآ ان تكون﴾ أى كونا راسخا ﴿جبارا﴾ أى قاهرا غالبا[2]؛ قال أبوحيان[3]: و شأن الجبار أن يقتل بغير حق. ﴿فى الارض﴾ أى التى[4] تكون بها فلا يكون فوقك أحد ﴿و ما تريد﴾ أى يتجدد لك إرادة ﴿ان تكون﴾ أى بما هو [لك -[5]] كالجبلة ﴿من المصلحين ه﴾ أى [6]العريقين فى الصلاح[6]، ٥ فان المصلح بين الناس لايصل إلى القتل على هذه الصورة، فلما سمع الفرعونى هذا ترك الإسراءيلى، و كانوا - لما قتل ذلك القبطى - ظنوا فى بنى إسراءيل، فأغروا[7] فرعون بهم فقال: هل من بينة، فان الملك و إن كان صفوة مع قومه لاينبغى[8] له أن يقيد بغير بينة و لا ثبت - كما ذكر ذلك فى حديث المفتون الذى رواه أبو يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما، ١٠ فلما قال هذا الغوى هذه المقالة تحقق[9] الأمر فى موسى عليه الصلاة و السلام.

و لما كان تقدير الكلام الذى أرشد إليه السياق: فلما سمع الفرعونى[10] قول الإسراءيلى تركه. ثم رقى الكلام إلى أن بلغ فرعون فوقع الكلام فى الأمر بقتل موسى عليه الصلاة و السلام، عطف عليه قوله: ﴿و جآء رجل﴾ أى ممن يحب موسى عليه الصلاة و السلام. و لما ١٥

---

(١) زيد فى الأصل: لان افعاله عليكم يكذب ما يصنعه به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عاليا (٣) راجع البحر المحيط ٧/ ١١ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) فى ظ: العريقين فى الإصلاح (٧) فى ظ: فاخبروا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لايستقيم (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: تحققوا. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الفرعون.

كان الأمر مهما، يحتاج إلى مزيد عزم و عظم قوة، قدم فاعل المجيء على متعلقه بخلاف ما فى سورة يٰس[1].

و لما كان فى بيان الاقتدار على الأمور الهائلة من الأخذ بالخناق حتى يقول القائل: لا خلاص، ثم الإسعاف بالفرج[2] حتى يقول: لا هلاك، ٥ قال واصفا للرجل: ﴿من اقصا المدينة﴾ أى أبعدها مكانا[3]، و بين أنه كان ماشيا بقوله: ﴿يسعىٰ ز﴾ [و ـ[4]] لكنه اختصر طريقا و أسرع فى مشيه بحيث كان يعدو فسبقهم باعظامه للسعى و تجديد العزم فى كل وقت من أوقات سعيه[5] فكأنه قيل[5]: ما فعل؟ فقيل: ﴿قال﴾ مناديا له باسمه تعطفا و إزالة للبس: ﴿يٰموسىٰ ز﴾ و أكد إشارة إلى أن ١٠ الأمر قد دهم فلا يسع الوقت الإستفصال[6] فقال: ﴿ان الملأ﴾ أى أشراف القبط الذين فى أيديهم الحل و العقد، لأن لهم القدرة على الأمر و النهى ﴿ياتمرون بك﴾ أى يتشاورون بسببك، حتى وصل حالهم فى تشاورهم إلى أن كلا منهم يأمر الآخر و يأتمر بأمره، فكأنه قيل: لم يفعلون ذلك؟ فقيل: ﴿ليقتلوك﴾ لأنهم[7] سمعوا أنك قتلت صاحبهم ١٥ ﴿فاخرج﴾ أى من هذه المدينة؛ ثم علل ذلك بقوله على سبيل التأكيد ليزيل ما يطرق من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك: ﴿انى لك﴾ أى خاصة ﴿من النصحين ۝﴾ أى العريقين فى نصحك ﴿فخرج﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام مبادرا ﴿منها﴾ أى المدينة لما علم من

---

(١) راجع آية ٢٠ (٢) فى ظ: بالفزع (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مكنا.
(٤) زيد من ظ و مد (٥ ـ ٥) فى مد: فكأن قائلا قال (٦) فى ظ و مد: الاستقصاء (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: انهم.

صدق

[١] صدق قوله بما [١] حقه من القرائن، حال كونه ﴿ خآئفا ﴾ على نفسه من آل فرعون ﴿ يترقب ز ﴾ أى يكثر الالتفات بادارة رقبته فى الجهات ينظر هل يتبعه أحد؛ ثم وصل به على طريق الاستئناف قوله: ﴿ قال ﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام: ﴿ رب ﴾ [أى - [٢]] أيها المحسن إلىّ بالإيجاد و التربية و غير ذلك من وجوه البر ﴿ نجنى ﴾ أى خلصنى. ٥ مشتق من النجوة، و هو المكان العالى الذى لا يصل إليه كل أحد ﴿ من القوم الظلمين ع ﴾ أى الذين يضعون الأمور فى غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل مع قوتهم، فاستجاب الله له فوفقه [٣] لسلوك الطريق الأعظم نحو مدين، فكان ذلك سبب نجاته، و ذلك أن الذين / انتدبوا إليه قطعوا بأنه لا يسلك الطريق الأكبر، جريا على عادة ١٠ / ١٣ الخائفين الهاربين فى المشى عسافا، أو سلوك ثنيات [٤] الطريق فانثنوا فيما ظنوه يمينا و شمالا ففاتهم.

و لما دعا بهذا الدعاء، أعلم الله تعالى باستجابته منه مخبرا بجهة قصده زيادة فى الإفادة فقال: ﴿ و لما ﴾ أى فاستجاب الله دعاءه فنجاه منهم و وجهه إلى مدين [٥] و لما ﴿ توجه ﴾ أى أقبل بوجهه قاصدا ﴿ تلقآء ﴾ ١٥ [أى - [٦]] الطريق الذى يلاقى سالكه أرض ﴿ مدين ﴾ مدينة نبى الله شعيب عليه الصلاة و السلام متوجها بقلبه إلى ربه ﴿ قال ﴾ أى [٧] لكونه

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: صدقه بما (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: ترفقه (٤) من مد، و فى الأصل وظ: بينات (٥) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) سقط من ظ.

لا يعرف الطريق : ﴿ عسٰى ﴾ أى خليق و جدير و حقيق .
و لما كانت عنايته بالله أتم لما له من عظيم[1] المراقبة ، قال مقدماً له : ﴿ ربىّ ﴾ أى المحسن إلىّ بعظيم التربية فى الأمور المهلكة ﴿ ان يهدينى سوآء ﴾ أى عدل و وسط ﴿ السبيل ه ﴾ و هو الطريق الذى يطلعه عليها من ٥ غير اعوجاج .
و لما كان التقدير : فوصل إلى المدينة ، بنى عليه قوله : ﴿ و لما ورد ﴾ أى حضر[2] موسى عليه الصلاة و السلام حضور من يشرب ﴿ مآء مدين ﴾ أى الذى يستقى منها الرعاء ﴿ وجد عليه ﴾ أى على الماء ﴿ امة ﴾ أى جماعة كثيرة هم[3] أهل لأن يَقصُدوا و يُقصَدوا[3] ، فلذلك هم عالون ١٠ غالبون على الماء ؛ ثم بين نوعهم بقوله : ﴿ من الناس ﴾ و بين عملهم أيضا[3] بقوله : ﴿ يسقون ﴾ أى مواشيهم ، وحذف المفعول لأنه غير مراد ، و المراد الفعل ، و كذا ما بعده فان رحمته عليه الصلاة و السلام لم تكن لكون [4] الذود و المسقى[4] غنما بل لمطلق الذياد[5] و ترك السقى ﴿ و وجد من دونهم ﴾ أى وجدانا مبتدئا من أدنى مكان من مكانهم ١٥ الآتى إلى الماء ﴿ امراتين ﴾ عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه من المروءة و مكارم الأخلاق كما يعلمه من أمعن النظر فيما يذكر عنها ﴿ تذودٰن ج ﴾ أى توجدان الذود ، و هو الكف و المنع و الطرد و ارتكاب[6] أخف

---

(١) فى ظ و مد : عظم (٢) سقط من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقصد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذود و السقى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الديا - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الارتكاب .

الضررين، فتكفان أغنامهما [١]إذا نزعت [١]من العطش [٢]إلى الملأ [٢] لئلا تختلط بغنم [٣] الناس .

و لما كان هذا حالاً [٤] موجباً للسؤال عنه، كان كأنه قيل : فما قال لهما؟ قيل : ﴿قال﴾ [أي -[٥]] موسى عليه الصلاة و السلام رحمة لهما : ﴿ما خطبكما﴾ أي خبركما و مخطوبكما أي مطلوبكما، و هو كالتعبير بالشأن ٥ عن المشؤن الذي يستحق أن يقع فيه التخاطب لعظمة، في ذيادكما [٦] لأغنامكما عن السقي؛ قال أبوحيان [٧] : و السؤال بالخطب إنما يكون في مصاب أو مضطهد [٨] .

و لما كان من المعلوم أن سؤاله عن العلة ﴿قالتا﴾ [أي -[٥]] اعتذارا عن حالهما ذلك، و تلويحا باحتياجهما إلى المساعدة : ﴿لا﴾ ١٠ [أي -[٥]] خبرنا أنا لا ﴿نسقي﴾ أي مواشينا [٩]، و حذفه للعلم به ﴿حتى يصدر﴾ أي ينصرف و يرجع ﴿الرعآء﴾ أي عن الماء لئلا يخالطهم - هذا على قراءة أبي عمرو و ابن عامر [١٠] بفتح الياء [و ضم الدال -[٥]] ثلاثيا . و المعنى على قراءة الباقين بالضم [١١]و الكسر[١١] : يوجدوا الرد و الصرف .

(١-١) من ظ و مد، و في الأصل : اي يرغب (٢-٢) من مد، و في الأصل : من الماء، و في ظ : الى الماء (٣) في ظ و مد : بهم (٤) من مد، و في الأصل : حلما، و الكلمة ساقطة من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، و في الأصل : ديارکما، و في ظ : درارکما (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ١١٣ (٨) من ظ و مد، و في الأصل : مطهد (٩) من ظ و مد، و في الأصل : مواشيا . (١٠) راجع نثر المرجان ٥ / ١٦٣ (١١-١١) من ظ و مد، و في الأصل : فالكسر .

و لما كان التقدير : لأنا من النساء ، و كان المقام يقتضى لصغر سنهما أن لهما أبا ، و أن لا إخوة لهما و إلا لكفوهما ذلك ، عطفتا على هذا المقدر قولهما : ﴿ و ابونا شيخ كبير ه ﴾ أى[1] لا يستطيع لكبره أن يسقى ، فاضطرنا[2] إلى ما ترى ، و هذا اعتذار أيضا عن كون أبيهما أرسلهما لذلك[3] لأنه ٥ ليس بمحظور ، فلا يأباه[4] الدين ، و الناس مختلفون فى ذلك بحسب المروءة ، و عاداتهم فيها متباينة و أحوال العرب و البدو تباين[5] أحوال العجم و الحضر ، لاسيما إذا دعت إلى ذلك / ضرورة ﴿ فسقىٰ ﴾ أى موسى /١٤ عليه الصلاة و السلام ﴿ لهما ﴾ لما علم ضرورتهما ، انتهازا لفرصة الأجر و كرم الخلق فى مساعدة الضعيف ، مع ما به من النصب و الجوع ١٠ ﴿ ثم تولىٰ ﴾ أى انصرف موسى عليه الصلاة و السلام جاعلا[6] ظهره إلى ما كان يليه وجهه ﴿ الى الظل ﴾ أى ليقيل تحته و يستريح ، مقبلا على الخالق بعد ما قضى من نصيحة الخلائق ، و عرفه لوقوع العلم بأن بقعة[7] لا تكاد تخلو من [8]شىء له ظل[8] و لا سيما أماكن المياه ﴿ فقال ﴾ لأنه ليس فى الشكوى إلى المولى العلى الغنى المطلق نقص ﴿ رب ﴾ .

١٥ و لما كان حاله فى عظيم[9] صبره[10] حال من لا يطلب ، أكد سؤاله إعلاما بشديد تشوقه لما سأل فيه و زيادة فى التضرع و الرقة ، فقال :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٢) فى ظ : و اضررنا ، و فى مد : و اضطررنا (٣) فى مد : كذلك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلا يأبان . (٥) من مد . و فى الأصل و ظ : بيان - كذا (٦) من مد . و فى الأصل و ظ : عاجلا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقعه (٨-٨) فى مد : الظل . (٩) فى ظ و مد : عظم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : صهره .

انى

﴿ انى ﴾ و أكد الافتقار بالإلصاق باللام دون ' إلى [4] فقال: ﴿ لمآ ﴾
أى لأى شيء . و لما كان الرزق الآتى إلى الإنسان مسببا [1] عن القضاء
الآتى عن العلى الكبير ، عبر بالإنزال و عبر بالماضى تعميما لحالة الافتقار ،
و تحققا لإنجاز الوعد بالرزق فقال [2] : ﴿ انزلت ﴾ و لعله حذف العائد
اختصارا لما به من الإعياء ﴿ الى من خير ﴾ أى و لو قل ﴿ فقير ه ﴾ ٥
أى مضرور ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما [3] أنه كان قد بلغ من
الضر أن اخضر بطنه من أكل البقل و ضعف حتى لصق بطنه بظهره .
فانظر إلى هذين النبيين عليهما الصلاة و السلام فى حالهما فى ذات يدهما ،
و هما خلاصة ذلك الزمان ، ليكون لك فى ذلك أسوة ، و تجعله إماما
و قدوة ، و تقول : يا بأبى و أمى ! ما لقى الأنبياء و الصالحون من الضيق ١٠
و الأهوال فى سجن الحياة الدنيا ، صونا لهم منها [4] و إكراما من ربهم عنها ،
رفعة لدرجاتهم عنده ، و استهانة لها و إن ظنه الجاهل المغرور على غير
ذلك ، و فى القصة ترغيب فى الخير ، و حث [5] على المعاونة على البر ،
و بعث على بذل المعروف مع الجهد .

و لما كان سماعهما لقوله هذا مع إحسانه إليهما سببا لدعاء شعيب ١٥
عليه الصلاة و السلام له ، قال بانيا على ما تقديره : فذهبت المرأتان
إلى أبيهما فحدثتاه بخبرهما [و - [6]] باحسانه إليهما ، فأمر بدعائه ليكافئه :
﴿ فجآءته ﴾ أى بسبب قول الأب و على الفور ﴿ احدىٰهما ﴾ أى المرأتين

---

(١) فى ظ : سببا (٢) سقط من ظ (٣) راجع أيضا روح المعانى ٦/٢٤٣ .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ و مد : الحث (٦) زيد من ظ و مد .

حال[1] كونها ﴿ تمشى ﴾ و لما كان الحياء كأنه مركب لها و هى متمكنة منه، مالكة لزمامه، عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على استحيآء﴾ أى حياء موجود منها لأنها كلفت الإتيان إلى رجل أجنبى تكلمه و تماشيه؛ ثم استأنف الإخبار عما تشوف إليه السامع من أمرها فقال: ﴿قالت﴾
٥ و أكدت إعلاما بما لأبيها من الرغبة إلى لقائه فى قولها: ﴿ ان ابى ﴾ و صورت حاله بالمضارع فقالت: ﴿ يدعوك ليجزيك ﴾ أى يعطيك مكافأة لك، لأن المكافأة من شيم الكرام، و قبولها لا غضاضة[2] فيه ﴿ اجر ما سقيت لنا[5] ﴾ أى مواشينا، فأسرع الإجابة[3] لما بينهما من الملاءمة[4]، و لذلك قال: ﴿ فلما ﴾ بالفاء ﴿ جآءه ﴾ أى موسى شعيبا
١٠ عليهما الصلاة و السلام ﴿ و قص ﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام ﴿ عليه ﴾ أى شعيب عليه الصلاة و السلام ﴿ القصص لا ﴾ أى حدثه حديثه مع فرعون و آله فى كفرهم و طغيانهم و إذلالهم لعباد الله، و تتبع له الأمور على ما هى عليه لما توسم[5] فيه بما آتاه الله من الحكم و العلم من النصيحة و الشفقة، / و العلم و الحكمة، و الجلال و العظمة. ١٥ /
١٠ و لما كان من المعلوم أنه لا عيشة لخائف، فكان أهم ما إلى الإنسان الأمان، قدم له التأمين بأن ﴿ قال ﴾ أى شعيب [6]له عليهما[6] الصلاة و السلام: ﴿لا تخف وقفه قف﴾ [أى -[7]] فان فرعون لا سلطان له

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عضاضة (٣) فى ظ: الاجابة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الملامه (٥) فى ظ و مد: توهم (٦ - ٦) فى ظ و مد: عليه (٧) زيد من ظ و مد.

على ما ههنا، ولأن عادة الله تعالى [جرت -[1]] أن تواضعك هذا ما كان فى أحد إلا قضى الله برفعته، ولذلك كانت النتيجة: ﴿نجوت﴾ أى يا موسى ﴿من القوم الظلمين ه﴾ أى هو وغيره وإن كانوا فى [2] غاية القوة والعراقة فى [2] الظلم.

ولما اقتضى هذا القول أنه آواه إليه، علمت انتباه مضمونه، وكانتا قد رأتا من كفايته وديانته ما يرغب فى عشرته، فتشوفت النفس إلى حالهما حينئذ، فقال مستأنفا لذلك: ﴿قالت احدىهما﴾ أى المرأتين. قيل: وهى التى دعته إلى أبيها مشيرة [بالنداء -[1]] بأداة البعد إلى استصغارها[3] لنفسها وجلالة أبيها: ﴿يأبت استاجره﴾ ليكفينا ما يهمنا؛ ثم عللت قولها فقالت مؤكدة إظهارا لرغبتها فى الخير واغتباطها به: ﴿ان خير من استاجرت﴾ لشىء من الأشياء ﴿القوى﴾ وهو[4] هذا لما رأيناه من قوته فى السقى[5] ﴿الامين ه﴾ لما تفرسنا فيه من حيائه، وعفته فى نظره ومقاله وفعاله، وسائر أحواله؛ [6]قال أبو حيان[6]: وقولها[7] قول حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت [8]الأمانة والكفاية[8] فى القائم بأمر فقد تم المقصود. ﴿قال﴾ [أى -[1]] شعيب عليه الصلاة والسلام، و[هو -[9]] فى التوراة[10] يسمى: رعوئيل - بفتح الراء وضم العين

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) فى مد: عراقة القوة و غاية (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: استغفارها (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: من (٥) من ظ و مد. و فى الأصل: السعى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) فى ظ و مد: قولها (٨ - ٨) فى البحر المحيط ٧/ ١١٤: الكفاية و الأمانة (٩) زيد من ظ (١٠) راجع الإصحاح الثانى من السفر الثانى: آية ١٨.

المهملة و إسكان الواو ثم همزة مكسورة بعدها تحتانية ساكنة و لام، و يثرو - بفتح التحتانية و إسكان المثلثة وضم الراء المهملة و إسكان الواو[١] ﴿ انى اريد ﴾ يا موسى، و التأكيد لأجل أن الغريب قل ما يرغب فيه أول ما يقدم[٢] لا سيما من[٣] الرؤساء أتم الرغبة ﴿ ان انكحك ﴾ أى أزوجك زواجا، تكون وصلته كوصلة أحد الحنكين[٤] بالآخر ﴿ احدى ابنتى ﴾.

و لما كان يجوز [٥]أن يكون[٥] المنكح منهما غير المسق لهما، نفى ذلك بقوله: ﴿ هتين ﴾ أى الحاضرتين اللتين سقيت لهما، ليتأملهما فينظر من يقع اختياره عليها منهما ليعقد له عليها ﴿ على[٦] ان تاجرنى ﴾ أى تجعل نفسك أجيرا عندى أو[٦] تجعل أجرى على ذلك و ثوابى ﴿ ثمنى[٧] حجج ج ﴾ جمع حجة - بالكسر، أى سنين، أى العمل فيها بأن تكون أجيرا لى أستعملك فيما ينوبنى من رعية الغنم وغيرها، و آجره - بالمد و القصر، من الأجر و الإيجاز، و كذلك[٨] أجر الأجير و المملوك و آجره: أعطاهما أجرهما ﴿ فان اتممت ﴾ أى الثماني يبلوغ العقد بأن تجعلها ﴿ عشرا[٩] ﴾ أى عشر سنين ﴿ فمن ﴾ أى فذلك فضل من ﴿ عندك ج ﴾

(١) و هذا و ورد اسمه فيما عندنا من نسخة التوراة: يثرون - راجع الإصحاح الثانى من السفر الثانى: آية ١٨ (٢-٢) من ظ و مد. و فى الأصل: فيتناول لا يقدم (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ ومد: الجنبين (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٦) فى ظ و مد «و» (٧) تقدم فى الأصل على «اى تجعل» و الترتيب من ظ و مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: لذلك (٩) ورد فى ظ بعد «اتممت».

غير واجب عليك ، و كان تعيين الثماني لأنها - إذا أسقطت[١] منها مدة الحمل - أقل سن يميز فيه الولد غالبا ، و العشر أقل ما يمكن فيه البلوغ ، لينظر سبطه إن قدر فيتوسم[٢] فيه بما يرى من [٣]قوله و فعله[٣] ، و التعبير بما هو من الحج[٤] الذي هو القصد تفاؤلا بأنها تكون من طيبها بمتابعة أمر[٥] الله و سعة رزقه و إفاضة نعمه و دفع[٦] نقمه أهلا لأن تقصد أو يكون فيها ٥ الحج في كل واحدة منها إلى بيت الله الحرام .

و لما ذكر له هذا ، أراد أن يعلمه أن الأمر بعد الشرط بينهما على المسامحة فقال : ﴿و مآ اريد ان اشق عليك﴾ أي أدخل عليك مشقة[٧] في شيء من ذلك و لا غيره لازم أو غير لازم ، ثم أكد معنى المساهلة بتأكيد و عد الملاءمة[٨] فقال : ﴿ستجدني﴾ ثم استثنى على قاعدة أولياء الله ١٠ و أنبيائه في المراقبة على سبيل التنزل[٩] فقال : ﴿ان شآء الله﴾ أي الذي [١٠]له جميع[١٠] الأمر ﴿من الصلحين ﴾ أي في / حسن الصحبة و الوفاء بما قلت و كل ما[١١] تريد من[١٢] خير ﴿قال﴾ أي موسى عليه السلام ﴿ذلك﴾ أي الذي ذكرت من الخيار و غيره ﴿بيني و بينك﴾ أي كائن بيننا على حكم النصفة و العدل و السواء على ما ألزمتني به لازما ، و ما أشرت ١٥

/ ٦٦

(١) في مد : سقطت (٢) في ظ و مد : فيتوهم (٣-٣) في مد : فعله و قوله .
(٤) في ظ و مد : الحجج (٥) سقط من ظ و مد (٦) في ظ و مد : رفع .
(٧) من ظ و مد ، و في الأصل : شقة (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : اللازمة (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : التبرك (١٠-١٠) في ظ و مد : جمع له (١١) تكرر في الأصل فقط (١٢) زيد في ظ : كل .

إلى التفضل به إحسانا ، و عليك ما ألزمت به نفسك فرضا و فضلا ، ثم [1]بين و [1]فسر ذلك بقوله : ﴿ ايما الاجلين ﴾ أى أىّ أجل منهما : الثمانى أو [2] العشر ﴿ قضيت ﴾ أى عملت العمل المشروط على فيه فقد خرجت به [3] من العهدة ﴿ فلا عدوان ﴾ أى اعتداء بسبب ذلك لك و لا لأحد ٥ ﴿ علىّ [4] ﴾ [أى - [4]] فى طلب أكثر منه لأنه كما لا تجب على الزيادة على [العشر لاتجب علىّ الزيادة على - [4]] الثمان ، وكأنه أشار بنفى صيغة المبالغة إلى أنه لا يؤاخذ لسعة صدره و طهارة أخلاقه بمطلق العدو ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ على ما نقول ﴾ أى كله فى هذا الوقت و غيره ﴿ وكيل ﴾ أى شاهد و حفيظ قاهر عليه و ملزم به فى ١٠ الدنيا و [5] فى الآخرة ، فما الظن بما وقع بيننا من العهد من النكاح و الأجر و الأجل .

ذكر مضمون هذا من التوراة : قال فى أول السفر الثانى منها : و هذه أسماء بنى إسرائيل الذين دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام ، دخل كل امرئ [6] و أهل بيته روبيل [7] و شمعون و لاوى و يهوذا و إيساخار ١٥ و زبلون و بنيامين و دان و نفتالى و جاد و أشير [8] ، و كان عدد ولد

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ و مد « و » (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : او . (٦) زيد فى الاصل و ظ : منهم ، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها . (٧) و ورد بعض الاسماء فى التوراة ببعض المفارقات (٨) من ظ و مد و التوراة ، و فى الأصل : امشير .

يعقوب الذين خرجوا من صلبه سبعين نفسا مع يوسف عليه الصلاة والسلام الذى كان بمصر، فتوفى يوسف وجميع[1] إخوته وجميع ذلك الحقب، وبنو إسراءيل نموا وولدوا وكثروا واعتزوا جدا جدا، وامتلأت الأرض منهم، فملك على مصر ملك جديد لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: هذا شعب[2] بنى إسراءيل قد كثر [3]عددهم فهم[3] أكثر ٥ وأعز منا، هلموا نحتال لهم قبل أن يكثروا، لعل أعداءنا يأتونا يقاتلونا فيكونوا عونا لأعدائنا علينا فيخرجونا من الأرض، فولى عليهم ولاة ذوى[4] فظاظة وقساوة ليتعبدوهم، وجعلوا يبنون قرى لأجران فرعون وأهرائه وفى نسخة: وبنوا لفرعون مدنا محصنة فيسترم فى الفيوم وفى عين شمس، وفى نسخة: [5]فيثوم ورعمسيس[5]، وفى نسخة: وأكوان[6] التى هى ١٠ مدينة الشمس، واشتد تعبدهم لهم، و[1] ذلهم إياهم، وكانوا يزدادون كثرة ويعتزون، فاشتد[7] غمهم وحزنهم بسبب بنى إسراءيل، وكان المصريون يتعبدون[8] بنى إسراءيل بشدة[9] وقساوة، ويمرون[10] حياتهم بالكد والتعب الصعب الشديد بالطين وعمل اللبن وفى كل عمل الحقل[11]، وكان تعبدهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: شعيب (٣-٣) فى ظ ومد: عدده فهو (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: ذى، والكلمات فى التوراة مختلفة عما هنا (٥-٥) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: فيشرم ويعيس وعميس (٦) من مد، وفى الأصل: اكون، وفى ظ: الوان، (٧) فى ظ: واشتد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: يبعدون (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: شدة (١٠) فى التوراة: يمررون (١١) سقط من مد.

إياهم فى جميع ما استعملوهم بالشدة و الفظاظة و القساوة، فقال ملك مصر : [و جعلنا - [1]] لقوابل العبرانيات التى تسمى إحداهما فوعا[2] و الأخرى شوفرا[3]، و أمرهما : إذا أنتما قبلتما العبرانيات فانظرا[4] إذا سقط الولد، فان كان ذكرا فاقتلاه، و إن كانت أنثى فاستبقياها[5] فاتقت ٥ القابلتان[6] الله و لم يفعلا ما أمرهما به ملك مصر، و جعلتا تستحيان الغلمان، فدعا ملك مصر القابلتين و قال لهما : ما بالكما ؟ جاوزتما أمرى و أحييتما الغلمان ؟ فقالتا لفرعون : إن[7] العبرانيات لسن[8] كالمصريات لأنهن قوابل، و يلدن قبل أن تدخل القابلة عليهن[8]، فأحسن الله إلى القابلتين لصنعهما هذا، فكثر الشعب و عز جدا، فلما اتقت القابلتان / الله أنماهما /١٧ ١٠ و جعل لهما بنين، و فى نسخة : بيوتا[9]، فأمر فرعون جميع قومه قائلا : كل غلام يولد لهم[10] فألقوه فى النهر، و كل جارية تولد فاستبقوها، [11]فانطلق رجل من آل لاوى فتزوج إحدى بنات لاوى، فحبلت المرأة فولدت ابنا فرأته حسنا جدا، فغيبته ثلاثة أشهر و لم تقدر أن تغيبه أكثر من ذلك، فأخذت تابوتا من خشب الصنوبر، و طلته بالقار و الزفت

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى التوراة : فوعة (٣) فى ظ و مد : شوفرها، و فى التوراة : شفرة (٤) فى الأصول : فانظروا، و فى التوراة : و تنظرانهن. (٥) فى مد : فاستبقوها (٦) من ظ و مد و التوراة، و فى الأصل : القابلات. (٧) فى مد : ليس (٨) من التوراة، و فى الأصل وظ : ليس، و الكلمة ساقطة من مد (٩) زيد فى الأصل و ظ : جحيمها، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها (١٠) ليس فى مد و التورة (١١) من هنا يبتدئ الأصحاح الثانى.

و وضعت

و وضعت فيه الغلام و وضعته فى الضحضاح على شاطئ النهر ، و قامت
أخته من بعيد لتنظر ما يكون من أمره ، فخرجت بنت فرعون تغتسل
فى النهر ، فنظرت إلى التابوت فى الخاضة ، فأرسلت جواريها فأتوا به
ففتحته فرأت الغلام ، فاذا هو يبكى فرحمته ، و قالت : هذا من بنى[١]
العبرانيين ، فقالت أخته لابنة فرعون : هل لك أن أنطلق أدعو لك ٥
ظئرا من العبرانيات فترضع هذا الغلام ؟ فقالت[٢] لها ابنة فرعون : نعم !
انطلقى ، فانطلقت الفتاة[٣] و دعت[٣] أم الغلام ، فقالت لها ابنة فرعون :
خذى هذا الصبى فارضعيه و أنا أعطيك أجرتك ، فأخذت المرأة الغلام
فأرضعته فشب[٤] الغلام فأتت به إلى ابنة فرعون فتبنته[٥] ، و سمته موسى
لأنها قالت : إنى انتشلته من الماء . فلما كان بعد تلك الأيام نشأ موسى ١٠
عليه السلام و خرج إلى إخوتـــه فنظر إلى ذلهم ، فرأى رجلا مصريا
يضرب رجلا عبرانيا من إخوته من بنى إسراءيل ، فالتفت يمينا و شمالا
فلم ير أحدا فقتل المصرى ، فمات و دفنه فى الرمل ، ثم خرج يوما آخر فاذا
هو برجلين عبرانيين يصطحبان ، فقال للمسيء منهما : ما بالك ؟ تضرب أخاك ؟
فقال له : من جعلك علينا رئيسا و حاكما ؟ لعلك تريد أن تقتلنى كما قتلت ١٥
المصرى أمس ؟ ففرق موسى و قال : حقا لقد فشا هذا الأمر ، فبلغ فرعون
الأمر و أراد موسى ، فهرب موسى من فرعون و انطلق إلى أرض

---

(١) زيد فى ظ : اسراءيل (٢) فى ظ و مد : قالت (٣ - ٣) من ظ و مد و التوراة ، و فى الأصل : فدعت (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : فنشأ ، و فى التوراة : كبر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فثبته .

مدين، و جلس على طوى الماء، و كان لحبر مدين سبع بنات، فكن يأتين فيدلن الماء فيملأن الحياض ليسقين غنم أبيهن، [1]و كان[1] الرعاة يأتون[2] فيطردونهن، فقام موسى فخلصهن و أسقى غنمهن، فأتين إلى رعوئيل[3] أبيهن فقال لهن: ما بالكن؟ أسرعتن السقي اليوم؟ فقلن له:
٥ رجل مصري خلصنا من أيدي الرعاة، فأستقى[4] لنا الماء، و سقى غنمنا، فقال لبناته: و أين هو؟ لم تركتن الرجل، انطلقن و ادعونه فيأكل عندنا خبزا. ففعلن ذلك، فأعجب موسى أن ينزل على ذلك الرجل فزوجه صفورا[5] ابنته فتزوجها فولدت له ابنا فسماه جرشون[6]، لأنه قال: إني صرت ساكنا في أرض غريبة[7]. و ولدت لموسى ابنا[8] آخر، فسماه إليعازار،
١٠ لأنه قال: إن إله آبائي خلصني من حرب[9] فرعون. و قوله: إن المتخاصمين في اليوم الثاني عبرانيان، إن أمكن تنزيل ما في القرآن عليه فذاك، و إلا فهو مما بدلوه. و قوله: إن بنات شعيب سبع، لا يخالف ما في القرآن الكريم. بل أيده الزمخشري[11] بتعيينهما بقوله "هاتين" لكن تقدم ما يشير إلى أن ذلك غير لازم.
١٥ و لما كان من المعلوم أن التقدير: فلما التزم موسى عليه السلام

(١-١) في مد: فكان (٢) من ظ و مد، و في الأصل: ياتين (٣) من ظ و مد و التوراة، و في الأصل: دعويل (٤) من ظ و مد و التوراة، و في الأصل: فاسقا - كذا (٥) في التوراة: صفورة (٦) في التوراة: جرشوم (٧) من مد و التوراة، و في الأصل و ظ: غربة (٨) من ظ و مد، و في الأصل: ولدا (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد (١١) راجع الكشاف - الآية المعنية.

زوجته ابنته كما شرط[1]، و استمر عنده حتى قضى ما عليه، بنى عليه قوله: ﴿ فلما قضى ﴾ أى وفى[2] و أتم، [3]و نهى[3] و أنفذ ﴿ موسى ﴾ صاحبه ﴿ الاجل ﴾ أى الأوفى[4] و هو العشر، بأن وفى جميع ما شرط عليه من العمل، فانه ورد أنه قضى من الأجلين أوفاهما[5]، و تزوج من المرأتين / صغراهما، وهى التى جاءت فقالت: "يٰابت استاجره" روى ٥ /١٨ الطبرانى فى الأوسط معناه عن أبى ذر رضى الله عنه مرفوعا[6]، و الظاهر أنه مكث عنده بعد الأجل أيضا مدة، لأنه عطف بالواو قوله: ﴿ و سار ﴾ و لم يجعله جوابا للمّا ﴿ باهلهٓ ﴾ أى امرأة راجعا إلى أقاربه بمصر ﴿ انس ﴾ أى أبصر ﴿ من جانب الطور نارا ج ﴾ آنسته رؤيتها . شرحته إنارتها، و كان مضرورا إلى الدلالة على الطريق و الاصطلاء بالنار. ١٠

و لما كان كأنه قيل: ما ذا فعل عند [7]ما أبصرها قيل[7]: ﴿ قال لاهله ﴾ و لما كان النساء أعظم ما ينبغى ستره، أطلق عليها ضمير الذكور[8] فقال: ﴿ امكثوآ ﴾ و إن كان معه بنين[9] له فهو على التغليب[10]؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا[11]، لاستبعاد أن يكون فى ذلك المكان القفر و فى ذلك

---

(١) فى ظ: شط - خطأ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: رق (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الادنى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ادناهما (٦) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٨ (٧-٧) فى ظ: ما ابصرها فقيل، و فى مد: رؤيتها فقيل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الذكور (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: بنون (١٠) زيد فى ظ: له (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: معللا.

الوقت الشديد البرد نار[1]: ﴿اني آنست نارا﴾ فكأنه قيل: فماذا تعمل[2] بها؟ فقال معبرا بالترجي لأنه أليق بالتواضع الذى هو مقصود السورة، وهو الحقيقة فى إدراك الآدميين فى مثل هذا[3]. ولذا عبر بالجذوة التى مدار مادتها الثبات: ﴿لعلى آتيكم منها﴾ أى من عندها ﴿بخبر﴾ ينفعنا ٥ فى الدلالة على المقصد[4] ﴿او جذوة﴾ أى عود غليظ ﴿من النار﴾ أى متمكنة[5] منه هذه الحقيقة أو التى[6] تقدم ذكرها؛ ثم استأنف قوله: ﴿لعلكم تصطلون ه﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن تقربوا من النار فتنعطفوا[7] عليها لتدفئوا، وهذا دليل على أن الوقت كان شتاء ﴿فلمآ آتىها﴾ أى النار.

١٠ ولما كان آخر الكلام دالا دلالة واضحة على أن المنادى هو الله سبحانه، بنى للفعول قوله دالا على ما فى أول الأمر من الخفاء: ﴿نودى﴾ ولما كان نداؤه سبحانه لا يشبه نداء[3] غيره[8] بل يكون من جميع الجوانب، وكان مع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد تشريف[9] بوصف من الأوصاف، إما بأن يكون أول السماع منه أو غير ذلك أو يكون باعتبار ١٥ كون موسى عليه الصلاة والسلام [فيه - [10]]. قال: ﴿من﴾ أى

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : نارا (٢) من ظ ومد، و فى الأصل : فعل . (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : القصد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : فتمكنت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : الذى (٧) فى ظ : فتعطفوا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : غره (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : شرف (١٠) زيد من ظ و مد .

كائنا

كائنا موسى عليه السلام بالقرب [من -[1]] ﴿شاطئ﴾ أى جانب ﴿الواد﴾ عن يمين موسى عليه الصلاة و السلام، و لذلك قال: ﴿الايمن﴾ و هو صفة للشاطئ الكائن أو كائنا ﴿فى البقعة المبٰركة﴾ [2] كائنا أول أو معظم النداء أو كائنا موسى عليه الصلاة و السلام [قريبا -[1]] ﴿من الشجرة﴾ كما تقول : ناديت فلانا من بيته ، و لعل الشجرة كانت كبيرة ، فلما وصل ٥ إليها دخل النور من طرفها [3] إلى وسطها[3] . فدخلها وراءه بحيث توسطها فسمع - و هو فيها - الكلام من الله تعالى حقيقة ، و هو المتكلم سبحانه لا الشجرة . قال القشيرى : و حصل الإجماع أنه عليه الصلاة السلام سمع تلك الليلة كلام الله ، و لو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة ، و[4] قال التفتازانى شرح المقاصد أن اختيار حجة الإسلام أنه سمع كلامه ١٠ الأزلى بلا صوت و لا حرف كما ترى ذاته فى الآخرة بلا كم و لا كيف ، و تقدم فى طٰهٰ أن المراد ما [5]إلى يمين[5] المتوجه من مصر إلى الكعبة المشرفة ، و الشجرة قال البغوى[6] : قال ابن مسعود رضى الله عنه : كانت سمرة[7] خضراء تبرق ، و قال قتادة و مقاتل و الكلبى : كانت عوسجة[8] ، و قال وهب : من العليق ، و قال[9] ابن عباس رضى الله عنهما : إنها ١٥ العناب . ثم ذكر المنادى بقوله : ﴿ان يٰموسىٓ﴾ و أكد لأنه سبحانه

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ : اى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) سقط من ظ و مد (٥ - ٥) فى ظ و مد : اتى بين (٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٤٣ (٧) من ظ ومد و المعالم ، وفى الأصل : مثمرة . (٨) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : موشحة (٩) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : عن .

١٩ / لعظمه يحتقر كل أحد نفسه لأن / يؤهله للكلام لاسيما و[1] الأمر فى أوله فقال: ﴿ انى انا الله ﴾ أى المستجمع للأسماء الحسنى، و الصفات العلى.

و لما كان [2]هـذا الاسم[2] غيبا، تعرف بصفة هى مجمع الأفعال المشاهدة للانسان فقال: ﴿ رب العلمين ﴾ أى خالق الخلائق أجمعين ٥ و مربيهم ﴿ و ان الق عصاك ﴾ أى لأريك فيها آية.

و لما كان التقدير: فألقاها فصارت فى الحال حية عظيمة، و هى مع عظمها فى غاية الخفة، بنى عليه قوله: ﴿ فلما راها ﴾ أى العصا ﴿ تهتز كانها ﴾ أى فى سرعتها و خفتها ﴿ جآن ﴾ أى حية صغيرة ﴿ ولى مدبرا ﴾ خوفا منها و لم يلتفت إلى جهتها، و هو معنى قوله: ١٠ ﴿ و لم يعقب ﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام، و ذلك كناية عن شدة التصميم على الهرب و الإسراع فيه خوفا من الإدراك فى[3] الطلب فقيل له: ﴿ يموسى اقبل ﴾ أى التفت و تقدم إليها ﴿ و لا تخف ﴾ ثم أكد له الأمر لما الآدمى مجبول عليه من النفرة و إن اعتقد صحة الخبر بقوله: ﴿ انك من الامنين ﴾ أى العريقين فى الأمن كعادة إخوانك ١٥ من المرسلين؛ ثم زاد طمأنينتـه[4] بقوله: ﴿ اسلك ﴾ أى أدخل على الاستقامة[5] مع الخفة و الرشاقة ﴿ يدك فى جيبك ﴾ أى القطع الذى فى ثوبك و هو الذى تخرج منه الرأس، أو هو الكم، كما يدخل السلك و هو الخيط الذى ينظم فيه الدرر، تنسلك[6] على لونها و ما هى عليه من

---

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) فى ظ «و» (٤) فى ظ: طمانيته - كذا (٥) فى ظ و مد: استقامة (٦) فى ظ: بنظمك.

أثر الحريق الذى عجز فرعون عن مداواته، و أخرجها ﴿ تخرج بيضآء ﴾ أى[1] بياضا عظيما يكون له شأن خارق للعادات ﴿ من غير سوٓءٍ ﴾ أى عيب[2] من حريق أو غيره، فخرجت و لها شعاع كضوء الشمس، فالآية من الاحتباك[3].

و لما كان ذلك لا يكون آية محققة[4] لعدم العيب إلا[5] بعودها ٥ بعد ذلك إلى لون الجسد قال: ﴿ و اضمم اليك ﴾ أى إلى جسدك. و لما كان السياق للتأمين من الخوف، عبر بالجناح، لأن الطائر[6] يكون آمنا عند ضم جناحه فقال: ﴿ جناحك ﴾ أى يدك التى صارت بيضاء، و المراد بالجناح فى آية طه الإبط و الجانب لأنه لفظ مشترك ﴿ من الرهب ﴾ أى من خشية أن تظنها معيبة تخرج كما كانت قبل بياضها فى لون جسدك - ١٠ هذا على أن المراد بالرهب الخوف الذى بهره فأوجب له الهرب، و يجوز أن يكون المراد بالرهب الكم. فيكون إدخالها فى القمى - التى ليست موضعها بل الرأس - للبياض، و إدخالها فى الكم - الذى هو لها - لرجوعها إلى عادتها، و فى البغوى[7] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة ١٥ الحية، و قال: و ما من خائف بعد[8] موسى عليه الصلاة و السلام إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. و أظهر اليد بلفظ الجناح من

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عيبا (٣) أى ذكر السلوك أولا دلالة على حذف الاخراج ثانيا، و ذكر البياض ثانيا دلالة على حذف العيب أولا (٤) فى ظ و مد: محققا (٥) فى مد: لا - خطأ (٦) فى ظ: الطير (٧) أى معالمه - راجع اللباب ٥/١٤٣ (٨) فى ظ: يقدر - خطأ.

غير إضمار تعظيما للمقام و[1] تنبيها على أن عودها إلى حالها الأول آية مستقلة، وعبر عنها بلفظ الجناح[2] تنبيها على الشكر بتعظيم نفعها.

و لما تم كونا[3] آية بانقلابها[4] إلى البياض ثم رجوعها إلى لونها قال: ﴿ فذنك ﴾ أى العصا و اليد البيضاء، و شدد[5] أبو عمرو و ابن ٥ كثير و رويس تقوية لها لتعادل الأسماء المتمكنة، و ذكر لزيادة التقوية ﴿برهانن﴾ أى سلطانان و حجتان / قاهرتان ﴿من ربك﴾ أى المحسن /٢٠ إليك لا يقدر على مثلهما غيره ﴿ الى ﴾ أى واصلان، أو أنت مرسل بهما إلى ﴿ فرعون و ملائه ﴾ كلما أردت ذلك وجدته[6]، لا أنهما يكونان لك هنا فى هذه الحفرة فقط، ثم علل الإرسال إليهم على وجه إظهار ١٠ الآيات لهم و استمرارها بقوله[7] مؤكدا تنبيها على [أن - [8]] إقدامه على الرجوع إليهم فعل من يظن أنهم رجعوا عن غيهم، و إعلاما بمنه[9] عليه بالحماية منهم بهذه البراهين: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ قوما ﴾ أى أقوياء ﴿ فسقين ﴾ أى[10] خارجين عن الطاعة، فاذا رأوا ذلك هابوك[11]، فلم يقدروا على الوصول إليك بسوء، وكنت فى ١٥ مقام أن تردهم عن فسقهم.

---

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد فى ظ و مد: من غير إضمار (٣) فى ظ و مد: كونه (٤) فى ظ: بانقلابهما (٥) راجع نثر المرجان ١٧٣/٥ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: واجدته (٧) تقدم فى مد على «الإرسال إليهم» (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بمنته (١٠) سقط من ظ.
(١١) فى ظ: يغلبون، و فى مد: يهابوك.

و لما[1] كان كأنه قيل: ما فعل بعد رؤية هذه الخوارق؟ قيل: ثبت، علما منه بصعوبة المقام و خطر الأمر، فاشترط لنفسه[2] حتى رضى، و تلك كانت عادته ثباتا و حزما، و حلما و علما، ألا ترى إلى ما فعل معنا عليه السلام و التحية و الإكرام من الخير ليلة الإسراء فى السؤال فى تخفيف الصلاة، و لذلك كله[3] ﴿ قال رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ﴿انى﴾ أكده لأن إرسال الله سبحانه له فعل من لايعتبر أن لهم عليه ترة[4]، فذكر ذلك ليعلم وجه عدم اعتباره[5] ﴿ قتلت منهم ﴾ أى آل فرعون ﴿ نفسا ﴾ و أنت تعلم ما خرجت إلا هاربا منهم من أجلها ﴿فاخاف﴾ إن باديتهم، بمثل ذلك ﴿ان يقتلون ﴾ لذنبى إليهم و وحدتى و غربتى و ثقل لسانى فى إقامة الحجج.

و لما تسبب عن ذلك طلب الإعانة بشخص فيه كفاية و له عليه شفقة[6]، و كان أخوه هارون أحق الناس بهذا الوصف، كان التقدير: فأرسل معى أخى هارون - إلى آخره، غير أنه قدم ذكره اهتماما بشأنه فقال: ﴿و اخى هرون﴾ و الظاهر أن واوه للحال من ضمير موسى عليه الصلاة و السلام، أو عاطفة على مقول القول، و المعنى أنه[7] يخاف أن[7] يفوت مقصود الرسالة[8] إما بقتله أو لعدم بيانه، فاكتفى[9] بالتلويح فى الكفاية

(١) زيد فى الأصل: كان هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ ومد و فى الأصل: كلمه (٤) من مد، و فى الأصل وظ: ثره (٥) فى ظ: اختياره (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: شفقته.
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) زيد بعده فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: و اكتفى.

من الاول، لأنه لاطاقة لأحد غير الله بها، و صرح بما يكفى من الثانى، فكأن التقدير: إنى أخاف أن يقتلون فيفوت[1] المقصود، و لا يحمى[2] من ذلك إلا أنت، و إن لسانى فيه عقدة، و أخى - إلى آخره؛ و زاد فى تعظيمه بضمير الفصل فقال: ﴿ هو افصح منى لسانا ﴾ أى من جهة اللسان
٥ للعقدة التى كانت حصلت له من وضع الجمرة فى فيه و هو طفل فى كفالة فرعون ﴿ فارسله ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ معى ردا ﴾ أى معينا، من ردأت فلانا بكذا، أى جعلته له قوة و عاضدا، و ردأت الحائط - إذا دعمته بخشب أو كبش يدفعه أن يسقط[3]؛ و قراءة نافع[4] بغير همز من الزيادة.

و لما كان له عليه من العطف و الشفقة ما يقصر الوصف عنه،
١٠ نبه على ذلك باجابة السؤال بقوله: ﴿ يصدقنىٓ ز ﴾ أى بأن يلخص[5] بفصاحته ما قلته و بينه، و يقيم الأدلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحا، فيكون - مع تصديقه لى بنفسه - سببا فى تصديق غيره لى؛ و رفعه عاصم[6] و حمزة صفة لردأ. ثم علل سؤاله هذا، و بين أنه هو المراد، لا أن يقول له: صدقت، فان قوله لهذه اللفظة لا تعلق له بالفصاحة حتى يكون سببا
١٥ للسؤال فيه، بقوله مؤكدا لأجل أن من كان رسولا عن الله لا يظن به أن يخاف: ﴿ انىٓ اخاف / ان يكذبون ﴾.   / ٢١

و لما كان ما رأى من الأفعال، و سمع من الأقوال، مقتضيا للأمن

---

(١) من مد، و فى الأصل: صعوت، و فى ظ: ليفوت (٢) ظ و مد: لايحمى (٣) هو قول ابن شميل - راجع تاج العروس (٤) راجع نثر المرجان ١٧٥/٥ (٥) فى ظ و مد: يخلص (٦) راجع نثر المرجان ١٧٦/٥.

من أن يكذبوه، و كان عالما بما هم عليه من القساوة و الكبر، أشار[1]
إلى ذلك بالتأكيد، أى و إذا كذبونى عسرت علىّ المحاجة على ما
هو عادة أهل الهمم[2] عند تمالؤ الخصوم على العناد[3]، و الإرسال موجب
لكلام كثير و حجاج طويل، و قريب من هذا قول النبى صلى الله عليه
و سلم[4] لما أمره الله تعالى بانذار قومه "إذن[5] يثلغوا رأسى فيجعلوه[6] خبزة" ٥
و كأن مراد السادة القادة عليهم الصلاة و السلام و التحية و الإكرام
الاستعلام عن[7] الأمر هل يجرى على العادة أو لا ؟ فان كان يجرى[8] على
العادة وطنوا أنفسهم على الموت، و إلا ذكر لهم الأمر الخارق فيكون
بشارة لهم، ليمضوا[9] فى الأمر على بصيرة، و يسيروا فيه على حسب ما
يقتضيه من السيرة. ١٠

و لما أكد أمر الطلب بهارون عليهما الصلاة و السلام، أكد له
سبحانه أمر الإجابة بقوله مستأنفا: ﴿قال سنشد﴾ و ذكر أولى الأعضاء
بمزاولة المكاره فقال: ﴿عضدك﴾ أى أمرك ﴿باخيك﴾ أى سنقويك
و نعينك بـه إجابـة لسؤالك صلة منك لأخيك، و عونا منه لك
﴿و نجعل لكما سلطنا﴾ أى ظهورا عظيما عليهم، و غلبة لهم بالحجج ١٥

---

(١) فى ظ: اشارة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الفساد (٤) راجع صحيح مسلم أبواب الجنة (٥) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: ان (٦) فى ظ و مد: فيجعلونه، و فى الصحيح: فيدعوه (٧) فى مد: على (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: جرى (٩) فى ظ و مد: ليضمنوا.

و الهيبة لأجل ما ذكرت من الخوف ﴿فلا﴾ [أى -[1]] [2]فيتسبب عن[2] ذلك أنهم[3] لا ﴿يصلون اليكما ج﴾ بنوع من أنواع الغلبة ﴿بايتنا ج﴾ أى نجعل ذلك[4] بسبب ما يظهر على أيديكما من الآيات المعظمة بنسبتها إلينا، و لذلك كانت[5] النتيجة ﴿انتما و من اتبعكما﴾ أى من قومكما و غيرهم ﴿الغلبون ه﴾

٥ أى لا غيرهم[6]، و هذا يدل[7] على أن فرعون لم يصل إلى السحرة بشيء مما هددهم[8] به، لأنهم من أكبر الأتباع الباذلين[9] لأنفسهم[10] فى الله، و كأنه[11] حذف أمرهم هنا لأنه فى بيان أمر فرعون[12] و جنوده بدليل ما كرر من ذكرهم، و قد كشفت العاقبة [13]عن أن السحرة[13] ليسوا من جنوده، بل من حزب الله و جنده، و مع ذلك فقد أشار إليهم بهذه الآية و التى

١٠ بعدها، و سيأتى فى آخر سورة الحديد عن تأريخ ابن عبد الحكم أنهم خاصوا و رجع[14] بعضهم إلى مصر فكانوا[15] أول من ترهب.

شرح ما مضى[16] من التوراة، قال بعد ما تقدم[17] : و كان من بعد

---

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ : فتسبب عن، و فى مد : فيسبب (٣) من ظ، و فى الأصل : لهم، و الكلمة ساقطة من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : لك (٥) فى ظ و مد : كان (٦) فى ظ و مد : غيركم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : ينزل (٨) فى ظ و مد : بهددهم (٩) فى ظ : العاذلين (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : انفسهم (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : كانوا. (١٢) سقط من ظ (١٣ - ١٣) فى مد : عن السحرة انهم (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل : رجعهم (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل : و كانوا (١٦) من ظ و مد، و فى الأصل : نص (١٧) راجع الأصحاح الثالث.

أيام

أيام كثيرة مات فرعون ملك مصر فاستراح بنو إسرائيل من شدة تعبدهم، فصلوا فسمع[١] الله صلاتهم، و عرف تعبدهم، و سمع ضجتهم، و ذكر[٢] عهده لإبراهيم و إسحاق و يعقوب، فأبصر الله بنى إسرائيل، و عرف ذلهم، فكان[٣] موسى يرعى غنم يثرو[٤] ختنه[٥] حبر مدين، فساق بالشاه إلى طرف البرية و أتى إلى حوريب جبل الله، فتراءى له ملك الله بلهب[٦] النار[٧] من جوف العوسج، تشتعل فيه النار، و لم يكن العوسج يحترق، فقال موسى: لأعدلن فأنظر إلى هذه الرؤيا العظيمة؛ ما بال هذه العوسجة لم تحترق؟ فرأى الرب أنه قد عدل لينظر، فدعاه الله من جوف العوسج و قال له: يا موسى يا موسى! فقال: هأنذا! قال: لا[٨] تدن إلى ههنا، اطرح خفيك عن قدميك، لأن المكان الذى أنت[٩] واقف عليه مكان طاهر، و فى نسخة: مقدس، و قال الله: أنا إله أبيك ابراهيم إله إسحاق إله يعقوب، فغطى موسى وجهه لأنه فرق أن يمد بصره نحو الرب، و قال الرب: إنى قد رأيت ذل شعبى بمصر، و سمعت ضجتهم التى / ضجوا من تعبدهم، [١٠]لأنى عارف براءتهم[١٠]، فنزلت لأخلصهم من أيدى المصريين، و أن أصعدهم

(١) من ظ و التوراة، و فى الأصل ومد: وسمع (٢) فى ظ و مد: و ذكره. (٣) فى مد: و كان (٤) وقع فى التوراة: يثرون - كما قدمنا (٥) من ظ ومد، و التوراة معنى، و فى الأصل: حتة (٦) فى ظ: يلهب، و فى مد: تلهب، و فى التوراة: بلهيب (٧) زيدت الواو فى ظ و مد (٨) من ظ و مد و التوراة، و فى الأصل: الا (٩) زيد فى الأصل و ظ: فيه، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها (١٠ - ١٠) و فى التوراة: انى علمت أوجاعهم.

من تلك الأرض إلى أرض صالحة واسعة، تغل السمن و العسل: أرض الكنعانيين [1] و الحاثانيين و الأمورانيين و الفرزانيين [2] و الحاوانيين و اليابسانيين، و الآن هو ذا ضجيج بنى إسراءيل قد ارتفع إلىّ، و رأيت ضر المصريين لهم، فهبطت الآن حتى أرسلك إلى فرعون، و أخرج ٥ شعبى بنى إسراءيل من مصر، فقال موسى لله: من أنا حتى أنطلق [3] إلى فرعون [3] و أخرج [4] بنى [5] إسراءيل من مصر، فقال [6] الله: أنا [أكون - [7]] معك و هذه لآية [8] لك أنى أرسلتك: إنك إذا أخرجت [9] الشعب من مصر تعبدون [10] الله فى هذا الجبل، فقال موسى: هأنذا منطلق إلى بنى إسراءيل و أقول لهم: الرب إله آبائكم أرسلنى إليكم، فان قالوا [لى - [11]]: ما ١٠ اسمه؟ ما الذى أقول [12]؟ فقال الرب لموسى: قل لهم: الأزلى [13] الذى لم يزل، و فى نسخة: لا يزول، و قال: هكذا قل لبنى إسراءيل: أهيا شر [14] أهيا أرسلنى إليكم، و قال الرب أيضا لموسى هكذا قل لبنى إسراءيل:

---

(١) و جميع الكلمات سوى هذه الواحدة واردة فى التوراة بدون النون. (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: العذرانيين (٣-٣) فى مد: لفرعون (٤) زيد فى الأصل و ظ: الى، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها (٥) فى مد: آل (٦) زيد فى الأصل: له، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد والتوراة فحذفناها. (٧) زيد من ظ و مد و التوراة (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الآية، و السياق مختلف فى التوراة بعض الشيء (٩) فى ظ: خرجت (١٠) من مد و التوراة، و فى الأصل و ظ: يعبدون (١١) زيد من التوراة (١٢) من مد و التوراة، و فى الأصل و ظ: اقوله (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الأزل، الجملة ليست فى نسختنا من التوراة (١٤) فى التوراة: الذى.

الله ربكم إله آبائكم إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب أرسلني إليكم هذا[١]
اسمي إلى الأبد، و هـذا ذكرى إلى حقب الأحقاب، انطلق فاجمع
أشياخ بني إسراءيل و قل لهم: الرب إله آبائكم اعتلن لي، و إله إبراهيم
[و إسحاق -[٢]] و يعقوب يقول لكم: قد ذكرتكم و ذكرت ما صنع بكم
بمصر، و رأيت إخراجكم من تعبد أهل مصر إلى أرض الكنعانيين - ٥
و من تقدم معهم[٣] - إلى الأرض التي تغل السمن و العسل، فإذا قبلوا
منك فادخل أنت و أشياخ بني إسراءيل [إلى -[٢]] ملك مصر فقولوا له:
الرب إله العبرانيين ظهر علينا فننطلق الآن مسيرة ثلاثة أيام في البرية
و نذبح الذبائح لله ربنا، و أنا أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تخرجون،
و لا يد واحدة شديدة، حتى أبعث بآفتي [٤]و أضرب[٤] المصريين بجميع ١٠
العجائب [التي -[٢]] أحدثها فيهم، و من بعد ذلك يرسلكم[٥] [فأجعل -[٦]]
للشعب في أعين[٧] المصريين رأفة و رحمة، فإذا انطلقتم فلا تنطلقوا عطلا
صفرا، بل تستعير المرأة منكم من[٨] جاراتها و[٩] ساكنة بيتها حلي ذهب
و فضة و كسوة، و ألبسوها بنيكم و بناتكم، و أخربوا[١٠] أهل مصر، فأجاب
موسى و قال: إنهم لا[١١] يصدقونني، و لا يقبلون قولي، لأنهم يقولون: ١٥

(١) في ظ و مد: هكذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيدت الواو في الأصول، و لم تكن في التوراة فحذفناها (٤ - ٤) في ظ و مد: فاضرب (٥) في مد: يبعثكم (٦) زيد من ظ و مد، و موضعه في التوراة: و أعطي (٧) في مد: قلوب (٨) من ظ و مد و التوراة، و في الأصل: سن (٩) في مد فقط: أو. (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: اخرجوا، و في التوراة: فتسلبون (١١) في ظ: لن.

لم يتراى لك الرب ، فقال له الرب : [ما هذه التى فى يدك ؟ فقال : هى
عصاى ، فقال : ألقها فى الارض ، فألقاها فى الأرض ، فصارت ثعبانا ،
فهرب منه موسى ، فقال له الرب -[1]] : يا موسى ! مد يدك ، فخذ بذنبها ،
[فمد يده -[2]] فأمسكه فتحول[3] فى يده عصى ، فقال : لكى يصدقوا أن الله
٥ إله آبائهم[4] قد تراءى لك ، إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب ، و قال
الرب لموسى : اردد يدك فى ردنك[5] ، و فى نسخة : فى كمك ، فأدخلها
ثم أخرجها فاذا بيده بيضاء كالثلج ، فقال له : اردد يدك فى حضنك ،
و فى نسخة : فى كمك ، فردها ثم أخرجها فاذا هى مثل جسده ، فان هم
لم يؤمنوا[6] و لم يسمعوا بالآية الأولى فانهم يؤمنون و يسمعون بالآية الأخرى ،
١٠ فان لم يؤمنوا[6] بالآيتين ، و لم يسمعوا قولك فخذ ماء من الأرض ، و فى
نسخة : النيل ، فاصبه على الأرض ، فانه ينقلب و يصير دما فى اليبس ، فقال
موسى للرب : أطلب إليك يا رب ! لست رجلا ناطقا منذ[7] أمس و لا[8]
قبله و لا من الوقت الذى كلمت عبدك فيه ، [لأنى -[9]] ألثغ المنطق عسر[10]

---

(١) زيد من ظ و مد و التوراة و فيها بعض المفارقات اللفظية (٢) زيد من ظ ومد و التوراة (٣) من ظ ومد و التوراة معنى ، و فى الأصل : فيتحول . (٤) من ظ و مد والتوراة ، وفى الأصل : آبائكم (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ردتك ، و فى التوراة : عبك ، وهو الردن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٧) من ظ و مد و التوراة ، و فى الأصل : من (٨) فى ظ : ما ، و فى مد : لما (٩) زيد من ظ و مد ، و موضعه فى التوراة : بل (١٠) من مد و التوراة معنى ، و فى الأصل و ظ : عثر .

/ ٢٣

اللسان، فقال له الرب: من الذى خلق المنطق / للانسان[1]؟ و من الذى خلق الأخرس و الأصم و المبصر و المكفوف؟ أليس أنا الرب الذى أصنع ذلك؟ فانطلق الآن و أنا أكون معك، و راقبا للسانك[2] و ألقنك ما تنطق به، فقال: [3]موسى أطلب إليك يا رب! أرسل فى هذه الرسالة غيرى، فقال: هذا أخوك هارون اللاوى، قد علمت أنه ناطق ٥ لسن، و هو أيضا سيلقاك، و يشتد [4]فرحه بك[4]، و أخبره بالأمر، ولقنه كلامى، [5]و أنا[5] أكون راقبا على فيك و فيه و أعلمكما ما تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك[6]، فيكون لك مترجما، و أنت تكون له إلها، و فى نسخة: أستاذا و مدبرا، و خذ فى يدك هذه العصا لتعمل بها الآيات، فرجع موسى منطلقا إلى ثيرو ختنه و قال له: إنى راجع إلى إخوتى ١٠ بمصر، و ناظر هل هم أحياء[7] بعد؟ فقال: ثيرو لموسى: انطلق راشدا سالما، و قال الرب لموسى فى مدين: انطلق راجعا إلى مصر لأن الرجال الذين كانوا معك يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا - إلى آخر ما مضى فى الأعراف، و فى هذا الفصل ما[8] لا يسوغ إطلاقه فى شرعنا على مخلوق، [وهو -[9]] الإله، وهو فى لغة العبرانيين بمعنى العالم والحاكم، وفيه ١٥ أيضا أن فرعون مات قبل رجوع موسى فان [كان -[10]] المراد الذى

---

(١) من التوراة، و فى الأصل: للسان، و فى ظ و مد: للناس (٢) فى ظ: لشأنك (٣) زيد فى ظ: يا (٤ - ٤) فى ظ و مد: فرحتك به (٥ - ٥) من ظ و مد و التوراة، و فى الأصل: فانا (٦) فى ظ: معك (٧) سقط من مد. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (٩) زيد من مد (١٠) زيد من ظ و مد.

ربي موسى عليه الصلاة و السلام في بيته فهو عما[1] بدلوه ه

و لما كان التقدير: فأتاهم كما أمر[2] الله، و عاضده أخوه كما أخبر الله، و دعواهم[3] إلى الله تعالى، و أظهرا ما أمرا به من الآيات، بنى عليه قوله مبينا بالفاء سرعة امتثاله: ﴿ فلما جآءهم ﴾ أي فرعون و قومه.

٥ و لما كانت رسالة هارون عليه الصلاة و السلام إنما هي تأييد لموسى عليه الصلاة و السلام، أشار إلى ذلك بالتصريح باسم الجائي، فقال: ﴿ موسٰى بايٰتنا ﴾ أي التي أمرناه بها، الدالة على جميع الآيات للتساوي في خرق العادة حال كونها ﴿ بينٰت ﴾ أي في غاية الوضوح ﴿ قالوا ﴾ أي فرعون و جنوده ﴿ ما هذآ ﴾ [أي -[4]] الذي أظهره

١٠ من الآيات ﴿ الا سحر مفترى ﴾ أي هو خيال لا حقيقة له لجميع أنواع السحر، متعمدا[5] التخييل به، لا أنه معجزة من عند الله ﴿ و ما سمعنا بهذا ﴾ أي الذي تقوله من الرسالة عن الله ﴿ فيٓ ءابآئنا ﴾ و أشاروا إلى البدعة التي قد[6] أضلت أكثر الخلق، و هي تحكيم عوائد التقليد، و لا سيما عند تقادمها على القواطع [في قوله -[4]]: ﴿ الاولين ه ﴾ و قد كذبوا

١٥ و افتروا[7] لقد، سمعوا بذلك في[8] أيام يوسف عليه السلام "و ما بالعهد من قدم" فقد قال لهم الذي آمن "يٰقوم اني اخاف عليكم مثل يوم

(١) من ظ و مد، و في الأصل: ما (٢) من ظ و مد، و في الأصل: امره.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: دعوهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و في الأصل: متعمد (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٨) في ظ و مد: على.

الاحزاب - إلى قوله : و لقد جاءكم يوسف من قبله بالبينت[١] » .

و لما أخبر تعالى[٢] بقولهم عطف عليه الإخبار بقول موسى عليه الصلاة و السلام ليوازن السامع بين الكلامين ، و يتبصر بعقله ما الفاسد منهما « فبضدها تتبين الأشياء » هذا على قراءة الجماعة[٣] بالواو ، و استأنف جوابا لمن كأنه سأل عن جوابه على قراءة ابن كثير بحذفها ، فان الموضع موضع ٥ بحث عما أجابهم به عند تسميتهم الآيات الباهرات[٤] سحرا ، استعظاما لذلك فقال[٥] : ﴿ و قال موسىٰ ﴾ أي لما كذبوه و هم الكاذبون ، مشيرا لذي البصر إلى طريق يميزون به الأمرين في سياق مهدد لهم : ﴿ ربي ﴾ أي المحسن إليّ / بما ترون من تصديقي في كل ما ادعيته[٦] باظهار ما /٢٤ لا تقدرون عليه على قوتكم من الخوارق ، و منع هذا الظالم العاتي المستكبر ١٠ من الوصول إليّ بسوء ﴿ اعلم بمن جآء ﴾ بالضلال ظلما و عدوانا ، فيكون مخذولا لكونه ساحرا فمحرقا مفتريا على الله ، و يكون له سوء الدار ، و أعلم بحاله[٧] ، و لكنه قال « بمن جاء » ﴿ بالهدىٰ ﴾ أي بالذي[٨] أذن الله فيه ، و هو حق في نفسه ﴿ من عنده ﴾ ، تصويرا لحاله ، و تشويقا إلى اتباعه ﴿ و من تكون له ﴾ لكونه منصورا مؤيدا ﴿ عاقبة الدار ﴾ أي ١٥ الراحة و السكن و الاستقرار مع الأمن و الطمأنينة و السرور و الظفر

---

(١) راجع سورة ٤٠ آية ٣٤ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : يعني (٣) راجع نثر المرجان ٥/١٧٨ (٤) في ظ : الباهرة (٥) سقط من ظ و مد (٦) في ظ و مد : ادعيه (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : بحالي (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : الذي .

بجميع المطالب فى الحالة التى تكون آخر الحالات منى و منكم، فيعلم أنه أتى بما يرضى الله وهى[1] و إن كانت حقيقتها ما يتعقب الشيء من خير أو شر، لكنها لا يراد بها إلا ما يقصد للعاقل حتى تكون له، و أما عاقبة السوء فهى عليه لا له ؛ ثم علل ذلك بما أجرى[2] الله به عادته ؛ فقال معللا ٥ بأن المخذول هو الكاذب، إشارة إلى أنه الغالب لكون الله معه، مؤكدا لما استقر فى الأنفس من أن القوى لا يغلبه الضعيف ﴿ انه لا يفلح ﴾ أى يظفر و يفوز ﴿ الظّلمون ﴾ أى الذين يمشون كما يمشى من هو فى الظلام بغير دليل، فهم لا يضعون قدما فى موضع يثقون بأنه صالح للشى فيه[3]، لا تبعة فيه " فستنظرون و لتعلمن نباه بعد حين "

١٠ ﴿ و قال فرعون ﴾ جوابا لهذا الترغيب و الترهيب بعد الإعذار، ببيان الآيات الكبار، قانعا فى[4] مدافعة ما رأى أنه اجتذب قومه الأغمار الأغبياء عن الجهل من ظهور تلك الآيات البينات بأن يوقفهم عن الإيمان إلى وقت ما، و كذا كانت عادته كلما أظهر موسى عليه الصلاة و السلام برهانا، لأن قومه فى غاية الغباوة و العراقة فى الميل إلى الباطل ١٥ و النفرة من[5] الحق [6]و ترجيح المظنة[6] على المئنة : ﴿ يٰٓايها الملأ ﴾ أى الأشراف، معظما لهم استجلابا لقلوبهم ﴿ ما علمت لكم ﴾ و أعرق فى النفى فقال: ﴿من اله غيرى ج﴾ نفى علمه بذلك إظهارا للنصفة، و أنه ما قصد غشهم، و ذلك منه واضح [فى -[7]] أنه قصد تشكيكهم،

---

(١) فى ظ : هو (٢) فى ظ : جرى (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ : من .
(٥) فى ظ : عن (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) زيد من ظ و مد .

إشارة [١]منه إلى أن[١] انتفاء علمه بوجوده ما هو إلا لانتفاء وجوده بعد علمه [٢]بأن الحق مع موسى عليه الصلاة و السلام[٢] لأنه أنهى ما قدر عليه بعد رؤيتهم لباهر الآيات، و ظاهر الدلالات؛ ثم زاد فى إيقافهم عن المتابعة بأن[٣] سبب عن جهله قوله لوزيره معلما له صنعة الآجر لأنه أول من عمله[٤]، مع أن هذه العبارة أشبه بهمم[٥] الجبابرة من أن ٥ يقول: اصنع لى آجرا: ﴿ فاوقد لى ﴾ أضاف الإيقاد إليه إعلاما بأنه لا بد منه ﴿ يٰهامٰن ﴾ [و -[٦]] هو وزيره ﴿ على الطين ﴾ أى المتخذ لبنا ليصير آجرا[٧]؛ ثم سبب عن الإيقاد قوله: ﴿ فاجعل لى ﴾ أى منه ﴿ صرحا ﴾ أى بناء عاليا يتاخم السماء، قال الطبرى: وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر، و قال الزجاج: كل بناء [متسع -[٦]] مرتفع ١٠ ﴿ لعلىٓ اطلع ﴾ أى أتكلف الطلوع ﴿ الىٓ اله موسىٰ لا ﴾ [أى -[٨]] الذى يدعو إليه، فانه ليس فى الأرض أحد بهذا الوصف الذى ذكره فأنا[٩] أطلبه فى السماء موهما[١٠] لهم أنه مما يمكن الوصو إليـه على[١١] تقدير صحة الدعوى بأنه موجود، و هو قاطع بخلاف ذلك، و لكنه يقصد المدافعة / من وقت إلى وقت، لعله أن العادة جرت [١٢]بأن أكثر[١٢] ١٥ / ٢٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: منهم الى انه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: بانه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: علمه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: آجر (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فانى. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: توهما (١١) فى ظ: حتى (١٢ - ١٢) فى مد: ان.

الناس يظنون بالملوك القدرة على كل ما يقولونه ؛ ثم زادهم شكا بقوله، مؤكدا لأجل دفع[1] ما استقر فى الأنفس من صدق موسى عليه الصلاة و السلام: ﴿ و انى لاظنه ﴾ أى موسى ﴿ من الكذبين ه ﴾ أى دأبه[2] ذلك، و قد كذب هو و لبس لعنة الله و وصف أصدق أهل ذلك الزمان

٥ بصفة نفسه العريقة فى العدوان، و إن كان هذا الكلام منه على حقيقته فلا شيء أثبت شهادة على إفراط جهله و غباوته منه حيث ظن أنه يصل إلى السماء ؛ ثم على تقدير الوصول يقدر على الإرتقاء على ظهرها ، [ثم -[3]] على تقدير ذلك يقدر على منازعة بانيها و سامكها[4] [5] و معليها[5] .

١٠ و لما قال هذا مريدا به ـ كما تقدم ـ إيقاف قومه عن إتباع الحق، أتبعه تعالى الإشارة إلى أنهم فعلوا ما أراد ، و أن [كان -[6]] ذلك هو الكبر عن الحق فقال تعالى : ﴿ و استكبر ﴾ أى و أوجد الكبر بغاية الرغبة فيه ﴿ هو ﴾ بقوله هذا الذى صدهم[7] به[8] عن السبيل ﴿ و جنوده ﴾ بانصدادهم لشدة رغبتهم فى الكبر على الحق و الإتباع للباطل ﴿ فى الارض ﴾ أى أرض

١٥ مصر ، و لعله عرفها[9] إشارة إلى أنه لو قدر على ذلك فى غيرها فعل[10] ﴿ بغير الحق ﴾ أى استكبارا مصحوبا بغير هذه الحقيقة، و التعبير

---

(١) فى ظ : رفع (٢) فى ظ و مد : رأى به (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : سالمكها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد . (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : صد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ : شرفها (١٠) من ظ و مد : و فى الأصل : ففعل .

بالتعريف يدل على أن[1] التعظيم بنوع من الحق ليس كبرا و إن كانت صورته كذلك، و أما تكبره سبحانه فهو بالحق كله، و عطف على ذلك ما تفرع عنه و عن الغباوة أيضا و لذا لم يعطفه بالفاء، فقال: ﴿و ظنوآ﴾ أي فرعون و قومه ظنا بنوا عليه اعتقادهم في أصل الدين الذي لا يكون إلا بقاطع ﴿انهم الينا﴾ أي إلى حكمنا خاصة الذي يظهر عنده انقطاع ٥ الأسباب ﴿لا يرجعون ۝﴾ أي لا في الدنيا و لا في الآخرة، فلذلك اجترؤا على ما ارتكبوه من الفساد .

و لما تسبب عن ذلك إهلاكهم قال: ﴿فاخذنه﴾ أي بعظمتنا أخذ قهر و نقمة ﴿و جنوده[2]﴾ أي كلهم، و ذلك علينا هين، و أشار إلى احتقارهم بقوله: ﴿فنبذنهم﴾ أي على صغرهم وعظمتنا ﴿في اليم ج﴾ ١٠ فكانوا على كثرتهم و قوتهم كحصيات صغار قذفها الرامي الشديد الذراع من يده في البحر، فغابوا في الحال، و ما آبوا و لا أحد منهم إلى [3]أهل و لامال[3] . و لما سببت[4] هذه الآية[5] من العلوم، ما لايحيط به الفهوم[6]، قال: ﴿فانظر﴾ أي أيها المتعرف[7] للآيات الناظر فيها نظر الاعتبار؛ و زاد في تعظيم ذلك بالتنبيه على أنه مما يحق له أن يسأل عنه فقال: ١٥ ﴿كيف كان﴾ أي كونا هو الكون ﴿عاقبة﴾ أي آخر أمر ﴿الظلمين ۝﴾ و إن زاد ظلمهم، و أعيى أمرهم، ذهبوا في طرفة عين، كأن لم يكونوا، و غابوا عن العيون كأنهم قط لم يبينوا، و سكتوا بعد ذلك الأمر و النهي

---

(١) في ظ و مد: أنه (٢) في ظ: جنودهم (٣ - ٣) في ظ: اهل و لامال .
(٤) في ظ: سبب (٥) من مد، و في الأصل و ظ: الآيات (٦) في ظ و مد: الفهم (٧) من ظ و مد، و في الأصل: المعترف .

فصاروا بحيث لم يبينوا ، فليحذر هؤلاء الذين ظلموا إن استمروا على ظلمهم أن ينقطعوا و يبينوا ، و هذا إشارة عظيمة[1] بأعظم بشارة بأن كل ظالم يكون عاقبته هكذا[2] إن صابره المظلوم المحق ، و رابطه حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين .

٥ و لما كان «من سن سنة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل[3] بها إلى يوم القيامة ، و من سن سنة سيئة كان عليه و زرها و وزر من عمل[3] بها إلى يوم القيامة » ، و كانوا أول / من أصر و أطبق في [ذلك -[4]] الزمان على تكذيب الآيات ، و إخفاء الدلالات النيرات ، على تواليها و كثرتها ، و طول زمانها و عظمتها[5] و كانت منابذة العقل و اتباع الضلال ١٠ في غاية الاستبعاد ، لاسيما أن كانت ضامنة للهلاك في الدنيا و العذاب في الآخرة ، قال تعالى في مظهر العظمة : ﴿ و جعلنهم ﴾ [أي في الدنيا -[4]] ﴿ ائمة ﴾ أي متبوعين في رد ما لايرده عاقل من مثل هذه الآيات ، أي جعلنا أمرهم شهيرا حتى لايكاد أحد يجهله ، فكل[6] من فعل مثل أفعالهم من رد الحق و التجبر[7] على الخلق ، فكأنه قد اختار الاقتداء [بهم -[4]] ١٥ و إن لم يكن قاصدا ذلك ، فأطلق ذلك عليه رفعا له عن النسبة إلى أنه يعمل ما يلزمه الإتسام[8] به و هو غافل عنه كما أنه لاتقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل ،

/ ٢٦

---

(١) سقط من ظ ومد (٢) زيد في ظ : صابره (٣) في ظ ومد : يعمل (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : عظمها (٦) من مد ، و في الأصل وظ : و كل (٧) من ظ ومد ، و في الأصل : الجبر (٨) من ظ ومد ، و في الأصل : الاقسام .

و أحق الناس باتباعهم فى باطن اعتقـادهم و ظاهر اصطناعهم، و خيبة آمالهم و أطماعهم أهل الإلحاد بمذهب الاتحاد - أهلك الله أنصارهم، و عجل دمارهم، وكشف هذا المعنى بقوله: ﴿ يدعون ﴾ أى يوجدون الدعاء لمن اغتر بحالهم، فضل بضلالهم ﴿الى النارج ﴾ أى [و جعلنا لهم أعوانا ينصرونهم -[1]] عكس ما أردنا[2] لبنى إسراءيل - كما سلف أول ٥ السورة - وجعلناهم موروثين .

و لمـا كان الغالب من حال الأئمة النصرة، و كان قد أخبر عن خذلانهم فى الدنيا، قال: ﴿ و يوم القيمة ﴾ أى الذى هو يوم التغابن ﴿ لا ينصرون ه ﴾ أى لا يكون لهم نوع نصرة أصلا كما كانوا يوم هلاكهم[3] فى الدنيا [سواء، و لاهم أئمة و لا لهم دعوة -[4]]، [4]يخلدون ١٠ فى العذاب، و يكون لهم سوء المآب[4] .

و لما أخبر عن هذا الحال، [5]أخبر عن[5] ثمرته: فقال فى مظهر العظمة، لأن السياق لبيان علو فرعون و آله، و أنهم مع ذلك طوع المشيئة[6] ﴿ و اتبعنهم فى هذه ﴾ و لمـا كان المراد الإطناب فى[7] بيان ملكهم، فسر اسم الإشارة فقال: ﴿ الدنيا ﴾ و لم يقل: الحياة، لأن السياق لتحقير ١٥ أمرهم و دناءة شأنهم ﴿لعنة ج﴾ أى طردا و بعدا عن جنابنا [و دفعا لهم بذلك -[8]] و دعاء عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بلسانه

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد: اوردنا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اهلاكهم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥ - ٥) فى ظ: من (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: السبية - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٨) زيد من مد .

إن خالفهم، أو بفعله الذى يكون عليهم مثل وزره إن والفهم ﴿ و يوم القيٰمة هم[1] ﴾ أى خاصة[2]، و من شاكلهم ﴿ من المقبوحين ؏ ﴾ أى المبعدين أيضا المخزيين[3] مع قبح الوجوه و الأشكال، و الشناعة فى الأقوال و الأفعال و الأحوال، من القبح الذى هو ضد الحسن، و من ٥ قولهم: قبحت الشيء - إذا كسرته، و قبح الله العدو: أبعده عن كل خير، فياليت شعرى أى صراحة بعد هذا [فى - [4]] أن فرعون عدو الله[5]، فى الآخرة كما كان عدوه[6] فى الدنيا، فلعنة الله على من يقول: إنه مات مؤمنا، و إنه لا صريح فى القرآن أنه من أهل النار، و على [كل - [7]] من يشك فى كفره بعد ما ارتكبه من جلى أمره.

١٠ و لما وعد سبحانه بامامة[8] بنى إسراءيل وقص القصص[9] حتى ختم بامامة آل[10] فرعون فى الدعاء إلى النار إعلاما[11] بأن ما كانوا عليه تجب مجانبته و منابذته و مباعدته، وكان من المعلوم أنه لا بد لكل إمامة من دعامة، تشوفت النفس إلى أساس إمامة بنى إسراءيل التى يجب العكوف فى ذلك الزمان عليها، و التمسك بها، و المبادرة إليها، فأخبر سبحانه ١٥ عن ذلك مقسما عليه [مع الافتتاح - [4]] بحرف التوقع، لأن العرب و إن كانوا مصدقين[12] لما وقع من / المنة على بنى إسراءيل بانقاذهم من يد فرعون ‎/ ٢٧

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ ومد: خاصهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المخزيين (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ: لله (٦) من مد، وفى الأصل وظ: عدوا (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: باقامة (٩) من ظ ومد، و فى الأصل: القص. (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اعلا (١٢) فى ظ: متصدقين.

و تمكينهم بعده. و إنزال الكتاب عليهم، فحالهم[1] بانكار التمكين لأهل الإسلام و التكذيب بكتابهم حال المكذب بأمر بني إسراءيل، لأنه لافرق بين نبي و نبي، و كتاب [2]و كتاب[2]. و ناس و ناس، لأن رب الكل واحد، فقال: ﴿ و لقد اتينا ﴾ أي بما لنا من [3]الجلال و الجمال[3] و المجد و الكمال ﴿ موسى الكتب ﴾ أي التوراة الجامعة للهدى و الخير ٥ في الدارين؛ قال أبو حيان[4]: و هو أول كتاب أنزلت فيه الفرائض و الأحكام.

و لما كان حكم التوراة لا يستغرق الزمان الآتي، أدخل الجار فقال: ﴿ من بعد ما ﴾ إشارة إلى أن إيتاءها إنما هو في مدة من الزمان، ثم ينسخها سبحانه بما يشاء من أمره ﴿ اهلكنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ القرون الاولى ﴾ ١٠ أي من قوم نوح إلى قوم فرعون، و وقتها[5] بالهلاك إشارة إلى أنه لا يعم أمة من الأمم بالهلاك بعد إنزالها تشريفا لها[6] و لمن أنزلت عليه و أوصلت إليه؛ [ثم -[7]] ذكر حالها بقوله: ﴿ بصآئر ﴾ جمع بصيرة، و هي[8] نور القلب، مصابيح و أنوارا[9] ﴿ للناس ﴾ أي[10] يبصرون بها ما تعقل من أمر معاشهم و معادهم، و أولاهم و أخراهم، كما أن[11] نور العين ١٥

---

(١) في ظ: فحسابهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) من مد، و في الأصل و ظ: الجمال و الجلال (٤) راجع البحر المحيط ٧/١٢٠ (٥) من ظ ومد، و في الأصل: وصفها (٦) في ظ: لهما (٧) زيد من ظ و مد (٨) في ظ و مد: هو (٩) في ظ و مد: انوار (١٠) سقط من ظ و مد (١١) في ظ و مد: كان.

يبصر به ما يحسن من أمور الدنيا .

و لما كان المستبصر قد لا يهتدى لمانع قال : ﴿ و هدى ﴾ [أى -[1]]
للعامل بها إلى كل خير . و لما كان المهتدى ربما حمل على من توصل
إلى غرضه ، و كان[2] ضارا ، قال : ﴿ و رحمة ﴾ أى نعمة هينة[3] شريفة ،
٥ لأنها قائدة إليها .

و لما ذكر حالها ، ذكر[4] حالهم بعد إنزالها فقال[5] : ﴿لعلهم يتذكرون ۝ ﴾
أى ليكون حالهم حال من يرجى تذكره ، و هذا إشارة إلى أنه ليس
فى الشرائع ما يخرج عن العقل [6]بل متى[6] تأمله الإنسان تذكر به من عقله
ما يرشد إلى مثله .

١٠ و لما بين سبحانه فى هذه السورة من غرائب أمر موسى عليه الصلاة
و السلام و خفى أحواله ما بين ، [7]وكانت[7] [هذه -[1]] الأخبار لايقدر
أهل الكتاب على إنكارها ، نوعا من الإنكار ، و كان من المشهور أى
اشتهار ، أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يعرفها و لاسواها من غير الواحد
القهار . أشار إلى ذلك سبحانه بقوله حالا من ضمير " اتينا "
١٥ ﴿ و ما كنت بجانب الغربى ﴾ أى الوادى من الطور الذى رأى موسى
عليه السلام فيه النار ، [و هو مما يلى البحر منه من جهة الغرب على يمين
المتوجه إلى ناحية مكة المشرفة من ناحية مصر -[1]] ، فناداه منه العزيز[8]

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عظيمة (٤) فى ظ ومد :
بعد (٥) فى ظ و مد : قال (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : شىء حتى .
(٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكانت (٨) تكرر فى الأصل فقط .

الجبار

الجبار، و هو ذو طوى ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قضينآ﴾ بكلامنا بما حوى[1] من الجلال؛ و زاد[2] العظمة في رفيع[3] درجاته بالإشارة بحرف الغاية فقال: ﴿الى موسى الامر﴾ أى أمر إرساله إلى فرعون و قومه، و ما نريد أن نفعل من ذلك فى أوله و أثنائه [و آخره -[4]] مجملا، فكان كل ما أخبرنا به مطابقا تفصيله لإجماله، فأنت[5] بحيث تسمع ذلك الذى قضيناه إليه ٥ من الجانب الذى أنت فيه ﴿و ما كنت﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿من الشٰهدين ۙ﴾ لتفاصيل[6] ذلك الأمر الذى أجملناه لموسى فى ذلك المكان فى أوقاته مع من شهده منه من أهل ذلك العصر من السبعين الذين[7] اختارهم أو غيرهم ممن تبعه أو صد عنه حتى تخبر[8] به كله على هذا الوجه الذى أتيناك به فى هذه الأساليب المعجزة، و لا شك أن أمر ١٠ معرفتك كذلك[9] منحصر فى شهودك إياه فى وقته أو تعلمك له من الخالق، أو[10] [11]من الخلائق الذين شاهدوه / ، أو أخبرهم به من شاهده[12]، /٢٨ و انتفاء تعلمه من أحد من الخلائق فى الشهرة بمنزلة انتفاء شهوده له فى وقته، فلم يبق إلا تلقيه له من الخالق، و هو الحق الذى لا شبهة[13] فيه عند منصف[14]. ١٥

و لما كان التقدير: و ما كنت من أهل ذلك الزمان الحاضرين

(١) فى ظ و مد: جرى (٢) فى ظ و مد: مزيد (٣) فى مد: رفعة (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: و انت (٦) فى ظ: كتفاصيل. (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: الذى (٨) من مد، وفى الأصل: يخبر، و فى ظ: تجبر (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لذلك (١٠) فى ظ «و». (١١) العبارة من هنا إلى «احد من الخلائق» ساقطة من مد (١٢) فى ظ: شاهدهم (١٣) فى ظ: شر، و فى مد: مرية (١٤) فى ظ: متصف.

لذلك الأمر ، و امتد عمرك إلى هذ الزمان حتى أخبرت بما كنت حاضره ، استدرك ضد ذلك فقال : ﴿ و لكنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ انشانا ﴾ أى[1] بعد ما أهلكنا أهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الأمور بالمشاهدة و الإخبار ، كلهم ﴿ قرونا ﴾ أى ما أخرنا أحـــدا[2] من أهل ذلك
٥ الزمان ، و لكنا أهلكناهم كلهم و أنشانا بعدهم أجيالا كثيرة ﴿ فتطاول ﴾ بمروره[3] و علوه[4] ﴿ عليهم العمر ﴾ جدا بتدرج من الزمان شيئا فشيئا فنسيت تلك الأخبار ، و حرفت ما بقي منها الرهبان و الأحبار ، و لا سيما في زمان الفترة ، فوجب في حكمتنا إرسالك فأرسلناك[5] لتقوم الحجة[5] ، و تقوم بك الحجة ، فعلم أن إخبارك بهذا و الحال أنك لم
١٠ تشاهده و لا تعلمته من مخلوق[6] إنما هو عنا و بوحينا .

و لما نفى العلم [7]بذلك بطريق الشهود[7] ، نفى سبب العلم بذلك فقال : ﴿ و ما كنت ثاويا ﴾ أى مقيما إقامة طويلة مع الملازمة بمدين ﴿ [8]في اهل مدين[8] ﴾ أى قوم شعيب عليه السلام ﴿ تتلوا ﴾ أى تقرأ على سبيل القص للآثار و الأخبار الحق ﴿ عليهم ايتنا لا ﴾ العظيمة ،
١٥ لتكون ممن [9]يهتم بأمور[9] الوحي[10] و تتعرف دقيق أخباره ، فيكون خبرهم و خبر موسى عليه الصلاة و السلام معهم و خبره بعد فراقه لهم

(١) سقط من ظ (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : بمرده . (٤) في ظ : خلوه (٥-٥) من مد ، و في الأصل و ظ : لتقيم الحجة - كذا . (٦) زيدت الواو في ظ و مد (٧-٧) في ظ و مد : بذلك الطريق المشهود . (٨-٨) زدناه من ظ و مد و القرآن الكريم و ليس في الأصل (٩-٩) في ظ و مد : يتهم بأمر (١٠) زيد في ظ : حينئذ .

من شأنك، لتوفر داعيتك حينئذ على تعرفه ﴿ و لكنا كنا ﴾ أى كونا [١]أزليا أبديا[١] نسبته[٢] إلى جميع الأزمنة[٣] بما لنا من العظمة، على حد سواء ﴿ مرسلين ﴾ [٤]أى لنا صفة القدرة على الإرسال، فأرسلنا إلى كل نبى فى وقته ثم أرسلنا إليك[٤] فى هذا الزمان بأخبارهم و أخبار غيرهم لتنشرها فى الناس، واضحة البيان سالمة من الإلباس، لأنا كنا ٥ شاهدين لذلك كله، لم يغب عنا شىء منه و لا كان إلا[٥] بأمرنا.

و لما نفى السبب المبدئى للعلم بذلك الإجمال ثم الفائى للعلم بتفصيل تلك الوقائع و الأعمال، نفى السبب الفائى للعلم بالأحكام و نصب الشريعة بما فيها من القصص و المواعظ و الحلال و الحرام و الآصار و الأغلال بقوله[٦]: ﴿و ما كنت بجانب الطور اذ﴾ أى حين ﴿ناديناً﴾ أى[٧] أوقعنا ١٠ النداء لموسى عليه الصلاة و السلام فأعطيناه التوراة و أخبرناه بما لا يمكن الإطلاع عليه إلا من قبلنا أو قبله، و من المشهور أنك لم تطلع على شىء من ذلك من قبله، لأنك ما خالطت أحدا ممن حمل تلك الأخبار عن موسى عليه الصلاة و السلام، و لا أحد أحملها عمن حملها عنه، و لكن ذلك كان إليك منا، و هو معنى قوله: ﴿و لكن﴾ أى أنزلنا ما أردنا ١٥ منه و من غيره عليك و أوحيناه إليك و أرسلناك[٨] به إلى الخلائق ﴿ رحمة من ربك ﴾ لك خصوصا و للخلق عموما ﴿ لتنذر ﴾ أى تحذر

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: ارابا ـ كذا (٢) أى نسبة الكون، و فى الأصل و ظ: نسبة (٣) فى ظ و مد: الازمان (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) زيد فى ظ و مد: الامر (٦) فى ظ و مد: فقال (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ: ارسلنا.

تحذيرا كبيرا ﴿قوما﴾ أى أهل قوة و نجدة، ليس لهم عائق من[1] أعمال الخير العظيمة، لا[2] الإعراض عنك، و هم العرب[3]، و من فى ذلك الزمان من الخلق ﴿ما أتٰهم﴾ و عم[4] المنفى بزيادة الجار فى قوله: ﴿من نذير﴾ أى منهم، و هم مقصودون بإرساله إليهم و إلا فقد أتتهم رسل موسى
٥ عليه السلام، ثم رسل عيسى عليه الصلاة و السلام، و إن صح[5] أمر خالد بن سنان / العبسى فيكون نبيا غير رسول، أو يكون رسولا إلى قومه بنى عبس خاصة، فدعاؤه لغيرهم إن وقع فمن باب الأمر بالمعروف عموما، لا الإرسال خصوصا، فيكون التقدير: نذير منهم عموما، و زيادة الجار فى قوله: ﴿من قبلك﴾ تدل على الزمن القريب، و هو زمن الفترة،
١٠ و أما ما قبل ذلك فقد كانوا فيه على دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام حتى غيره عمرو[6] بن لحى [7]فقد أنذرهم فى تلك الأزمان إبراهيم عليه الصلاة و السلام ثم إسماعيل عليه الصلاة و السلام ثم من بعدهم من صالحى ذريتهم إلى زمان عمرو بن لحى[7]، فهم لأجل عدم النذير عمى[8]، عن الهدى، سالكون[9] سبيل الردى، [10]و قال[10]: ﴿لعلهم يتذكرون ﴾ لمثل[11] ما تقدم من
١٥ أنهم إذا قبلوا ما جئت به و تدبروه أذكرهم[12] إذكارا ظاهرا - بما أشار[13] إليه

/ ٢٩

---

(١) فى ظ و مد: عن (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الا (٣) فى ظ: الغريب - خطأ (٤) فى ظ و مد: عمم (٥) سقط من ظ و مد (٦) راجع سيرة ابن هشام ١ / ٢٧ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عموا (٩) فى ظ و مد: سالكين (١٠ - ١٠) فى ظ و مد: فقال (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: مثل (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: اذكروهم (١٣) فى ظ و مد: ارشد.

الإظهار - ما فى عقولهم من شواهده و إن كانت لاتستقل[1] بدونه - و الله الموفق .

و لما كان انتفاء إنذارهم قبله عليه الصلاة و السلام نافيا للحجة فى عذابهم بما أوجبه الله - و له الحجة البالغة لايسئل عما يفعل - على نفسه الشريفة ، فضلا منه و رحمة ، ذكر أن إرساله مما لابد منه لذلك فقال: ٥ ﴿ و لولآ ﴾ أى و لولا[2] هذا الذى ذكرناه ما أرسلناك لتنذرهم ، و لكنه حذف هذا الجواب إجلالا له صلى الله عليه و سلم عن المواجهة به[3] ، و ذلك الذى ختم الإرسال هو ﴿ان تصيبهم﴾ أى[4] فى وقت من الأوقات ﴿ مصيبة ﴾ أى عظيمة ﴿بما قدمت ايديهم﴾ أى من المعاصى التى قضينا بأنها مما لايعفى عنه[5] ﴿ فتقولوا ربنا﴾ أى أيها[3] المحسن إلينا[4] ﴿لولآ﴾ ١٠ أى هل لا و لم لا ﴿ارسلت الينا﴾ أى[3] على وجه التشريف لنا، لنكون على علم بأنا ممن يعتنى[6] الملك الأعلى به ﴿رسولا﴾ و أجاب التخصيص الذى شبهوه بالأمر لكون كل منهما باعثا على الفعل بقوله : ﴿فنتبع﴾ أى فيتسبب[7] عن إرسال رسولك[8] أن نتبع ﴿ ايٰتك و نكون ﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ ﴿ من المؤمنين ۝ ﴾ أى[3] المصدقين بك فى كل ١٥ ما أتى به عنك رسولك صلى الله عليه و سلم تصديقا بليغا ، فاذا قالوا

---

(١) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : لم لا (٣) سقط من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى مد: عنها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعثنى (٧) فى ظ : فتسبب (٨) فى ظ و مد : ارسالك .

ذلك على تقدير عدم الإرسال قامت لهم حجة فى مجارى عاداتكم و إن كانت لنا الحجة البالغة .

و لما كان التقدير : و لكنا أرسلناك بالحق لقطع حجتهم هذه ، بنى عليه قوله : ﴿ فلمّا جآءهم ﴾ أى أهل مكة ﴿ الحق ﴾[١] الذى هو أعم من الكتاب و السنة و ما يقاس عليهما ، و هو فى نفسه جدير بأن يقبل لكونه فى الذروة العليا من[٢] الثبات ، فكيف و هو ﴿ من عندنا ﴾ على ما لنا من العظمة ، و على لسانك و أنت أعظم الخلق ! ﴿ قالوا ﴾ أى أهل الدعوة من العرب [٣]و غيرهم[٣] تعنتا كفرا به : ﴿ لولآ اوتى ﴾ [٣]من الآيات[٣] ، [أى هذا الآتى بما يزعم أنه الحق -[٤]] ، و بنى للفعول لأن القصد مطلق الإيتاء لأنه الذى يترتب[٥] عليه مقصود الرسالة ، مع أن المؤتى معلوم ﴿ مثل مآ اوتى موسىٰ ﴾ أى من اليد و العصى و غيرهما من الآيات التى[٦] لا يقدر على إتيانها إلا القادر على كل شيء .

و لما كان الإتيان بمثل ما أتى بـه موسى عليه الصلاة و السلام لا يكون موجبا للايمان على زعمهم [إلا بأن -[٤]] يكون أعظم مما[٧] أتى به محمد صلى الله عليه و سلم ، أو[٨] يكون الناس لم يتوقفوا فى الإيمان به ، و كان كل من الأمرين منتفيا[٩] بأن أهل زمانه كفروا به ، و هو[١٠] لما سألوا

(١) زيد فى ظ و مد : أى (٢) فى ظ و مد : فى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : ترتب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٧) فى ظ : بما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : متيقنا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : هولاء .

اليهود عن محمد صلى الله عليه و سلم و أمروهم أن يمتحنوه[1] بالروح و قصتي أهل الكهف و ذي القرنين ، / و جاء في كل من ذلك بما[2] لزمهم تصديقه ، فامتنعوا و أصروا على كفرهم ، و كان في ذلك كفرهم به و بموسى[3] عليهما الصلاة و السلام ، فعلم أن التقدير : ألم يكفروا بما أتاهم به من الآيات الباهرة مع أنه مثل [ما -[4]] أتى به موسى عليهما ٥ الصلاة و السلام ، بل أعظم منه ﴿ اولم يكفروا ﴾ أي العرب و من بلغتهم[5] الدعوة من بني إسرائيل أو من شاء الله منهم أو أبناء جنسهم و من كان مثلهم في البشرية و العقل في زمن موسى عليه السلام ﴿ بمآ اوتي موسٰى ﴾ .

/ ٣٠

و لما كان كل من إتيانه وكفرهم لم يستغرق زمان القبل ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبل ج ﴾ أي [من -[4]] قبل مجيء الحق على لسان ١٠ محمد صلى الله عليه و سلم إليهم . و لما كان كأنه قيل : ما كان كفرهم به ؟ قيل : ﴿ قالوا ﴾ أي فرعون و قومه و من كفر من بني أسراءيل كقارون و من تبعه . و لما كان قد تقدم هنا قريبا أن المظاهر له أخوه ، فكان المراد واضحا ، أضمرهما فقال : ﴿ سحرٰن ﴾ أي هو و أخوه ﴿ تظٰهرا وقفه قف ﴾ أي أعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار سحرهما معجزا ١٥ فغلبا[6] جميع السحرة ، و تظاهر الساحرين من تظاهر السحرين[7] - على قراءة الكوفيين[8] ، و يجوز - و هو أقرب - أن[9] يكون الضمير لمحمد و موسى[10]

---

(١) في ظ : يمتحنوهم (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ما (٣) في ظ : موسى (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ و مد : بلغته (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : فعلنا (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : المسحرين (٨) راجع نثر المرجان ٥/١٨٧ (٩) في ظ : ما (١٠) في ظ : لموسى .

عليهما الصلاة و السلام، و [١] ذلك لأنه [١] روى أن قريشا بعثت إلى يهود فسألوهم عن محمد صلى الله عليه و سلم فأخبروهم أن نعته في كتابهم، فقالوا هذه المقالة، فيكون الكلام استئنافا لجواب من كأنه قال: ما كان كفرهم بهما؟ فقيل: قالوا - أي العرب: الرجلان ساحران، ٥ أو [٢] الكتابان سحران، ظاهر أحدهما الآخر مع علم كل ذي [٣] لب أن [٣] هذا القول زيف، لأنه لو كان شرط إعجاز السحر التظاهر، لكان سحر فرعون أعظم إعجازا. لأنه تظاهر عليه جميع سحرة بلاد مصر و عجزوا عن معارضة ما أظهر موسى عليه الصلاة و السلام من آية العصا، و أما محمد صلى الله عليه و سلم فقد دعا أهل الأرض [٤] من الجن و الإنس [٤] ١٠ إلى معارضة كتابه و أخبرهم أنهم عاجزون و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا.

و لما تضمن قولهم ذلك الكفر، صرحوا به في قولهم: ﴿ و قالوآ ﴾ أي كفار قريش أو المتقدمون من فرعون و أضرابه: ﴿ انا بكل ﴾ [٥] من الساحرين أو السحرين اللذين [٦] تظاهرا بهما، و هما ما أتيا به من [٧] ١٥ [٨] عند الله [٨] ﴿ كفرون ﴾ جرأة على الله و تكبرا على الحق.

و لما قالوا ذلك، كان كأنه قيل: فما ذا فعل [٩]؟ قال: ﴿ قل ﴾

(١ - ١) من ظ و مد، و في الأصل: لذلك انه (٢) في ظ: أي (٣-٣) في ظ و مد: لسان - مصحفا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) زيد في ظ: أي (٦) من مد، و في الأصل و ظ: الذين (٧) من ظ و مد، و في الأصل: عن (٨-٨) في مد: عندنا (٩) في ظ: تفعل.

إلزاما لهم إن كنتم صادقين فى أنى ساحر وكتابى سحر وكذلك موسى عليه الصلاة و السلام: ﴿ فأتوا بكتٰب ﴾ و أشار [1] بالتعبير فى وصفه بعند دون لدن[1] إلى أنه يقنع منهم[2] بكونه حكيما خارقا للعادة فى حكمته و إن لم يبلغ الذروة فى[3] الغرابة بأن[3] انفك عن الإعجاز فى نظمه كالتوراة فقال: ﴿ من عند الله ﴾ أى الملك الأعلى، ينطق بأنه من عنده أحواله ٥ و حكمته[4] و جلاله ﴿ هو ﴾ أى الذى أتيتم به ﴿ اهدىٰ منهمآ ﴾ أى مما أتيت به و مما أتى به موسى ﴿ اتبعه ﴾ أى و أتركهما[5].

و لما أمرهم بأمره[6] بالإتيان، ذكر شرطه من باب التنزل، لإظهار النصفة، و هو فى الحقيقة تهكم بهم[7] فقال: ﴿ ان كنتم ﴾ [أيها الكفار! كونا راسخا -[8]] ﴿ صٰدقين ﴾ أى فى أنا / ساحران، فائتوا ما ١٠ / ٣١ ألزمتكم به.

و لما [كان -[9]] شرط صدقهم، بين كذبهم على تقدير عدم الجزاء فقال: ﴿ فان لم يستجيبوا ﴾ [أى الكفار الطالبون للأهدى فى الإتيان به -[8]]. و لما كانت الاستجابة تتعدى بنفسها إلى الدعاء، و باللام[10] إلى الداعى، و كان ذكر الداعى أدل على الاعتناء به و النظر إليه، قال ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد، و فى ظ: بوصفه - موضع: فى وصفه.
(٢) فى مد: منه (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: العراقة فان (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عظمته (٥) فى ظ: انزلها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بإمرهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: به (٨) زيد من ظ و مد.
(٩) زيد من مد (١٠) فى ظ: بالكلام.

[مفردا لضميره صلى الله عليه و سلم لأنه لا يفهم المقايسة فى الأهدوية
غيره -[1]] : ﴿لك﴾ أى يطلبوا الاجابة و يوجدوها فى الإيمان أو[2] الإتيان
بما ذكرتــه لهم و دعوتهم إليه مما هو أهدى ، من [3]القرآن و التوراة[3]
ليظهر صدقهم ﴿فاعلم﴾ أنت ﴿ انما يتبعون ﴾ أى بغاية جهدهم فيما هم
٥ عليه من الكفر و التكذيب ﴿ اهوآءهم ط ﴾ أى دائما ، و أكثر الهوى
مخالف للهدى فهم ظالمون غير مهتدين ، بل هم[4] أضل الناس ، و ذلك معنى
قوله : ﴿و من اضل﴾ أى منهم ، و لكنه قال : ﴿ممن اتبع﴾ أى بغاية
جهده[5] ﴿هونه﴾ تعليقا للحكم بالوصف ؛ و التقييد و بقوله : ﴿بغير هدى﴾
أى بيان [6]و إرشاد[6] ﴿ من الله ط ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات
١٠ الكمال دليل على أن الهوى قد يوافق الهدى ، و التعبير بالافتعال دليل على
أن التابع و إن كان ظالما قد لا يكون أظلم .

و لما كانت متابعة الهوى على هذه الصورة ظلما ، وصل به قوله
مظهرا لئلا يدعى التخصيص بهم : ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعظم الذى
لا راد لأمره ﴿ لا يهدى ﴾ و أظهر[7] موضــع الإضمار للتعميم فقال :
١٥ ﴿القوم الظلمين ع﴾ أى و إن كانوا أقوى الناس لاتباعهم أهواءهم ، فالآية
من الاحتبك : أثبت أولا اتباع الهوى دليلا على حذفه ثانيا ، و ثانيا
الظلم دليلا[8] على حذفه أولا .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد « و » (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التورية و الفرقان (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : جهدهم . (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : او رشاد (٧) فى ظ : اظهار (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : دليل .

و لما أبلغ فى هذه الأساليب فى إظهار الخفايا، و أكثر من نصب الأدلة على الحق و إقامة البراهين على وجوب اتباع محمد صلى الله عليه و سلم، و كانوا باعراضهم عن ذلك كله كأنهم منكرون[1] لأن يكون جاءهم شيء من ذلك، قال ناسقا على ما تقديره: فلقد أتيناك فى هذه الآيات بأعظم البينات، منبها[2] بحرف التوقع المقترن بأداة القسم على أنه ٥ مما يتوقع هنا أن يقال: ﴿و لقد وصلنا﴾ أى [3]على ما[3] لنا من العظمة التى مقتضاها أن يكفى أدنى إشارة منها ﴿ لهم ﴾ أى خاصة، فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم شكرها ﴿القول﴾ أى أتبعنا بعض القول - الذى لا قول فى الحقيقة سواه - بعضا بالإنزال منجما، قطعا بعضها فى أثر بعض، لتكون جوابا لأقوالهم، و حلا لأشكالهم، فيكون ١٠ أقرب إلى الفهم، و أولى بالتدبر، مع تنويعه فى وعد و وعيد، و أخبار و مواعظ، و حكم و نصائح، و أحكام و مصالح، و أكثرنا[4] من ذلك حتى كانت آياته المعجزات و بيناته الباهرات كأنها أفراس الرهان، يوم استباق الأقران، فى حومة الميدان، غير أن كلا منهما سابق فى العيان.

و لما بكتهم بالتنبيه بهذا التأكيد على مبالغتهم فى الكذب بالقول ١٥ أو بالفعل فى أنه ما أتاهم ما يقتضى التذكير[5] أتبع ذلك التوصيل عليه فقال: ﴿لعلهم يتذكرون ؁﴾ أى ليكون حالهم حال الذين يرجى لهم

---

(١) فى ظ: منكرين (٢) من مد، و فى الأصل: منها، و فى ظ: مبهما.
(٣-٣) فى مد: بما (٤) فى ظ و مد: اكثر (٥) فى ظ: التذكر.

أن يرجعوا إلى عقولهم فيجدوا فيها طبع[1] فيها ما يذكرهم بالحق تذكيرا[2]، بما أشار إليه الإظهار.

و لما كان[3] من التذكر ما دل[3] عليه مجرد العقل، و منه ما انضم إليه مع ذلك النقل، و كان صاحب هذا القسم أجدر بأن يتبصر، و كان ٥ كأنه قيل: هل تذكروا[4]؟ قيل: نعم! أهل الكتاب الذين هم أهله / حقا تذكروا [حقا - [5]]، و ذلك معنى قوله: ﴿ الذين اٰتينٰهم ﴾ أى /٣٢ بعظمتنا التى حفظناهم بها ﴿ الكتٰب ﴾ أى العلم من التوراة و الإنجيل و غيرهما من كتب الأنبياء، و هم يتلون ذلك حق[6] تلاوته، فى بعض الزمان الذى كان ﴿ من قبله ﴾ أى القرآن ﴿ هم ﴾ أى خاصة ١٠ ﴿ به ﴾ أى القرآن، لا بشيء مما يخالفه ﴿ يؤمنون ۝ ﴾ أى يوقعون الإيمان بـه فى حال وصوله إليهم إيمانا لا يزال يتجدد؛ ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿ و اذا يتلٰى ﴾ أى تتجدد تلاوته ﴿ عليهم قالوآ ﴾ مبادرين: ﴿ اٰمنا بهٖ ﴾ ثم عللوا [ذلك بقولهم - [5]] الدال على غاية المعرفة، مؤكدين لأن[7] من كان على دين لا يكاد يصدق رجوعه عنه، ١٥ فكيف إذا كان أصله حقا من عند الله: ﴿ انه الحق ﴾ أى الكامل الذى ليس وراءه إلا الباطل، مع كونه ﴿ من ربنآ ﴾ المحسن إلينا،

(١) فى ظ: طبعوا (٢) فى ظ: تذكرا (٣ - ٣) فى مد: فى التذكير ما يدل.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تذكرون (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل: بكل، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و كل

وكل من الوصفين موجب [1] للتصديق و الإيمان [1] به؛ ثم عللوا مبادرتهم إلى الإذعان منبهين على أنهم فى غاية البصيرة من أمره بأنهم يتلون ما عندهم حق تلاوته، لا بألسنتهم فقط، فصح قولهم الذى دل تأكيدهم [له - [2]] على اغتباطهم [3] به الموجب لشكره: ﴿انا كنا﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ؛ و أشار إلى أن [4] من صح إسلامه ولو فى زمن يسير ٥ أذعن لهذا الكتاب، باثبات الجار، فقال: ﴿ من قبله مسلمين ه ﴾ أى منقادين غاية الانقياد لما جاءنا من عند الله من وصفه و غير وصفه وافق هوانا [5] و ما ألفناه أو خالفه، لا جرم كانت النتيجة: ﴿ اولٓـئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ يؤتون ﴾ بناه للفعول لأن القصد الإيتاء و المؤتى معروف ﴿ اجرهم مرتين ﴾ لإيمانهم به غيبا و شهادة، أو بالكتاب [6] ١٠ الأول ثم الكتاب الثانى ﴿ بما صبروا ﴾ على ما كان من الإيمان قبل العيان، بعد ما هزهم [7] إلى النزوع عنه ألف دينهم الذى كان، و غير ذلك من امتحان الملك الديان.

و لما كان الصبر لا يتم إلا بالاتصاف بالمحاسن و الانخلاع من المساوئ، قال عاطفا على ”يؤمنون“ مشيرا إلى تجديد هذه الأفعال ١٥ كل حين: ﴿ و يدرءون بالحسنة ﴾ من الأقوال و الأفعال ﴿ السيئة ﴾ أى من ذلك كله فيمحونها بها.

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: للايمان (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: احتياطم (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: صوابا (٦) فى ظ: الكتاب (٧) فى ظ و مد: هزبهم.

و لما كان بعض هذا الدرء لايتم إلا بالجود قال: ﴿و مما رزقنهم﴾ أى بعظمتنا ، لا بحول منهم و لاقوة ، قليلا كان أو كثيرا ﴿ ينفقون ﴾ معتمدين فى الخلف على الذى رزقه ؛ قال البغوى[١] : قال سعيد بن جبير : قدم [٢]مع جعفر رضى الله تعالى عنه[٢] من الحبشة أربعون رجلا ، يعنى : ٥ فأسلموا ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا النبي صلى الله عليه و سلم فى أموالهم ، فأتوا بها فواسوا بها المسلمين .

و لما ذكر أن السماح[٣] بما تضن النفوس به من فضول الأموال من أمارات الإيمان ، أتبعه أن خزن[٤] ما [٥]تبذله الألسن[٥] من فضول الأقوال من[٦] علامات العرفان ، فقال : ﴿و اذا سمعوا اللغو﴾ أى ما لاينفع [٧]فى ١٠ دين[٧] و لا دنيا من شتم و تكذيب و تعيير و نحوه ﴿اعرضوا عنه﴾ تكرما [٨]عن الخنا[٨] ﴿و قالوا﴾ أى[٩] وعظا وتسميعا لقائله : ﴿ لنآ ﴾ أى خاصة ﴿ اعمالنا ﴾ لاتثابون على شيء منها و لاتعاقبون ﴿ و لكم ﴾ أى خاصة ﴿اعمالكم﴾ لانطالب بشيء منها ، فنحن لانشتغل بالرد عليكم لأن ذمكم لنا لاينقصنا شيئا من أجرنا و لا[٩] الاشتغال برده ينقصنا .

٣٣ / ١٥ و لما كان / معنى هذا أنهم سالمون منهم ، صرحوا لهم به فقالوا :

(١) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٤٧ : (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : السماع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : خزى . (٥-٥) فى ظ و مد : نبذله (٦) زيد فى الأصل : امارات و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧-٧) فى ظ و مد : دينا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) سقط من ظ و مد .

﴿سلٰم عليكم ز﴾ أى منا . و لما جرت العادة بأن مثل هذا يكسر اللاغى، و يرد الباغى، أشاروا لهم إلى قبح حالهم، ردا على[1] ضلالهم، بقولهم تعليلا لما مضى من مقالهم[2]: ﴿لا نبتغى﴾ أى لا نكلف أنفسنا[3] أن نطلب ﴿الجٰهلين ه﴾ أى نريد شيئا من أحوالهم أو[4] أقوالهم، أو غير ذلك من خلالهم . ٥

و لما كان من المعلوم أن نفس النبي صلى الله عليه و سلم - لما جبلت عليه من الخير و المحبة لنفع جميع العباد، لاسيما العرب، لقربهم منه صلى الله عليه و سلم، لاسيما أقربهم منه صلة للرحم تتأثر بسبق[5] أهل الكتاب لقومه، و كان ربما ظن ظان أن عدم هدايتهم لتقصير فى دعائه أو إرادته لذلك، و أنه لو أراد هدايتهم و أحبها، و علق همته العلية بها لاهتدوا، ١٠ أجيب عن[6] هذا بقوله تعالى فى سياق التأكيد إظهارا لصفة القدرة و الكبرياء و العظمة : ﴿انك لا تهدى من احببت﴾ أى نفسه او هدايته بخلق الإيمان فى قلبه، و إنما فى يدك الهداية التى هى الإرشاد و البيان .

و لما كان ربما ظن من أجل الإخبار بتوصيل[7] القول و تعليله و نحو ذلك من أشباهه أن شيئا من أفعالهم يخرج عن القدرة، قال نافيا لهذا ١٥ الظن مشيرا إلى الغلط فى اعتقاده بقوله : ﴿و لكن الله﴾ المتردى برداء الجلال و الكبرياء و الكمال و له الأمر كله ﴿يهدى من يشآء ج﴾ هدايته

---

(١) من مد، و فى الأصل وظ : عن (٢) فى ظ و مد : تعليلهم - خطأ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : نفسنا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل « و » (٥) فى ظ و مد : لسبق (٦) فى ظ : من (٧) فى ظ و مد : بتوصل .

بالتوفيق إلى ما يرضيه ﴿وهو﴾ أى وحده ﴿اعلم بالمهتدين﴾ أى الذين هيأهم لتطلب[1] الهدى عند خلقه لهم، فيكونوا عريقين فيه سواء كانوا من أهل الكتاب أو العرب، أقارب كانوا أو أباعد[2]، روى البخارى فى التفسير[3] عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه: قال لما حضرت ٥ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجد عنده أبا جهل و عبد الله بن أبي[4] أمية بن المغيرة، فقال: أى عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل و عبد الله بن أبي[4] أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه و سلم يعرضها عليه و يعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر [5]ما كلمهم[5] ١٠ على ملة عبد المطلب، و أبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: [و الله -[6]] لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله عز و جل "ما كان للنبى و الذين امنوا ان يستغفروا للمشركين [7]و لو كانوا اولى قربى[7]" و أنزل الله فى أبي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه و سلم "انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء" ١٥ - الآية - انتهى. و قال فى كتاب التوحيد[8]: "انك لا تهدى من

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لطلب (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) راجع صحيحه ٢/٧٠٢ (٤) سقط من مد (٥-٥) فى ظ و مد: هو، و ما فى الأصل مطابق للفظ الصحيح (٦) زيد من ظ و مد و الصحيح (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد و الصحيح (٨) راجع باب المشية و الإرادة من الصحيح.

احببت" قال سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه: نزلت فى أبى طالب، و فى مسلم[١] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم أمره بالتوحيد فقال: [٢]لولا أن[٢] تعيرنى نساء قريش لأقررت بها عينك فأنزل الله الآية.

و لما عجب من حال قريش فى طلبهم من الآيات مثل ما أوتى ٥ موسى عليه الصلاة و السلام ثم كفرهم به و بما هو أعظم منه، و ختم بأنه أعلم بأهل الخير و أهل الشر، إشارة إلى الإعراض عن الأسف على أحد، و الإقبال على عموم الدعاء للقريب و البعيد على حد سواء./ قال ٣٤ / دليلا على ذلك لأنهم إنما يتبعون أهواءهم، عاطفا على قالوا "لولا اوتى" ﴿ و قالوآ ان نتبع ﴾ أى غاية الاتباع ﴿ الهدٰى ﴾ أى الإسلام فنوحد ١٠ الله من غير إشراك ﴿ معك ﴾ أى و أنت على ما أنت عليه من مخالفة الناس ﴿ نتخطف ﴾ أى من أى[٣] خاطف أرادنا، لأنا نصير قليلا [٤]فى كثير[٤]. من غير نصير ﴿ من ارضنا ﴾ كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة العرب لنا، و ليس لنا نسبة[٥] إلى كثرتهم و لا قوتهم[٦] فيسرعوا إلينا فيتخطفونا، أى يتقصدون خطفنا واحدا واحدا، فانه لا طاقة لنا على ١٥ إدامة[٧] الاجتماع و أن لا يشذ[٨] بعضنا عن بعض؛ قال البغوى[٩]:

---

(١) راجع صحيحه ٤٠/١ (٢ - ٢) فى ظ: لو لا مثل، و ما بين الرقمين ساقطة من مد (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) فى ظ: سعة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قومهم (٧) فى ظ: اقامة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يسد (٩) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ١٤٨/٥.

و الاختطاف: الانتزاع بسرعة .

و لما كان التقدير فى الرد على هذا الكلام الواهى : ألم نحمك و من اتبعك منهم و قد جئتموهم من الخلاف بمثل ما [1]يخالفون هم[1] به العرب أو أشد ، و لا نسبة لكم إلى[2] عددهم و لا جلدهم ، عطف عليه

٥ قوله : ﴿ اولم نمكن ﴾ أى غاية التمكين ﴿ لهم ﴾ فى أوطانهم و محل سكناهم بما لنا من القدرة ﴿ حرما ءامنا ﴾ أى ذا أمن يأمن فيه كل خائف حتى الطير [3]من كواسرها[3] و الوحش من جوارحها ، حتى أن سيل[4] الحل لا يدخل الحرم ، بل إذا وصل إليه عدل عنه ؛ قال ابن هشام[5] فى استيلاء كنانة و خزاعة على البيت : و كانت مكة فى الجاهلية

١٠ [6]لا تقر فيها[6] ظلما و لا بغيا ، لا يبغى فيها أحد إلا أخرجته[7] - انتهى . و كان الرجل يلقى قاتل أبيه و ابنه فيها فلا يهيجه و لا يعرض له بسوء ؛ و روى [الأزرقى -[8]] فى تأريخ مكة[9] بسنده عن حويطب بن عبد العزى رضى الله عنه قال كانت فى الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه أحد ، فجاء خائف ليدخل يده فاجتذبه[10] رجل فشلت يده[11] ،

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل : يخالونهم ، و فى ظ : يخالفونهم (٢) فى ظ : على (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى كواسيرها (٤) من مد ، و فى الأصل : سيل ، و فى ظ : سبيل لكل - كذا (٥) راجع ١ / ٣٩ (٦ - ٦) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : لا تعرفها (٧) من ظ ومد و السيرة ، وفى الأصل : اخرجه (٨) زيد من ظ و مد (٩) راجع أخبار مكة ٢/١٩ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاحسه و فى الأخبار : فاجتبذه (١١) سقط من مد .

فلقد رأيته فى الإسلام [و إنه -[1]] لأشل، و روى عن ابن جريج[2] قصة العرب
من غير قريش فى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن أعارتهم قريش
ثيابا، لجاءت امرأة[3] فطافت عريانة[4] و كان لها جمال[4] فرآها رجل فأعجبته فدخل
فطاف إلى جنبها، فأدنى عضده من عضدها، فالتزقت عضده بعضدها،
فخرجا[4] من المسجد[4] هاربين على وجوههما فزعين لما أصابهما من العقوبة. فلقيهما ٥
شيخ من قريش فأفتاهما[5] أن يعودا إلى المكان الذى أصابا فيه الذنب،
فيدعوان و يخلصان أن لا يعودا، فدعوا و أخلصا النية، فافترقت أعضادهما[6]
فذهب كل واحد منهما فى ناحية[7]، و بسنده عن ابن عباس رضى الله[8]
عنهما قال: أخذ رجل ذود ابن عم له فأصابه فى الحرم فقال: ذودى:
فقال اللص: كذبت، قال: فاحلف، فحلف عند المقام. فقام رب الذود ١٠
بين الركن و المقام باسطا يديه يدعو، فما برح مقامه يدعو حتى ذهب عقل
اللص وجعل يصيح بمكة: مالى، و للزود، مالى، و لفلان - رب الزود، فبلغ
ذلك عبد المطلب فجمع الزود فدفعه إلى المظلوم، فخرج به[9] و بقى الآخر متولها[10]
حتى وقع من جبل فتردى فأكلته السباع. و عن أيوب بن موسى[11] أن
امرأة فى الجاهلية كان معها ابن عم لها صغير فقالت له: يا بنى: إنى ١٥

---

(١) زيد من ظ و مد و الأخبار (٢) من أخبار مكة ١/١١٣، و فى الأصول: ابن جرير (٣) زيد فى الأصول: لها جمال، و لم تكن الزيادة فى الأخبار ١/١١٥ فحذفناها (٤-٤) سقط من مد (٥) فى ظ: فيما (٦) من ظ و مد و الأخبار، و فى الأصل: اعضوهما (٧) فى ظ و مد: ناحيته (٨) راجع أخبار مكة ٢ / ٢٠ و الرواية فيه بمفارقات بسيطة (٩) فى الأخبار: بها (١٠) من ظ و مد و الأخبار، و فى الأصل: مدلها (١١) راجع الأخبار ٢/٢١.

/٣٥ أغيب / عنك و إنى أخاف أن يظلمك أحد ، فان جاءك ظالم بعدى فان لله بمكة بيتا لايشبهه شيء من البيوت ، و عليـــه ثياب و لا يقاربه مفسد ، فان ظلمك ظالم يوما فعذبه ، فان له ربا سيمنعك ، فجاءه رجل فذهب به فاسترقه ، قال : و كان أهل الجاهلية يعمرون أنعامهم فأعمر سيده ظهره ،
٥ فلما رأى الغلام البيت عرف الصفة فنزل[١] يشتد حتى تعلق بالبيت ، و جاءه سيده فمد يده إليه ليأخذه ، فيبست يده ، فمد الأخرى فيبست ، [فاستفتى -[٢]] فأفتى أن ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة ، ففعل فأطلقت يداه[٣] ، و ترك الغلام و خلى سبيله . و عن عبد العزيز بن [٤]أبى رواد[٤] أن قوما انتهوا إلى ذى طوى ، فاذا ظبي قد دنا منهم ، فأخذ رجل منهم بقائمة
١٠ من قوائمه فقـال له أصحابه : ويحك ! أرسله ، فجعل يضحك و يأبى[٥] أن يرسله ، فبعر الظبي و بال[٦] ؛ ثم أرسله ، فناموا[٧] فى القائلة فانتبهوا[٨] ، فاذا بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبي[٩] ، فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه من الحديث مثل ما كان من الظبي . و عن مجاهد قال : دخل قوم مكة تجارا من الشـام فى الجاهلية فنزلوا ذا طوى[١٠] فاختبزوا
١٥ ملة لهم و لم يمكن معهم إدام ، فرمى رجل منهم ظبية من ظباء الحرم

---

(١) فى ظ : فترك (٢) زيد من ظ ومد والأخبار (٣) فى مد : يده (٤-٤) من اخبار مكة ٢/١١٧ ، و فى الأصل : داود ، و فى ظ و مد : رواد (٥) فى ظ : ابى (٦) من ظ و مد والأخبار ، و فى الأصل : باله (٧) من الأخبار ، و فى الأصول : فقاموا (٨) فى الأخبار : فانتبه بعضهم (٩) هناك بعض الزيادات فى الأخبار (١٠) تحت سمرة يستظلون بها - كما زيد فى الأخبار .

و هى حولهم ترعى[1] فقاموا[2] إليها فسلخوها و طبخوا [لحمها -[3]] ليأتدموا به ، فبينما قدرهم على النار تغلى بلحمة إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا و لم تحترق ثيابهم و لا أمتعتهم و لا السمرات[4] التى كانوا تحتها . و فى سيرة أبى[5] الربيع بن سالم الكلاعى[6] أن رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم له فخوفه بالدعاء ٥ فى الحرم[7] ، فقال : هذه ناقتى فلانة اركبها فاذهب إليه فاجتهد فى الدعاء ، فجاء الحرم فى الشهر الحرام فقال : اللهم إنى أدعوك جاهدا مضطرا[8] على ابن عمى فلان ترميه بداء لا دواء له ، ثم انصرف فوجد[9] ابن عمه قد رمى فى بطنه فصار مثل الزق، فما زال ينتفخ حتى انشق ، و أن عمر رضى الله عنه[10] سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره، فقال : يا أمير المؤمنين ! ١٠ كنا بنى ضبعاء عشرة ، و كان لنا ابن عم فكنا نظلمه فكان يذكرنا بالله[11] و بالرحم[12]، فلما رأى أنا لا نكف عنه انتهى إلى الحرم فى الأشهر الحرم فجعل يرفع يديه يقول :

لا هم[13] أدعوك دعاء جاهدا اقتل بنى الضبعاء إلا واحدا

---

(١) فى ظ ومد : ترتعى (٢) فى ظ : فدنوا (٣) زيد من الأخبار (٤) فى مد : السموات (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابن ، و قد مر التعليق عليه . (٦) راجع أيضا أخبار مكة ٢ / ١٩ (٧) فى مد : البيت ، و العبارة من بعده إلى « الحرام فقال » ساقطة منها (٨) فى ظ و مد : مضرا (٩) من ظ و مد و الأخبار ، و فى الأصل : فيجد (١٠) راجع أخبار مكة ٢/٢٠ (١١) فى ظ و مد و الأخبار : الله (١٢) فى الأخبار : الرحم (١٣) أى اللهم ، كما فى ظ و مد و الأخبار .

ثم اضرب الرجل و دعه قاعدا أعمى إذا [١] قيد يعي [١] القائدا

قال: فمات إخوتى التسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد [٢]، و بقيت أنا فعميت، و رمانى الله عز و جل فى رجلى، فليس يلائمنى قائد [٣]، فقال عمر رضى الله عنه: [سبحان الله إن هذا لهو العجب - [٤]]، جعل الله هذا فى الجاهلية إذ لا دين حرمة حرمها و شرفها، ليتنكب الناس عن انتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة، فلما جاء الدين، صار الموعد الساعة، و يستجيب الله لمن يشاء، فاتقوا الله و كونوا مع الصادقين - انتهى.

و كأنه لمثل ذلك عبر بالتمكين و يتخطف الناس من حولهم كما يأتى تأكيده فى التى بعدها، / و قد كان قبل [٥] ذلك بقعة من بقاع الأرض لا مزية له على غيره بنوع مزية، فالتقدير: إنما فعلنا ذلك بعد سكنى إسماعيل عليه الصلاة و السلام، توطئة لما أردنا من الحكم و الأحكام، أو ليس الذى قدر على ذلك و فعله لمن يعبد غيره بقادر على حماية من يدخل فى دينه، و قد صار من حزبه بأنواع الحمايات، و إعلائه على كل [٦] من يناويه إلى أعلى الدرجات، كما فعل فى حمايتكم منهم و من غيرهم من سائر المخالفين أعداء الدين.

و لما وصفه بالأمن، أتبعه ما تطلبه النفس بعده فقال: ﴿يجبى﴾ أى يجمع و يجلب [٧] مما لا يرجونه و لا قدرة لهم على استجلابه [٧] ﴿اليه﴾

(١-١) فى الأخبار: ما قيدعنى (٢) من ظ و مد و الأخبار، و فى الأصل: واحدا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: قايدا (٤) زيد من الأخبار (٥) فى ظ و مد: بعد (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

أى خاصة، دون غيره من جزيرة العرب ﴿ ثمرٰت كل شيء ﴾ من النبات الذى بأرض العرب من ثمر البلاد الحارة كالبسر و الرطب و الموز و النبق، و الباردة كالعنب و التفاح و الرمان و الخوخ، و فى تعبيره بالمضارع و ما بعده إشارة إلى الاستمرار [1]و أنه[1] يأتى إليه بعد ذلك من كل ما فى الأرض من المال، ما لم يخطر لأحد منهم فى بال، و قد صدق الله فيما ٥ قال [2]كما تراه[2] - و من أصدق من الله قيلا .

و لما كان مجموع ما رزقهم فى هذا الحرم من الأمن بأسبابه من الإسراع باصابة من آذى فيه بأنواع العقوبات، و جباية هذه الثمرات، فى غاية الغرابة فى تلك الاراضى اليابسة الشديدة الحر، المحفرقة[3] من الناس بمن لا يدين دينا، و لا يخشى عاقبة[4]، و لا له ملك قاهر من الناس ١٠ يرده، و لا نظام من سياسة العباد يمنعه، عبر عنه سبحانه مع مظهر العظمة بلدن فقال: ﴿رزقا من لدنا﴾ أى من أبطن ما عندنا و أغربه، لا صنع لأحد فيه كما تعلم ذلك كله أنت و من اتبعك و من فيه قابلية الهداية منهم، و كل ذلك إنما هو لأجلك [بحلولك -[5]] فى [هذا -[5]] الحرم مضمرا فى الأصلاب، و مظهرا فى تلك الشعاب، توطئة لنبوتك، و تمهيدا لرسالتك، ١٥ و متى غبت عنهم غاب عنهم ذلك كله و سينظرون .

(١ - ١) فى ظ : فانه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) فى الاصول : المجفوقة - خطأ، و العبارة من هنا إلى « و لا نظام » ساقطة من مد (٤) فى ظ : عقوبة (٥) زيد من مد .

و لما كان هذا الذى أبدوه[١] عذرا عن تخلفهم عن الهدى يظنونه من نفائس العلم، رده تعالى نافيا عمن لم يؤمن منهم جميع [العلم - [٢]] الذى بنفيه ينتفى[٣] أن [٤] يكون هذا[٤] الفرد علما، فقال فى أسلوب التأكيد لذلك: ﴿ و لكن اكثرهم ﴾ أى أهل مكة و غيرهم ممن لا هداية له

٥ ﴿لا يعلمون ۝﴾ أى ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا أنا نحن الفاعلون لذلك بترتيب أسبابه حتى [٥] تمكن ذلك و تم[٥] فلا قدرة لأحد على تغييره، و إنا قادرون على أن نمنعهم - إذا تابعوا أمرنا - ممن يريدهم، بل نسلطهم على كل من ناواهم، كقدرتنا على ما مكنا لهم و هو خارج عن القياس على ما يقتضيه عقول الناس، و إنا قادرون على سلب ذلك كله عنهم لإصرارهم

١٠ على الكفر، و لا بد أن نذيقهم ذلك[٦] أجمع بعد هجرتك ليعلموا أنه إنما نالهم [٧] ذلك ببركتك[٧]، و لو علموا ذلك لشكروا، و لكنهم جهلوا فكفروا، و لذلك أنذروا "و لتعلمن نباه بعد حين".

و لما أخبر تعالى أنه قادر على التأمين و الإنجاء و التمكين مع الضعفة، أتبعه الإعلام بقدرته على الإخافة و الإهلاك مع القوة،

١٥ ترغيبا لهم - إن آمنوا - باهلاك أضدادهم، و ترهيبا - إن أصروا - [٨] من المعاملة[٨] بعكس مرادهم، فقال فى مظهر العظمة عاطفا على معنى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ابدوه (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد: يبتغى (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يمكن ذلك و يتم (٦) فى ظ: تلك (٧ - ٧) فى ظ و مد: بنبوتك. (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عن المعاجلة.

الكلام: ﴿و كم اهلكنا﴾ و يجوز / أن يكون حالا من ضمير ٣٧ /
«نمكن» أى فعلنا بهم [1]ما ذكرنا من النعمة[1] مع ضعفهم و عجزهم،
و الحال أنا كثيرا ما أهلكنا الأقوياء، و أشار إلى تأكيد التكثير مع
تميز المبهم بقوله: ﴿من قرية﴾، و أشار إلى سبب الإهلاك بقوله:
﴿بطرت معيشتها ج﴾ أى وقع منها البطر فى زمان عيشها الرخى الواسع، ٥
فكان حالهم كحالكم فى الأمن و إدرار الرزق، فلما[2] بطروا معيشتهم
أهلكناهم، و معنى بطرهم لها [3]أنهم شقوها[3] بمجاوزة الحد فى المرح،
و الأشر و الفرح، إلى أن تعدوها [4]فأفسدوها و كفروها[4] فلم يشكروها،
بل فعلوا فى تلقيها فعل الحائر المدهوش، فلم يحسنوا رعايتها، و قل
احتمالهم لحق النعمة فيها، فطغوا فى التقلب عند مصاحبتها و تكبروا بها، ١٠
و تمادوا فى الغى قولا و فعلا، من أجل ما عمهم من الرفاهية عن
تقييدها[5] و ساء احتمالهم للغنى بها، و طيب العيش فيها، فأبطلوها بهذه
الخصائل، و أذهبوها هدرا من غير مقابل، و ذلك من قول أهل اللغة:
البطرا: الأشر، و قلة احتمال النعمة، و الدهش و الحيرة و الطغيان
بالنعمة، و الفعل [6]من الكل[6] كفرح، و بطر الحق [7]أن يتكبر[7] عنه ١٥
فلا يقبله، و بطره كنصره و ضربه: شقه، و البطور: الصخاب[8] الطويل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد، و وقع فى ظ: ذكر - موضع: ذكرنا.
(٢) فى ظ: فما (٣-٣) فى ظ: ان شقاها، و فى مد: ان شقوها (٤-٤) فى ظ: فانبذوها و كفروها، و فى مد: فكفروها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تقييد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧-٧) فى مد: اى تكبر (٨) فى ظ و مد: الضجار.

اللسان، و المتمادى فى الغى، و أبطره ذرعه : حمله فوق طاقته، و ذهب دمه بطرا - بالكسر، أى هدرا و بطرهم لها أنهم عصوا من خولهم فيها، فخالفوا أمره، و أنساهم الكبر بما[1] أعطاهم ذكره .

و لما تسبب عن [2]هــذا الإخبار[2] تشوف النفس إلى آثار هذه الديار، سبب عنه الإشارة بأداة البعد إلى منازلهم، تنبيها على كثرتها و سهولة الوصول إليها فى كل مكان، لكونها بحيث يشار إليها و على بعد رتبتها فى الهلاك دليلا على الجملة التى قبلها فقال: ﴿فتلك مسٰكنهم﴾.

و لما كان المعنى أنها خاويــة [3]على عروشها[3] وصل [4]به قوله[4] : ﴿لم تسكن﴾ أى من ساكن ما مختـار أو مضطر . و لما كان المراد إفهام نفى قليل الزمان و كثيره، أثبت الجار فقال : ﴿من بعدهم﴾ بعد أن طال ما تغالوا فيها و نمقوها، و زخرفوها [5]و زوقوها[5]، و زفوا فيها الأبكار، و فرحوا بالأعمال الكبار، ﴿الا﴾ سكونا ﴿قليلا﴾ بالمارة عليها ساعة من ليل[6] أو من نهار، ثم تصير تبابا موحشة كالقفار، بعد أن كانت [7]متمنعة القبا[7]، ببيض الصفاح و سمر القنا .

و لما صارت [8] هذه الأماكن[9] بعد الخراب لا متصرف فيها ظاهرا[10] إلا الله، و لا حاكم عليها فيما تنظره العيون سواه، و كان هذا أمرا

---

(١) فى ظ : مما (٢ - ٢) فى مد : هذه الأخبار (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤-٤) فى ظ : بها قولها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) فى ظ : الليل (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل : متمنقة القنا (٨) فى ظ و مد : كانت (٩) فى ظ و مد : المساكن (١٠) فى ظ و مد متظاهرا .

عظيما، وخطبا جسيما، لأنه لا فرق فيه بين جليل وحقير، وصغير وكبير، وسلطان ووزير، دل على ضخامته بقوله مكررا لمظهر العظمة: ﴿وكنا﴾ [أي - [1]] أزلا وأبدا ﴿نحن﴾ لا غيرنا ﴿الوٰرثين ٥﴾ لم يستعص علينا أحد وإن عظم، ولا تأخر عن مرادنا لحظة وإن ضخم، فليت شعرى! أين أولئك الجبارون وكيف خلا دورهم، وعطل ٥ قصورهم؟ المتكبرون أفنتهم والله كؤوس الحمام منوعة[2] أشربة المصائب العظام، وأذلتهم مصارع[3] الأيام، بقوة العزيز العلام، فيا ويح من لم يعتبر بأيامهم، ولم يزدجر عن مثل آثامهم.

ولما أظهر سبحانه سوط العذاب بيد القدرة، دل على وطأ العدل بثمرة الغنى، ولكونه فى سياق الرحمة بالإرسال عبر بالربوبية فقال: ١٠ ﴿وما كان﴾ [أي - [1]] كونا ما / ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك بالإحسان بارسالك إلى الناس ﴿مهلك القرىٰ﴾ أى هذا الجنس كله بجرم وإن عظم ﴿حتى يبعث فى أمها﴾ أى أعظمها وأشرفها، لأن غيرها تبع لها، ولم يشترط كونه من أمها فقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام من الناصرة، وبعث فى بيت المقدس ﴿رسولا يتلوا عليهم﴾ أى أهل القرى ١٥ كلهم ﴿ءايٰتنا﴾ الدالة - بما لها من الجرى على مناهيج العقول، على ما ينبغى لنا من الحكمة، وبما لها من الإعجاز - على تفرد الكلمة، وباهر العظمة، إلزاما للحجة، وقطعا للعذرة، لئلا يقولوا "ربنا لولا ارسلت

٣٨ /

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: منزعه (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: مصادع.

الينا رسولا'' و لذلك لما أردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول من أم القرى كلها، و هى مكة البلد الحرام، و فيها لأنها مع كونها مدينة تجرى فيها الأمور على قانون الحكمة [هى - [1]] فى بلاد البوادى تظهر فيها الكلمة، فجمعت الأمرين لأن المرسل إليها جامع، و حازت الأثرين لأن
٥ الختام به واقع، و كان السر فى جعل المؤيد لدينه عيسى عليهما الصلاة و السلام من البادية كثرة ظهور الكلمة على يديه.

و لما غيّ[2] الإهلاك بالإرسال تخويفا، ضرب له غاية أخرى تحريرا[3] للأمر و تعريفا، و لكونه فى سياق[4] التجرؤ من أهل الضلال، على مقامه العال، بانتهاك الحرمات، عبر بأداة العظمة فقال: ﴿ و ما كنا ﴾
١٠ أى بعظمتنا و غنانا ﴿ مهلكى القرىٰٓ ﴾ أى كلها، بعد الإرسال ﴿ إلا واهلها ظلمون ﴾ أى عريقون فى الظلم بالعصيان، بترك ثمرات الإيمان.

و لما اعتلوا فى الوقوف عن الإيمان بخوف التخطف، فذكرهم نعمته عليهم باقامة أسباب الأمن و إدرار الرزق، و عرفهم انه هو وحده الذى[5] تخشى سطواته، و يتقى أخذه لمن خالفه و بطشاته، و كان خوفهم
١٥ من عواقب المتابعة إما على أنفسهم و إما على ما بأيديهم من المتاع، علم من ذلك كله قطعا أن التقدير بما سبب التخويف من عواقب الظلم بمثل مصارع الأولين: فأنفسكم فى خطر من [6] خوف الهلاك من القادر عليكم كقدرته على من قبلكم بسبب التوقف عن المتابعة أشد من[6] خطر

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عنى (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: تحذيرا (٤) فى ظ: بيان (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

الخوف من التخطف بسبب المتابعة، أو يكون التقدير : فما خفتم منه التخطف غير ضائركم، وكفكم عن المتابعة لأجله غير مخلدكم، فما إهلاككم على الله بأي وجه كان - بعزيز، فعطف على هذا الذي أرشد السياق إلى تقديره قوله : ﴿ و مآ اوتيتم ﴾ أي من [أي -[1]] موّت كان ﴿من شيء﴾ أي من هذه الأشياء التي بأيديكم و غيرها ﴿ فمتاع ﴾ أي فهو متاع ٥ ﴿الحيوة الدنيا ﴾ و ليس يعود نفعه إلى غيرها، فهو إلى نفاد و إن طال زمن التمتع به ﴿ و زينتها ج ﴾ أي و هو زينة الحياة الدنيا التي [هي -[1]] كلها - فضلا عن زينتها - إلى فناء. فليست هي و لا شيء منها بأزلي و لا أبدي ﴿ و ما عند الله ﴾ أي الملك الأعلى مما تثمره لكم المتابعة من الثواب الذي وعدكموه[2] في الدار الآخرة التي دل عليها دلالة واضحة ١٠ إطباقكم على وصف هذه بالدنيا، و من أصدق وعدا منه ﴿ خير ﴾ على تقدير مشاركة ما في الدنيا له في الخيرية في ظنكم، لأن الذي عنده أكثر و أطيب و أظهر، و أحسن و أشهى، و أبهج و أزهى، ﴿و ﴾ هو مع ذلك كله ﴿ابقى ﴾ لأنه و إن شارك متاع الدنيا في أنه لم يكن أزليا فهو أبدي.

فلما بأن أنه لايقدم على خطر المخالفة المذكور[3] / خوفا من خطر المتابعة ١٥ / ٣٩ الموصوف عاقل، توجه الإنكار عليهم في قوله تعالى : ﴿ افلا تعقلون ﴾ .

و لما كان هـــذا سببا لأن ظهر كالشمس بون عظيم بين حال المخالف و المؤالف، سبب عنه و أنتج قوله، مقررا لما ذكر من الأمرين

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : وعدتموه (٣) زيد في الأصل : خوف من خطر المخالفة المذكور، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها.

موضحا لما لهما من المباينة، منكرا على من[1] سوى بينهما، فكيف بمن ظن أن حال المخالف أولى: ﴿افمن وعدنٰه﴾ على عظمتنا في الغنى[2] و القدرة و الصدق ﴿وعدا﴾ و هو الإثابة[3] و الثواب ﴿حسنا﴾ لاشيء أحسن منه[4] في موافقته [5]لأمنيته و بقائه[5] ﴿فهو﴾ بسبب وعدنا الذى ٥ لايخلف ﴿لاقيه﴾ أي مدركه و مصيبه لامحالة ﴿كمن متعنٰه﴾ أي بعظمتنا ﴿متاع الحيوٰة الدنيا﴾ فلا يقدر أحد غيرنا على سلبه منه بغير إذن منا، و لا يصل أحد إلى جعله باقيا، و هو مع كونه فانيا و إن طال زمنه مشوب بالأكدار، مخالط بالأقذار و الأوزار ﴿ثم هو﴾ مع ذلك كله ﴿يوم القيٰمة﴾ الذى هو يوم التغابن، من خسر فيه لا[6] يربح أصلا، ١٠ و من هلك لا يمكن عيشه بوجه ﴿من المحضرين ۝﴾ أي المقهورين على الحضور إلى مكان يود لو افتدى[7] منه بطلاع الأرض ذهبا، فان كل من يوكل به لحضور أمر يتنكد[8] على حسب مراتب التوكيل كائنا من كان في أيّ أمر كان.

و لما كان اليوم و إن كان واحدا يتعدد بتعدد أوصافه، بما ١٥ يقع في أثنائه و أضعافه، على يوم القيامة [تهويلا لأمره، و تعظيما لخطره و شره، قوله مقررا لعجز العباد، عن شيء من الإباء في يوم العباد -[9]]:

---

(١) في ظ و مد: ما (٢) في ظ: المغنى (٣) في ظ و مد: الانابة (٤) سقط من ظ (٥-٥) في ظ: الامنية و البقاء، و في مد: الامنية (٦) في ظ و مد: لم (٧) من ظ و مد، و في الأصل: تفدى (٨) من ظ و مد، و في الأصل: ينكد (٩) زيد من ظ و مد.

﴿و يوم يناديهم﴾ أى ينادى الله هؤلاء الذين يغرون[1] [بين - [2]] الناس[3] و يصدون عن السبيل، و يتعللون فى أمر الإيمان، و توحيد المحسن الديان ﴿فيقول﴾ أى الله: ﴿اين شركآءى﴾ أى من الاوثان و غيرهم[4] ثم [بين - [4]] أنهم لا يستحقون هذا الاسم بقوله: ﴿الذين كنتم﴾ أى كونا أنتم عريقون فيه ﴿تزعمون﴾ ليدفعوا عنكم أو عن أنفسهم . ٥

و لما كان اسم الشريك يقع على من سواه الإنسان بآخر فى شيء من الأشياء، و كان الاتباع قد سووا المتبوعين الذين عبدوهم من الشياطين و غيرهم بالله تعالى فى الخضوع لهم، و الطواعيـة فى عبادة الأوثان، و معاندة الهداة و معاداتهم، و الصد عن اتباعهم، فكان [5] اسم الشريك [5] متناولا لهـم، و كان بطش من وقع الإشراك به يكون أولا بمن عد ١٠ نفسه شريكا ثم بمن أنزله تلك المنزلة، فتشوفت[6] النفس إلى مبادرة الرؤساء بالجواب خوفا من حلول العقاب [7] بهم و زيادتهم [7] بقيادتهم عليهم، فقيل: قالوا - هكذا الأصل، و لكنه أظهر إعلاما بالوصف الذى أوجب لهم القول فقال: ﴿قال الذين حق﴾ أى ثبت و وجب ﴿عليهم القول﴾ أى وقع عليهم معنى هذا الاسم و تناولهم، و هو العذاب المتوعد به بأعظم ١٥ القول، و هم أئمة الكفر، و قادة الجهل، بإنزالهم أنفسهم منزلة[8] الشركاء، و أفهم باسقاط الأداة كعادة أهل القرب و التعبير بوصف الإحسان

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: يعوون (٢) زيد من ظ (٣) سقط من مد.
(٤) زيد من ظ ومد (٥-٥) من ظ و مد، وفى الأصل: اسلم لشريك (٦) فى ظ: فتشوف (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم و زيادته (٨) فى ظ: بمنزلة.

أنهم وصلوا بعد السماجة و الكبر إلى غاية الترقق و الذل، فقال معبرا عن قولهم: ﴿ ربنا هؤلاء ﴾ إشارة إلى الأتباع ﴿ الذين اغوينا ج ﴾ أي أوقعنا الإغواء [1] و هو الإضلال [1] بهم بما زينا لهم من الأقوال التي أعاننا /٤٠ / على [2] قبولهم أنها [3] منا، مع كونها ظاهرة العوار، واضحة العار، ما خولتنا ٥ فيه في الدنيا من الجاه و المال؛ ثم استأنفوا ما يظنون أنه يدفع عنهم فقالوا: ﴿ اغوينهم ﴾ أي فغووا باختيارهم ﴿ كما غوينا ج ﴾ أي نحن لما أغوانا بما زين لنا من فوقنا حتى تبعناهم، لم يكن هناك إكراه منا و لا إجبار، مع ما أتاهم من الرسل و لهم من العقول، كما غوينا نحن باختيارنا، لم يكن ممن فوقنا إجبار لنا كما قال إبليس "و ما كان لى عليكم من سلطن الا ان ١٠ دعوتكم فاستجبتم [4] لى" - فالآية من الاحتباك: حذف أولا "فغووا" لدلالة "غوينا" عليه، و ثانيا "[5] لما أغوانا [5] من قبلنا" لدلالة "أغويناهم" عليه و مرادهم، بقولهم هــذا السفساف أنه لا لوم علينا في الحقيقة بسببهم، و هذا معنى قولهم: ﴿ تبرأنآ اليك ز ﴾ أي من أمرهم، فلا يلزمنا عقوبة بسببهم، فهو [6] تقرير لما قبل و تصريح [7] به.

١٥ و لما كانوا يعلمون أنهم غير مؤمنين [8] من أمرهم، تبرؤا من انفرادهم

(١ - ١) من ظ و مد، و في الأصل: هولاء الضلال (٢) في ظ و مد: في. (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: اياها (٤) سورة ١٤ آية ٢٢ (٥-٥) في الأصل: لما اغوينا، و في ظ و مد: كما اغوانا (٦) من ظ و مد، و في الأصل: فهي. (٧) من ظ و مد، و في الأصل: يستريح (٨) من ظ و مد، و في الأصل: مربين.

باضلالهم، فقالوا لمن كأنه[1] قال: ما وجه براءتكم[2] و قد أقررتم باغوائهم ؟: ﴿ما كانوآ ايانا﴾ أى خاصة ﴿يعبدون ٭﴾ بل كانوا يعبدون الأوثان بما زينت لهم أهواؤهم و إن كان لنا فيه نوع دعاء لهم إليه و حث عليه، فأقل ما نريد[3] أن يوزع[4] العذاب على كل من كان سببا فى ذلك كما فى الآية الأخرى "فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء" ٥ و ضل عن الجهلة أن هذا لايغنيهم [5]عن الله[5] شيئا، فان الكل فى العذاب و ليس يغنى أحد منهم عن أحد شيئا. قال " لكل ضعف و لكن لا تعلمون ".

و لما لم يلتفت إلى هذا الكلام منهم بل عد عدما، لأنه لا طائل تحته، أشير إلى الإعراض عنه لأنه لايستحق جوابا كما قيل «رب قول جوابه ١٠ فى[6] السكوت» بقوله: ﴿و قيل﴾ أى ثانيا للأتباع تهكما بهم و إظهارا لعجزهم الملزوم لتحسرهم و عظم تأسفهم، و عبر بصيغة المجهول، إظهارا للاستهانة بهم، و أنهم من الذل و الصغار بحيث يجيبون كل أمر كائنا من كان: ﴿ ادعوا ﴾ أى كلكم ﴿شركآءكم ﴾ أى الذين ادعيتم جهلا شركتهم ليدفعوا عنكم، . و أضافهم هنا إليهم إشارة إلى أنهم لم يستفيدوا ١٥ بزعمهم أنهم شركاء الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - إلا[7] أن

---

(١) فى ظ: كان (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: نوائكم (٣) فى مد: يزيد. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: نوزع (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لا.

أشركوهم فيما صرفوا إليهم من أموالهم و أقوالهم، و أزمانهم و أحوالهم ﴿فدعوهم﴾ [1]تعللا بما لا يغني، و تمسكا بما يتحقق أنه لا يجدى، لفرط[2] الغلبة و استيلاء[3] الحيرة و الدهشة ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ كما يحق لهم بما لهم من وصف عدم الإدراك، و العجز و الهلاك ﴿و راوا﴾
٥ أى كلهم ﴿العذاب ج﴾ عالمين بأنه مواقعهم[4] لا مانع له عنهم، فكان الحال حينئذ مقتضيا لأن يقال من كل من يرام[5]: ﴿لو انهم كانوا﴾ أى كونا هو لهم صفة راسخة ﴿يهتدون ه﴾ أى يحصل منهم هدى ساعة من الدهر، تأسفا على أمرهم، و تمنيا[6] لخلاصهم، أو لو أن ذلك كان فى طبعهم لنجوا من العذاب، أو لما رأوه أصلا، أو لما اتبعوهم.

١٠ و لما أشار إلى أنه لا خلاص من ذلك الردى إلا بالهدى، أتبعه الإعلام بأنه لا يمكن أحدا هناك أن يفعل ما [قد -[7]] يروج على سائله كما يفعل فى هذه الدار من إظهار ما لم يكن فقال مكررا لتهويل ذلك اليوم و تبشيعه و تعظيمه و تفظيعه، سائلا عن حق رسله عليهم الصلاة و السلام / بعد السؤال عن حقه سبحانه، مناديا بعجز الشركاء فى الآخرى /٤١
١٥ كما[8] كانوا عاجزين فى الأولى[9] ﴿و يوم يناديهم﴾ و هم بحيث يسمعهم

---

(١) العبارة من هنا إلى «الحيرة و الدهشة» ساقطة من مد (٢) فى ظ: لشرط (٣) من ظ. و فى الأصل: استعلاء (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: موافقهم (٥) من مد، و فى الأصل: رآهم، و فى ظ: تراهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تيمنا (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ و مد. (٩) فى ظ و مد: الدنيا.

الداعى، و ينفذهم البصر[1]، قد برزوا لله جميعا من كان منهم عاصيا و من كان مطيعا فى صعيد واحد، قد أخذ بأنفاسهم الزحام، و تراكبت الأقدام على الأقدام، و ألجمهم العرق، و عمهم الغرق ﴿فيقول ما ذآ﴾ أى أوضحوا أو[2] عينوا جوابكم الذى ﴿اجبتم المرسلين ۝﴾ أى به، و لما لم يكن لهم قدم صدق و لا سابق حق بما أتتهم الرسل به من الحجج، ٥ و تابعت عليهم من الأدلة، لم يكن لهم جواب[3] إلا السكوت، و هو المراد بقوله: ﴿فعميت﴾ أى خفيت و أظلمت فى غواية و لجاج ﴿عليهم الانبآء﴾ [أى -[4]] الأخبار التى هى من العظمة بحيث يحق لها فى ذلك اليوم أن تذكر، و هى التى يمكن أن يقع بها الخلاص، و عداه بعلى إشارة إلى أن عماها[5] وقع عليهم، فعم الكل العمى فصاروا ١٠ بحيث لا تهتدى[6] الأنباء لعماها[7] إليهم لتجددها[8]، و لا يهتدون إليها لانتشار عماها إليهم، و هذا كله إشارة [إلى أنهم -[4]] لم يقدموا[9] عملا فى إجابة الرسل بحق أن يذكر فى ذلك اليوم، بل أسلفوا من التكذيب و الإساءة ما يودون[10] لو أن بينهم و بينه أمدا بعيدا، و قال: ﴿يومئذ﴾ تكريرا لتخويف ذلك اليوم و تهويله، و تقريرا لتعظيمه و تبجيله. ١٥

---

(١) من مد، و فى الأصل: البصير، و فى ظ: السحر (٢) من مد، و فى الأصل و ظ «و» (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: جوابا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: عماهم (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: لا يهتدوا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اعماها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ليجدوها. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يقوموا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: يوذن.

و لما تسبب عن هذا السؤال السكوت علما منهم بأنه ليس عند أحد منهم ما يغنى فى جوابه من حسن القول و صوابه، و أنهم لا يذكرون شيئا من المقال[١] إلا عاد عليهم بالوبال، قال مترجما عن ذلك: ﴿فهم لا يتسآءلون﴾ أى لا يسأل أحد منهم أحدا عن شيء يحصل به خلاص، لعلمهم أنه قد عمهم الهلاك، و لات حين مناص، و لأن كل منهم أبغض الناس ٥ فى الآخر.

و لما علم بهذه الآيات حال من أصر على كفره و عمل سيئا[٢] بطريق العبارة، و أشير إلى حال من تاب فوعد الوعد الحسن ألطف إشارة تسبب عن ذلك [التشوف إلى -[٣]] التصريح بحالهم، فقال مفصلا مرتبا ١٠ على ما تقديره: هذا[٤] حال من أصر على كفره ﴿فاما من تاب﴾ أى عن كفره[٥] و قال[٤]: ﴿و امن﴾ تصريحا بما علم التزاما، فان الكفر و الايمان ضدان، لا يمكن ترك[٥] أحدهما إلا[٦] بأخذ الآخر ﴿و عمل﴾ تصديقا لدعواه باللسان ﴿صالحا﴾.

و لما كانت النفس نزاعة إلى النقائص، مسرعة إلى الدنايا، أشير ١٥ إلى صعوبة الاستمرار على طريق الهدى إلا بعظيم المجاهدة بقوله: ﴿فعسى﴾ أى فانه يتسبب[٧] عن حاله[٨] هذا الطمع فى ﴿ان يكون﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿من المفلحين﴾ أى الناجين من شر ذلك اليوم، الظافرين

---

(١) فى ظ: المقام (٢) من مد، و فى الأصل: شيئا، و فى ظ: مساء (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من ظ ومد (٦) فى ظ: ان (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: تسبب (٨) فى الأصل: حالة، و فى ظ و مد: حال.

بجميع المراد، باستمرارهم على طاعتهم إلى الموت، و إنما لم يقطع[1] له بالفلاح و إن كان مثل ذلك فى مجارى عادات الملوك قطعا، إعلاما بأنه لا يجب عليه سبحانه شىء ليدوم حذره، و يتقى قضاؤه و قدره. فان الكل منه.

و لما كان كأنه قيل: ما لأهل القسم الأول لا يتوخون[2] النجا من ٥ ضيق ذلك البلا، إلى رحب[3] هذا الرجا، و كان الجواب: ربك منعهم من ذلك. أو ما له لم يقطع لأهل هذا القسم بالفلاح كما قطع لأهل القسم الأول بالشقاء؟ و كان الجواب: إن ربك لا يجب عليه شىء عطف عليه - إشارة إليه - قوله / ﴿و ربك﴾ أى المحسن إليك، بمرافقة من / ٤٢ وافقك[4] و مخالفة من خالفك[5] لحكم كبار، دقت عن فهم أكثر الأفكار ١٠ ﴿يخلق ما يشآء﴾ من الهدى و الضلال و غيرهما، لأنه المالك المطلق[6] لا مانع له من شىء من ذلك ﴿و يختار﴾ أى يوقع الاختيار[7]، لما يشاء فيريد الكفر للأشرار، و الإيمان للأبرار، لا اعتراض عليه. فربما ارتد أحد ممن[8] أظهر المتاب، لما سبق عليه من الكتاب، فكان من أهل التباب[9] فلا تأس على من فاتك كائنا من كان، و اعلم أنه[10] ما ضر[11] إلا نفسه، ١٥

(١) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يوحون (٣) فى ظ و مد: حب (٤) فى ظ: يوافقك. (٥) فى ظ: يخالفك (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الملك، و زيد بعده فى ظ: لأنه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الأخيار (٨) فى ظ: من (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الثبات (١٠) فى مد: ان (١١) فى ظ و مد: اضر.

و من فاتنا يكفيه أنا نفوته .

و لما أفهم هذا أن غيره سبحانه إذا أراد شيئا لم يكن إلا أن يوافق[١] مراده تعالى ، صرح به بقوله[٢] : ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ أى أن يفعلوا أو يفعل لهم كل ما يختارونه من إتيان الرسول بمثل ما أتى به موسى

٥ عليه الصلاة و السلام أو غيره ، اسم من الاختيار ، يقام مقام المصدر ، و هو أيضا اسم المختار ، فهو تعبير بالمسبب عن السبب لأنه إذا خلى عنه كان عقيما[٣] فكان عدما ، قال الرازى فى اللوامع : و فيه دليل على أن العبد فى اختياره غير مختار ، فلهذا أهل الرضى حطوا الرحال بين يـدى ربهم ، و سلموا الأمور إليه بصفاء التفويض ، يعنى فان[٤] أمرهم

١٠ أو نهاهم بادروا ، و إن أصابهم بسهام[٥] المصائب العظام صابروا ، و إن أعزهم أعزوا أنفسهم و أكرموا ، و إن أذلهم رضوا و سلموا ، فلا يرضيهم إلا ما يرضيه ، و لا يريدون إلا ما يريده فيمضيه :

وقف الهوى بي[٦] حيث انت فليس [لى-[٧]] متأخر عنـه و لا متقـدم

أجـد الملامة فى هواك لذيـذة حبـا لذكرك فليلمنى اللوم[٨]

١٥ [٩]و أهنتنى[٩] فأهنت نفسى صـاغرا ما من يهون عليك ممن أكرم[١٠].

و لما كان إيقاع شيء على غير مراده نقصا ، و كان وقوع الشرك

---

(١) فى ظ و مد : وافق (٢) فى ظ : قوله (٣) فى ظ : عظيما (٤) فى ظ : وان .
(٥) سقط من مد (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : من (٧) زيد من ظ ومد .
(٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : اللوم (٩-٩) فى مد : فأهنتنى (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكرم .

سفولا و عجزا، قال تعالى مشيرا إلى نتيجة هذه الآيات فى نفى ذلك عنه : ﴿ سبحٰن الله ﴾ أى تنزه الجامع لصفات الكمال عن أن يختار أحد شيئا لا يريده فيصل إليه أو يقع بوجه عليه ﴿ و تعٰلى ﴾ أى علا علو المجتهد فى ذلك، فعلوه لا تبلغ العقول بوجه كنه هداه ﴿عما يشركون ه﴾ لأنه لا إرادة لما ادعوهم شركاء، و لو كانت لهم إرادة لتوقف إنفادها ٥ لعجزهم على إيجاد الخالق .

و لما كانت القدرة لا تستم إلا بالعلم ، قال: ﴿ و ربك ﴾ أى المحسن إليك [١]المتولى لتربيتك[١]، كما هو بالغ القدرة، فهو شامل العلم ﴿ يعلم ما تكن ﴾ أى تخفى و تستر ﴿ صدورهم ﴾ من كونهم يؤمنون على تقدير أن تأتيهم [٢]آيات مثل[٢] آيات موسى أو لا يؤمنون، و من ١٠ كون ما [٣]أظهر من[٣] أظهر منهم الإيمان بلسانه خالصا أو مشوبا .

و لما كان علم الخفى لا يستلزم علم[٤] الجلى إما لبعد أو لغط أو اختلاط أصوات يمنع تميز بعضه عن بعض أو غير ذلك قال: ﴿ و ما يعلنون ه﴾ أى يظهرون، كل ذلك لديه سواء، فلا يكون لهم مراد إلا بخلقه[٥].

و لما كان علمه بذلك إنما هو لكونه إلها، و كان غيره لا يعلم ١٥ من علمه إلا ما علمه ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ و هو الله ﴾ أى المستأثر بالإلهية الذى لا سمى له، الذى لا يحيط / الوصف من عظمته باكثر /٤٣ من أنه عظيم على الإجمال، و أما التفاصيل كلها أو أقلها فهيهات هيهات؛

(١-١) فى ظ و مد : بتربيتك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد ، و فى ظ : اظهر ما (٤) فى ظ : على (٥) فى ظ : تخلصه .

ثم شرح [معنى -[1]] الاسم الأعظم بقوله ﴿ لآ اله الا هو[2] ﴾ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ فى الاولى و الأخرة ﴾ وليس ذلك لشيء سواه أن آمنوا أو[3] كفروا ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ الحكم ﴾ أى إمضاء القضاء على الإطلاق، فلو أراد لقسرهم على الإيمان ﴿ و اليه ﴾ أى لا إلى غيره ﴿ ترجعون ﴾ أى بأيسر أمر يوم النفخ فى الصور، لبعثرة القبور، بالبعث و النشور، مع أنكم الآن أيضا راجعون فى جميع أحكامكم إليه و مقصورون[4] عليه، إن شاء أمضاها، و إن أراد ردها و لواها، ففى الآيات غاية التقوية لقلوب المطيعين، و نهاية الزجر و الردع للتمردين، بالتنبيه على كونه قادرا على جميع الممكنات، عالما بكل المعلومات، منزها[5] عن النقائص و الآفات[6] يجزى الطائعين و العاصين بالقسط.

و لما قامت على القدرة الشاملة و العلم التام و أنه الإله وحده إن وحدوا أو الحدوا هذه الأعلام على هذا النظام، أقام دليلا دالا على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم و الحكمة و تمام القدرة، منبها على وجوب حمده مفصلا لبعض ما يحمد عليه، فقال[7] مقدما الليل لأن آيته عدمية، و هي أسبق: ﴿ قل ﴾ لمن ربما عاند فى ذلك، منكرا عليهم ملزما لهم، و عبر بالجمع لأنه أدل على الإلزام، و أعظم فى الإفحام[8]،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم، وفى الأصل: الله. (٣) من مد. و فى الأصل: وان، وفى ظ «و» (٤) فى ظ ومد: مقصرون. (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: متنزها (٦) فى ظ: الأوقات - كذا (٧) وقع فى ظ و مد بعد «هى اسبق» (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الاقحام.

فقال

قال: ﴿ ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان جعل الله ﴾ أى الملك الأعلى نظرا إلى مقام العظمة و الجلال ﴿ عليكم اليل ﴾ الذى بـه اعتدال حر النهار ﴿ سرمدا ﴾ أى دائما، و قال: ﴿ الى يوم القيمة ﴾ تنبيها على أنه مما لا[1] يتوجه إليه إنكار ﴿من اله غير الله﴾ العظيم الشأن الذى لا كفوء له. ٥

و لما كان النور نعمة فى نفسه، و يعرف [به - [2]] خالقه، صرح به و طوى أثره فقال: ﴿ ياتيكم بضيآء[3] ﴾ أى يولد نهارا تنتشرون فيه، و لقوة إعلامه بالقدرة و تعريفه بالله عبر بهذا دون يؤتيكم[3] ضياء، و لما كان الليل محل السكون و مجمع الحواس، فهو أمكن للسمع و أنفذ للفكر، قال تعالى: ﴿ افلا تسمعون ﴾ أى [4]ما يقال[4] لكم إصغاء ١٠ و تدبر، كما يكون لمن هو فى الليل فينتفع بسمعه من أولى العقل ﴿ قل ارءيتم ان جعل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله بجلاله و باهر كماله ﴿ عليكم النهار ﴾ الذى توازن حرارته رطوبة الليل فيتم بهما[5] صلاح النبات، و غير ذلك من جميع المقدرات[6] ﴿ سرمدا ﴾ أى دائما، من السرد، و هو المتابعة بزيادة الميم مبالغة فيه ﴿ الى يوم القيمة ﴾ أى ١٥ الذى لا يسمع عاقلا إنكاره ﴿ من اله غير الله ﴾ الجليل الذى ليس له مثيل[7]، و هو على كل شيء وكيل.

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: ياتيكم (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بايقا - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بها. (٦) فى ظ و مد: المقدورات (٧) فى ظ و مد: مثل.

و لما كان الظلام غير مقصود فى نفسه ، و كان بعد الضياء فى غايــة التعريف بوجده، عدل عن اسمه فقال معبرا[1] لمثل ما مضى : ﴿ ياتيكم بليل ﴾ [2] أى ينشأ منه ظلام[2] ؛ ثم بين بما يدل على ما حذفه من الأول فقال : ﴿ تسكنون فيه[3] ﴾ فالآية من الاحتباك : ذكر الضياء ٥ أولا دليلا على حذف الظلام ثانيا ، و الليل و السكون ثانيا دليلا على حذف النهار و الانتشار أولا .

و لما كان الضياء مما[3] ينفذ فيه البصر قال : ﴿ افلا تبصرون ه ﴾ أى بالبصر و البصيرة كيف تنقشع[4] جلابيب الظلام ، عن وجوه الضياء الغر الكرام ، / ثم تتقنع بسواد أردية الحياء ، وجوه [5]الأنوار و الضياء[5] /٤٤

١٠ [قال ابن هبيرة : قال المبرد : سلطان السمع فى الليل و سلطان البصر فى النهار -[6]] .

و لما كان التقدير : فمن حكمته جعل لكم السمع و الأبصار ، [7]لتتدبروا آياته ، و تتبصروا[7] فى مصنوعاته ، عطف عليه : ﴿و من رحمته﴾ أى التى وسعت كل شىء لا من غيرها من خوف أو رجاء أو تعلق ١٥ غرض من الأغراض ﴿ جعل لكم الّيل و النهار ﴾ آيتين عظيمتين دبر فيهما[8] و بهما جميع[9] مصالحكم ، و ادخر معظم رحمته[10] إلى الآخرة ،

---

(١) فى ظ و مد : مشيرا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) فى ظ : بما (٤) فى ظ : تتسع (٥ - ٥) فى ظ : الاحرار و الصبا - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) فى ظ و مد : لتدبر و آياته و تبصروا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد .

ومحا[1] آية الليل ﴿لتسكنوا فيه﴾ أى فلا تسعوا فى معاشكم ﴿و﴾ جعل آية النهار مبصرة[2] ﴿لتبتغوا من فضله﴾ بأن تسعوا فى معاشكم بجهدكم، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا السكون دليلا على حذف السعى فى المعاش ثانيا، والابتغاء ثانيا دليلا على حذف عدم السعى فى المعاش أولا.

ولما ذكر هذه النعمة التى أسبغها من هذه الرحمة، وذكر علة ٥ جعله لها على الصفة المذكورة، ذكر علة أخرى هى المقصودة بالذات لأنها نتيجة السمع والبصر اللذين[3]، قدم الحث على استعمالهما فقال: ﴿ولعلكم تشكرون ٥﴾ أى وليكون حالكم حال من يرجى منه الشكر بما يتجدد لكم بتقلبهما من النعم المتوالية المذكورة بالمنعم[4]، وبما دبر لكم رفقا بكم فيما كفلكم[5] به فى دار الأسباب [6]من أمر[6] المعاش والمعاد من ١٠ الراحة بالسكون إثر[7] ما أفادكم من الارباح والمنح بالانتشار والتقلب، وأما الآخرة فلما كانت غير مبنية على الأسباب. وكان الجنة لا تعب فيها بوجه [من الوجوه - [8]]، كان لاحاجة فيها إلى الليل.

ولما ذكر ما للفلح من الرجاء فى يوم الجزاء، وأتبعه الإعلام بان الهداية إلى الفلاح إنما هى به، ودل على ذلك إلى أن ذكر أيام ١٥ الدنيا المشتملة على [9]الليل و[9] النهار على وجه دال على وحدانيته، معلم بالقدرة

---

(١) من مد، وفى الأصل وظ: مجىء (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) من مد، وفى الأصل وظ: الذين (٤) فى ظ ومد: بالنعم (٥) فى ظ ومد: كلفكم.
(٦-٦) فى ظ ومد: فى دارى (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: كاثو - كذا.
(٨) زيد من ظ ومد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.

على البعث بعد الموت بتكرير إيجاد كل من الملوين بعد إعدامه و تكرير إماتة الناس بالنوم، ثم نشرهم باليقظة، و ختم ذلك بالشكر إشارة إلى أنه سبب الفلاح، عاد إلى يوم الجزاء الذى تظهر فيه ثمرة ذلك كله، مقرعا على الإشراك مع ظهور هذه[1] الدلائل على التوحيد، و عدم شبهة ٥ قائمة على الشرك غير محض التقليد. فقال منبها على عجزهم عن البرهان عند استحقاق البرهان فى يوم التناد، لمحضر من الأشهاد، مع ما فيه من التأكيد للتهويل بالتكرير، و التاطيد[2] للتهليل و التقرير[3]: ﴿و يوم يناديهم﴾ أى هؤلا الذين يظنون أنهم معجزون ﴿فيقول﴾ بلسان الغضب [4]و الاخزاؤ[4] و التوبيخ و قد جمعوا جمعا: ﴿اين شركآءى﴾ وكرر الإشارة ١٠ إلى أن[5] إشراكهم إنما هو بالاسم لامعنى فيه أصلا فقال: ﴿الذين كنتم﴾ أى بغاية جهدكم حتى صار لكم ذلك لمكة ﴿تزعمون ٥﴾ بلا شبهة لكم فى ذلك عند التحقق[6] أصلا.

و لما ذكر الدليل الأول من الدليل على إبطال الشركة أن الشركاء لم يستجيبوا لهم، و لا كانت لهم قدرة على نصرهم و لا نصر أنفسهم، ١٥ و كان ربما قيل: إن ذلك الشيء عن العجز، دل هنا على الإشراك لا شبهة دليل[5] فقال [صارفا القول إلى مظهر التكلم بأسلوب العظمة لأنه مجرد فعال -[7]] ﴿و نزعنا﴾ أى أفردنا بقوة و سطوة ﴿من كل امة شهيدا﴾

(١) سقط من ظ و مد (٢) أى التوطيد، و وقع فى الأصل: التاكيد، و فى ظ: التاطنه، و أثبتناه هو من مد (٣) فى ظ: التقدير (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) سقط من مد (٦) فى ظ ومد: التحقيق (٧) زيد من ظ ومد.

أى

أى و هو رسولهم، فشهد عليهم بأعمالهم و ما كانوا فيه من الارتباك فى أشراك الإشراك .

و لما تسبب عن ذلك سؤالهم عن[1] سندهم فى إشراكهم قال[2] : /﴿فقلنا﴾ أى للأمم : ﴿هاتوا برهانكم﴾ أى دليلكم القطعى الذى فزعتم /٤٥ فى الدنيا إليه، و عولتم فى شركم عليه، كما هو شأن ذوى العقول أنهم ٥ لا يبنون شيئا على غير أساس ﴿فعلموا﴾ بسبب [هذا - [3]] السؤال لما اضطروا [4] ففتشوا و [4]اجتهدوا فلم يجدوا لهم سندا أصلا ﴿ان الحق﴾ أى[5] فى الإلهية ﴿لله﴾ اى الملك الاعلى[5] الذى له الأمر كله و لا مكافئ[6] له، لا شركة لشىء معه ﴿و ضل﴾ أى غاب و بطل غيبة الشىء الضائع ﴿عنهم ما كانوا﴾ أى كونا [7]هو كالجبلة لهم[7] ﴿يفترون ع﴾ ١٠ أى يقولونه قول الكاذب المتعمد للكذب لكونه لا دليل عليه و لا شبهة موجبة للغلط فيه .

و لما دل على عجزهم فى تلك الدار . و علمهم أن المتصرف فى جميع الأقدار، إنما هو الواحد القهار، دل على أن ذلك له[5] أيضا فى هذه الدار بوقوع العلم به بإهلاك أولى البطر، و المرح و الأثر، من غير أن ١٥ يغنوا عمن اضلوا، أو يغنى عنهم من أضلهم من ناطق، و ما اضلهم من

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : على (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : فقال.
(٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد . و فى الأصل : فيبسوا أو .
(٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : يكافى (٧ - ٧) فى ظ و مد : هم راسخون فيه .

صامت، تطبيقا لعموم " و كم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها " على بعض
الجزئيات، تخويفا لمن كذب النبي صلى الله عليه و سلم، لا سيما من
نسبه إلى السحر، و إعلاما بأن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام يقاطعون
الأشقياء و إن[1] كانوا أقرب الأقرباء، لأنه سبحانه عذب قارون[2] و من
٥ كان معه بعذاب لم يسبقهم فيه أحد، و هم من بنى إسراءيل و من أقرب
بنى إسراءيل إلى موسى عليه الصلاة و السلام، فعلم كل من كان اغتر
بما أوتيه[3] [أن - [4]] الحق لله فى كل ما دعت إليه رسله، و نطقت به
كتبه، و ضل عنهم ما كانوا يفترون، [و لم يغن عنهم شيئا ما اعتمدوا
عليه، فكان معبودهم فى الحقيقة مما جمعوه[5] من حطام الدنيا فاعتقدوا أنهم
١٠ نالوا به السعادة الدائمة و العز الباقى، فكان مثله - كما يأتى فى التى بعده -
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا - [4]]. و كل[6] ذلك بمرأى من موسى عليه
الصلاة و السلام[7] حين كذبه و نسبه إلى السحر و تكبر عليه، فلم
يسأل الله تعالى فيه لخروجه باستكباره من الوعد بالمنة على الذين استضعفوا
[فى الأرض - [8]]، و كان ذلك العذاب الذى [عذبوا به من جنس
١٥ ما - [4]] عذب به فرعون فى الصورة من حيث أنه تغييب و إن كان
ذلك فى مائع، و هذا فى صلب جامد. ليعلم أنه قادر على ما يريد، ليدوم

---

(١) سقط من مد (٢) فى ظ و مد: قرون (٣) فى ظ و مد: اوتيته.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: جمعوهم (٦) فى ظ و مد: كان (٧) زيد
فى ظ و مد: فعلم كل من كان اغتر بما أوتيه أن الحق لله فى كل
ما دعت إليه رسله.

منه الحذر، فيما سبق[1] منه القضاء و القدر، و نزع موسى عليه الصلاة و السلام من كل سبط من أسباط بنى إسراءيل شهيدا من عصيهم و قال لهم: هاتوا برهانكم [فيها -[2]]، فعلموا بإبراق عصا هارون عليه الصلاة و السلام دون عصيهم أن الحق لله فى أمر الحبورة و[3] فى جميع أمره فقال: ﴿ان قارون﴾ و يسمى فى التوراة قورح، ثم بين سبب التأكيد ٥ بقوله: ﴿كان﴾ أى كونا متمكنا ﴿من قوم موسىٰ﴾ تنبيها على أنه جدير بأن ينكر[4] كونه كذلك لأن[5] فعله معهم لايكاد يفعله أحد[6] مع قومه، و ذلك أنه كان من الذين آمنوا به و قلنا فيهم "و نريد ان نمن [7]على الذين[7]" - إلى آخره، لأنه ابن [8]عم موسى عليه الصلاة و السلام[8] [على ما -[9]] حكاه أبو حيان[10] و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿فبغىٰ عليهم ص﴾ ١٠ أى تجاوز الحد فى احتقارهم بما خولناه فيه من هذا الحطام المتلاشى، و العرض الفانى، فقطع ما بينه و بينهم من الوصلة، و وصل ما بينه و بين فرعون و أضرابه[11] من الفرقة، /[12]فأخرجه ذلك من حوزة المنة و الأمانة و الوراثة إلى دائرة الهلاك و الحقارة[12] و الخيانة، كما بغى عليهم فرعون؛ ٤٦/ و كان أصل 'بغى' هذه: أراد، لكن لما كان العبد لاينبغى أن يكون ١٥

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: يسبق (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: منكر (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨-٨) فى ظ: عمه. (٩) زيد من مد (١٠) راجع البحر المحيط ٧/١٣١ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اصوابه (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من مد.

له إرادة، بل الإرادة لسيده كما نبه عليه "ما كان لهم الخيرة"، جعلت إرادته تجاوز[1] الحد، وعديت[2] بـ "على" المقتضية للاستعلاء تنبيها على خروجها عن أصلها.

ولما ذكر بغيه، ذكر سببه الحقيق، فقال: ﴿وءاتينه﴾ أي ومع ٥ كوننا أنعمنا عليه بجعله من حزب أصفيائنا آتيناه بعظمتنا ﴿من الكنوز﴾ أي الأموال المدفونـــة المدخرة[3]، فضلا عن الظاهرة التي هي[1] بصدد الإنفاق منها لما عساه يعرض من المهمات ﴿مآ﴾ أي الذي أو شيئا كثيرا لا يدخل تحت حصر حتى ﴿ان مفاتحه﴾ أي مفاتح الأغلاق[4] التي هو مـــدفون فيما وراء أبوابها ﴿لتنوٓأ﴾ أي تميل بجهد ومشقة لثقلها ١٠ ﴿بالعصبة﴾ أي الجماعة الكثيرة التي[5] يعصب - أي يقوى - بعضهم بعضا، وفي المبالغة بالتعبير بالكنوز والمفاتيح والنوء والعصبة الموصوفة ما يدل على أنـه أوتي من ذلك ما لم يؤته أحد ممن هو في عداده، وكل ذلك مما تستبعده[6] العقول، فلذلك وقع[7] التأكيد ﴿اولى القوة ق﴾ أي تميلهم من أثقالها إياهم، والنوء: الميل، قال الرازي: والنوء: الكوكب ١٥ مال[8] عن العين عند[9] الغروب، يقال: ناء بالحمل - إذا نهض به مثقلا، وناء به الحمل - إذا أماله لثقله.

(١) سقط من ظ (٢) في ظ ومد: عدت (٣) في ظ ومد: المذخورة. (٤) في ظ: الارزاق (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: الذين (٦) في ظ ومد: تبعده (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: ومع (٨) في ظ: قال (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: عنه.

و لما ذكر بغيه[1]، ذكر وقتــه، و الوقت قد يكون واسعا كما
تقول[2]: جرى كذا عام[3] كذا، و فيه التعرض للسبب القريب فقــال:
﴿ اذ قال له ﴾ [4]و قال[4]: ﴿ قومه ﴾ إشارة إلى تناهي بغيه بافتخاره
وكبره على أقاربه الذين جرت العادة أن لا يغضب كلامهم و لا يورث
التعزز عليهم و لا يحمل إلا على النصح و الشفقة، و ساغت نسبة القول ٥
للكل [5]و إن[5] كان القائل البعض، بدليل ما يأتي، إما عدا للساكت
قائلا لرضاه[6] به لأنه[7] مما لا يأباه أحد، و إما لأن أهل الخير[8] هم
الناس، و من عداهم عدم: ﴿ لا تفرح ﴾ أي لا تسر سرورا يحفر في
قلبك فيتغلغل فيه فيحرفك إلى الأشر و المرح، فان الفرح بالعرض
الزائل يدل على الركون إليه، و ذلك يدل على نسيان الآخرة، و ذلك ١٠
على غاية الجهل و الطيش و قلة التأمل للعواقب، فيجر إلى المرح فيجر
إلى الهلاك، قال الرازي: و من فرح بغير مفروح بـــه استجلب حزنا
لا انقضاء له. و عللوا نهيهم له بما يفهم أشد الشفقة و المحبة فقالوا مؤكدين
لاستبعاد من يرى تواصل النعم السارة على أحد أن يكون غير محبوب:
﴿ ان الله ﴾ أي الذي له صفات الكمال فلا شيء أجل منه، فبه ينبغي[9] ١٥
أن يفرح ﴿ لا يحب ﴾ أي لا يعامل معاملة المحبوب ﴿ الفرحين ۝ ﴾ أي

---

(١) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٢) في الأصل: يقول (٣) في ظ و مد: عرض (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥ - ٥) في ظ و مد: فان (٦) من ظ و مد، و في الأصل: لمرضاه. (٧) سقط من مد (٨) سقط من ظ و مد (٩) في ظ و مد: فينبغي.

الراسخين فى الفرح بما يفنى، فان فرحهم يدل على سفول الهمم .

و لما كان ترك الفرح سببا للزهد، و هو سبب القرب[1] إلى الله، كان كأنه قيل : و ازهد فيه إن الله يحب الزاهدين ﴿ و ابتغ ﴾ أى اطلب طلبا تجهد[2] نفسك فيه ﴿فيمآ اتٰىك الله﴾ أى الملك الأعظم[3] الذى له

٤٧ / ٥ الأمر / كله من هذه الأموال حال تمكنك ﴿ الدار الأخرة ﴾ بانفاقه فيما يحبه[4] الله [5]بحيث يكون ابتغاؤك ذلك مظروفا له فيكون كالروح و المؤتى كالجسد ليكون حيا بذلك الابتغاء، فلا يكون منه شىء بغير حياة[5]، فان فعلك لذلك يذكرك أن هذه الدار دار [6]قلعة و[6] ارتحال، وكل ما فيها إلى زوال، و ذلك يوجب الزهد فى جميع ما فيها من

١٠ الأموال .

و لما كان ذلك شديد المشقة على النفوس مع ما فيه من شائبة الاتهام قالوا : ﴿و لا تنس﴾ أى تترك ترك الناسى ﴿نصيبك من الدنيا﴾ ترك المنسى، بل استعمل المباحات من المآكل و الملابس و المناكح و المساكن و ما يلائمها، و ليكن استعمالك لذلك - كما دل عليه السياق -

١٥ من غير إسراف و لا مخيلة توجب ترك الاتصاف بالإنصاف[7]؛ و عن

---

(١) فى ظ و مد : للبذل المقرب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : تحمد .
(٣) زيد فى ظ و مد : اى (٤) من ظ ، و فى الأصل : حبه ، و فى مد : يحب .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) سقط من ظ .

على رضى الله عنه: و لا تنس صحتك و قوتك و نشاطك و غناك أن تطلب به الآخرة.

و لما أطلق له الاقتصاد فى التمتع بالزاد، و كانت النفس مجبولة على الشره، فاذا أذن لها [1]من الدنيا فى نقير[1] جعلته أكبر[2] كبير، أتبعوا ذلك ما لعله يكف من شرهها[3] فقالوا: ﴿ و احسن ﴾ أى أوقع الإحسان ٥ بدفع المال إلى المحاويج، و الإنفاق فى جميع الطاعات ﴿ كمآ احسن الله ﴾ أى[3] الجامع لصفات الكمال، المتردى رداء العظمة و الجلال ﴿ اليك ﴾ بأن تعطى عطاء من لا يخاف الفقر كما أوسع عليك.

و لما كانت النفس من شأنها إن لم تزم بزمام الشرع [4]الإسراف و الإجحاف[4]، قالوا: ﴿ و لا تبغ ﴾ أى لا ترد[5] إرادة ما ﴿ الفساد فى الارض[5] ﴾ ١٠ بتقتير و لا تبذير، و لا تكبر على عباد الله و لا تحقير؛ ثم أتبع ذلك علته مؤكدا لأن أكثر المفسدين يبسط لهم فى الدنيا، و أكثر الناس يستبعد أن يبسط فيها لغير محبوب، فقيل: ﴿ ان الله ﴾ أى العالم بكل شىء، القدير[6] على كل شىء ﴿ لا يحب المفسدين ﴾ أى لا يعاملهم معاملة من يحبه، فلا يكرمهم. ١٥

و لما كان[7] مما[8] قالوه أن الذى أعطاه ذلك إنما[9] هو الله، و كان قد

(١ - ١) فى مد: فى نقير من الدنيا (٢) سقط من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: شرها (٤ - ٤) فى ظ: الاشراف و الالحاف - كذا. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تر (٦) فى مد: القادر (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: كانوا (٨) فى ظ: بما (٩) سقط من مد.

أبطرته النعمة حتى على خالقه [حتى - [1]] حصل التشوف إلى جوابه فقيل فى أسلوب التأكيد لأن كل أحد يعلم من نفسه العجز، و أن غيره ينكر عليه فيما يدعى أنه حصله بقوته: ﴿ قال انمآ اوتيته ﴾ أى هذا المال ﴿على علم﴾ حاصل ﴿ عندى ﴾ فأنا مستحق لذلك، و ذلك

٥ العلم هو السبب [2] فى حصوله [2]، لا فضل لأحد علىّ فيه - بما يفيده التعبير بانما، و بناء الفعل للمجهول إشارة إلى عدم علمه بالمؤتى من هو، و قد قيل: إن ذلك العلم هو [3] الكيمياء .

و لما كان التقدير: ألا يخاف أن يسلبه الله - عقوبة له على هذا - علمه و ماله [و نفسه - [1]] ؟ ألم يعلم أن ذلك إنما هو بقدرة الله ؟ لاصنع

١٠ له فى الحقيقة فى ذلك أصلا، لأن الله قد أفقر من هو أجل منه حيلة و أكثر علما، و أعطى أكثر منه من لاعلم له و لا قدرة، فهو قادر على إهلاكه، و سلب ما معه [4] و إفنائه، كما قدر على إيتائه [5]، عطف عليه قوله منكرا عليه: ﴿ او لم يعلم ان الله ﴾ أى بما له من صفات الجلال [6] و العظمة و الكمال ﴿ قد اهلك ﴾ و نبه على أنه لم يتعظ مع مشاهدته

١٥ للمهلكين الموصوفين مع قرب الزمان بادخال 'من' فى قوله: ﴿من قبله﴾ و لو حذفها لاستغرق الإهلاك على ذلك الوصف جميع ما / تقدمه من /٤٨

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ ومد: لحصوله (٣) سقط من ظ و مد .
(٤) زيد فى الأصل: و اهلاكه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٥) من مد، و فى الأصل و ظ: افنائه (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: الجمال .

الزمان ﴿من القرون﴾ أى الذين[1] هم فى الصلابة كالقرون ﴿من هو اشد منه﴾ أى قرون ﴿قوة﴾ أى فى البدن، و المعانى من العلم و غيره، و الأنصار و الخدم ﴿و اكثر جمعا﴾ فى المال و الرجال، آخرهم فرعون الذى شاوره[2] فى ملكه، و حقق أمره يوم [مهم -[3]] هلكه، و كان يستعبده أمثاله و يسومهم سوء العذاب، و لم[4] يعاملهم معاملة من يحبه و لا امتنع ٥ عليه ذلك لعلم عند أحد منهم و لا جمع، [5]بل أخذهم لبغيهم و قبح تقلبهم و سعيهم[5].

و لما كانت عادة أهل الدنيا أنهم إذا غضبوا من أحد فارادوا إهلاكه عاتبوه، فتارة يحلف على نفى الذنب فيقبل منه و إن كان كاذبا، و تارة يكشف الحال عن [أن -[3]] باطن أمره على خلاف ما ظهر من شره، ١٠ فيكون له عذر خفى، أشار سبحانه إلى أن ذلك لايفعله إلا جاهل بحقائق الأمور و مقادير ما يستحق على كل ذنب من العقوبة، و أما المطلع على بواطن الضمائر و خفايا السرائر فغنى عن[6] ذلك، فقال تعالى ذاكرا لحال المفعول و هو "من": ﴿و لا﴾ أى أهلكهم و الحال أنهم لايسألون - هذا الأصل، ولكنه قال: ﴿يسئل﴾ أى من سائل ما ﴿عن ذنوبهم المجرمون ﴾ ١٥ فأظهر لإفادة أن الموجب للاهلاك الإجرام، و هو قطع ما ينبغى

---

(١) فى ظ : الذى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : شاهده (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى مد : لا (٥-٥) فى ظ : على أحدهم، و فى مد : بل اخذهم لبغيهم.
(٦) فى ظ : من .

وصله[1] بوصل ما ينبغي قطعه، ولهذا[2] سبب[3] وعقب عن وعظهم الحسن وجوابه الخشن قوله سبحانه دليلا على إجرامه، وطغيانه في آثامه: ﴿فخرج على قومه﴾ أي الذين نصحوه[4] في الاقتصاد في شأنه، والإكثار في الجود على إخوانه، ثم ذكر حاله معظما لها بقوله:

٥ ﴿في زينته﴾ أي التي تناسب ما ذكرنا من أمواله، وتعاظمه في كماله[5]، من أفعاله وأقواله.

ولما كان كأنه قيل: ما قال قومه؟ قيل: ﴿قال الذين يريدون﴾ أي هم بحيث يتجدد منهم أن يريدوا ﴿الحيوٰة الدنيا﴾ منهم لسفول الهمم[6] وقصور النظر على الفاني، لكونهم أهل جهل وإن كان قولهم من

١٠ باب الغبطة لا من الحسد الذي هو تمني زوال نعمة المحسود: ﴿يٰليت لنا﴾ أي نتمنى تمنيا عظيما أن نؤت من أيّ مؤت كان وعلى أيّ وجه كان ﴿مثل ما اوتى قارون لا﴾ من هذه الزينة وما تسببت[7] عنه من العلم، حتى لا نزال أصحاب أموال؛ ثم عظموها بقولهم مؤكدين لعلمهم أن من يريد الآخرة ينكر عليهم: ﴿انه لذو حظ﴾ أي نصيب

١٥ وبخت في[8] الدنيا ﴿عظيم ه﴾ بما أوتيه[9] من العلم الذي كان سببا له إلى جميع هذا المال، ودل على جهلهم وفضل العلم الرباني وحقارة ما

---

(١) زيد في ظ: ما (٢) في ظ: كهذا (٣) في مد: سببه (٤) في مد: فضحوه (٥) في ظ ومد: حاله (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: الهم (٧) في ظ ومد: تسبب (٨) في ظ ومد: من (٩) في ظ ومد: اوتيه.

أوتى قارون من المال و العلم الظاهر الذى أدى إليه باتباعه قوله : ﴿ و قال الذين ﴾ و عظم الرغبة فى العلم بالبناء للفعول إشارة إلى أنه نافع بكل اعتبار [و باعتبار الزهد، و بالتعبير عن أهل الزهد به - [1]] فقال : ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى من قومه ، فشرفت [2] أنفسُهم عن إرادة الدنيا علما بفنائها، زجرا لمن تمنى [3] مثل حاله ، و شمرا [4] إلى الآخرة لبقائها : ٥ ﴿ ويلكم ﴾ أى عجبا لكم، أو حل بكم الشر حلولا ، و أصل ُويل ، وى [5] قال الفراء : جىء بلام الجر بعدها مفتوحة مع المضمر نحو وى لك ، و [6] وى له ، أى عجبا لك و له ، ثم خلط اللام بوى لكثرة [7] الاستعمال حتى صارت كلام الكلمة فصار معربا باتمامه ثلاثيا ، فجاز أن يدخل بعدها ُلام [8] أخرى فى نحو ويلا لك ، لصيرورة الأول لام الكلمة ، ثم نقل ١٠ إلى باب المبتدأ / فقيل : ويل لك ، و هو باق على ما كان عليه فى حال / ٤٩ النصب إذ الأصل فى ويل لك : هلكت ويلا ، أى هلاكا ، فرفعوه بعد حذف الفعل [9] نقضا لغبار [9] الحدوث ، و قيل : أصل ويل الدعاء بالهلاك ، ثم استعمل فى الزجر و الردع و البعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك - و أصله الدعاء على الرجل - فى الحث على الفعل ، ١٥ فكأنهم [10] قالوا : ما [11] لنا يحل بنا الويل ؟ فأخبروهم بما ينبغى معرضين

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : فشرف (٣) فى ظ و مد : تميز (٤) فى ظ و مد : سمعوا (٥) فى ظ و مد : ويه (٦) فى ظ و مد : او (٧) فى ظ و مد : الكثرة (٨) فى مد : لاما (٩ - ٩) فى ظ و مد : حال النصب نقضا لغبار . (١٠) فى ظ : وكانهم (١١) فى ظ : بما .

عما[1] استحقوا به الويل من التمنى، تحقيرا لما استفزهم حتى قالوه فقالوا: ﴿ ثواب الله ﴾ أى الجليل العظيم ﴿ خير ﴾ أى من هـذا الحطام، و من فاته[2] الخير حل به الويل؛ ثم بينوا مستحقه[3] تعظيما له و ترغيبا للسامع فى حاله فقالوا: [4]﴿ لمن ءامن و عمل ﴾[4] أى تصديقا لإيمانه
٥ ﴿ صالحا ج ﴾ ثم بين سبحانه عظمة هذه النصيحة و علو قدرها بقوله مؤكدا لأن أهل الدنيا ينكرون كونهم[5] غير صابرين: ﴿ و لا يلقّىٰهآ ﴾ أى[6] لا يجعل[6] لاقيا لهذه الكلمات أو النصيحة التى قالها أهل[7] العلم، أى عاملا بها ﴿ الا الصّٰبرون ﴾ أى على قضاء ربهم فى السراء و الضراء، و الحاملون أنفسهم على الطاعات الذين صار الصبر لهم خلقا، و عبر بالجمع ترغيبا
١٠ فى التعاون إشارة إلى [أن - [8]] الدين لصعوبته لا يستقل به الواحد.

و لما تسبب عن نظره هذا الذى أوصله إلى الكفر بربه أخذه بالعذاب، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿ فخسفنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ به و بداره ﴾ أى و هى على مقدار ما ذكرنا من عظمته بأمواله و زينته، فهى أمر عظيم، تجمع خلقا كثيرا و أثاثا عظيما، لئلا يقول
١٥ قائل: إن الخسف به كان للرغبة فى أخذ أمواله ﴿ الارض قف ﴾ و هو من قوم موسى عليه الصلاة و السلام و قريب منه جدا - على ما نقله

---

(١) فى ظ: بما (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ماية (٣) فى ظ: لمستحقه، والعبارة من بعده إلى «بين سبحانه» ساقطة من ظ ومد (٤-٤) وقع ما بين الرقمين فى ظ و مد بعد «خير» (٥) فى ظ و مد: انهم (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٨) زيد من ظ و مد.

أهل

أهل الأخبار - فإياكم يا أمـــة هذا النبي أن تردوا ما آتاكم من الرحمة برسالته فتهلكوا وإن كنتم أقرب الناس إليه فان الأنبياء كما أنهم[1] لا يوجدون الهدى فى قلوب العدى، فكذلك[2] لا يمنعونهم[3] من الردى ولا يشفعون لهم أبدا، إذا تحققوا أنهم من أهل الشقا ﴿ فما ﴾ أي فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ كان له ﴾ أي لقارون، وأكد النفي - لما استقر ٥ فى الأذهان أن الأكابر منصورون - بزيادة الجار فى قوله: ﴿ من فئة ﴾ [4]أي طائفة من الناس يكرون عليه بعد أن هالهم ما دهمه، وأصل الفئة الجماعة من الطير - كأنها سميت بذلك لكثرة رجوعها وسرعته[5] إلى المكان الذى ذهبت منه ﴿ ينصرونه ﴾.

ولما كان الله تعالى أعلى من كل شيء قال: ﴿ من دون الله ﴾ ١٠ أي الحائز لصفات الكمال، المتردى بالعظمة والجلال، لأن من كان على مثل رأيه هلك، ومن كان من أولياء الله راقب الله فى أمره، فلم يسألوا الله فيه، وعلم هو أن الحق لله، وضل عنه[6] - كما فى الآية التى قبلها - ما كان يفترى ﴿ وما كان ﴾ أي هو ﴿ من المنتصرين ﴾ لأنفسهم بقوتهم. ولما خسف به فاستبصر الجهال الذين هم كالبهائم ١٥ لا يرون إلا المحسوسات، عبر عن حالهم بقوله: ﴿ واصبح ﴾ أي[7]

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: انه (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: فلذلك.
(٣) من مد، وفى الأصل: لا يمتنعوهم، وفى ظ: لا يمنعوهم (٤) العبارة من هنا إلى « ذهبت منه » ساقطة من مد (٥) من ظ، وفى الأصل: سراعة.
(٦) من مد، وفى الأصل وظ: عنهم (٧) سقط من ظ.

و صار، و لكنه عبر به لمقابلة الأمس، و إعلاما بأن ما رأوا من حاله ملأ صدورهم فلم يكن لهم هم سواه ﴿ الذين تمنوا ﴾ أى أرادوا إرادة عظيمة بغاية الشغف[١] أن يكونوا ﴿ مكانه ﴾ أى يكون[٢] حاله و منزلته فى الدنيا لهم[٣] ﴿ بالامس ﴾ أى الزمان الماضى القريب و إن لم يكن ٥ يلى يومهم الذى هم فيه من قبله ﴿ يقولون ويكأن ﴾ هذه الكلمة[٤] / و التى بعدها متصلة باجماع المصاحف، و عن الكسائى أنه يوقف على الياء من[٣] وى، و عن أبى عمرو أنه يوقف على الكاف : ويك، قال الرضى فى شرح الحاجبية : وى للتندم أو للتعجب، ثم قال : و هو عند الخليل و سيبويه 'وى' للتعجب، ركبت مع 'كأن' التى للتشبيه، و قال الفراء : كلمة ١٠ تعجب ألحق بها كاف الخطاب نحو ويك عنتر أقدم، [٥]أى من[٥] قوله فى قصيدته الميمية المشهورة إحدى المعلقات السبع :

و لقد شفى نفسى و أبرأ سقمها   قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

أى ويلك [و - [٦]] عجبا منك، و ضم إليها 'أن' فالمعنى : ألم تر أنه، و نقل ابن الجوزى هـذا عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال الفراء : ١٥ و لما صار معنى[٣] ويكأن ألم تر، لم تغير كاف الخطاب للمؤنث و المثنى و المجموع بل لزم حالة واحدة، و قال الجعبرى فى شرح الشاطبية : وى صوت يقوله المتندم و المتعجب[٧]، و ويك أصله ويلك. حـذفت

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : السعف (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ و مد (٤) و راجع لهذا المبحث البحر المحيط ٧/١٣٥ أيضا (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل : فى (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى ظ و مد : و المثنى و المجموع بل لزم حالة واحدة.

[1] لامه تخفيفا [1] لكثرة دوره ؛ و الكاف للخطاب و فتحت [2] "أن" لإضمار العلم ؛ و قال قطرب : لتقدير اللام ، و نشأ [3] من التركيب معنى : ندمنا على تفريطنا ، و تعجبنا [4] من حالنا ، و تحققنا خلاف اعتقادنا ، و رسمت متصلة تنبيها على التركيب ، و قال القزاز فى ديوانه الجامع : ويك [5] كلمة ينبه بها الإنسان ، و قيل : معناها رحمة ، و وى معناها التنبيه و الإنكار ، و قال ٥ الإمام عبد الحق : وى كلمة تقال فى التعجب و الاستدراك ، و قيل : وى حزن ، و قال قطرب : وى كلمة تفجع - انتهى . و قال سيبويه فى باب ما ينتصب فيه الخبر بعد الأحرف الخمسة [6] : و سألت الخليل عن هذه الآية فزعم [7] أنها وى [7] مفصولة من كأن و المعنى وقع [8] على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نبهوا فقيل لهم : أما يشبه أن يكون ١٠ هذا عندكم هكذا [9] - و الله تعالى أعلم ، و أما المفسرون : فقالوا : ألم تر أن الله . فالمعنى الذى يجمع الأقوال حينئذ : تعجبا أو ويلا أو تندما على ما قلنا فى تبين [10] غلطنا ، و تنبيها على الخطأ ، أو هلاك لنا ، أو إنكار علينا ، أو حزن لنا ، أو تفجع علينا ، أو استدراك علينا ، أو رحمة لنا ، أو تنبه منا ، أو تنبيه لنا ، ثم عللوا ذلك بقولهم : أن الله ، أو يشبه [11] أن الله ، ١٥

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانه تخفيف (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : صحب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فنشا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعجيبا (٥) فى ظ و مد : وى (٦) راجع كتابه ١ / ٢٩٠ . (٧-٧) فى مد : ان وى ، و فى الكتاب : انها (٨) ليس فى الكتاب (٩) فى ظ : هذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : تبيين (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتشبيه .

أو ألم تر أيها السامع و الناظر أن الله، و قال الرازي : [1]اسم سمي به القول، أي أعجب، و معناه التنبيه ؛ ثم ابتدأ كأن ﴿ الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الأمر كله ﴿ يبسط الرزق ﴾ أي الكامل ﴿ لمن يشآء ﴾ سواء كان عنده ما يحتال به على الرزق أم لا .

٥ و لما كانت القصة لقارون، و كان له من المكنة في الدنيا ما مضى ذكره، و كانت العادة جارية بأن مثله يبطر و قد يؤدي إلى تأله[2]، قال منبها بالإيقاع به على الوجه الماضي أنه من جملة عبيده، لا فرق بينه و بين أضعفهم بالنسبة إلى قدرته : ﴿ [3]من عباده[3] ﴾ .

و لما دل على أن البسط إنما هو منه، أتبعه قوله دليلا آخر[4]

١٠ على ربوبيته : ﴿ و يقدر ج ﴾ أي يضيق على من يشاء سواء كان فطنا أم لا، لا يبسطه لأحد لكرامته عليه، و لا يضيق [5]على أحد[5] لهوانه عنده، و لا يدل البسط و القبض / على هوان و لا كرامة، و هذا دليل على أنهم ظنوا صحة قول قارون أنه أوتيه[6] على علم عنده، و أنهم إنما تمنوا عله الذي يلزم منه على اعتقادهم حصول المال على كل حال .

/ ٥١

١٥ و لما لاح لهم من واقعته أن الرزق إنما هو بيد الله، أتبعوه ما دل على أنهم اعتقدوا أيضا[7] أن الله قادر على ما يريد من غير الرزق كما

---

(١) زيد في الأصل : راى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) في ظ و مد : تأنفه (٣-٣) تقدم ما بين الرقمين في ظ و مد على «و لما كانت القصة» . (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ و مد، و في الأصل : لاحد (٦) في ظ : اوتيته (٧) زيد بعده في الأصل : على، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

هو قادر على الرزق من قولهم: ﴿ لولآ ان من الله ﴾ أى تفضل الملك الأعظم الذى استأثر بصفات الكمال ﴿علينا﴾ بجوده[1] ، فلم يعطنا ما تمنيناه من الكون على مثل حاله ﴿ لخسف[2] بنا[4] ﴾ مثل ما خسف به ﴿ ويكأنه ﴾ أى عجبا أو ندما لأنه، أو يشبه أنه، أو ألم تر أنه، قال الرضى فى شرح الحاجبية: كأن المخاطب كان يدعى أنهم يفلحون فقال ٥ لهم: عجبا منك، فسئل: لم تتعجب منه؟ فقال: لأنه - إلى آخره، فحذف حرف الجر مع "أن" كما هو القياس. ﴿ لايفلح ﴾ أى يظفر بمراد ﴿ الكفرون ﴾ أى العريقون فى الكفر لنعمة الله، و قد عرف بهذا تنزيل المعنى على ما قالوه فى المراد من ويكأنه، سواء وقف على وى أو ويك أو لا. ١٠

ذكر شرح هذه القصة: قال البغوى[3]: قال أهل العلم بالأخبار: كان قارون أعلم بنى إسراءيل بعد موسى عليه الصلاة و السلام و اقرأهم للتوراة و أجلهم و أغناهم فبغى و طغى، و كان أول طغيانه و عصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة و السلام أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة، فى كل طرف منها[4] خيطا أخضر بلون[5] السماء ١٥ [6]يذكرونى به[6] إذا نظروا إلى[7] السماء [8] و يعلمون أنى منزل منها كلامى،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بجودنا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: نخسف (٣) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/ ١٥١، و البقاعى سرد القصة ببعض الاختصار (٤) ليس فى ظ و مد و المعالم (٥) فى المعالم: كلون (٦-٦) من المعالم، و فى الأصل: يذكرون، و فى ظ و مد: يذكرون السماء (٧) من المعالم، و فى الأصول: اليها (٨) سقط من ظ و مد.

فقال موسى : يا رب ! أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا ، فان بنى إسراءيل تحتقر هذه الخيوط ، فقال له ربه : يا موسى ! إن الصغير من أمرى ليس بصغير ، فاذا[1] هم لم يطيعونى فى الأمر الصغير لم يطيعونى فى الأمر الكبير ، فدعاهم موسى يعنى فأعلمهم ففعلوا و استكبر قارون ، ٥ فكان هذا بدء عصيانه [2] و طغيانه [2] و بغيه ، فلما قطع موسى ببنى إسراءيل البحر جعل[3] الحبورة لهارون عليه السلام و هى رئاسة المذبح ، فكان بنو إسراءيل يأتون بهديهم[4] إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله ، فقال قارون : يا موسى ! لك الرسالة و لهارون الحبورة ، و لست فى شيء و أنا أقرأ التوراة ، [5] لا صبر لى على هذا ، فقال له موسى عليه الصلاة ١٠ و السلام : ما أنا بالذى جعلتها فى هارون و لكن الله جعلها له ، فقال قارون : و الله لا أصدقك حتى أرى بيانه ، يعنى فجمع موسى عصى الرؤساء فحزمها [6] و ألقاها فى قبته التى كان يعبد الله فيها و باتوا يحرسونها ، فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر ، وكانت من اللوز[7] ، فقال قارون : و الله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ، و ذكر أمورا مما ١٥ كان يتعظم [8] بها و أنه رمى موسى عليه الصلاة و السلام بعظيمة فحينئذ غار الله لموسى عليه الصلاة و السلام فخسف [9] به .

---

(١) فى المعالم : فاذ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد و المعالم (٣) فى المعالم : جعلت (٤) فى ظ : بهديتهم (٥) زيدت الواو فى الأصول ، و لم تكن فى المعالم فحذفناها (٦) فى ظ : نفرقها (٧) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : اللون (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتعجب (٩) سقط من ظ و مد .

و الذى رأيته أنا فى التوراة فى السفر الرابع[١] ما نصه: و كلم الرب موسى و قال له: كلم بنى إسراءيل و قل لهم: اعملوا خيوطا فى أطراف أرديتكم فى أحقابكم، و لتكن الخيوط التى تعملون فى أطراف / أرديتكم من حرير، و لتكن هذه الخيوط تذكركم وصايا الله لتعملوا[٢] بها / ٥٢ و لاتضلوا [٣]بما فى[٣] قلوبكم، و لاتتبعوا آراءكم، بل اذكروا جميع وصاياى ٥ و اعملوا بها، لتكونوا مقدسين لله ربكم، أنا الله [ربكم - [٤]] الذى أخرجتكم من أرض مصر، لايكون لكم إله غيرى، أنا الله ربكم. و من بعد هذه الأمور شق قورح - و هو اسم قارون [٥]بالعبرانية - بن[٥] يصهر ابن قاهث [٦] بن لاوى، و داثن و أبيروم ابنا أليب، و أون بن [٧]فلت بن روبيل[٧] العصى، و قاموا بين يدى موسى، و قوم من بنى إسراءيل عددهم ١٠ مائتان[٨] و خمسون رجلا من رؤساء الجماعة مذكورون مشهورون بأسمائهم أبطال، هؤلاء [أجمعون - [٤]] اجتمعوا إلى موسى و هارون و قالوا لهما: ليس[٩] حسبكما أن الجماعة كلها طاهرة و أنتما رئيسان عليها[١٠] حتى تريدا[١١] أن تتعظما على الجماعة كلها - أى يكون هارون هو الكاهن أى متولى

(١) راجع أواخر الأصحاح الخامس عشر (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: لتعلموا (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (٤) زيد من ظ و مد. (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد: قارث، و فى التوراة: قهات (٧ - ٧) فى التوراة: فالت بنو راوبين (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مائتا (٩) فى ظ: اليس (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عليهما (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: تريدان.

أمر القربان و الحكم على خدمة قبة الزمان ـ فسمع موسى ذلك و خر ساجدا على وجهه، و كلم قورح[1] و جماعته كلها فقال[2] لهم: سيظهر الرب و يبين لمن الكهنوت و الرئاسة بكرة، و من كان طاهرا فليتقرب[3] إليه. و من يختار الرب يتقرب، ثم أمرهم أن يقربوا قربانا ثم قال: يا بنى
٥ لاوى! أما[4] تكتفون بما اختاره الله لكم من كل جماعة بنى إسراءيل و قربكم إليه لتعملوا العمل فى بيت الرب و قربك أنت و جميع إخوتك[5] معك إلا أن تريدوا الكهنوت أيضا، فلذلك أنت و جماعتك كلها احتشدوا بين يدى الرب غدا، فأما هارون فمن هو حتى صرتم تقعون فيه و تتذمرون[6] عليه، و أرسل موسى ليدعو داثن[7] و أبيروم ابنى أليب
١٠ فقالا: لا نصعد إليك، أما تكتفيان بما صنعتما أنكما أخرجتمانا من الأرض التى تغل السمن و العسل لتقتلانا فى هذه البرية حتى تعظما علينا و تفخرا، فأما ما وعدتنا به أنك تدخلنا الأرض التى تغل السمن و العسل فما فعلت، و لم تعطنا مواريث المزارع و الكروم، فلو عميت أعيننا لم نصعد إليك. فشق ذلك على موسى جدا، و قال أمام الرب: لا تقبل قرابينهم
١٥ يا رب لأنى لم أظلم منهم رجلا و لا أسأت إلى أحد منهم، ثم قال لقورح: اجتمع انت و أصحابك أمام الرب و هارون معكم بكرة، [8]و ليأخذ كل منكم[8] مجمرته، و قام موسى و هارون أمام قبة الزمان و جمع قورح

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: قوروح (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: وقال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فليقرب (٤) زيد فى ظ و مد: ان. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اخوانك (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: تتدبرون (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: داير (٨ - ٨) فى مد: لتاخذوا.

الجماعة كلها، و ظهر مجد[1] الرب للجماعة كلها، و كلم الرب موسى و هارون
و قال لهما: تنحيا[2] عن هذه الجماعة فانى مهلكها فى ساعة واحدة، فخرا
ساجدين و قالا: اللهم أنت إله أرواح كل ذى لحم، [3]يجرم رجل واحد[3]
فينزل الغضب بالجماعة كلها؟ فكلم الرب موسى و قال له: كلم الجماعة
كلها و قل لهم: تنحوا عن خيم داثن و أبيروم و قورح[4]، تنحوا عن خيم ٥
هؤلاء الفجار، و لا تقربوا شيئا مما لهم لئلا تعاقبوا، و قال موسى: بهذه
الخلة تعلمون أن الرب أرسلنى أن أعمل هذه الأعمال كلها، و لم أعملها
من تلقاء نفسى. إن مات[5] هؤلاء مثل موت كل إنسان أو نزل بهم الموت
مثل ما ينزل بجميع[6] الناس فلم يرسلنى الرب، و إن فتحت الأرض فاها
[7]و ابتلعتهم[7] و ابتلعت كل شيء لهم نزلوا هم[8] و كل شيء لهم إلى الجحيم[9] ١٠
علمتم أن هؤلاء قد / أغضبوا الرب. فلما أكمل موسى قوله هذا انفتحت /٥٣
الأرض من تحتهم، و فغرت فاها فابتلعتهم و ابتلعت خيمهم و جميع
مواشيهم فنزلوا إلى الجحيم أحياء، ثم استوت الأرض فوقهم، و هرب
جميع بنى إسرائيل حيث سمعوا أصواتهم و رأوا ما قد صنع بهم، و قالوا:
لعل الأرض تبتلعنا أيضا، و اشتعلت نار من قبل الرب فأحرقت المائتين و ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بجر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: انتحيا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: قورروح (٥) فى ظ و مد: موت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: جميع. (٧ - ٧) فى مد: فابتلعتهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم (٩) زيد فى التوراة: أحياء.

و الخمسين رجلا[1] الذين كانوا يبخرون البخور[2]، و تذمر جماعة بنى إسراءيل من بعد ذلك اليوم على موسى و هارون فقالوا [3]لهما: أنتما قتلتما جماعة شعب الرب، فأقبلوا إلى قبة الزمان و رأوا أن السحاب قد تغشى القبة و ظهر مجد الرب، و أتى موسى و هارون فقاما فى قبة الزمان، و كلم ٥ الرب موسى و هارون[3] و قال لهما: تنحيا عن هذه الجماعة لأنى مهلكها فى ساعة واحدة، فخرا ساجدين على وجوههما، و قال موسى لهارون: خذ مجمرة بيدك و اجعل فيها نارا و[4] بخورا، و انطلق مسرعا إلى الجماعة و استغفر لهم لأنه[5] قد نزل غضب الرب بالجماعة كلها، و بدأ موت الفجأة بالشعب، و أخذ هارون كما أمره موسى فأحضر إلى الجماعة و رأى أن ١٠ الموت قد بدأ بالشعب، و بخر بخورا للرب و استغفر للشعب، و قام فيما بين الأموات و الأحياء، فكف موت الفجأة عن الشعب، وكان عدد الذين ماتوا فجأة أربعة عشر ألفا و سبعمائة رجل غير المخسوف بهم، و رجع هارون إلى موسى إلى قبة الزمان[6] فكلم الرب موسى و قال له: كلم بنى إسراءيل و خذ منهم عصا[7] عصا من كل سبط، و اكتب ١٥ [اسم -[8]] كل رجل على عصاه، و اكتب اسم هارون على عصا سبط لاوى، و اجعلها فى قبة الزمان أمام تابوت الشهادة لأنزل إليكم إلى

---

(١) من مد و التوراة، و فى الأصل و ظ: الرجل (٢) عندنا فراغ من آية ١م حتى آية ٤٠ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٥) فى ظ: لانهم (٦) و من هنا يبتدئ الأصحاح السابع عشر (٧) زيد فى مد: من (٨) زيد من التوراة.

هناك ، فالرجل الذى أحبه تنضر عصاه ، و أخلصكما[1] من هتار بنى إسرائيل و تذمرهم ؛ ثم دخل موسى خبأ الشهادة فرأى عصا هارون قد نضرت و أخرجت أغصانا[2] و أورقت و أثمرت لوزا[3] ، و أخرج موسى العصى كلها فنظروا[4] إليها ، و قال الرب لموسى : رد قضيب هارون إلى موضع الشهادة و احفظه آية لأبناء المتسخطين ليكف تذمرهم[5] عنى و لا يموتوا ، ٥ و لا يعمل عمل قبة الزمان غير اللاويين[6] - أى سبط لاوى ، فأما بنو إسرائيل - أى باقيهم - فلا يقتربوا[7] إلى قبة الزمان لئلا يعاقبوا و يموتوا[8] ؛ ثم ذكر وفاة هارون عليه السلام فى هور الجبل[9] و ولاية إليعازر ابنه مكانه أمر الكهنوت - انتهى . و هو نحو مما فعل الله لنبينا محمد صلى الله عليه و سلم فى حنين الجذع . و تخيير النبى صلى الله عليه و سلم له[10] أن ١٠ يعيده الله تعالى[11] إلى أحسن ما[12] كان و هو[13] حى أو يجعله فى الجنة ، فاختار أن يكون فى الجنة ، و كذا أمر سراقة بن مالك بن جعشم حيث لحقه صلى الله عليه و سلم فى طريق الهجرة ليرده فخسف بقوائم حصانه حتى نزل إلى بطنه ثلاث مرات غير أن النبى صلى الله عليه و سلم لما كان نبى الرحمة لم يكن القاضية ، فكفى بذلك شره . و أسلم بعد ذلك عام الفتح ، ١٥

---

(١) فى ظ : اخلصها ، و فى مد : اخلصهما (٢) فى ظ : اغصانها (٣) فى ظ ومد : اثمار اللوز (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فنظر (٥) من مد ، وفى الاصل وظ : ترميرهم (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : لاوين (٧) فى ظ ومد : فلايترقبوا . (٨) فى ظ ومد : لايموتوا (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : الحيلة . و راجع أواخر الأصحاح العشرين من السفر الرابع (١٠) فى ظ و مد : الى (١١) سقط من مد . (١٢) من مد . وفى الأصل وظ : مما (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هى .

و بشره النبي صلى الله عليه و سلم بأنه[١] يلبس سوارى كسرى فكان كذلك[٢]، و شر من الخسف الذى يغيب [به -[٣]] المخسوف به و أنكأ و أشنع و أخزى قصة الذى ارتد فقصم و دفن فلفظته الأرض - روى البيهقى فى آخر الدلائل عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :
٥ كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة و آل عمران، و كان يكتب لرسول الله / صلى الله عليه و سلم، فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب، فرفعوه[٤] و أعجبوا[٥] به، فما لبث أن قصم الله عنقه[٦] فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته [٧]على وجهها[٧] [[٨]- ثم [٩]عادوا فحفروا[٩] له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته [١٠]على وجهها[١٠]] فتركوه منبوذا،
١٠ و قال : رواه مسلم فى الصحيح[١١]، و عن أنس رضى الله عنه مثله أيضا فى رجل نصرانى لفظته الأرض ثلاث مرات ثم تركوه . و قال رواه البخارى فى الصحيح[١٢] .

/٥٤

و لما قدم سبحانه أن المفلح من تاب و آمن و عمل صالحا، و هو الذى أشار أهل العلم إلى أن له ثواب الله، و كان [١٣]ذلك للآخرة[١٣]

---

(١) فى ظ و مد : انه (٢) فى ظ : لذلك (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد فى صحيح مسلم : قالوا : هذا قد كان يكتب لمحمد (٥) فى ظ : عجبوا (٦) زيد فى الصحيح : فيهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، و مد و الصحيح (٩-٩) فى مد : حفروا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و موضعه فى مد : و هكذا (١١) راجع ٢ / ٣٧١ : صفات المنافقين و أحكامهم. (١٢) راجع ١ /٥١١ : علامات النبوة فى الإسلام - المناقب (١٣ - ١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذا هو الآخرة .

سيا و مسيا، و مر فيما لابد منه حتى ذكر قصة قارون المعرّفة[1] - ولابد - بأن[2] هـذه الدار للزوال، لايغنى فيها رجال و لا مال، و أن الآخرة للدوام، و أمر فيها [3]بأن يحسن[3] الابتغاء فى أمر الدنيا، و ختم بأن هذا الفلاح مسلوب عن الكافرين، فكان موضع استحضار الآخرة، مع أنه قدم [4]قريبا من ذكرها و ذكر موافقتها[4] ما ملأ[5] به الأسماع، فصيرها حاضرة ٥ لكل ذى فهم، معظمة عند كل ذى علم، أشار إليها سبحانه لـكلا الأمرين: الحضور و العظم[5]، فقال: ﴿تلك﴾ أى الأمر المنظور بكل عين، الحاضر فى كل قلب، العظيم الشأن، [البعيد - [6]] الصيت، العلى المرتبة، الذى سمعت أخباره، و طنت عـلى الآذان أوصافه و آثاره ﴿الدار الأخرة﴾ أى التى دلائلها[7] أكثر من أن تحصر[8]، و أوضح من ١٠ أن [9]تبين و تذكر[9]، من أعظمها تعبير كل أحد عن حياته بالدنيا و التى أمر قارون بابتغائها فأبى إلا علوا و فسادا ﴿نجعلها﴾ بعظمتنا ﴿للذين﴾ يعملون[10] ضد عمله.

و لما كان المقصود[11] الأعظم طهارة القلب الذى [12]عنه ينشأ[12] عمل الجوارح، قال: ﴿لا يريدون﴾ و لم يقل: يتعاطون - مثلا، ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المعروفة (٢) فى مد: من ان (٣-٣) فى مد: يحسن (٤ - ٤) فى ظ: قريبا من ذكر هذه و موافقها، و فى مد: هذا قريبا و ذكر من موافقها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المعظم (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى مد: دنيلها (٨) فى مد: يحصر (٩ - ٩) فى مد: يبين و يذكر. (١٠) فى ظ و مد: عملوا (١١) فى مد: القصد (١٢-١٢) فى ظ: ينشأ عنه.

تعظيما لضرر الفساد بالتنفير من كل ما[1] كان منه تسبب، إعلاما بأن النفوس ميالة إليه نزاعة له فهما رتعت قريبا منه اقتحمته لامحالة ﴿علوا﴾ أى شيئا من العلو ﴿فى الارض﴾ فانه أعظم جارّ إلى الفساد، و إذا أرادوا شيئا [2]من ذلك فيما يظهر لك[2] عند أمرهم بمعروف أو نهيهم
٥ عن منكر، كان مقصودهم به علو كلمة الله للامامة فى الدين لا علوهم ﴿و لا فسادا[3]﴾ بعمل ما يكره الله، بل يكونون على ضد ما كان فيه فرعون و هامان و قارون، من التواضع مع الإمامة لأجل حمل الدين عنهم ليكون لهم مثل أجر من اهتدى بهم، لا لحظ[3] دنيوى، و علامة العلو لأجل الإمامة لا الفساد [4]ألا يتخذوا[4] عباد الله خولا، و لامال الله
١٠ دولا، و الضابط العمل بما يرضى الله و التعظيم لأمر الله [5]و العزوف عن[5] الدنيا.

و لما كان هذا شرح حال الخائفين من جلال الله تعالى، أخبر سبحانه أنه[6] دائما يجعل ظفرهم آخرا، فقال معبرا بالاسمية دلالة على الثبات: ﴿و العاقبة﴾ أى الحالة الأخيرة التى تعقب جميع الحالات لهم
١٥ فى الدنيا و الآخرة، هكذا الأصل، و لكنه أظهر تعميما و إعلاما بالوصف الذى أثمر لهم ذلك فقال تعالى: ﴿للمتقين ه﴾ أى دائما فى كلا الدارين، لاعليهم، فمن اللام يعرف أنها محمودة، / و هذه الآية[7] يعرف ٥٥/

(١) فى مد: من (٢ - ٢) فى ظ و مد: فيما يظهر من ذلك (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: حظ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تتخذوا - كذا. (٥ - ٥) فى ظ: العروض عن، و فى مد: الزهد فى (٦) سقط من ظ و مد. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الاسبار.

أهل الآخرة من أهل الدنيا، فمن كان زاهدا فى الأولى مجتهدا فى الصلاح، [١]وكان ممتحنا فى أول أحواله مظفرا فى مآله[١]، [٢]فهو من أبناء الآخرة[٢]، وإلا فهو للدنيا .

[٣]ولما[٣] تحرر الفرق بين أهل الدارين، وكان لابد من إتيان الآخرة، وعلم أن[٤] الآخرة إنما[٥] هى جزاء الأعمال، وتقرر من كونها للخائفين[٦] ٥ أنها على الآمنين، فاستؤنف تفصيل ذلك جوابا[٧] لمن كأنه قال : ما[٦] لمن أحسن ومن أساء عند القدوم ؟ بقوله: ﴿ من جآء ﴾ أى فى الآخرة [٨]أو الدنيا[٨] ﴿ بالحسنة ﴾ أى الحالة الصالحة ﴿ فله ﴾ من فضل الله ﴿خير منهاج﴾ من عشرة أضعاف إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما لا [٩]يحيط به[٩] إلا الله تعالى ﴿ومن جآء بالسيئة﴾ وهى ما نهى الله عنه، ومنه[١٠] إخافة ١٠ المؤمنين ﴿ فلا يجزى ﴾ من جاز ما، وأظهر ما فى هذا الفعل من الضمير العائد على 'من' فقال : ﴿الذين عملوا السيئات﴾ تصويرا لحالهم تقبيحا لها وتنفيرا من عملها، ولعله جمع هنا وأفرد أولا إشارة إلى أن المسىء أكثر ﴿الا﴾ مثله سواء عدلا منه تعالى، هكذا كان الأصل، ولكنه قال : ﴿ما كانوا﴾ أى بجميع هممهم ﴿يعملون ۝﴾ مبالغة فى المثلية، هذا ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢ - ٢) فى مد : للاخرة (٣ - ٣) من ظ ومد، وفى الأصل : فلما (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : الا (٦) سقط من ظ ومد (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : وجوبا. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ، وفى مد : وكذا الدنيا (٩ - ٩) من ظ ومد، وفى الأصل : يحيطه (١٠) فى ظ : من .

فى الآخرة، و زادت الآية الإشارة إلى أنه يفعل فى الدنيا مثل ذلك و إن خفى، [1]فسيخافون فى حرمهم بما[1] أخافوا المؤمنين فيه و قد جعله الله للأمن[2]، فاعتلوا عن الدخول فى دينه بخوف التخطف من أرضهم، فيصير[3] عدم دخولهم فيه سببا لخوفهم و تخطفهم من أرضهم فيعلمون ٥ أن ما كانوا فيه من الآمن إنما هو بسببك، ثم يصيرون يوم الفتح[4] فى قبضتك.

و لما قرر ذكر الآخرة التى هى المرجع و كرره، و أثبت الجزاء فيها، و أن العاقبة للتقين، أتبعه ما هو فى بيان[5] ذلك كالعلة، فقال مستأنفا مقررا مؤكدا لما تقرر فى أذهانهم من إنكار الآخرة و ما يقتضيه حال ١٠ خروجه صلى الله عليه و سلم من مكة المشرفة من[6] استبعاد رده إليها: ﴿ ان الذى فرض ﴾ أى أوجب ﴿ عليك القرآن ﴾ أى الجامع لما تفرق من المحاسن، المفصل لما التبس من جميع المعانى، أى فرض[7] عليك جميع ما فى هذا الكتاب المشتمل على الجمع و الفرق بما يظهر حسن تلقيه من تلاوة و إبلاغ و تحد و عمل و ألزمك فيه و غيرك هذه ١٥ الملازم، وكلفكم تلك التكاليف التى منها[8] المقارعة بالسيوف ﴿ لرآدك ﴾

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: فيقولون فيخافون فى حرصهم مما.
(٢) فى ظ و مد: الامن (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فيسعير (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: النفخ (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ثم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عرض (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها.

أى

أى بعد الموت لأجل صعوبة ما كلفك به و ألزمك من مشقته
﴿ الى معاد[4] ﴾ أى مرجع عظيم يا له من مرجع ! يجزى فيه كل أحد
بما عمل ، فيبعثك ربك فيه ثوابا على إحسانك فى العمل مقاما محمودا
يغبطك فيه[1] الأولون و الآخرون ، بما عانيت فى أمره من هذه المشقات
التى لا تحملها الجبال ، و لولا الرد إلى هذا المعاد لكانت هذه التكاليف ٥
- التى لا يعمل أكثرهم بأكثرها و لا يجازى على المخالفة فيها - من العبث
المعلوم[1] أن العاقل من الآدميين متنزه[2] عنه فكيف بأحكم الحاكمين !
فاجتهد فيما أنت فيه لعز ذلك اليوم فان العاقبة لك ، و الآية مثل قوله
تعالى " و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله[3] " ، [" ثم اليه ترجعون[4] "
" الى الله -] مرجعكم[6] " إلى غير ذلك من الآيات ، و يجوز أن يقال : إلى ١٠
معاد أىّ معاد ، [7] أى مكان[7] هو لعظمته / أهل لأن يقصد العودَ إليه / ٥٦
كل من خرج منه و هو مكة المشرفة : وطنك الدنيوى ، كما فسرها
بذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كما رواه[8] عنه البخارى[9] ، و عود
هو لجلالته أهل لأن يذكر لدخولك إليها فى جنود يعز بها الإسلام ،
و يذل [بها -] [10]الكفر و أهله[10] على الدوام ، و الجنة المزخرفة : ١٠

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منزه (٣) سورة ٢ آية ٢٨١ .
(٤) سورة ٢ آية ٢٨ (٥) زيد من ظ و مد (٦) سورة ٥ آية ٤٨ (٧-٧) من ظ
و مد ، و فى الأصل : كان (٨) من ظ ومد ، و فى الأصل : روى (٩) راجع
باب قوله تعالى : ان الذى فرض عليك القرآن ، من تفسير سورة القصص .
(١٠-١٠) فى ظ و مد : الكفار .

وطنك الأخروى، عـلى أكمل الوجوه و أعلاها، و أعزها و أولاها، فلا تظن أنه يسلك بك سبيل أبويك عليهما الصلاة و السلام : إبراهيم فى هجرته من حران بلد الكفر إلى الأرض المقدسة فلم يعد إليها، و إسماعيل فى العلو به من الأرض المقدسة إلى أقدس منها فلم يعد إليها، ٥ بل يسلك بك[1] سبيل أخيك موسى عليه الصلاة و السلام - الذى أنزل عليـه الكتاب كما أنزل عليك الكتاب القرآن الفرقان، و[2] الذى أشركوك به فى قولهم " لولا اوتى مثل ما اوتى موسى[3] " - فى إعادته إلى البلد الذى ذكر فى هذه السورة - توطئة لهذه الآية - أنه خرج منه خائفا يترقب - و هى مصر - إلى مدين فى أطراف بلاد العرب، ١٠ على وجه أهلك فيه أعداءه، أما من كان من غير قومه فبالإغراق [4]فى الماء[4]، و أما [5]من كان من[5] قومه فبالخسف فى الأرض، و أعز أولياءه من قومه و غيرهم، كما خرجت أنت من بلدك مكة خائفا تترقب[2] إلى المدينة الشريفة غير أن رجوعك - لكونك نبى الرحمة، و كون خروجك لم يكن مسببا[6] عن قتل أحد منهم - لا يكون فيه هلاكهم، بل عزهم[7] ١٥ و أمنهم و غناهم و ثباتهم، و اختير لفظ القرآن دون الكتاب لما فيه [5]من الجمع[5] من لازم النشر - كما مضى فى الحجر، فناسب السياق الذى هو للنشر[8] و الحشر و الفصل من بلده ثم الوصل، فانه روى[9] أن هذه

---

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ ومد (٣) سورة ٢٨ آية ٤٨ (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل : بالماء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : سببا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : غيرهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : النشر (٩) راجع روح المعانى ٦ / ٣٨٩ .

الآية نزلت على النبي صلى الله عليه و سلم فى الجحفة و هى فى طريق الهجرة .

و لما فهم من الإبلاغ فى هذا التأكيد أن ثَمّ من يبالغ فى النفى و الإنكار على حسب هذا التأكيد[١] فى الإثبات فيقول: إن الأمر ليس كذلك، و لا يعود إلى مكة المشرفة و منا عين تطرف، قال مهددا على طريق الاستئناف على لسانه صلى الله عليه و سلم لكون[٢] الإنكار تكذيبا له ٥ كما كذب موسى صلى الله عليه و سلم حين أجاب بمثل ذلك كما تقدم: ﴿ قل ﴾ [٣]أى لهؤلاء المنكرين لما أخبرتك به[٣]: ﴿ربىّ ﴾ أى المحسن إلىّ ﴿ اعلم ﴾ أى من كل أحد[٤] .

و لما كانت هذه قصة مسلمة لا نزاع فيها لعاقل تثبت[٥] الخالق، وكانوا يقولون: [٣]من ادعى[٣] رجوعه فهو ضال، توجه السؤال عن المهتدى[٦] ١٠ إلى الصواب و الضال، بما يشهد به فتح مكة عند الإقبال فى أولئك الضراغمة الأبطال، و السادة الأقيال، فقال فى أسلوب الاستفهام لإظهار الإنصاف و الإبعاد من الاتهام[٧]: ﴿من جآء بالهدٰى﴾ أى الذى لا أبين منه، أنا فيما جئت به من ربى بهذا الكلام الذى يشهد الله لى باعجازه[٨] أنه من عنده أم أنتم فيما تقولون من عند أنفسكم؟ ﴿ و من هو فى ضلٰل ﴾ ١٥ أى أنتم فى كلامكم الظاهر العوار العظيم العار أم أنا ﴿مبين ۝ ﴾ أى بين

---

(١) فى ظ و مد: التاكيد (٢) فى ظ: يكون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: احياء (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ثبتت (٦) فى ظ: المهتدين (٧) فى ظ: الابهام (٨) زيد فى مد: فى كلامكم .

فى نفسه مظهر لكل أحد ما فيه من خلل و إن اجتهد التابع له فى ستره .

٥٧ / و لما كان الجواب لكل من أنصف : هم فى ضلال / مبين لأنهم ينحتون من عند أنفسهم ما لا دليل لهم عليه ، و أنت جئت بالهدى لأنك

٥ أتيت به عن الله ، بنى عليه قوله : ﴿ و ما ﴾ و[1] يجوز أن تكون الجملة[2] حالا من الضمير فى " عليك " و ما بينهما اعتراض للاهتمام بالرد على المنكر للعاد ، أى فرضه عليك و الحال أنك ما ، و يجوز أن يقال : لما كان رجوعه إلى مكة فى غاية البعد لكثرة الكفار و قلة الأنصار ، قربه بقوله معلما أن كثيرا من الأمور تكون على غير رجاء ، بل و على خلاف

١٠ القياس : و ما ﴿ كنت ترجوآ ﴾ أى فى سالف الدهر بحال من الأحوال ﴿ ان يلقى[3] ﴾ أى ينزل على وجه لم يقدر على رده ﴿ اليك الكتب ﴾ أى بهذا الاعتقاد و لا بشىء منه ، و لا كان هذا من شأنك ، و لا سمعه أحد منك يوما من الأيام ، و لا تأهبت لذلك أهبته العادية من تعلم خط أو مجالسة [3]عالم ليتطرق[3] إليك نوع اتهام ، كما يشير إليه قوله تعالى فى

١٥ التى بعدها " و ما كنت تتلوا [من - [4]] قبله من كتب " - الآية ، و اختير هنا لفظ الكتاب لأن السياق للرحمة التى[5] من ثمراتها الاجتماع

(١) سقطت الواو من مد (٢) زيد فى مد : فيه (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : علم ليتطرف (٤) زيد من ظ و مد والقرآن الكريم سورة العنكبوت آية ٤٨ (٥) زيد فى ظ و مد : يعيدها .

المحكم، و ذلك مدلول الكتاب ؛ ثم قال : ﴿ الا ﴾ أى لكن[1] ألقى إليك الكتاب[2] ﴿رحمة﴾ أى لأجل رحمة عظيمة[3] لك و لجميع الخلائق بك، لم تكن ترجوها ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بجعلك مصطفى لذلك ، بالدعاء إليه و قصر الهمم عليه ، و عبر بأداة الاستثناء المتصل إشارة إلى أن[4] حاله قبل النبوة من التنزه عن عبادة[5] الأوثان و عن القرب منها و الحلف بها و عن [6]الفواحش جميعا[6] ، و من الانقطاع إلى الله بالخلوة معه و التعبد له[7] توفيقا من الله كان حال من يرجو ذلك .

و لما تسبب عما تقدم الاجتهاد فى [تحريك الهمم إلى العكوف على -[8]] أمر الله طمعا فيما عنده سبحانه من الثواب ، و شكرا على إنزال الكتاب ، قال فى سياق التأكيد لأن الطبع البشرى يقتضى إدراك[9] مظاهرة الكفار لأمر[10] من التوفيق عظيم ، لكثرتهم و قوتهم و عزتهم : ﴿فلا تكونن﴾ [إذ ذاك -[8]] [11]بسبب اتصافهم لك لكثرتهم[11] ﴿ظهيرا﴾ أى معينا ﴿للكفرين﴾ بالمكث بين ظهرانيهم ، أو بالفتور عن الاجتهاد فى دعائهم ، يأسا منهم لما ترى من بعدهم من الإجابة و إن طال إنذارك ، لاتمل انت كما لم نمل نحن ، فقد وصلنا لهم القول ، و تابعنا لهم الوعظ

---

(١) زيد فى ظ : الذى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كتابا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظمته (٤) سقط من مد (٥) فى ظ : عادة (٦-٦) فى ظ و مد: جميع الفواحش (٧) زيدت الواو فى مد (٨) زيد من ظ و مد .
(٩) سقط من ظ و مد (١٠) من مد ، و فى الأصل : الابقسر ، و فى ظ : الامعبر - كذا (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و القص، و نحن قادرون على إهلاكهم فى لحظة، و هدايتهم فى أقل لمحة، و كما أن موسى عليه الصلاة و السلام بعد الإنعام عليه لم يكن ظهيرا للجرمين، و هذا تدريب[1] من الله تعالى لأئمة الأمة فى الدعاء إلى[2] الله عند كثرة المخالف، و قلة الناصر الملازم المحالف[3] .

٥ و لما كان التوانى فى النهى عن المنكر إعراضا عن الأوامر و إن كان المتوانى مجتهدا فى العمل، قال مؤكدا تنبيها على شدة الأمر لكثرة الأعداء و تتابع الإيذاء و الاعتداء: ﴿ و لا يصدنك ﴾ أى الكفار بمبالغتهم فى الإعراض و قولهم "لولا اوتى مثل ما اوتى موسى" و نحوه ﴿عن ايٰت الله﴾ أى عن[4] الصدع[5] بها و هى من المتصف بصفات الكمال،

١٠ فى الأوقات الكائنة ﴿ بعد اذ انزلت ﴾ أى وقع[6] إنزالها ممن تعلمه منتهيا ﴿ اليك ﴾ مما[7] ترى من أوامرها و نواهيها، و لقد[8] بين هذا المعنى قوله: ﴿ و ادع ﴾ أى / أوجد الدعاء للناس ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن إليك لإحسانه إليك، و إقباله دون الخلق عليك، و أعراه من التأكيد اكتفاء بالمستطاع فان الفعل ليس للبالغة فيه جدا. إشارة إلى أن ٥٨ /

١٥ جلب المصالح أيسر خطبا من درء المفاسد، فان المطلوب فيه النهاية محدود[9] بالاجتناب .

---

(١) فى ظ: تدرب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عند (٣) فى ظ و مد: المو الف (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الصد (٦) فى ظ و مد: اوقع (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٨) فى ظ و مد: قد. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لانها محدودة .

و لما كان الساكت عن فاعل المنكر شريكا له، قال مؤكدا تنبيها على الاهتمام بسدره المفاسد، و أنه لا بد فيه من بلوغ الغاية: ﴿و لا تكونن من المشركين﴾ أي معدودا في عدادهم بترك نهيهم عن شركهم و ما يتسبب عنه ساعة واحدة.

و لما كان الكائن من قوم موصوفا بما اتصف به كل منهم، و[1] كانت مشاركتهم[1] بالفعل أبعد من مشاركتهم بالسكوت، قال من غير تأكيد: ﴿و لا تدع مع الله﴾ أي الجامع لجميع صفات الكمال ﴿الها﴾ و لما كانت النكرة في سياق النهي تعم كما لو كانت في سياق النفي، و كان المشركون قد تعنتوا لما رأوا النبي صلى الله عليه و سلم يدعو باسم الله و اسم الرحمن كما ذكر آخر الإسراء، قال: ﴿اخر﴾ [أي -[2]] غير الله حقيقة دون أن يغاير في الاسم دون الذات، و مضى[3] في آخر الحجر، و يأتي إن شاء الله تعالى في الذاريات[4] ما يتضح به هذا المعنى، و المراد بهذا كله المبالغة في الإنذار إعلاما بأن تارك النهي عن المنكر مع القدرة شريك للفاعل[5] و إن لم يباشره، و النبي صلى الله عليه و سلم قادر لحراسة الله تعالى له؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿لا اله الا هو﴾ أي حتى يستحق أن يشتغل به عبد[6]؛ ثم علل وحدانيته بقوله: ﴿كل شيء هالك﴾ أي

(١ - ١) في مد: كان يشاركهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل: معنى (٤) راجع آية ٥١ (٥) في ظ: للعامل (٦) من مد، و في الأصل و ظ: عنه.

هو في قوة الهلاك و الفناء [و -[1]] مستحق لذلك لأنه ممكن ﴿ الا وجهه ﴾ أى هو، فهو الباقى لأنه الواجب الوجود، و وجود كل موجود إنما كان به، و لعله عبر عن الذات بالوجه ليشمل ما قصد به من العمل الصالح مع ما هو معروف من تسويغه[2] لذلك بكونه أشرف الجملة، و بكون ٥ النظر إليه هو الحامل على الطاعة بالاستحياء و ما فى معناه؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ له ﴾ أي لله وحده فالضمير استخدام ﴿ الحكم ﴾ أى العمل المحكم[3] بالعلم النافذ على كل شيء، و لا حكم لشيء عليه ﴿ و اليه ﴾ وحده ﴿ ترجعون ﴾ فى جميع أحوالكم: فى الدنيا بحيث أنه لا ينفذ لأحد مراد إلا بإرادته، و فى الآخرة بالبعث فيجازى المحسن[4] باحسانه و العاصى ١٠ بعصيانه، و لاشك أن هذه الأوامر و النواهى و إن كان خطابها متوجها إليه صلى الله عليه و سلم فالمقصود بها أتباعه، و لعلها إنما وجهت[5] إليه صلى الله عليه و سلم عليه لأن أمر الرئيس أدعى لأتباعه إلى القبول، و قد اتضح بهذا[6] البيان، فى هذه المعانى الحسان، أن هذا الكتاب مبين، و بانفاذ إرادته سبحانه و تعالى فى تقوية أهل الضعف من بنى ١٥ إسراءيل دون ما أراد فرعون و قارون و أتباعهما من أهل العلو بطاعة الماء و التراب و ما جمع العناصر من اليد و العصا أن له [7]وحده الحكم[7]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل: تسويفه، و فى ظ: توسيعه (٣) زيد فى ظ و مد: الصالح (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: للحسن (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: توجهت (٦) فى مد: فى هذا. (٧ - ٧) فى مد: الحكم وحده.

على

على ما يريد [١]و يختار[١]، فصح أن إليه الرجوع [١]يوم المعاد يوم لا تكلم نفس إلا باذنه[١]، فقد انطبق [٢]آخر السورة على أولها[٢]، و انشرح مجملها بمفصلها .



(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢ - ٢) في الأصل : أول السورة على آخرها ، و في ظ و مد : آخرها على أولها .

سورة العنكبوت[1]

مقصودها الحث على الاجتهاد فى الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، و الدعاء إلى الله تعالى وحده من غير فترة، كما ختمت به السورة الماضية، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلا، لئلا يكون مَثَلُ الفرج[2]
٥ عند المتعوض عوضا منه مَثَلَ العنكبوت، [3]فهى سورة[3] ضعف الكافرين و قوة المؤمنين، و قد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت[4] و أنه دال على مقصودها ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط بجميع القوة فأعز جنده ﴿ الرحمن ﴾ الذى شمل جميع[5] العباد بنعمة الأمر و النهى ﴿ الرحيم ﴾ الذى ألزم أهل العرفان ذروة الإحسان.

١٠ لما ختم السورة الماضية بالحث على العمل للدار الآخرة، و أن كل أحد من محسن و مسيء مجزى بعمله، و بالإخبار بأنه سبحانه عالم بالسر و العلن، و بالأمر بالاجتهاد فى الدعاء إليه و قصر الهمم عليه و إن أدى ذلك إلى الملال، و ذهاب النفس و الأموال[6]، معللا بأن له الحكم سبحانه لأنه الباقى بلا زوال، و كل ما عداه فانى تلاش و اضمحلال،
١٥ و أنه لا يفوته شيء فى حال و لا مآل، قال أول هذه: ﴿ الٓمٓ ﴾ إشارة بالألف الدال على القائم الأعلى المحيط و لام الوصلة و ميم التمام

---

(١) التاسعة و العشرون من سور القرآن، مكية مع الخلاف فى ذلك، و هى تسع و تسعون آية بالإجماع كما قال الدانى و الطبرسى - راجع روح المعانى ٦ / ٢٩٢ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العرج (٣ - ٣) فى مد: فهو صورة (٤) سقط من ظ و مد (٥) سقط من مد (٦) زيد فى مد: قال.

بطريق الرمز إلى أنه سبحانه أرسل جبريل إلى محمد عليهما الصلاة و السلام ليدعو الناس بالقرآن الذي فرض عليه إلى الله، لتعرف بالدعوة سرائرهم و يتميز بالتكاليف [١]محقهم و مماكرهم[١] "و لنبلونكم حتى نعلم المجهدين منكم و الصّبرين و نبلوا اخباركم".

و لما عبر بهذه الإشارة لأهل الفطنة [٢]و البصائر[٢]، قال منكرا على ٥ من ظن أن مدعى الإيمان[٣] لا يكلف البيان، و مفصلا لما ختمت به تلك من جميع هذه المعانى، بانيا على ما أشارت إليه الأحرف لأولى[٤] العرفان: ﴿احسب الناس﴾ أى كافة، فان كلا منهم يدعى أنه مؤمن لمعنى أنه يقول: إنه على الحق، و لعله عبر بالحسبان [٢]و النوس[٢] إشارة إلى أن فاعل ذلك مضطرب العقل منحرف المزاج. ١٠

و لما كان[٥] الحسبان، لايصح تعليقه[٦] بالمفردات، و إنما يعلق بمضمون الجملة[٧]، و كان المراد إنكار حسبان مطلق الترك، كانت 'أن' مصدرية عند جميع القراء، فعبر عن مضمون نحو: تركهم[٨] غير مفتونين لقولهم آمنا، بقوله[٩]: ﴿ان يتركوآ﴾ أى فى وقت ما بوجـــه من الوجوه، و لو رفع الفعل لأفهم أن المنكر حسبان الترك المؤكد، فلا يفيد إنكار ١٥ ما عرى عنه، و قد مضى فى المائدة ما ينفع هنا ﴿ان﴾ أى فى أن

(١-١) فى مد: مخابرهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى مد: لأهل (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) فى ظ: تعليق. (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الجمل (٨) فى ظ و مد: تحركهم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لقوله.

﴿يقولوآ﴾ و لو كان ذلك على وجه التجديد و الاستمرار: ﴿ءامنا وهم﴾ أي و الحال أنهم ﴿لا يفتنون﴾ أي يقع فتنتهم ممن له الأمر كله و له الكبرياء في السماوات و الأرض، مرة[1] بعد أخرى بأن يختبر[2] صحة قولهم أولا[3] بارسال الرسل و إنزال الكتب و نصب الأحكام، و ثانيا
٥ بالصبر على البأساء و الضراء عند الابتلاء بالمدعوين إلى الله في التحمل لأذاهم و التجرع لبلاياهم و غير ذلك من الأفعال، التي يعرف بها مرتبة الأقوال، في الصحة و الاختلال[4].

/٦٠ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت / سورة القصص بذكر امتحان بني إسرائيل بفرعون و ابتلائهم بذبح أبنائهم و صبرهم[5] على عظيم
١٠ تلك المحنة، ثم ذكر تعالى حسن عاقبتهم و ثمرة صبرهم، و انجر مع ذلك مما هو منه لكن انفصل عن عمومه بالقضية امتحان أم موسى بفراقه حال الطفولية و ابتداء الرضاع و صبرها على أليم ذلك المذاق حتى رده تعالى إليها أجمل رد و أحسنه، ثم ذكر ابتلاء موسى عليه الصلاة و السلام بأمر القبطي و خروجه خائفا يترقب و حسن عاقبته و عظيم
١٥ رحمته، وكل هذا ابتلاء أعقب خيرا، و ختم برحمة ثم بضرب آخر من الابتلاء أعقب محنة و أورث شرا و سوء فتنة، و هو ابتلاء قارون بماله و افتتانه[6] به[7]، فخسفنا به و بداره الأرض، فحصل بهذا[8] أن الابتلاء في

---

(١) في ظ و مد: بمرة (٢) في ظ و مد: نختبر (٣) من ظ و مد، و في الأصل: و لا (٤) من ظ و مد، و في الأصل: الاختلاف (٥) من ظ و مد، و في الأصل: صبر (٦) من ظ و مد. و في الأصل: افتتانه (٧) سقط من مد (٨) في ظ و مد: من هذا.

غالب[1] الأمر سنة، و جرت منه سبحانه فى عباده ليميز الخبيث من الطيب، و هو المنزه عن الافتقار إلى تعرف أحوال العباد بما يبتليهم به إذ قد علم كون ذلك منهم قبل كونه إذ هو موجده و خالقه [2]خيرا كان[2] أو شرا، [3]فكيف يغيب عنه أو يفتقر تعالى إلى بيانه بتعرف أحوال العباد[3] أو يتوقف علمه على سبب ما لا يعلم من خلق [4]و هو اللطيف الخبير[4]، ٥ و لكن [5]هى سنة فى عباده[5] ليظهر لبعضهم من بعض عند الفتنة [4]و الابتلاء[4] ما لم [5]يكن ليظهر[5] قبل ذلك حتى يشهدوا على أنفسهم، و تقوم الحجة عليهم باعترافهم، و لا افتقار به تعالى إلى شيء من ذلك، فلما تضمنت [6]سورة القصص هذا الابتلاء[6] فى الخير و الشر، و به وقع افتتاحها و اختتامها، هذا و قد أنجز بحكم الإشارة أولا خروج نبينا صلى الله عليه و سلم ١٠ من بلده و منشائه ليأخذه عليه الصلاة و السلام بأوفر حظ مما ابتلى به الرسل [و الأنبياء من مفارقة الوطن و ما يحرز لهم الأجر المناسب لعلى درجاتهم عليهم السلام - [7]]، ثم بشارته صلى الله عليه و سلم آخرا بالعودة و الظفر "ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" فأعقب سبحانه هذا بقوله معلما للعباد و منبها أنها سنته فيهم فقال "احسب ١٥ الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا و هم لايفتنون" أى أحسبوا ان يقع

---

(١) سقط من ظ و مد (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ : كان خيرا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥ - ٥) فى مد : يظهر (٦ - ٦) فى مد : هذه الابتلاءات.
(٧) زيد من ظ و مد.

الاكتفاء بمجرد استجابتهم، و ظاهر إنابتهم، و لما يقع امتحانهم بالشدائد
و المشقات، و ضروب الاختبارات " و لنبلونكم بشيء من الجوع و الخوف
و نقص من الاموال و الانفس و الثمرت " فاذا وقع الابتلاء فمن فريق
يتلقون ذلك تلقي العليم أن ذلك من عند الله ابتلاء و اختبارا، فيكون
٥ تسخيرا لهم و تخليصا، و من فريق يقابلون ذلك بمرضات الشيطان،
و المسارعة إلى الكفر و الخذلان " و من جاهد فانما يجاهد لنفسه " ثم
اتبع سبحانه هذا بذكر حال بعض الناس ممن يدعي الإيمان، فاذا أصابه
أدنى أذى من الكفار صرفه ذلك عن إيمانه، فكان[1] عنده[2] مقاوما
بعذاب الله [3]الصارف لمن ضربه عن الكفر و المخالفة فقال تعالى " و من
١٠ الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب
الله[3] " فكيف حال هؤلاء في تلقي ما هو أعظم من الفتنة، و أشد في
المحنة، ثم[2] اتبع سبحانه ذلك بما[4] [5]به يتأسى الموفق[5] من صبر الأنبياء
عليهم / الصلاة و السلام و طول[2] مكايدتهم من قومهم، فذكر نوحا
و إبراهيم و لوطا و شعيبا عليهم الصلاة و السلام، و خص هؤلاء بالذكر
١٥ لأنهم من أعظم الرسل مكابدة و أشدهم ابتلاء، أما نوح عليه السلام فلبث[6]
في قومه - كما أخبر الله تعالى - ألف سنة إلا خمسين عاما و ما آمن

/ ٦١

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: و كان (٢) سقط من ظ و مد.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: مما (٥ - ٥) في مد: هو يناسب الموقف (٦) من ظ و مد، و في الأصل: فمكث.

معه إلا قليل، و أما إبراهيم عليه الصلاة و السلام فرمى بالمنجنيق فى النار فكانت عليه بردا و سلاما، و قد نطق الكتاب العزيز بخصوص المذكورين عليهم الصلاة و السلام بضروب من الابتلاءات[1] حصلوا على ثوابها، و فازوا من عظيم الرتبة النبوية العليا بأسنى[2] نصابها، ثم ذكر تعالى أخذ المكذبين من أممهم فقال "فكلا اخذنا بذنبه" ثم ٥ وصى نبيه صلى الله عليه و سلم و أوضح حجته، و تتابع اتساق الكلام إلى آخر السورة - انتهى .

و لما كان التأسى من سنن الآدميين، توقع المخاطب بهذا الأمر[3] الخبر عن حالهم فى ذلك، فقال مؤكدا لمن يظن أن الابتلاء لايكون، لأن الله غنى عنه فلا فائدة فيه جاهلا[4] بما فيه من الحكمة[5] ١٠ باقامة الحجة على مقتضى عوائد الخلق: ﴿و لقد﴾ أى أحسبوا و الحال أنا قد ﴿فتنا﴾ أى عاملنا بما لنا من العظمة معاملة المختبر ﴿الذين﴾ .

و لما كان التأسى بالقريب فى الزمان أعظم، أثبت الجار فى قوله: ﴿من قبلهم﴾ أى من قبل هؤلاء الذين أرسلناك إليهم من أتباع الأنبياء حتى كان الرجل منهم يمشط لحمه بأمشاط الحديد ما يرده ذلك عن ١٥ دينه، و من رؤسهم صاحب أكثر السورة الماضية موسى عليه الصلاة و السلام، ففى قصته حديث طويل عن ابن عباس رضى الله عنهما يقال له حديث الفتون و هو فى مسند أبى يعلى، و من[6] آخر ما ابتلى به

---

(١) فى ظ و مد: الابتلاء (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بأسا - كذا .
(٣) زيد فى الأصل و ظ: الكربة، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) فى ظ و مد: جاعلا (٥) فى ظ و مد: الحكم (٦) سقط من مد .

أمر قارون و أتباعه .

و لما كان الامتحان سببا لكشف مخبآت الإنسان بل الحيوان، فيكرم عنده أو يهان، و أرشد السياق إلى [1] أن المعنى[1] : فلنفتنهم، نسق به قوله : ﴿ فليعلمن الله﴾ [أى الذى له الكمال كله -[2]] بفتنة خلقه،
٥ علما شهوديا كما كان يعلم ذلك علما غيبيا، و يظهره لعباده و لو بولغ فى ستره، و عبر بالاسم الأعظم الدال على جميع صفات الكمال التفاتا عن[3] مظهر العظمة إلى أعظم منه تنبيها للناقصين - و هم أكثر الناس - على أنه منزه عن كل[4] شائبة نقص، و أكد إشارة إلى أن أكثر الناس يظن الثبات عند الابتلاء و أنه إذا [5]أخفى عمله[5] لا يطلع عليه أحد
١٠ ﴿الذين صدقوا﴾ فى[6] دعوام الإيمان و لو كانوا فى أدنى مراتب الصدق، و ليعلمن الصادقين، و هم الصابرون الذين يقولون عند البلاء " هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله " فيكون أحدهم عند الرخاء[7] برا شكورا، و عند البلاء حرا صبورا، و ليعلمن الذين كذبوا فى دعواهم ﴿و ليعلمن الكٰذبين ە﴾ أى الراسخين فى الكذب الذين يعبدون
١٥ الله على حرف، فان أصابهم خير اطمأنوا به و إن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم، فظنوا[8]، فيكون لكل من الجزاء على حسب[9] ما كشف

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل المعنى ان، و زيد فيه بعده : الامتحان سببا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : على (٤) سقط من ظ و مد (٥ - ٥) فى ظ و مد : خفى علمه (٦) زيد فى ظ : أى (٧) فى ظ و مد : الرجاء (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : حسيب .

منه

منه البلاء، و التعبير بالمضارع لتحقق[1] الاختبار، على تجدد الأعصار، [2]لجمعي الأخيار و الأشرار[2]، فمن لم يجاهد نفسه عند الفتنة / فيطيع[3] [فى -[4]] /٦٢
السراء و الضراء كان من الكافرين فكان فى جهنم "أليس فى جهنم مثوى للكفرين" و من جاهد كان من المحسنين، و الآية من الاحتباك: دل[5]
بالذين صدقوا على الذين كذبوا، و بالكاذبين على الصادقين[5]، ذكر الفعل ٥
أولا دليلا على تقدير ضده ثانيا، و الاسم ثانيا دليلا على حذف ضده أولا.

و لما أثبت سبحانه بهذا علمه الشامل و قدرته[6] التامة فى الدنيا، [7]عادله بما يستلزم مثل ذلك فى الآخرة[7]، فكان حاصل ما مضى من
الاستفهام: أحسب الناس أنا لانقدر عليهم و لا نعلم أحوالهم فى الدنيا ١٠
أم حسبوا أن ذلك لا يكون فى الأخرى، فيذهب ظلمهم فى الدنيا و تركهم لأمر الله و تكبرهم على عباده مجانا، فيكون خلقنا لهم عبثا لاحكمة فيه، بل الحكمة فى تركه، و هذا الثانى هو معنى قوله منكرا[8] 'أم حسب' أو يكون المعنى أنه لما انكر على الناس عموما ظنهم الإهمال، علم أن
أهل السيئات أولى بهذا الحكم، فكان الإنكار عليهم أشد، فعادل الهمزة ١٥
بأم فى سياق الإنكار كما عادلها بها[9] فى قوله "اتخذتم عند الله عهدا"

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لتحقيق (٢ - ٢) فى مد: للاشرار (٣) فى ظ و مد: فيضيع (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: القدرة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بهذا.

الآية[1]، فقال: ﴿ام حسب﴾ أى ظن ظنا [2]يمشى له[2] و يستمر [عليه -[3]]، فلا يبين له جهله فيه بأمر يحسبه فلا يشتبه عليه بوجه ﴿الذين يعملون السيّات﴾ أى التى[4] منعناهم[5] بأدلة النقل المؤيدة[6] ببراهين العقل - منها بالنهى عنها، و وضع موضع المفعولين ما اشتمل على مسند و مسند إليه من قوله:

٥ ﴿ان يسبقونا[4]﴾ أى يفوتونا فوت السابق لغيره[7] فيعجزونا فلا نقدر عليهم فى الدنيا بامضاء ما قدرناه عليهم من خير و شر فى أوقاته التى ضربناها له، و فى الدار الآخرة بأن نحييهم بعد أن نميتهم، ثم نحشرهم إلى محل[8] الجزاء صغرة داخرين، فنجازيهم على ما عملوا و[9] نقتص لمن أساءوا إليه منهم، و يظهر تحلينا بصفة العدل فيهم.

١٠ و لما أنكر هذا، عجب ممن يحوك ذلك[10] فى صدره تعظيما لإنكاره فقال: ﴿سآء ما يحكمون ه﴾ أى ما أسوأ هذا الذى أوقعوا الحكم به لأنفسهم لأن أضعفهم عقلا لا يرضى لعبيـــده أن يظلم بعضهم بعضا ثم لا ينصف بينهم فكيف يظنون بنا ما لا يرضونه لأنفسهم.

و لما خوف [عباده -[3]] [11]المحسنين و المسيئين[11]، و ضربهم بسوط

١٥ القهر أجمعين، أشار إلى [12]التلويح تهديد[12] الكاذبين فى التصريح بتشويق

(١) آية ٨٠ سورة ٢ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد من ظ ومد.
(٤) فى ظ: الذين (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: عنفناهم (٦) فى ظ ومد: المويد.
(٧) فى ظ: لغير، و الكلمة ساقطة من مد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ و مد: أو (١٠) فى ظ ومد: هذا (١١-١١) فى ظ و مد: المسيئين و المحسنين.
(١٢ - ١٢) فى مد: التهديد بتلويح.

الصادقين فقال[1] على سبيل الاستنتاج[2] مما مضى: ﴿من كان يرجوا﴾ عبر به لأن الرجاء كاف عن[3] الخوف منه[4] سبحانه ﴿لقآء الله﴾ أى الجامع لصفات الكمال، فلا يجوز عليه ترك البعث فانه[5] نقص و منابذ للحكمة، و شبه البعث باللقاء لانكشاف كثير من الحجب به و حضور الجزاء.

و لما كان المنكر للبعث كثيرا، أكد فقال موضع: فانه آت ٥ فليحذر[6] و ليبشر، تفخيما للأمر و تثبيتا و تهويلا: ﴿فان اجل الله﴾ أى الملك الأعلى الذى له الغنى المطلق و جميع صفات الكمال المحتوم لذلك ﴿لأت﴾ لامحيص عنه. فانه لايجوز عليه [وقوع -[7]] إخلاف الوعد، و لذلك عبر بالاسم الأعظم، و للاشارة إلى أن أهوال اللقاء لايحيط بها العد، و لا يحصرها حد، فليعتد لذلك بالمجاهدة و المقاتلة لنفسه من ١٠ ينصحها[8]، و قال تعالى: ﴿و هو﴾ أى وحده / ﴿السميع العليم ه﴾ حثا على تطهير الظاهر و الباطن فى [9]العقد و[9] القول و الفعل.

/ ٦٣

و لما حث على العمل، بين[10] أنه ليس إلا لنفع العامل، لئلا يخطر فى خاطر ما يوجب تعب الدنيا و شقاء الآخرة من اعتقاد ما لا يليق بجلاله تعالى، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن أراح نفسه فى الدنيا فانما ١٥

---

(١) فى ظ و مد: و قال (٢) فى مد: الاستفتاح (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عنه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كأنه (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: نصحها (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من مد (١٠) فى ظ و مد: تبين.

غير نفسه: ﴿و من جاهد﴾ أى بذل جهده حتى كانه يسابق آخر فى الأعمال الصالحة ﴿فانما يجاهد لنفسه﴾ لأن نفع ذلك له [1]فيتعبها ليريحها، و يشقيها ليسعدها، و يميتها ليحييها[1]، وعبر بالنفس لأنها الأمارة بالسوء، و إنما طوى ما أدعى تقديره لأن السياق للمجاهدة؛ ثم علل هذا الحصر
٥ بقوله: ﴿ان الله﴾ أى المتعالى عن كل شائبة نقص ﴿لغنى﴾ و أكد لأن كثرة الأوامر ربما أوجبت للجاهل ظن[2] الحاجة، و ذلك نكتة الإتيان بالاسم الأعظم، و بين أن غناه الغنى المطلق بقوله [3]موضع "عنه"[3][4] ﴿عن العلمين ﴾ فلا تنفعه طاعة و لا تضره معصية.

و لما كان التقدير: فالذين كفروا و عملوا السيئات لنجزينهم أجمعين،
١٠ و لكنه طواه لأن السياق لأهل الرجاء، عطف عليه قوله: ﴿ و الذين اٰمنوا و عملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ فى الشدة و الرخاء على حسب طاقتهم، و أشار بقوله: ﴿ لنكفرن عنهم سياٰتهم ﴾ إلى أن الإنسان و إن اجتهد لابد[4] أن يزل لأنه مجبول على النقص، فالصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما لم يؤت الكبائر، و الجمعة إلى
١٥ الجمعة و رمضان إلى رمضان و نحو ذلك مما وردت به الأخبار عن النبى المختار صلى الله عليه و سلم، و زاده فضلا و شرفا لديه؛ قال البغوى[5]: و التكفير إذهاب السيئة بالحسنة، أو لنغفرن لهم الشرك و ما عملوا فيه،

(١ - ١) فى مد: تعبها ار يحها و شقاوها اسعدها و موتها حياتها (٢) فى ظ: خلق - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى ظ: من (٥) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٥٦.

و أكـد لأن الإنسان مجبول على الانتقام ممن أساء و لو بكلمة و لو بالامتنان[بذكر العفو فلا يكاد يحقق غير ما طبع عليه . و لما بشرهم بالعفو عن العقاب، أتم البشرى بالامتنان -[1]] بالثواب. فقال عاطفا على ما تقديره: و لنثبتن لهم حسناتهم ﴿ و لنجزينهم ﴾ أى فى الإسلام[1] ﴿احسن الذى كانوا﴾ أى كونا يحملهم على أتم رغبة ﴿يعملون﴾ أى ٥ أحسن جزاء ما عملوه فى الإسلام و ما قبله و فى طبعهم أن يعملوه .

و لما ذكر سبحانه أنه لابد من الفتنة ، و حذر من[2] كفر ، و بشر من صبر ، قال عاطفا على "و لقد فتنا" مشيرا[3] إلى تعظيم حرمة الوالد حيث جعلها فى سياق تعظيم الخالق ، و إلى أنها أعظم فتنة : ﴿ و وصينا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ الانسان ﴾ أى[4] الذى أعناه على[5] ذلك بأن ١٠ جعلناه على الأنس بأشكاله لاسيما من أحسن إليه، فكيف بأعز الخلق عليه، و ذلك فتنة له[6] ﴿ بوالديه ﴾ .

و لما كان التقدير : فقلنا له : افعل بهما ﴿حسنا﴾ أى فعلا ذا حسن من برهما و عطف عليهما، عطف عليه قوله[6] : ﴿ و ان جاهدك ﴾ أى فعلا معك فعل المجاهد مع من يجاهده فاستفرغا مجهودهما فى معالجتك[7] ١٥ ﴿لتشرك﴾ و ترك مظهر العظمة للنص على المقصود فقال : ﴿بى﴾ و نبهه على طلب البرهان فى الأصول إشارة إلى خطر المقام لعظم المرام ، فقال استعمالا للعدل، مشيرا بنفى العلم إلى انتفاء المعلوم : ﴿ ما ليس لك به علم ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد : عن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسيرا (٤) سقط من مد (٥) فى ظ : عن (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ و مد : مصالحتك .

أصلا بأنه يستحق الشركة فان من عبد ما لم يعلم استحقاقه للعبادة فهو كافر ﴿فلا تطعهما﴾ فانه لا طاعة لمخلوق - و إن عظم - فى معصية الخالق ، /[1]و هذا موجب[1] لئلا يقع[2] من أحد شرك أصلا ، فانه لا ريب أصلا فى أنه لا شبهة تقوم على أن غيره تعالى يستحق الإلهية، فكيف
٥ بدليل يوجب علما ، و المقصود من سياق الكلام إظهار النصفة[3] و التنبيه على النصيحة ، ليكون أدعى إلى القبول ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿الىّ مرجعكم﴾ أي جميعا : من آمن و من أشرك بالحشر يوم القيامة ؛ ثم سبب عنه قوله : ﴿فانبئكم﴾ أى أخبركم إخبارا عظيما مستقصى بليغا ﴿بما كنتم﴾ أى برغبتكم ﴿تعملون ه﴾ أى فقفوا عند حدودى ، و اتركوا ما تزينه لكم
١٠ شهواتكم ، و احذروا مجازاتى على قليل ذلك و كثيره ، عبر سبحانه بالسبب الذى هو الإنباء [لأنه لامثنوية فيه -[4]] عن[5] المسبب الذى هو الجزاء ، [6]مطلقا للعبارة[6] ، و تهديدا بليغا على وجه الإشارة ، و طوى ذكره لأنه قد يدخله العفو[7] ، و هذه الآية نزلت فى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ، أسلم و كان بارا بأمه ، فحلفت : لا تأكل و لا تشرب حتى يرجع عن
١٥ دينه أو تموت فيعير بها و يقال قاتل أمه ، فمكثت يومين بلياليهما فقال : يا أماه ، لوكانت لك مائة نفس فخرجت نفسا [نفسا -[4]] ما تركت

(١ - ١) فى ظ : هو موجب ، و فى مد : هو الموجب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : نقع (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : النصف (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : تلطيفالعباده ، و فى ظ : تلطفا لعباده (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : العقود .

٦٤ /

دينى فكلى، و إن شئت فلا تأكلى! فلما أيست[١] منه أكلت و شربت - و أصل القصة فى الترمذى[٢] .

و لما كان التهديد: فالذين[٣] أشركوا و عملوا السيئات لندخلنهم فى المفسدين، و لكنه طواه لدلالة السياق عليه، عطف عليه [زيادة فى الحث على الإحسان إلى الوالدين -[٤]] قوله: ﴿و الذين 'امنوا و عملوا﴾ ٥ فى السراء و الضراء ﴿الصّٰلحٰت﴾ .

و لما كان الصالح فى الغالب سيء الحال فى الدنيا ناقص الحظ منها، فكان عدوه ينكر أن يحسن[٥] حاله أشد إنكار،[٦] أكد قوله[٦]: ﴿لندخلنهم﴾ أى بوعد لا خلف[٧] فيه ﴿فى الصّٰلحين ﴾ و ناهيك به من مدخل، فانه من أبلغ صفات المؤمنين . ١٠

و لما كانت ترجمة ما مضى من قسم الراجى و المجاهد و العامل للصالح[٨]: فمن الناس - كما أشير إليه - من يؤمن بالله، فاذا أوذى فى الله صبر و[٩]احتسب انتظارا[٩] للجزاء من العلى الأعلى، و لكنه حذف من كل جملة ما دل عليه بما ذكر فى الأخرى، عطف عليه: ﴿و من الناس﴾ أى المذبذبين[١٠] ﴿من يقول﴾ أى بلسانه دون طمأنينة من قلبه: ١٥ ﴿'امنا بالله﴾ أى الذى اختص بصفات الكمال، و أشار - بعد الإيماء[١١]

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: فايست (٢) راجع ٢ / ٣٩١ : تفسير سورة العنكبوت (٣) فى مد: و الذين (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى مد: يصلح (٦-٦) فى مد: قال (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لانخلف (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الصالح (٩ - ٩) فى مد: أحسن الانتظار (١٠) فى ظ و مد: المذنبين (١١) فى ظ و مد: الإيمان .

إلى كثرة هذا الصنف بالإسناد إلى ضمير الجمع - إلى أن الأذى فى هذه الدار ضربة لازب لابد منه، بقوله بأداة التحقيق : ﴿ فاذآ اوذى ﴾ أى فتنة له و اختبارا من أىّ مؤذ كان ﴿ فى الله ﴾ أى بسبب كونه فى سبيل [الله -[1]] الذى لايدانيه فى عظمته و جميع صفاته [2]شىء، يبلاء[2] ٥ يسلط بـه عباده عليه ﴿ جعل ﴾ أى [3]ذلك الذى[3] ادعى الإيمان ﴿ فتنة الناس ﴾ أى له بما يصيبه[4] من أذاهم فى جسده الذى إذا مات انقطع أذاهم عنه ﴿ كعذاب الله[5] ﴾ أى المحيط بكل شىء، فلا يرجى الانفكاك منه، فيصرف المعذب[5] بعد الشماخة و الكبر إلى الخضوع و الذل، لأنه لاكفؤ له و لا مجير عليه، فلا يطاق عذابه، لأنه على كل من الروح ١٠ و الجسد، لا يمكن مفارقتـه لها و لا لواحـد منهما بموت و لا بحياة إلا بارادته حتى يكون عمل هذا المعذب عند[6] عذاب الناس له الطاعة لهم فى جميع ما يأمرون به ظاهرا و باطنا، فيتبين حينئذ أنه كان كاذبا فى دعوى الإيمان، و قصر الرجاء على الملك الديان، و أشار إلى أن الفتنة ربما استمرت إلى الممات و طال / زمنها بالتعبير بأداة الشك، و أكد /٦٥ ١٥ لاستبعاد كل سامع أن يقع من أحد بهت فى قوله : ﴿ و لئن جآء نصر ﴾ أى لحزب الله الثابتى الإيمان.

و لما كان الإحسان منه إنما هو محض امتنان، فلا يجب عليه لأحد

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يعنى لئلا. (٣ - ٣) فى ظ : الذى ذلك (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : يصيبهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : العذاب (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : عنه.

شيء، عبر بما يدل على ذلك مشيرا إلى انه يفعله لأجله صلى الله عليه و سلم فقال: ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك بنصر أهل دينك، تصديقا لوعدك لهم، و إدخالا للسرور عليك،

و لما كانت هذه حالة رخاء[1]، عبر بضمير الجمع إشارة إلى نحو قول الشاعر: ٥

و ما أكثر الإخوان[2] حين تعدهم ... و لكنهم فى النائبات قليل

فقال: ﴿ليقولن﴾ أى هؤلاء الذين لم يصبروا[3]، خداعا للمؤمنين خوفا و رجاء، و عبر فى حالة الشدة بالإفراد لئلا يتوهم أن الجمع قيد، و جمع هنا دلالة على أنهم لايستحيون من الكذب و لو على رؤس الاشهاد، و أكدوا لعلمهم[4] أن قولهم ينكر لأنهم كاذبون فقالوا: ﴿انا كنا معكم﴾ ١٠ أى لم نزايلكم بقلوبنا و إن أطعنا أولئك بألسنتنا.

و لما كان التقدير: أليس أولياؤنا المتفرسون بأحوالهم[5] عالمين؟ عطف عليه منكرا قوله: ﴿او ليس الله﴾ المحيط بعلم الباطن كما هو محيط بعلم الظاهر ﴿باعلم بما فى صدور العلمين ه﴾ أى كلهم، منهم[6] فلا يخفى عليه شيء من ذلك إخلاصا كان أو نفاقا، بل هو أعلم من أصحاب ١٥ الصدور بذلك[7].

و لما أنكر عدم العلم، صرح بالعلم فقال واعدا متوعدا[8]، عاطفا

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: الرجاء (٢) فى ظ و مد: الأصحاب (٣) فى مد: لم تصبروا - كذا (٤) فى ظ و مد: بعلمهم (٥) زيد فى ظ و مد: بهم. (٦) سقط من مد (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى مد: متواعدا.

على ما أفهمه السياق من نحو: فقد علم الله جميع ما أخفوا و ما أعلنوا: ﴿ و ليعلمن الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة فى عالم الشهادة حتى ينكشف ذلك لديكم كما هو عالم به فى عالم[1] الغيب ﴿ الذين امنوا ﴾ أى وقع[2] منهم إيمان. و ليعلمن المؤمنين[3] إيمانا صادقا [بما -[4]] يواليه عليهم من المحن، و هم لا يزدادون إلا تسليما و رضى، و[5] أكده لما[5] قدم من أن ٥ الناس حسبوا أنهم لايفتنون ﴿ و ليعلمن ﴾ الذين نافقوا و ليعلمن ﴿ المنفقين ه ﴾ بمثل ذلك من الزلازل و الفتن التى يميلون معها كيفما ميلتهم، حتى يعلم كل[6] من له لب أنه لا إيمان لهم[7] كما أنه لا أيمان لهم[7]، و لاشك أنه يعامل كلا من الفريقين بما يستحق على حسب ما يعلم ١٠ من[8] قلبه، و الآية[9] من الاحتباك[9] كما مضى [عند -[10]] "[7]و ليعلمن الله الذين صدقوا[7]".

و لما كان السياق للفتنة و الأذى فى الله المحقق أمره باذا دون 'إن' و كان الكفار يفتنون من أسلم[11] فى أول الأمر، ذكر سبحانه بعض ما كانوا يقولون[7] لهم عند الفتنة جهلا بالله و غرورا[7]، فقال معجبا منهم[12]،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: علم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اوقع (٣) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى ظ و مد: اكدما (٦) سقط من ظ ومد.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عن.
(٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: احتباك (١٠) زيد تمشيا مع السياق.
(١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الله (١٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فحذفناها.

عاطفا على "و من الناس من يقول": ﴿ و قال الذين كفروا ﴾ اغترارا[1] منهم بالله و جرأة على حماه المنيع ﴿ للذين ﴾ أى لطائفة ممن يقول بلسانه: آمنا بالله، وهم الذين ﴿ ءامنوا ﴾ أى حقيقة، جهلا منهم بما خالط قلوبهم من بشاشة الإيمان، و أنوار العرفان: ﴿ اتبعوا ﴾ أى كلفوا أنفسكم بأن تتبعوا ﴿ سبيلنا ﴾ أى طريق ديننا، و عطفوا ٥ وعدهم فى مجازاتهم على ذلك بصيغة الأمر على أمرهم باتباعهم للدلالة على أنه محقق لا شك فيه فقالوا: ﴿ و لنحمل خطٰيكم ﴾ بوعد صادق و أمر محتوم جازم، إن كان ما تقولون[2] حقا إنه لابد لنا من معاد تؤاخذ فيه بالخطايا، و لو دروا لعمرى ما الخبر، يوم يقولون: لا مفر، ما عرضوا أنفسهم لهذا الخطر، يوم يود كل امرئ[3] لو افتدى / بماله و بنيه، و عرسه ١٠ /٦٦ و أخيه، و صديقه و أبيه، و يكون كلامهم - و إن كان أمرا - بمعنى الخبر[4] لأنه وعد كذبه سبحانه لأن معناه: إن كتب عليكم إثم حملناه عنكم بوعد[5] لا خلف فيه[6] ﴿ و ما هم ﴾ أى الكفار ﴿ بحٰملين ﴾ ظاهرا و لا باطنا ﴿ من خطٰيهم ﴾ أى المؤمنين ﴿ من شىء ﴾ و هم يقدرون أن لا يحملوا، أو حملا يخفف عنهم العذاب، أى أنهم إذا عاينوا تلك الأحوال[7]، ١٥ و طاشت عقولهم فى بحار هاتيك الأهوال[8]، التى لا يقوم لها الجبال،

(١) فى مد: اعتزازا (٢) فى مد: يقولون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: احد (٤) فى ظ و مد: الجد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يوم (٦) زيد فى الأصل و ظ: فقال، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) فى مد: الاهوال (٨) فى مد: الأحوال.

تبرأوا ممن قالوا له هذا المقال ، فقد أخبروا بما لا يطابق الواقع[١] ، و يجوز أن يكونوا تعمدوا الكذب حال الإخبار إن[٢] كانت نيتهم أنهم لا يفون[٣] على تقدير تحقق الجزاء .

و لما علم من هذا كذبهم بكل حال سواء تعمدوا أو لا ، صرح ٥ به تأكيدا لمضمون ما قبله ، مؤكدا لأجل ظن[٤] من غروه[٥] صدقهم فى قوله [مستأنفا - [٦]] : ﴿ انهم لـكذبون ﴾ .

و لما كان كل من أسلك أحدا طريقا كان شريكه فى عمله فيها ، فكان عليه مثل[٧] وزره إن كانت طريق ردى ، و له مثل[٤] أجره إن كانت سبيل هدى ، قال تعالى مؤكدا لإنكارهم الآخرة و كل ما فيها : ١٠ ﴿ و ليحملن ﴾ أى الكفرة ﴿ اثقالهم ﴾ التى حملوها أنفسهم الضعيفة بما اكتسبوا ﴿ و اثقالا ﴾ أخرى لغيرهم ﴿ مع اثقالهم ز ﴾ بما تسببوا به[٨] من إضلال غيرهم ، و من تأصيل السنن الجائرة[٩] الجارية بعدهم ، فمن[١٠] سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل[١١] بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص أحدهم من حمل[٤] الآخر شيئا[١٢] .

١٥ و لما كان للسؤال[١٣] على طريق الازدراء و الإذلال ، من الرعب

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المواقع (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : بـأن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يثون ـ كذا (٤) سقط من مد . (٥) زيدت الواو فى مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : بمثل (٨) فى ظ و مد : فيه (٩) فى ظ و مد : الجائزة (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : ممن . (١١) فى مد : بعمل (١٢) من ظ و مد . و فى الأصل : شىء (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : السوال .

فى القلب ما ليس للأفعال قال: ﴿و ليسئلن﴾ أى من كل من أمره[1] المولى بسؤالهم ﴿يوم القيمة﴾ أى الذى هم به مكذبون، و له مستهينون[2] و التأكيد إما لإنكارهم ذلك اليوم، أو لظن أن العالم لا يسأل عما يعلمه[3]، ﴿عما كانوا﴾ أى بغايـــة الرغبة ﴿يفترون ع﴾ أى يتعمدون كذبه، و يُعمِلون أفكارهم فى ارتكابه [و يواظبون عليه -[4]]، و التعبير بصيغة ٥ الافتعال يدل على أنهم كانوا يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه و سلم و يتعمدون الكذب فى وعدهم لمن[5] غروه.

و لما كان السياق للبلاء و الامتحان، و الصبر على الهوان، و إثبات علم الله و قدرته على إنجاء الطائـع و تعذيب العاصى، ذكر من الرسل الكرام عليهم الصلاة و السلام من طـال صبره على البلاء، و لم يفتر ١٠ عزمه عن نصيحة العباد [على -[6]] ما يعاملونه به من الأذى، تسلية لرسوله صلى الله عليه و سلم و لتابعيه رضى الله تعالى عنهم و تثبيتا لهم و تهديدا لقريش. فقال عاطفا على " و لقد فتنا الذين من قبلهم " ما هو كالشرح له، و له نظر[7] عظيم إلى " و لقد وصلنا لهم القول " و أكده دفعا لوهم من يقول: إن القدرة على التصرف فى القلوب مغنية عن الرسالة ١٥ فى دار التسبيب: ﴿و لقد ارسلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة المغنية عن الرسالة إجراء للأمور على ما تقتضيه هذه الدار من حكمة التسبيب

---

(١) فى مد: امر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مستمنيون (٣) فى مد: يعمله (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٦) زيد من مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: نظير.

﴿نوحا﴾ أى أول رسل الله إلى الخافقين[1] من العباد، وهو معنى ﴿الى قومه﴾ فان الكفر كان قد عم أهل الأرض، وكان صلى الله عليه و سلم أطول الأنبياء بلاء بهم. و لذلك قال مسببا عن ذلك و معقبا: ﴿فلبث فيهم﴾ أى بعد الرسالة يدعوهم إلى الله. وعظم الأمر / بقوله: ﴿الف﴾ فذكر / ٦٧

٥ رأس العدد الذى لا رأس أكبر منه، و عبر بلفظ ﴿سنة﴾ ذما لأيام الكفر، و قال: ﴿الا خمسين﴾ لحقق أن ذلك الزمان تسعمائة و خمسون من غير زيادة و لا نقص مع الاختصار و العذوبة، و قال: ﴿عاما﴾ إشارة إلى أن زمان حياته عليه الصلاة و السلام بعد إغراقهم كان رغدا واسعا حسنا بايمان المؤمنين و خصب[2] الأرض.

١٠ و لما كان تكرير الدعاء مع عدم الإجابة أدل على الامتثال و عدم الملال، قال مسببا عن لبثه فيهم و دعائه لهم و معقبا له[3]: ﴿فاخذهم﴾ أى كلهم بالإغراق أخذ قهر و غلبة ﴿الطوفان﴾ أى من الماء، لأن الطوفان فى الأصل لكل فاش[4] طامّ محيط غالب ممتلئ كثرة و شدة و قوة من سيل أو ظلام أو موت أو غيرها، و المراد هنا الماء ﴿و هم ظلمون﴾

١٥ أى عريقون فى هذا الوصف، و هو[5] وضع الأشياء فى غير مواضعها فعل[6] من يمشى فى أشد الظلام، بتكذيبهم رسولهم، و إصرارهم على كفرهم، و هو ملازم لدعائهم ليلا و نهارا لم يرجع منهم عن الضلال إلا ناس

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: المخالفين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خصيب (٣) زيد فى ظ و مد: و معقبا لهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فاس (٥) فى ظ: هذا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فقل.

لقلتهم لايعدون ؛ و دل عليهم مسببا عن ذلك بقوله : ﴿ فانجينٰه ﴾ أى نوحا عليه السلام بما لنا من العظمة التى لايغلبها شيء ﴿ و اصحٰب السفينة ﴾ من أولاده و أتباعه ، من الغرق ، و ما ذا يبلغ مقدار أهل سفينة واحدة فى العـــدة و الكثرة ﴿ و جعلنٰها ﴾ أى الفعلة أو السفينة أى[1] نفسها و جنسها ، بتلك العظمة ﴿ اٰية ﴾ أى علامة على قدرة الله و علمه و إنجائه ٥ للطائع[2] و إهلاكه للعاصى[3] ﴿ للعٰلمين ه ﴾ فانه لم يقع فى الدهر حادثة أعظم منها ولا أغرب و لا أشهر فى تطبيق الماء[4] جميعَ الأرض ، بطولها و العرض ، و إغراق جميع من[5] عليها من حيوان : إنسان[6] و غير إنسان[6] ، و إنجاء ناس فيهم بما هيأ[7] قبل الفعل من سبب ذلك المستمر نفعه على تكرار[8] الأحقاب و تعاقب الأزمان ، وكونها آية أما[9] للآدميين الذين كانوا فى ١٠ ذلك الزمان فالأمر فيهم واضح ، و أما غيرهم من الحيوان فقد عرفوا[10] لمعرفتهم بالجزئيات المشاهدة أن ذلك الماء لاينجى منه "فى دار الأسباب" إلا هذه السفينة ، فالهداية إلى فعلها للنجاة قبل وقوع سبب الهلاك دالة[12] على تمام العلم و شمول القدرة ، و أن من اهتدى إليه دون أهل ذلك

---

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : او (٢) فى مد : الطائع (٣) فى مد : العاصى .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المال (٥) فى ظ و مد : ما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انسانى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مضى (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : تكرير (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : الا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : غرفوا (١١-١١) فى ظ : دار الأسباب ، و فى مد : من الاسباب (١٢) فى الأصل : قال ، فى ظ و مد : دال .

الحصر كلهم إنما اهتدى بإعلام الله له دون غيره، و نصف الآية الأولى الأول [من هذه القصة -[1]] تسلية و تعزية دليلا[2] على آيتى الفتنة أول السورة. و نصفها الثانى[2] تحذير و توقية[3]، [و فيه -[4]] دليل[5] على الآية الثالثة، و الآية الأخرى تبشير[6] و ترجية[6]، [و فيه -[4]] دليل على ما بعد.

٥ و لما كان بلاء إبراهيم عليه الصلاة و السلام عظيما فى قذفه فى النار و إخراجه من بلاده، اتبعه بـه فقال: ﴿ و ابرٰهيم ﴾ أى و لقد أرسلنا إبراهيم، و يجوز أن يكون التقدير: و اذكر إبراهيم أباك الأعظم لتتأسى به و تتسلى و[7]يتعظ قومك[7] بقصته، لكن قوله "و الى مدين" يرجح الأول، و دل على مبادرته للامتثال بقوله: ﴿ اذ ﴾ أى[8] حين، ١٠ و هو بدل اشتمال على التقدير الثانى لاشتمال الأحيان على ما قبلها[8] ﴿ قال لقومه ﴾ الذين هو منهم: ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم بما يأمركم به من طاعته ﴿ و اتقوه ﴾ أى خافوه فى أن تشركوا به شيئا فانه يعذبكم ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم / الذى هو إخلاصكم فى عبادتكم له و تقواكم ﴿ خير لكم ﴾ أى من كل شىء ﴿ ان كنتم ﴾ أى بما لكم ١٥ من الغرائز الصالحة ﴿ تعلمون[9] ﴾ أى [إن كنتم -[1]] فى عداد من يتجدد

٦٨ /

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ، و فى الأصل: تولية، و سقط من مد (٤) زيد من مد (٥) فى مد: دلالة (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧ - ٧) فى مد: تتعظ (٨) فى ظ و مد: فيها (٩) تكرر فى الأصل قبل « اى بما لكم ».

له

له علم فأنتم تقولون: إنه خير، أي[1] تعتقدون ذلك فتعملون[2] به، و إن لم تعلموا ذلك فأنتم فى عداد الحيوانات العجم، بل أضل، فانها تهتدى لما ينفعها فتقبل[3] عليه، و تسعى بجهدها[4] إليه.

و لما أمرهم بما تقدم، و نفى[5] العلم عمن جهل خيريته، دل عليه بقوله: ﴿انما تعبدون[6]﴾ و لما كان الله أعلى من كل شيء قال: ﴿من دون الله﴾ أى الذى لاشبيه له و لانظير، [و لاثانى -[7]] و لا وزير، و قال: ﴿اوثانا﴾ إشارة إلى تفرق الهم بكثرة[8] المعبود، و الكثرة يلزمها الفرقة و لاخير فى الفرقة. و مادة "وثن" بجميع تقاليبها واوية و يائية مهموزة[9] تدور على الزيادة و الكثرة، و يلزمها الفرقة من اختلاف الكلمة، فيلزمها حينئذ الرخاوة فيأتى العجز، و تراكيبها تسعة: فى الواوى ثلاثة: وثن ثنو ثون[10]، و فى اليائى ثلاثة: ثنى نثى ثين، و[11] فى المهموز ثلاثة: أنث أثن نأث، فمن الزيادة: الوثن، قال القزاز: قال أبو منصور: الفرق بين الوثن و الصنم أن الوثن[12] كل ما[12] كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة [أو ذهب -[13]] أو جوهر أو غيره ينحت[14] فينصب فيعبد[14]،

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: ان (٢) فى ظ: فتعملون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لتقبل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: جهدها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: مضى (٦) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: يصدون (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد: لكثرة (٩) زيد فى ظ و مد: و غير مهموزة (١٠) فى مد. نوث (١١) سقطت الواو من ظ. (١٢-١٢) من مد. و فى الأصل وظ: كلما (١٣) زيد من مد (١٤-١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و ينصب و يعبد.

و الصنم الصورة التى بلاجثة، و منهم من جعل الوثن صنما - انتهى . و قال
عبد الحق : قال الهروى : قال ابن عرفة : ما كان له صورة من جص
أو حجارة أو غير ذلك فهو وثن - انتهى . فقد علم من ذلك أنه لابد
فيه من صورة أو جثة، و على كل تقدير فهو ثان لما شابه[1] صورته
٥ أو جثته[2] و زائد عليه . و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى[3] فى
كتاب الزينة : الصنم تمثال من حجارة على صورة الإنسان، فاذا كان
من خشب فهو وثن، و يتخذ أيضا من جص، و ربما صوروا فى الحائط
أيضا صورة إنسان [4]فتسمى تلك[4] الصورة أيضا وثنا . و النصارى
يفعلون ذلك ويصورون فى بيعهم صورة المسيح و صورة مريم و يسجدون لها؛
١٠ و استوثن المال : سمن، فزاد لحمه، و استوثن من المال : استكثر، و النحل[5] :
صارت فرقتين صغارا وكبارا، و الإبل : نشات[6] أولادها معها، و أوثن
زيدا : أجزل عطيته، و الواثن : الشيء الثابت الدائم فى مكانه، فالزيادة
فيه بالنسبة إلى زمانه ، و يمكن أن يكون من الرخاوة، فانه لا يثبت على

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : غابه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : جسه - كذا (٣) ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ١ / ٦٤، و لم يذكر تصانيفه، و أما كتاب الزينة فنسبه فى كشف الظنون إلى أبى حاتم سهل بن محمد السجستانى (٤-٤) من ظ و مد . و فى الأصل : و تسمى ذلك، و العبارة من بعده إلى « فى بيعهم » ساقطة من مد (٥) فى ظ و مد و القاموس : النخل، و فى التاج : و الصواب بالحاء المهملة (٦) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل : شات - كذا .

هذه الصورة إلا ما لا قدرة له على حركة. و من الفرقة: ثنا الحديث - بتقديم النون - ينثوه و ينثيه - يأتي و واوي: اشاعه و حدث[1] بـــه، و الشيء[2]: فرقه و أذاعه، و أنثى: اغتاب و أنف من الشيء، و لا يؤنف[3] منه إلا على [4]تقدير نشره[4]، و الثوينا - كالهوينا: [5]الرقيق يفرش[5] تحت الرغيف [6]ليسوى و يعدل لأن يكون ظلمه[6]، و التثاون: الاحتيال ٥ و الخديعة، فانها لا تكون إلا عن[7] جمع فكر و تنبيه[8] نظر، و هي أيضا لا تكون إلا من عاجز عن الأخذ جهارا، و من ذلك [9]تثاون للصيد[9] - إذا جاءه مرة عن يمينه و أخرى[10] عن يساره، و الثنى من كل شيء [ما -[11]] يثنى بعضه على بعض، و من الوادي: منعطفه[12] و اثنوني: انعطف، / و الثناء - ككتاب: عقال البعير، و هو حبل مثنى يعقل به ١٠ / ٦٩ يد البعير فتثنى، و الفناء لأنه[13] يكثر انتيابه[14] و التردد إليه[15]، وأثناء الشيء: قواه و طاقاته، و الاثنان: ضعف الواحد، و المؤنث ثنتان. و أصله ثني،

---

(١) من ظ ومد والقاموس، و في الأصل: حذف (٢) في مد: انثى - كذا. (٣) في ظ و مد: لا يوثق (٤-٤) في ظ و مد: تقديره (٥ - ٥) من ظ و مد و القاموس. و في الأصل: لدقيق يفرق (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد. (٧) من ظ و مد. و في الأصل: بمن (٨) من ظ و مد، و في الأصل: تثنة. (٩-٩) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل: نثاوى للعبيد (١٠) في مد: مرة (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من مد و القاموس. و في الأصل و ظ: معطفه (١٣) من ظ، و في الأصل: لا (١٤-١٤) من ظ، و في الأصل: انثنابه و الترد - كذا (١٥) العبارة من « و الفناء » إلى هنا ساقطة من مد.

و الاثنين[1] و الثنى كالى : يوم فى الأسبوع ، و ثنيته عن وجهه : رددته ، فصارله رجوع بعد ذهاب ، وثنيت الرجلين : صرت[2] ثانيهما[3] و أنت أحدهما ، و لا يقال : ثنيت فلانا ، و لكن يقال : صرت له ثانيا ، و المثانى : القرآن أو[4] ما ثنى منه مرة بعد مرة ، أو الحمد ، أو البقرة إلى براءة - هكذا عبر
٥ فى القاموس[5] ، و فى مختصر العين : و يقال : سور أولها البقرة و آخرها براءة ، و ذكر فى القاموس[5] فى ذلك أقوالا أخرى ، و من أوتار العود [الذى بعد -[6]] الأول واحدها مثنى ، و مثنى الأيادى : إعادة المعروف مرتين فأكثر ، و الثنية : العقبة أو طريقها أو الجبل[7] أو الطريقة[8] فيه - لأنها بطلوعها و نزولها أو تعاريجها كأنها ثنيت مرتين ، و الثنايا من
١٠ الأسنان : الأربع التى[9] فى مقدم الفم : ثنتان من فوق ، و ثنتان[10] من أسفل ، و الناقة الطاعنة[11] فى السادسة ، و البعير ثنىّ ، و الفرس الداخلة فى الرابعة[12] و الشاة [فى الثالثة -[13]] كالبقرة ، و كأن ذلك كله من عرض

---

(١) كذا فى الأصل و ظ ، وفى مد : يوم الاثنين ، وفى القاموس : الاثنان .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : صرنا (٣) فى مد : ثانيا لهما (٤) من القاموس ، وفى الأصول «و» (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) زيد من القاموس .
(٧) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الحين (٨) فى مد : الطريق .
(٩) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الذى (١٠) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : اثنتان (١١) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الطاغية
(١٢) من القاموس ، و فى الأصل : الثالثة ، وفى ظ ومد : السادسة (١٣) زيد من ظ و مد و القاموس .

يعرض

يعرض لثنية الحيوان، و الثنيـــة: النخلة المستثناة من المساومة، و الثنية و الثناء: وصف بمدح أو ذم، أو خاص بالمدح، و ذلك لأنه يكرر، و الثين بالكسر: من يستخرج الدر من البحر، لأنه يكرر الغوص حتى يجد و يفارق مكانه لذلك و يفرق الدر من مكانه، و الثين أيضا: مثقب اللؤلؤ، لأن الثقب يفرق بين آجزائها [و - [1]] لأن المثقب نفسه ٥ يحرك فيكثر[2] من حركته إذا فعل به ذلك . و من مهموزه: نأث عنه: بعد، و المنأث - بالضم، المبعد، و الأثين: الأصيل[3]. لأنه ثان لأصله، و[4] من الرخاوة الأنثى خلاف الذكر، و الأنيث من الحديد الرخو و هو ما لم يكن ذكرا، و المؤنث: المخنث[5]، و الأنثيان: الخصيتان و الأذنان، [و -[6]] أرض أنيثة و مئناث[7]: سهلة، و سيف مئناث: كهام أي[8] فليل ١٠ لا يقطع - فقد تحرر أن المادة كلها دائرة على ما لا ينبغي[9] لرتبة الإلهية من الكثرة [و - [10]] الفرقة و الرخاوة، و لذلك أتى بصيغة الحصر، و هو قصر قلب لسلب ما اعتقدوه فيها من الإلهية .

و لما أشار لهم إلى عدم صلاحيتها لتلك الرتبة العلية، و الغاية الشماء السنية، بكثرتها[11]، أشار إلى قصورها أيضا بتصويرها فقال بصيغة المضارع ١٥

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: ليكثر (٣) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل: الاصل (٤) من ظ و مد، و في الأصل: او (٥) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل: المحفف (٦) زيد من ظ و مد والقاموس (٧) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل: منشات (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ، و في الأصل: لم ينبغى، و في مد: ينبغى (١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من مد .

إشارة إلى ما يرى في[1] كل وقت من تجدد[2] حدوثها : ﴿و تخلقون﴾ أى تصورون بأيديكم ﴿ افكا[3] ﴾ أى شيئا مصروفا عن وجهه ، فانه مصنوع و أنتم تسمونه باسم الصانع ، و مربوب و أنتم تعدونه[3] ربا ، و عبد و أنتم تقيمونه معبودا ، او تقولون فى حقها أنها آلهة كذبا .

٥ و لما كان الإنسان محتاجا أبدا ، فكان[4] لا يزال متوجها إلى من [5]ينفعه ، و كان[5] قد أشار سبحانه إلى نقص معبوداتهم بنفي الخير عنها ، صرح بعجزها ، و أثبت اختصاصه بالخير ، لينتج استحقاقه[6] للعبادة دونها [7]و أكده[7] ردا لما كانوا يتوهمونــه[8] من نفعها و ضرها فقال : ﴿ ان الذين تعبدون ﴾ ضلالا و عدولا عن الحق الواضح

١٠ ﴿من دون الله﴾ المحيط / بصفات الكمال ، المنزه عن شوائب الاختلال [الذى لا يمكن أن يملأ[9] جميع ما تحت رتبته شيء فكيف برتبته الشماء ، و حضرته العلياء - [9]] ﴿ لا يملكون لكم ﴾ أى و أنتم تعبدونها فكيف بغيركم ﴿ رزقا ﴾ أى شيئا من الرزق الذى لا قوام لكم بدونه ، فتسبب عن ذلك قوله : ﴿ فابتغوا ﴾ و أشار بصيغة الافتعال إلى السعى فيه ،

١٥ لأنه أجرى عادته سبحانه أنه فى الغالب لا يؤتيه إلا [10]بكد من المرزوق[10]

/٧٠

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ و مد : تجديد (٣) فى ظ و مد : تعبدونه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : وكان (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتبعه و قد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اختصاصه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتهمون (٩) زيد من ظ و مد (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بله من الرزق .

و جهد، إما فى العبادة و التوكل، و إما فى السعى الظاهر فى تحصيله بأسبابه الدنيوية «و العاجز من أتبع نفسه هواها [١]و تمنى على الله الأمانى[١]».

و لما أشار إلى ذلك، أشار إلى الإجمال فى الطلب، و أن لايعتقد أنه لامحالة فى السبب، و إنما الأمر مع ذلك بيده، إن شاء أنجح و إن شاء خيب، بقوله: ﴿عند الله﴾ أى الذى له [٢]كل صفة[٢] كمال ﴿الرزق﴾ ٥ أى كله، فانه لا شيء منه إلا و هو بيده، و قد دخل فيه كل موجود، فان الكل خلق لذلك، فأحكمت صنعته و ربط[٣] بعضه ببعض، فلو نقص منه شيء لاختل النظام، فتبطل الأحكام ﴿و اعبدوه﴾ أى عبادة يقبلها، و هى ما كان خالصا عن الشرك، فان من يكون كذلك يستحق ذلك[٤] و يثيب[٥] العابد له، و يعاقب الزاهد فيه، فلا يشغلكم ابتغاء[٦] الرزق ١٠ بالأسباب الظاهرة عن عبادته، فانها هى الأسباب الحقيقية، فربما حرم العبد الرزق بالذنب يصيبه ﴿و اشكروا﴾ أى أوقعوا الشكر ﴿له﴾ خاصة على ما أفاض عليكم من النعم؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿اليه﴾ أى[٧] وحده ﴿ترجعون ه﴾ أى معنى[٨] فى الدنيا و الآخرة بأنه لاحكم فى الحقيقة لأحد سواه، و حسا [٩]بالنشر و الحشر[٩] بعد الموت بأيسر أمر فيثيب[١٠] ١٥ الطائع و يعذب العاصى فى الدارين.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢-٢) فى ظ و مد: صفة كل (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: رد على (٤) فى مد: كذلك (٥) فى ظ و مد: يثبت (٦) فى ظ و مد: ايضا (٧) سقط من ظ ومد (٨) فى ظ: بمعنى (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بالحشر و النشر (١٠) فى مد: فيثبت.

و لما كان التقدير : فان تصدقوا فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة، عطف عليه قوله : ﴿و ان تكذبوا﴾ و الذى دلنا على هذا المحذوف هذه الواو العاطفة على غير معطوف معروف ﴿فقد﴾ أى فيكفيكم فى الوعظ و التهديد معرفتكم بأنه ﴿كذب امم﴾ فى الأزمان الكائنة ﴿من قبلكم﴾
٥ كثيرة، كعاد و ثمود و قوم نوح و غيرهم، فجرى الأمر فيهم على سنن واحد لم يختلف قط فى نجاة المطيع للرسول و هلاك[1] العاصى له، و لم يضر ذلك الرسول شيئا و ما ضروا به[2] إلا أنفسهم ﴿و ما على الرسول﴾ أن يقهركم[3] على التصديق، بل ما عليه ﴿الا البلغ المبين ه﴾ الموضح - مع ظهوره فى نفسه - للأمر بحيث لا يبقى فيه شك، باظهار المعجزة،
١٠ و إقامة الأدلة على الوحدانية.

و لما كان التقدير : ألم تروا إلى مصارعهم ؟ و اتساق الحال فى أمرهم ؟ فيكفيكم ذلك زاجرا، عطف[4] عليه للدلالة على الرجوع إليه منكرا[5] قوله : ﴿ او لم يروا ﴾ بالخطاب[6] فى قراءة حمزة و الكسائى و [فى ـ[7]] رواية عن أبى بكر عن عاصم جريا على النسق السابق،
١٥ و بالغيب للباقين[5]، إعراضا للايذان بالغضب ﴿كيف يبدئ الله﴾ أى الذى له كل كمال ﴿ الخلق ﴾ أى يجدد إبداءه فى كل لحظة، و هو بالضم من أبدأ، و قرئ بالفتح من بدأ، و هما معا بمعنى الإنشاء من العدم ؛ قال

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : اهلاك (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : يقهرهم (٤) فى مد : عظيما عطفا (٥) سقط من ظ و مد (٦) راجع نثر المرجان ٥ / ٢٣٣ (٧) زيد من ظ و مد.

القزاز : أبدأت[1] الشيء أبدئه إبداء[2] - إذا أنشأته ، و الله المبدئ[3] أي الذي بدأ الخلق[3] ، يقال : بدأهم و أبدأهم ، و في القاموس : بدأ الله الخلق : خلقهم كأبدأ[4] . و رؤيتهم[5] للابداء موجودة / في الحيوان و[5] للابداء و الإعادة في النبات ، و لافرق في الإعادة[6] بين شيء و شيء فيكون قوله - ﴿ثم يعيده﴾ أي يجدد إعادته في كل لحة - معطوفا على " يبدئ " و لو لم يكن كذلك لكان عطفه عليه من حيث أن مشاهدة حال الابتداء جعلت مشاهدة لحال الإعادة من حيث أنه لا فرق ، و لاحاجة حينئذ إلى تكلف عطفه على الجملة من أولها . ثم حقر[7] أمره بالنسبة إلى عظيم قدرته ، فقال ذاكرا نتيجة الأمر[8] السابق : ﴿ان ذلك﴾ أي الإبداء و الإعادة ، و أكد لأجل إنكارهم[9] ﴿على الله يسير ﴾ لأنه الجامع لكل كمال ، المنزه عن كل شائبة نقص .

/ ٧١

و لما ساق العزيز الجليل هذا الدليل ، عما حاج به قومه الخليل ، انتهزت الفرصة في إرشاد نبيه من إسماعيل عليهما الصلاة و السلام [10]و التحية و الإكرام ، و ذلك أنه لما استدل عليه السلام[10] على الوحدانية المستلزمة للقدرة على المعاد بابطال إلهية معبوداتهم المستلزم لإبطال كل

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : ابديت (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ابداه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من القاموس ، و في الأصل : كما بدا ، و في ظ و مد : كأبداهم (٥) سقط من ظ و مد (٦) في مد : القدرة .
(٧) من مد ، و في الأصل و ظ : خص (٨) في ظ و مد : الكلام (٩) في ظ و مد : انكاره (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من مد .

ما شاكلها، لحصل الاستعداد للتصريح بأمر المعاد، فصرح به، كان ذلك
فخرا[1] عظيما، و مفصلا بينا جسيما، لإقامة الحجة على قريش و سائر العرب،
فانتهزت فرصته[2] و اقتحمت لجته، كما هي عادة البلغاء، و دأب الفصحاء
الحكماء[3]، لأن ذلك كله إنما سيق تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم و وعظا
٥ لقومه فقيل: ﴿قل﴾ [أي -[4]] يا محمد لهؤلاء الذين [5]تقيدوا بما تقلدوا
من[5] مذاهب آبائهم من غير شبهة على صحته أصلا: قد ثبت أن هذا
كلام الله لما ثبت من عجزكم عن معارضته، فثبت أن هذا الدليل كلام
أبيكم إبراهيم عليه الصلاة و السلام و أنتم مصرحون بتقليد الآباء غير[6]
متحاشين من معرته[7] و لا أب لكم أعظم من إبراهيم عليه الصلاة و السلام،
١٠ فاذا قلدتم من لا يفارقه[8] في عبادة ما لا يضر و لا ينفع من غير شبهة
أصلا فقلدوا أباكم الأعظم في عبادة الله وحده لكونه أباكم. و لما أقام
على ذلك من الأدلة التي لا مراء فيها[9] قال: أو[10] ﴿سيروا﴾ إن
لم تقتدوا بأبيكم إبراهيم عليه السلام، و تأملوا ما أقام من الدليل القاطع
و البرهان الساطع ﴿في الارض﴾ إن لم يكفكم النظر في أحوال بلادكم.
١٥ و لما كان السياق لإثبات الإلهية التي تجب المبادرة إلى تفريغ الفكر
و توجيه كل الذهن إلى الاستدلال عليها، عبر بالفاء المعقبة فقال:

---

(١) في مد: محرى (٢) في ظ و مد: فرصة (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) في مد: تقلدوا (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: معرته (٨) في ظ و مد: لا يقاربه (٩) من ظ ومد، و في الأصل: فيما (١٠) من ظ و مد، و في الأصل «و».

﴿فانظروا﴾ أى نظر اعتبار ﴿كيف بدأ﴾ أى ربكم الذى خلقكم و رزقكم ﴿الخلق﴾ من الحيوانات[1] و النبات من الزروع[2] و الأشجار، و غيرها مما[3] تضمنته الجبال و السهول [4]و الأوعار[4]، و هذا يدل على أن الأول [5]فيما هو[5] أعم من الحيوان، فتقريرهم على الإعادة فيه حسن.

و لما كان المقصود بالذات بيان الإعادة التى هى من أجلّ مقاصد ٥ السورة، لإظهار ما مضى أولها من العدل يوم الفصل، وكانوا بها مكذبين، بين الاهتمام بأمرها بابراز الاسم الأعظم بعد تكريره فى هذا السياق غير مرة، و أضمره فى سياق البداءة لإقرارهم له بها، إشارة إلى أنه باطن فى هذه[6] الدار، ظاهر بجميع الصفات فى تلك، فقال: ﴿ثم الله﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال فلا يفوته شيء، المتردى بالجلال، فاخشوا ١٠ سطوته، و اتقوا[7] عقوبته و نقمته ﴿ينشئ النشأة الأخرة﴾ بعد النشأة الأولى. / ثم علل ذلك بقوله مؤكدا تنزيلا لهم منزلة المنكر لإنكارهم البعث: ﴿ان الله﴾ فكرر ذكره[8] تنبيها بعد التيمن به على ما ذكره[9] و على أنه فى كل أفعاله لاسيما هــذا مطلق غير مقيد بجهة من الجهات، و لا مشروط بأمر من الأمور ﴿على كل شيء قدير﴾ لأن نسبة الأشياء ١٥ كلها[10] إليه واحدة.

/ ٧٢

(١) فى ظ و مد: الحيوان (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: الزرع (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: بما (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥-٥) من مد، وفى الأصل و ظ: فى (٦) فى ظ: هذا (٧) فى ظ و مد: فاخشوا (٨) فى ظ و مد: ذلك (٩) فى ظ و مد: ذكر (١٠) سقط من ظ و مد.

و لما ثبت ذلك، أنتج[1] لا محالة قوله، مهددا بعد البيان الذى ليس بعده إلا العناد: ﴿ يعذب ﴾ بعدله ﴿ من يشآء ﴾ أى منكم و من غيركم فى الدنيا و الآخرة، فلا يقدر أحد[2] بشفاعة و لا غيرها على الحماية منه ﴿ و يرحم ﴾ بفضله ﴿ من يشآء ج ﴾ فلا يقدر أحد على[3] أن يمسه بسوء ﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ تقلبون ٥ ﴾ أى بعد موتكم بأيسر سعى ٥

و لما [4]لم يبق[4] للقدرة على إعادتهم مانع يدعى إلا ممانعتهم منها، أبطلها على تقدير ادعائهم لها فقال: ﴿ و مآ انتم ﴾ أى أجمعون العرب[5] و غيرهم ﴿ بمعجزين ﴾ أى بواقع إعجازكم فى بعثكم و تعذيبكم ﴿ فى الارض ﴾ كيفما تقلبتم فى ظاهرها و باطنها.

١٠ و لما كان الكلام هنا له أتم نظر إلى ما بعد البعث، و كانت الأحوال هناك خارجة عما يستقل به العقل، و كان اثر القدرة أتم و أكمل، و أهم و أشمل، و كان بعض الأرواح يكون فى السماء بعد الموت قال: ﴿ و لا فى السمآء ز ﴾ [أى -[6]] لو فرض أنكم وصلتم إليها بعد الموت بالحشر أو قبله، لأن الكل بعض ملكه، فكيف يعجزه من فى ملكه، ١٥ و يمكن أن يكون له نظر إلى قصة نمرود فى بنائه الصرح الذى أراد به التوصل إلى السماء لاسيما و الآيات مكتنفة بقصة إبراهيم عليه الصلاة و السلام من قبلها و من بعدها.

---

(١) زيد فى مد: ذلك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: واحد (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) فى ظ و مد: نبى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: العربه انتم - كذا (٦) زيد من ظ و مد.

و لما

و لما أخبرهم [1] انهم مقدور [1] عليهم ، و كان ربما بقي احتمال أن غيرهم ينصرهم ، صرح بنفيه [2] فقال [3] : ﴿ و ما لكم ﴾ أي أجمعين أنتم و غيركم أيها المحشورون، وأشار إلى سفول رتبة كل ما سواه بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أي الذي هو أعظم من كل عظيم ؛ [و أكد النفي باثبات الجار فقال - [4]] : ﴿ من ولي ﴾ أي قريب يحميكم لأجل القرابة ﴿ و لا نصير ﴾ ٥ لشيء [5] غير ذلك [5] لأنه لا كفوء له .

و لما كان التقدير : فالذين آمنوا بآيات ربهم و لقائه أولئك يرجون رحمتي و أولئك لهم نعيم مقيم ، و كان قد أمرهم بالاستدلال [6] ، و هددهم ليرجعوا عن الضلال ، بما أبقى [7] للرجال بعض [7] المحال ، أتبعه ما قطعه ، فقال عاطفا على ذلك المقدر : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أي ستروا ما أظهرته ١٠ لهم أنوار العقول ﴿ بايٰت الله ﴾ أي [8] دلائل الملك الأعظم المرئية و المسموعة التي لا أوضح منها ﴿ و لقآئه ﴾ بالبعث بعد الموت الذي اخبر به وأقام الدليل على قدرته عليه بما لا أجلى منه [9] ﴿ اولٓئك ﴾ أي البعداء البغضاء [10] البعيدو الفهم [10] المحطوطون عن رتبة الإنسان، بل رتبة مطلق الحيوان ﴿ يئسوا ﴾ أي تحقق يأسهم من الآن [11] ، بل من الأزل ، لأنهم لم يرجوا ١٥

(١-١) في ظ : انهم مقدورون ، و في مد : انه مقدور دل (٢) من ظ ومد، و في الأصل : بنفسه (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) في مد : غيره (٦) زيد في الأصل : به ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها . (٧ - ٧) في ظ و مد : للرجاء بعد (٨) زيد في ظ و مد : بسبب (٩) زيد في الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : الامان .

لقاء الله يوما ، و لا قال أحد منهم "رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين".

و لما كان أكثرهم متعنتا ، بين أن المتكلم بهذا الكلام ، العالى عن متناول الأنام[1]، هو الله المنوه باسمه[2] فى هذا النظام ، بالالتفات إلى أسلوب التكلم ، تنبيها لملفات[3] السامعين بما ملأ[4] الصدور و قصم الظهور فقال :

٥ ﴿من رحمتى﴾ أى من أن[4] أفعل بهم من الإكرام بدخول الجنة و غيرها فعل الراحم ؛ وكرر الإشارة تفخيما للأمر فقال : ﴿و اولٓئك﴾ أى الذين ليس[5] بعد بعدهم[6] بعد ، و تهكم بهم فى التعبير بلام الملك التى يغلب استعمالها فى المحبوب فقال : ﴿لهم عذاب اليم ٭﴾ / أى مؤلم بالغ إيلامه فى الدنيا و الآخرة .

/ ٧٣

١٠ و لما ختم سبحانه هذه الجملة[7] الاعتراضية بما ابتدأها[8] به و بما ختم به ما قبلها من كلام الخليل عليه الصلاة و السلام ، [9]و زاد هذا ما ترى من التهديد الشديد ، شرع فى إكمال قصته عليه الصلاة و السلام[9] دالا على أنه لا أحد يعجزه ، و لا يقدر على نصر أحد من عذابه الأليم ، مشيرا إلى أنهم سببوا[10] عن قوله ضد ما يقتضيه إيذانا بالعناد[11]، و الإصرار على

١٥ سوء الاعتقاد ، فقال : ﴿فما كان جواب قومه﴾ أى الذين يرجى قبولهم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الايام (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : باسمهم (٣) كذا ، و فى ظ و مد : لعتاب و ربما يكون « لعتاة » (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ ومد : بعد (٧) فى ظ : الجمل (٨) فى ظ ومد : بداها (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٠) فى مد : يئسوا (١١) فى ظ و مد : بالمعتاد .

لصحه علما منهم بوفور شفقته و عظم[١] أمانته و نصيحته ﴿الآ ان قالوا﴾ بأعظم فظاظة[٢] ﴿ اقتلوه ﴾ أى بالسيف ﴿ او حرقوه ﴾ أى بالنار .

و لما استقر رأى الجميع على هذا الثانى ، و لم يكن له فيهم نصير ، أشار إليه سبحانه بقوله ناسقا له على ما تقديره : [فأبى المعظم القتل لأنه عذاب مألوف لمن يستحقه [٣]من المجرمين[٣]، و هو قد عمل عملة مفردة فى ٥ الدهر فالذى ينبغى أن يخص العذاب عليها بعذاب لم يعهد مثله و هو الإحراق على هيئة غريبة ، فرجعوا عن القتل و استقر رأيهم على الإحراق -[٤]] فجمعوا له حطبا إلى أن ملأ[٥] ما بين الجبال ، و أضرموا فيه النار حتى أحرقت ما دنا منها بعظيم الاشتعال ، و قذفوه فيها بالمنجنيق ﴿ فانجٰه الله ﴾ بما له من كمال العظمة إنجاء وحيّا[٥] من غير احتياج إلى تدريج ﴿ من النار ﴾ ١٠ أى من إحراقها و أذاها ، و نفعته بأن أحرقت وثاقه .

و لما اشتملت قصته بهذا السياق على دلائل واضحات ، و أمور معجزات ، عظم أمرها سبحانه بقوله مؤكدا لمزيد التنويه بذكرها ، و تنزيلا لهم فى توقفهم عما دعت إليه الآيات الظاهرة من الإيمان منزلة[٦] المنكر لها : ﴿ ان فى ذٰلك ﴾ أى ما ذكر من أمره و ما خللت به قصته من الحكم ١٥ ﴿لاٰيٰت﴾ أى براهين قاطعة فى الدلالة على جميع أمر الله من تصرفه فى الأعيان و المعانى . لكون النار لم تحرقه و أحرقت وثاقه و كل ما

(١) فى ظ و مد : بعظيم (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : فظاعة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : حيا (٦) فى ظ و مد : بمنزلة .

مر عليها[1] من طائر ، و مع رؤية ذلك لم يؤمنوا و لم يقدروا على ضرره بشيء غير ذلك .

و لما كان ما للشيء إنما هو فى الحقيقة ما ينفعه ، و كان قد حجبها سبحانه بالشهوات و الحظوظ الشاغلة[2] عن استعمال نور العقل ، قال: ﴿لقوم يؤمنون ﴾ أى يقبلون على استعمال نور العقل الذى وهبهموه الله فيصدقون بالغيب حتى صار الإيمان - بكثرة ما صقلوا مرائى قلوبهم بالنظر فى أسبابه[3] - لهم خلقا بحيث أنهم فى كل لحظة يجددون الترقى فى مراتبه ، و التنقل[4] فى أخبيته و مضاربه .

و لما تقدم سلبه النفع عن هذه الأوثان ، أشار هنا إلى نفع يعقب من الضر ما لا نسبة له منه ، فليس حينئذ بنفع ، فقال تعالى : ﴿و قال﴾ أى إبراهيم عليه الصلاة و السلام غير هائب لتهديدهم بقتل و لا غيره ، مؤكدا لأجل ما أشار إليه مما ينكرونه من ضعف شركائهم و عجزها : ﴿انما اتخذتم﴾ أى أخذتم باصطناع و تكلف . و أشار إلى عظمة الخالق و علو شأنه بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى كل شيء تحت قهره ، و لا كلفة - فى اعتقاد كونه ربا - باحتياج إلى مقدمة جعل و صنعة[5] و لا[6] غير ذلك ، [7]و قال[7]: ﴿اوثانا لا ﴾ إشارة إلى تكثرها [8]الذى هو مناف[8]

---

(١) فى ظ و مد : عليه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الثاغلة (٣) فى ظ : خلقا (٤) فى ظ : الثقل ، و فى مد : النقل (٥) من ظ ، و فى الأصل : صفه ، و فى مد : صيغة (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) فى ظ و مد : فقال (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : الى ما هو مناف ، و فى مد : المناف .

لرتبة

لرتبة الإلهية؛ و أشار إلى ذلك النفع بقوله: ﴿مودة﴾ أى لأجل مودة - عند من نصب سواء ترك التنوين و هم حمزة و حفص عن عاصم و روح عن يعقوب أو نوّن و هم الباقون[1] ﴿بينكم﴾ / من خفضه على الاتساع و رفع "مودة" و هم ابن كثير و أبو عمرو و الكسائى و رويس عن يعقوب[1] كان المعنى: هى مودة البين الجامع لكم بمعنى مودتكم على وجه أبلغ، لأن ٥ المودة إذا كانت لبين جامع الناس[2] كانت لأولئك الناس بطريق الأولى، و من خفضه و نصبها و هم حمزة و حفص عن عاصم و روح عن[3] يعقوب فالمعنى: لأجل المودة، و من نصبها و نوّن و هم نافع و ابن عامر و أبو جعفر و شعبـــة فالبين عنده ظرف ﴿فى الحيوة الدنيا ج﴾ بالاجتماع عندها و التواصل فى أمرها بالتناصر[4] و التعاضد كما يتفق ناس على مذهب ١٠ فيكون ذلك سبب تصادقهم، و هذا دال على أن جمع[5] الفسوق لأهل الدنيا هو العادة[6] المستمرة، و أن الحب فى الله و الاجتماع له عزيز جدا، لما فيه من قطع علائق الدنيا و شهواتها التى زينت للناس، بما[7] فيها من الإلباس، و عظيم البأس.

/ ٧٤

و لما أشار إلى هذا النفع الذى هو فى الحقيقة ضر، ذكر ما يعقبه ١٥ من الضر[8] البالغ، فقال معبرا [9]بأداة البعد[9] إشارة إلى عظيم ذلك اليوم،

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٢٣٧ و ٢٣٨ (٢) فى ظ و مد: للناس (٣) فى ظ و مد «و» (٤) فى ظ: بالناصر، و الكلمة ساقطة من مد (٥) فى ظ و مد: جميع.
(٦) فى مد: العبادة (٧) فى ظ و مد: على ما (٨) فى ظ و مد: الضرر (٩-٩) فى مد: الأداة البعدية.

و إلى أنه جعل لهم فى الحياة أمدا يمكنهم فيه[1] السعى للتوقى[2] من شر ذلك اليوم: ﴿ثم يوم القيمة﴾ ساقه مساق ما لا نزاع فيه لما قام عليه من الأدلة ﴿يكفر بعضكم ببعض﴾ فينكر[3] كل منهم[4] محاسن أخيه، و يتبرأ منه بلعن الأتباع القادة، و لعن[5] القادة الأتباع، و تنكرون ٥ كلكم عبادة الأوثان تارة إذا تحققتم أنها [6]لا ضر و[6] لا نفع لها، و تقرون بها أخرى طالبين نصرتها راجين منفعتها، و تنكر الأوثان عبادتكم و تجحد منفعتكم ﴿و يلعن بعضكم بعضا﴾ على ما ذكر ﴿و ماوٰكم﴾ جميعا أنتم و الأوثان ﴿النار﴾ لتزيد فى عذابكم و يزداد بغضكم لها ﴿و ما لكم﴾ و أعرق فى النفى فقال: ﴿من نصرين﴾ أصلا يحمونكم منها، و يدخل ١٠ فى هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصى أو البطالة على الرذائل ليعدوه[7] حسن العشرة مهذب الأخلاق لطيف الذات، أو[8] خوفا من أن يصفوه بكثافة الطبع و سوء الصحبة، و لقد عم هذا لعمرى أهل الزمان ليوصفوا بموافاة[9] [الإخوان و مصافاة -[10]] الخلان، معرضين عن رضى الملك الديان.

١٥ و لما كان فى سياق الابتلاء، و ذكر من الأنبياء من طال ابتلاؤه،

---

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: فى (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: المتوقى. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فيذكر (٤) فى ظ و مد: منكم (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يلعن (٦ - ٦) فى ظ و مد: ضر (٧) من ظ مد، و فى الأصل: ليغدوه، و فى ظ: ليعيدوه (٨) فى مد «و» (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: بمواة (١٠) زيد من مد.

بين أنه لم يكن لهم من أممهم [1]تابع يقدر على نصرهم ، و أن الله سبحانه تولى كفايتهم فلم يقدر واحد على إهلاكهم ، و أهلك أعداءهم ، فلم يكن لهم[1] من ناصرين فقال : ﴿ فـآمن له ﴾ أى لأجل دعائه له مع ما رأى من الآيات ﴿ لوط ۘ ﴾ أى ابن أخيه هاران[2] وحده ، و هو أول من صدقه من الرجال ﴿ و قال ﴾ أى إبراهيم عليهما الصلاة و السلام مؤكدا لما هو ٥ جدير بالإنكار من الهجرة لصعوبتها : ﴿ انى مهاجر ﴾ أى خارج من أرضى و عشيرتى على وجه الهجر لهم فمنتقل و منجاز ﴿ الى ربى ۗ ﴾ أى إلى أرض ليس بها أنيس و لا عشير ، و لا من ترجى نصرته ، و لا من تنفع مودته ، فحينئذ يتبين[3] الرضى بالله وحده ، و الاعتماد عليه دون من سواه ، فهاجر [4]من كوثى[4] من سواد الكوفة إلى حران[5] ثم منها إلى الأرض ١٠ المقدسة ، فكانت له هجرتان . و هو أول من هاجر فى الله ، قال[6] مقاتل[7] : و كان [8]إذ ذاك ابن[8] خمس / و سبعين[9] سنة . ثم علل ذلك بما يسليه عن /٧٥ فراق أرضه و أهل وده من ذوى رحمه و أنسابه و أولى قربه ، فقال مؤكدا تسكينا لمن عساه يتبعه و تهوينا عليه لفراق ما ألفت النفوس من أنه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى مد : ماران ، و الصواب ما فى الأصل و ظ إذ ورد فى روح المعانى ٦ / ٤٠٦ : و لوط على ما فى جامع الأصول ابن أخيه هاران بن تارح (٣) فى مد : يبين (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) فى ظ و مد : حرارة (٦) فى ظ و مد : و قال (٧) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ١٥٩ (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ادارك اثن - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبعون .

لا عز إلا به من العشائر و الأموال و المعارف: ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ أى فهو جدير باعزاز من انقطع إليه ﴿ الحكيم ه ﴾ فهو إذا أعز أحدا منعته حكمتـــه من التعرض له باذلال، بفعل أو مقال، كما صنع بى حين أراد إدلالى من كان جديرا باعزازى من عشيرتى و أهل ٥ قربى، و بالغ فى أذاى ممن كان حقيقا بنفعى من ذوى رحمى و حبى •

و لما كان التقدير: فأعززناه كما ظن بنا إعزازا أحكمناه حتى استمر فى عقبه إلى القيامة، عطف عليه قوله: ﴿ و وهبنا لهٓ ﴾ أى بجليل قدرتنا شكرا على هجرته ﴿ اسحٰق ﴾ من زوجته سارة عليها السلام التى جمعت إلى العقم فى شبابها اليأس بكبرها، و عطفه لهبته له بالواو دليل على ١٠ ما سيأتى إن شاء الله تعالى فى الصافات[1] من أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة و السلام لتعقيبه للهبة هناك على الهجرة بالفاء ﴿ و يعقوب ﴾ من ولده إسحاق عليهما الصلاة و السلام •

و لما كان السياق فى هذه السورة للامتحان، و كان إبراهيم عليه الصلاة و السلام قد [2]ابتلى فى إسماعيل عليه الصلاة و السلام[2] بفراقه مع ١٥ أمه رضى الله عنهما، وضعهما فى قضعة من الأرض لا أنيس بها، لم يذكره تصريحا فى سياق الامتنان، و أفرد إسحق عليه الصلاة و السلام لأنه لم يبتل فيه بشىء من ذلك، و لأن المنة به - [4]لكون أمه[4] عجوزا و عقيما - اكبر[5] و أعظم لأنها[6] أعجب، و ذكر إسماعيل عليه الصلاة

(١) راجع آية ١٠٠ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) كذا، و ليس و اضح فى م (٤-٤) فى مد: لأن امه كانت (٥) فى ظ: اكثر (٦) فى ظ و مد: لأنه.

و السلام

و السلام تلويحا فى قوله: ﴿و جعلنا﴾ أى بعزتنا و حكمتنا ﴿فى ذريته﴾ من ولد إسحاق و إسماعيل عليهما الصلاة و السلام ﴿النبوة﴾ فلم يكن بعده بى أجنبي عنه، و متى صحت هذه المناسبة لزم قطعا أن يكون الذبيح إسماعيل عليه الصلاة و السلام فانه أعرى ذكر هذه السورة منه، و يكون كأنه قيل: إنا بشرناه بما يسرّ [به -[1]] من إسحاق بعد أن أمرناه بما ٥ يضر[2] من إسماعيل عليهما السلام فصبر[3] فى محنة الضراء، و شكر فى محنة السراء ﴿و الكتب﴾ فلم ينزل كتاب إلا على أولاده، و أفرده ليدل - مع تناوله بالجنسية الكتب الأربعة - على أنه لا شيء يستحق أن يكتب إلا ما أنزل فيها، أو[4] كان راجعا إليه، و لو جمـــع لم يفد هذا المعنى ﴿و اٰتينه اجره﴾ على هجرته ﴿فى الدنيا ج﴾ بما خصصناه به مما لايقدر ١٠ عليه غيرنا من سعة الرزق، و رغد العيش، و كثرة الخدم، و الولد فى الشيخوخة، و كثرة النسل. و الثناء الحسن، و المحبة من جميع الخلق، و غير ذلك.

و لما كان الكافر يعتقد - لإنكاره البعث - أنه نكد حياته بالهجرة نكدا لا تدارك له، اقتضى الحال التأكيد فى قوله: ﴿و انه فى الأخرة﴾ ١٥ اى التى هى الدار و موضع الاستقرار ﴿لمن الصلحين ۝﴾ الذين خصصناهم بالسعادة و جعلنا لهم الحسنى و زيادة.

و لما كان - كما مضى - السياق للابتلاء، خص بالبسط فى القص

---

(١) زيد من م (٢) فى ظ و مد: يصبر (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: صبر.
(٤) من مد، و فى الاصل و ظ «و».

من لم يكن له ناصر من قومه، أو كان غريبا منها، و لذلك أتبع الخليل
عليه الصلاة و السلام ابن أخيه الذى أرسله الله إلى أهل سدوم[1] :/ ناس /٧٦
لا قرابة[2] له فيهم و لا عشيرة، فقال[3]: ﴿و لوطا﴾ أى أرسلناه، و أشار
إلى إسراعه فى الامتثال بقوله: ﴿اذ﴾ أى و أرسلناه حين ﴿قال لقومه﴾
٥ أهل سدوم الذين سكن فيهم و صاهرهم[4] و انقطع إليهم فصاروا قومه،
حين فارق عمه إبراهيم الخليل عليهما الصلاة و السلام، منكرا ما رأى
من حالهم، و قبيح فعالهم، مؤكدا له إشارة إلى أنه - مع كونه[5] يرونه
من أعرف المعارف - جدير بأن[6] ينكر: ﴿انكم لتاتون الفاحشة ز﴾
[أى -[7]] المجاوزة للحد فى القبح، فكأنها لذلك لا فاحشة غيرها.
١٠ ثم علل كونها فاحشة استئنافا بقوله: ﴿ما سبقكم﴾ أو[8] هى[9] حال مبينة
لعظيم جرأتهم على المنكر، أى غير مسبوقين ﴿بها﴾ و أعرق فى النفى
بقوله: ﴿من احد﴾ و زاد بقوله: ﴿من العلمين ه﴾ أى كلهم فضلا
عن خصوص الناس؛ ثم كرر الإنكار تأكيدا [10] لتجاوز قبحها[10] الذى
ينكرونه فقال: ﴿ائنكم لتاتون الرجال ﴾ إتيان الشهوة، و عطف عليها
١٥ ما ضموه إليها من المناكر، بيانا لاستحقاق الذم من وجوه. فأوجب حالهم
ظن أنهم وصلوا من الخبث إلى حد [11] لا مطمع [11] فى الرجوع عنه مع

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: سيدوم (٢) فى ظ و مد: قربة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: قال (٤) فى ظ: شاهرهم (٥) فى ظ و مد: كونهم. (٦) فى ظ و مد: ان (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد. و فى الأصل «و» (٩) سقط من ظ و مد (١٠-١٠) فى الأصل: لتجاوز حدودها، و فى ظ و مد: لمجاوزة قبحها (١١ - ١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يطمع.

ملازمته لدعائهم من غير ملل و لا ضجر، فقال: ﴿و تقطعون السبيل لا﴾ أى [1]بأذى الجلابين[1] و المارة .

و لما خص هـذين الفسادين، عم دالا عـلى المجاهرة فقال: ﴿ و تاتون فى ناديكم ﴾ أى المكان الذى تجلسون فيه للتحدث بحيث يسمع بعضكم نداء بعض من مجلس المؤانسة، و هو ناد ما دام القوم فيه، ٥ فاذا قاموا عنه لم يسم بذلك[2] ﴿المنكر ط﴾ أى هذا الجنس، و هو ما تنكره الشرائع و المروءات و العقول، لاتتحاشون عن شيء منه فى المجتمع الذى يتحاشى فيه الإنسان من فعل خلاف الاولى، من غير أن يستحى بعضكم من بعض؛ و دل على عنادهم بقوله مسببا عن هذه النصائح[3] بالنهى عن تلك الفضائح: ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ أى الذين فيهم قوة و نجدة ١٠ بحيث يخشى[4] شرهم، و يتقى أذاهم و ضرهم، لما أنكر عليهم ما أنكر ﴿الا ان قالوا﴾ عنادا و جهلا و استهزاء: ﴿ائتنا بعذاب الله﴾ و عبروا بالاسم الأعظم زيادة فى الجرأة . و لما كان الإنكار ملزوما للوعيد بأمر ضار قالوا: ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا متمكنا ﴿ من الصدقين ﴾ أى فى وعيدك و إرسالك، إلهابا و تهييجا . ١٥

و لما كان كأنه قيل: بم[5] أجابهم ؟ قيل: ﴿قال﴾ اى لوط عليه الصلاة و السلام معرضا عنهم، مقبلا بكليته على المحسن إليه: ﴿رب﴾

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: بايدى الحلابين (٢) كما ذكره فى لسان العرب - راجع مادة [ندى] (٣) فى ظ و مد: الفضايح (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لايخشى (٥) فى ظ و مد: ثم .

و لما لم يبق[1] بعد هذا إلا خبر الرسل مع لوط عليه الصلاة و السلام ، قال عاطفا على ما تقديره : ثم فارقوه[2] و مضوا إلى المدينة التي فيها لوط عليه السلام ، مفهما[3] بالعدول عن الفاء إلى الواو أن[4] بين المكانين[5] [بعدا -[6]] : ﴿و لمآ﴾ وأثبت [ما صورته صورة -[6]] الحرف المصدري ٥ لما اقتضاه مقصود السورة ، و أكثر سياقاتها بين التسليك في مقام الامتحان و الاجتهاد في النهي عن المنكر ، [و لذا ذكر هنا في قصة إبراهيم عليه السلام القتل و الإحراق ، و اتبعت بشراه بإهلاك القرية الظالمة -[6]] ، فقال[7]: ﴿ان جآءت رسلنا﴾ أي المعظمون[8] بنا ﴿لوطا﴾ بيانا لأنه ﴿سيٓء﴾ أي حصلت له[9] المساءة ﴿بهم﴾ أول[10] أوقات مجيئهم إليه و حين قدومهم ١٠ عليه ، فاجأته المساءة من غير ريب لما رأى من حسن أشكالهم ، و خاف من تعرض قومه لهم ، و هو يظن أنهم من الناس ، و ذلك أن ['أن' -[11]] في مثل هذا[12] صلة [و إن كان أصلها المصدر -[6]] لتوكد[13] وجود الفعلين مرتبا وجود أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : لم يبين (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : فارقوا (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : معهما (٤) زيد بعده في الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥) في ظ و مد : الكاذبين - كذا . (٦) زيد من ظ و مد (٧) في ظ و مد : قال (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : المعلمون (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : لهم (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : اى (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : هذه . (١٣) من مد ، و في الأصل و ظ : توكد .

[فانهما وجدا -[١]] فى جزء واحد من الزمان، [قال ابن هشام فى المغنى ما معناه أن علة ذلك أن الزائد يؤكد معنى ما جيء به لتأكيده، و لما تقيد وقوع الفعل الثانى عقيب الأول و ترتبه عليه فالحرف الزائد يؤكد ذلك -[٢]] . ﴿و ضاق بهم﴾ أى باعمال الحيلة فى الدفع عنهم ﴿ذرعا﴾ أى [٣]ذرعة طاقتهم[٣] كما بين / و أشبع القول فيه فى سورة هود عليه السلام، ٥ / ٧٨ و الأصل فى ذلك أن من طالت ذراعه نال ما لايناله قصيرها[٤]، فضرب مثلا فى العجز و القدرة، و ذلك أنهم أتوه فى صورة مردان ملاح جدا، و قد علم أمر أهل القرية فى [مثل -[٢]] ذلك و لم يعلم أنهم رسل الله .

و لما كان التقدير: فقالوا له: يا لوط ! إنا رسل ربك، نخفض عليك من هذا الضيق الذى نراه بك فانا[٥] ما أرسلنا إلا لإهلاكهم، ١٠ عطف عليه قوله: ﴿و قالوا﴾ أى لما رأوا ما لقى فى[٦] أمرهم: ﴿لا تخف﴾ [أى -[٢]] من أن يصلوا إلينا [أو -[٢]] من أن تهلك أنت أو أحد من أهل طاعتك ﴿و لا تحزن﴾ أى على أحد ممن[٧] نهلكه فانه ليس فى أحد منهم خير يؤسف عليهم بسببه؛ ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين فى التأكيد الاغناء به عن جمل طوال، إشارة إلى أن الوقت أرق فهو ١٥ لا يحتمل التطويل: ﴿انا منجوك﴾ أى مبالغون فى إنجائك ﴿و اهلك﴾ أى و مهلكوا أهل [هذه -[٢]] القرية ، فلا يقع[٨] فى ضميرك أنهم يصلون

---

(١) زيد من ظ و مد إلا أن فى مد « واحد» مكان « وجدا »(٢) زيد من ظ ومد (٣-٣) فى ظ : ذرعه اى طاقته (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : قصيرهما.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل : فانما (٦) فى ظ و مد : من (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٨) فى مد : فلايكن .

إلينا ، و قالوا : ﴿ الا امراتك ﴾ تنصيصا[1] على كل فرد منهم سواها ؛ ثم دلوا على هلاكها بقولهم جوابا لمن كأنه قال : ما لها[2] ؟ فقيل : ﴿ كانت من الغبرين ٥ ﴾ أى كأن[3] [هذا -[4]] الحكم فى [5]أصل خلقتها[5] .

و لما أفهمت العبارة كما مضى إهلاكهم[6]، صرحوا به فقالوا[7] معينين لنوعه، معللين لما أخبروه به، مؤكدين إعلاما بأن الأمر قد فرغ منه قطعا لأن يشفع فيهم، جريا على عادة الأنبياء فى الشفقة على أممهم : ﴿ انا منزلون ﴾ أى لامحالة ﴿ على اهل هذه القرية رجزا ﴾ أى عذابا يكون فيه اضطراب شديد يضطرب[8] منه من أصابه كائنا من كان ﴿ من السمآء ﴾ فهو عظيم وقعه، شديد صدعه[9] ﴿ بما كانوا ﴾ أى كونا ١٠ راسخا ﴿ يفسقون[10] ٥ ﴾ أى يخرجون فى كل وقت من دائرة العقل[11] و الحياء.

و لما كان التقدير: ففعلت رسلنا ما وعدوه به من [12]إنجائه و إهلاك[12] جميع قراهم، فتركناها[13]، كأن [14]لم يسكن بها[14] أحد قط، عطف عليه قوله مؤكدا إشارة إلى [15]فضيلة المخاطبين بهذه القصة من العرب و غيرهم[15]، و أنه ليس بينهم و بين الهدى [16]إلا تفكرهم[16] فى أمرهم مع

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نفسا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد (٤) زيد من مد (٥ - ٥) فى ظ : اصل خلقها ، و فى مد : الأصل خلقها. (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهلاكه (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ و مد : يضرب (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : صرعه (١٠) فى مد : يكسبون . (١١) فى ظ و مد : الفعل (١٢-١٢) فى ظ : فاهلاك (١٣) فى مد : فتراها (١٤ - ١٤) فى ظ و مد : لم يسكنها (١٥ - ١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : غفلتهم (١٦-١٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان لا تفكره - كذا .

انخلاع

الانخلاع من الهوى: ﴿ و لقد تركنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ منهآ ﴾ أي من تلك القرية[1] ﴿ ءاية ﴾ أي[2] علامة على قدرتنا على كل ما نريد ﴿ بينة ﴾ و هو الماء الأسود المنتن الذي غمر قراهم كلها بعد الخسف بها و هو مباين[3] لجميع مياه[3] الأرض لكونه[4] ماء السخط لمن[5] باينوا بفعلهم الخلق مع اشتهار كونه على الخسف. ٥

و لما كان سبحانه قد حجب عن الأبصار كثيرا من الناس قال: ﴿ لقوم يعقلون ۝ ﴾ فعد [من -[6]] لم يستبصر بها غير عاقل و لا شاعر بأنها آية و لا فيه أهلية القيام بما يريد[7].

و لما كان [السياق -[6]] لإثبات[8] يوم الدين و إهلاك[1] المفسدين، و لمن[9] طال ابتلاؤه من الصالحين و لم يجد له ناصرا من قومه، إما ١٠ لغربته عنهم، و إما لقلة عشيرته و عدم[10] أتباعه، و كان شعيب عليه السلام ممن استضعفه قومه[11] و استقلوا عشيرته لتسميتهم[12] لهم رهطا، و الرهط ما دون العشرة أو من سبعة إلى عشرة، و ما دون السبعة إلى الثلاثة / نفر، / ٧٩ فكان[13] عليه السلام كذلك في هذا العداد، عقب قصة لوط بقصته عليه الصلاة و السلام [فقال -[14]]: ﴿ و إلى ﴾ أي و لقد أرسلنا إلى ١٥

(١) في ظ و مد: القرى (٢) سقط من مد (٣) في ظ و مد: باين (٤) في مد: بكونه (٥) في ظ و مد: على من (٦) زيد من ظ و مد (٧) في مد: نريد (٨) من ظ و مد، و في الأصل: باثبات (٩) من ظ و مد، و في الأصل: لما (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: قلة (١١) سقط من ظ و مد (١٢) في مد: لتسميته. (١٣) في ظ و مد: كان (١٤) زيد نظرا إلى السياق السائد في هذا الكتاب.

{ مدين اخاهم } أى من النسب و البلد[1] { شعيبا } .

[و لما كان مقصود السورة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من غير فترة ، عبر بالفاء فقال -[2]] : {فقال} أى فتسبب عن إرساله و تعقبه أن قال : { يٰقوم اعبدوا الله } أى الملك الأعلى وحده ، ٥ و لا تشركوا به شيئا ، فان العبادة التى فيها شرك عدم ، لأن الله تعالى أغنى الشركاء[3] فهو لا يقبل إلا ما كان [له -[4]] خالصا .

و لما كان السياق لإقامة الأدلة على البعث الذى هو من مقاصد السورة قال : { و ارجوا اليوم الأخر } أى حسن الجزاء فيه لتفعلوا ما يليق بذلك { و لا تعثوا فى الارض } حال كونكم { مفسدين ۝ } ١٠ أى متعمدين الفساد .

و لما تسبب عن هذا النصح و تعقبه [تكذيبهم فتسبب عنه و تعقبه -[2]] إهلاكهم ، تحقيقا لأن أهل السيئات لا يسبقون قال : {فكذبوه فاخذتهم} أى لذلك أخذ قهر و غلبة { الرجفة } أى الصيحة التى زلزلت بهم فأهلكتهم { فاصبحوا فى دارهم } أى محالهم[5] التى كانت دائرة بهم ١٥ و كانوا يدورون فيها {جٰثمين ۝ } أى واقعين على صدورهم ، لازمين مكانا واحدا ، لا يقدرون على حركة أصلا ، لأنه لا أرواح لهم .

و لما كان من المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض هذه الأمم بعضا فى الخير و الشر على نسق ، و الجرى بهم فى إهلاك المكذبين

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الولد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : الشرك (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مخالفهم .

و إنجاء المصدقين طبقا عن طبق . و كان إهلاك عاد و ثمود - لما اشتهروا به من قوة الأبدان ، و متانة الأركان ـ فى غاية الغرابة[١] ، و كان معنى ختام قصة مدين : فأهلكناهم ، عطف على ذلك المعنى قوله : ﴿ و عادا ﴾ أى و أهلكنا أيضا عادا ﴿ و ثمودا ﴾ مع ما كانوا فيه من العتو ، و التكبر و العلو ﴿ و قد تبين لكم ﴾ أى ظهر بنفسه غاية الظهور أيها العرب ٥ أمرهم ﴿ من مسكنهم ﴾ أى ما وصف من هلاكهم[٢] و ما[٣] كانوا فيه من شدة الأجسام ، و سعة الأحلام ، و علو الاهتمام ، و ثقوب الأذهان ، و عظيم الشأن ، عند مروركم بتلك المساكن ، و نظركم إليها فى ضربكم[٤] فى التجارة إلى الشام ، فصرفوا أفكارهم فى الإقبال على الاستمتاع بالعرض الفانى من هذه الدنيا ، فأملو بعيدا[٤] ، و بنوا شديدا ، و لم يغن عنهم شيء[٥] ١٠ من ذلك شيئا من أمر الله ﴿ و زين لهم ﴾ فى غاية التزيين ﴿ الشيطن ﴾ أى البعيد من الرحمة ، المحترق باللعنة ، بقوة احتياله ، و محبوب ضلاله و محاله ﴿ اعمالهم ﴾ أى الفاسدة ، فأقبلوا بكليتهم عليها[٣] مع العدو المبين ، و أعرضوا عن الهداة الناصحين .

و لما تسبب عن هذا [٦]التزيين منعهم لعماهم[٦] عن الصراط المستقيم ١٥ قال : ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ [٤]أى منعهم عن سلوك الطريق الذى لا طريق إلا هو ، لكونه يوصل إلى النجاة ، و غيره يوصل إلى الهلاك[٤] ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرابة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلاكهم - كذا خطأ (٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) سقط من مد (٦-٦) فى مد : عماهم .

[1]فهو عدم بل العدم خير منه . و لما كان ذلك ربما ظن أنه لفرط غباوتهم قال[1] : ﴿ و كانوا ﴾ أى فعل بهم الشيطان ما فعل من الإغواء و الحال أنهم كانوا كونا[2] هم فيه[3] فى غاية التمكن ﴿مستبصرين ﴾ أى معدودين بين الناس من البصراء العقلاء جدا لما فاقوهم[4] به مما يعلمون[5] من ظاهر ٥ الحياة الدنيا ، و لم يسبقونا ، بل أوقعناهم بعملهم السيئات فيما أردنا من أنواع الهلكات ، فاحذروا مثل مصارعهم فانكم لا تشابهونهم[6] فى القوة ، و لا تقاربونهم فى العقول .

/٨٠ و لما كان فرعون و من ذكر معه من العتو بمكان لايخفى ، لما أوتوا[7] من القوة بالأموال و الرجال قال : ﴿و قارون﴾ أى أهلكناه[8] و قومه ١٠ لأن وقوعه فى أسباب الهلاك أعجب ، لكونه من بنى إسراءيل ، و لأنه ابتلى بالمال و العلم ، فكان ذلك [[9]سبب إعجابه ، فتكبر على موسى و هارون عليهما السلام فكان ذلك ـ[9]] سبب هلاكه ﴿و فرعون و هامن﴾ وزيره الذى أوقد له على الطين ، فلا هو نجا [10]و لا كان[10] رأسا فى الكفر ، بل باع سعادته بكونه[11] ذنبا لغيره .

١٥ و لما كان هلاكهم مع رؤية الآيات أعجب ، فكان جديرا بالإنكار ، [12]إشارة إلى أن رؤية الآيات جديرة بأن يلزم عنها الإيمان قال :

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من مد. (٤) فى ظ : بوقهم ، و فى مد : توهم (٥) فى ظ و مد : يعملون (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا تعشرونهم (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : اتوا (٨) فى ظ : اهلكناهم (٩) زيد من ظ ومد (١٠-١٠) فى ظ : لان (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكونه (١٢) زيدت الواو فى ظ و مد .

﴿ و لقد[1] جآءهم موسىٰ بالبيّنٰت ﴾ أي التي لم تدع لبسا فتسببوا[2] عما يقتضيه من الاستبصار الاستكبار[3] ﴿ فاستكبروا ﴾ أي طلبوا أن يكونوا أكبر من كل كبير بأن كانت أفعالهم أفعال من يطلب ذلك ﴿ في الارض ﴾ بعد مجيء موسى عليه الصلاة و السلام إليهم [أكثر -[4]] مما كانوا قبله .

و لما كان من يتكبر - و هو عالم بأنه مأخوذ - أشد لوما ممن ٥ يجهل[5] ذلك قال : ﴿ و ما كانوا ﴾ أي الذين ذكروا هذا كلهم ، [6]كونا ما[6] ﴿ سٰبقين ج ﴾ أي [7]فائتين ما[7] نريدهم ، بان يخرجوا من قبضتنا ، بل هم في القبضة كما ذكرنا أول السورة و هم عالمون بذلك ﴿ فكلا ﴾ أي فتسبب عن تكذيبهم و عصيانهم أن كلا منهم ﴿ اخذنا ﴾ أي[8] بما لنا من العظمة ﴿ بذنبه ج ﴾ أخذ عقوبة ليعلم أنـــه لا أحـــد[9] يعجزنا ١٠ ﴿ فمنهم من ارسلنا عليه ج ﴾ إرسال عذاب يا له من عذاب ! ﴿ حاصباج ﴾ أي ريحا ترمي لقوة عصفها و شدة قصفها بالحجارة كعاد و قوم لوط ﴿ و منهم من اخذته ﴾ اخذ هلاك و غضب و عذاب ، [و عدل عن أسلوب العظمة لئلا يوهم الإسناد في هذه إليه صوتا[10] ليوقع في مصيبة التشبيه -[4]] ﴿ الصيحة ج ﴾ التي تظهر شدتها [11]الريح الحاملة لها الموافقة[11] ١٥

---

(١) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و في الأصل : و (٢) من مد . و في الأصل و ظ : فسببوا (٣) زيد في الأصل : قال . و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : يشهد . (٦-٦) في مد : ما كانوا (٧ - ٧) في ظ و مد : كائنين (٨) سقط من ظ و مد (٩) في مد : اخذ (١٠) من مد ، و في ظ : قوتا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من مد .

لقصدها[1] فترجف لعظمتها الأرض كمدين و ثمود ﴿ و منهم من ﴾ [و أعاد أسلوب العظمة[2] الماضي لسلامته من الإيهام المذكور في الصيحة و للتنبيه عـلى أنه لا يقدر عليه غير الله سبحانه ففيه من الدلالة على عظمته ما يقصر عنه الوصف فقال -[3]] : ﴿خسفنا به الارضج﴾ بأن[3]

٥ غيبناه فيها كقارون و جماعته ﴿و منهم من اغرقنا ج ﴾ بالغمر في الماء كقوم نوح و فرعون و جنوده، و عذاب قوم لوط صالح للعد في الإغراق و العد في الخسف، فتارة نهلك بريح تقذف بالحجارة من السماء كقوم لوط، أو من الأرض كعاد، و أخرى بريح[4] تقرع بالصرخة الأسماع فتزلزل[4] القلوب و البقاع، و مرة نبيد[5] بالغمس [6]في الكثيف[6]

١٠ و كرة[7] بالغمر في اللطيف - فلله در الناظرين في هذه الأوامر النافذة، و المتفــكرين[8] في هذه الأقضية الماضية، ليعلموا حقيقة قوله "و ما انتم بمعجزين في الارض و لا في السماء" - [الآية -[3]] .

و لما كان ذلك ربما جر لأهل التعنت شيئا مما اعتادوه في[9] عنادهم قال: ﴿و ما كان الله﴾ أي الذي لاشيء من الجلال و الكمال إلا و هو

١٥ له ﴿ ليظلمهم ﴾ [10]أي مريدا ليعاملهم[10] معاملة الظالم الذي يعاقب من لا جرم له، أو من أجرم و لم يتقدم إليه بالنهي عن إجرامه ليكف

---

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ و مد : اى (٤) من ظ ومد، وفي الأصل : فيتزلزل (٥) في ظ ومد : يفسد (٦-٦) في ظ : بالكشف. (٧) من ظ و مد، و في الأصل : كثرت (٨) في ظ و مد : المفكرين (٩) في ظ و مد : من (١٠ - ١٠) في ظ : اى مريدا فيعاملهم، و في مد : تعالى الله ان يعاملهم .

فيسلم، أو يتمادى فيهلك[1] لأنه[2] لا نفع يصل إليه سبحانه من إهلاكهم، و لاضرر يلحقه عز شأنه من[3] إبقائهم ﴿و لكن كانوآ﴾ أى [هم -[4]] لا غيرهم ﴿ انفسهم ﴾ لا غيرها ﴿ يظلمون ﴾ بارتكابهم[5] ما أخبرناهم غير مرة أنه يغضبنا و أنا نأخذ من يفعله، فلم يقبلوا النصح مع عجزهم، و لاخافوا العقوبة على ضعفهم، و أما ما عبدوه و رجوا نصره لهم ٥ و أملوه فأضعف منهم، و لكون شيء منه لم يغن عن أحد منهم شيئا فلم تختل[6] سنة الله فى أوليائه و أعدائه فى قرن / من القرون [و لا عصر /٨١ من العصور -[7]]، بل جرت على أقوم نظام، و أتقن إحكام، وصل بذلك قوله تعالى على وجه الاستنتاج[8] : ﴿ مثل الذين ﴾ .

و لما كان دعاء غير الله مخالفا لقويم العقل، و صريح النقل، و سليم ١٠ الفطرة[9] [و صحيح الفكرة -[4]] فكان ذلك[10] يحتاج إلى [تدرب على -[4]] الجلافة، و تطبع فى الكثافة، قال: ﴿اتخذوا﴾ أى تكلفوا أن أخذوا.

و لما كانت الرتب تحت رتبته سبحانه لاتحصى، و كل الرتب [11]دون رتبته[11]، قال [منبها على ذلك بالجار -[4]] : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى لا كفوء له، فرضوا بالدون، عوضا عمن لا تكيفه الأوهام و الظنون ﴿اولياء﴾ ١٥

---

(١) فى ظ و مد: فيها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بما ارتكابهم (٦) سقط من ظ، و فى مد: فلم يختلف (٧) زيد من مد (٨) فى ظ و مد: الاستفتاح (٩) من ظ و مد. و فى الأصل: الفطر (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لذلك (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و فى مد: و ان علت لا تدانى.

ينصرونهم بزعمهم من معبودات و غيرها، فى الضعف و الوهى ﴿كمثل العنكبوت ج﴾ الدابة المعروفة ذات الأرجل الكثيرة الطوال؛ ثم استأنف ذكر وجه الشبه و عبر عنها بالتأنيث و إن كانت تقال بالتذكير تعظيما لضعفها، لأن المقام لضعف ما تبنيه فقال: ﴿اتخذت بيتا ط﴾ ٥ أى تكلفت أخذه فى صنعتها له ليقيها[1] الردى، و يحيمها البلا، كما تكلف هؤلاء اصطناع[2] أربابهم لينفعوهم، و يحفظوهم بزعمهم و يرفعوهم، فكان ذلك البيت مع تكلفها فى أمره[3]، و تعبها الشديد فى شأنه، فى غاية الوهن.

و لما كان حالها فى صنعها حال من ينكر وهنه[4]، قال مؤكدا: ١٠ ﴿و ان﴾ [و -[5]] واوه للحال من ضمير - "اتخذت" أى و الحال أنه أوهن[6] - هكذا كان الأصل، و لكنه أظهر للتعميم فقال: ﴿اوهن البيوت﴾ أى أضعفها ﴿لبيت العنكبوت م﴾ التى عانت فى حوكه[7] ما عانت و قاست فى نسجه[8] ما قاست، لأنه لا يكن من حر، و لا يصون من برد، و لا يحصن عن طالب، كذلك ما اتخذ هؤلاء من ١٥ هذه الأوثان، و هذا الدين الذى لا أصل له فهو[9] أوهن

---

(١) من مد و فى الأصل و ظ: ليبها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اصطناعهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: امرها (٤) فى ظ: وهنها (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: وهن (٧) من مد، و فى الأصل: حركه، و فى ظ: حراله (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: نسيه. (٩) زيد فى الأصل: من. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

الأديان [١]و أهونها[١] ﴿لو كانوا يعلمون ه﴾ أى لو كان لهم نوع ما من العلم لانتفعوا به فعلموا أن هذا مثلهم، فأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله .

و لما انتفى نفعهم بعلمهم، صح نفيه، فكانوا و إياها على حد سواء، ليس لفريق منهما[٢] شيء مما[٣] نوى، فيا لها من صفقة خاسرة، و تجارة كاسدة بائرة[٤] . و لما كان ضرب المثل للشيء لايصح إلا من العالم بذلك الشيء، ٥ وكان النصير على شيء لايمكن أن يتوجه إلى معارضته[٥] إلا إن كان يعلمه و يعلم مقدار قدرته[٦]، و عدة جنوده . وصل بذلك أن هذا شأنه سبحانه و أن شركاءهم فى غاية البعد عن ذلك . فكيف يعلقون[٧] بنصرهم آمالهم، و زاد ذلك حسنا تعقيبه لنفى العلم عنهم، فقال إشارة إلى جهلهم فى إنكارهم أن يقدر أحد على إهلاك آلهتهم التى [هى -[٨]] أوهى الأشياء : ١٠ ﴿ ان الله ﴾ [أى -[٨]] الذى له صفات الكمال ﴿يعلم﴾ بما له من تلك الصفات ﴿ ما ﴾ أى الذى ﴿ يدعون ﴾ أى الذين[٩] ضرب لهم المثل، أو أنتم - فى قراءة الفوقانية[١٠] التفاتا إلى أسلوب الخطاب إيذانا بالغضب ﴿من دونه﴾ إشارة إلى سفول رتبتهم، و أكد العموم بقوله: ﴿من شيء ﴾ أى سواء كان نجما أو صنما أو ملكا أو جنينا أو غيره، و هم [١١]لايعلمونه[١١] ١٥ و لايعلمون شيئا مما يتوصلون[١٢] إليه . فكيف يشفعون عنده أو ينصرون

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : منها.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : بايدة
(٥) فى ظ : معاوضة (٦) زيد فى ظ : مقدار (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: يعقلون (٨) زيد من ظ ومد (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذى (١٠) راجع نثر المرجان ٥/٢٥١ (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتوصلونه .

منه، و إليه الإشارة بقوله: ﴿و هو العزيز﴾ أى عز[1] أن يعلمه / شركاؤهم /٨٢
أو يحيط به أحد علما، أو يمتنع عليه شيء يريده؛ و جوزوا أن تكون[2]
" ما " نافية، أى شيئا يعتد به . و لما كان ذلك ربما أفهم أنه لا يعلم أصلا
قال: ﴿الحكيم ه﴾ أى البالغ العلم، الواضع كل شيء يريده فى أكمل
٥ مواضعه، فأبطن نفسه بكبريائه و جلاله حتى لا باطن سواه، و أظهرها
بأفعاله و ما كشف من جماله حتى لا ظاهر فى الحقيقة غيره، و هو يغلب
من شاء بعزته[3]، و يمهله إن شاء بحكمته، فلا يغتر أحد بامهاله فيظن[4]
أنه لإهماله .

و لما فرغ من مثلهم و مما[5] تتوقف صحته عليه، كان كأنه قيل
١٠ على وجه التعظيم لهذا[6] المثل: هذا مثلهم، فعطف[7] عليه قوله إشارة إلى
أمثال القرآن كلها تعظيما لها و تنبيها على جليل قدرها و علو[8] شأنها:
﴿و تلك الامثال﴾ أى العالية عن أن تنال بنوع احتيال؛ ثم استأنف قوله:
﴿نضربها﴾ بما لنا من العظمة، بيانا ﴿للناس﴾ تصويرا للمعانى المعقولات
بصور[9] المحسوسات، لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها، [و هكذا -[10]]
١٥ حال التشبيهات كلها فى طرق للأفهام إلى المعانى المحتجبة فى الأستار،
تبرزها و تكشف عنها و تصورها .

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عز (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يكون.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بقدرته (٤) فى ظ: يظن (٥) فى ظ: ما.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بهذا (٧) فى ظ: عطف (٨) فى ظ: علو.
(٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تصوير (١٠) زيد من ظ و مد.

و لما كانوا يتهكمون بما رأوه[1] من الأمثال مذكورا به الذباب و البعوض و نحوهما قال مجملا لهم: ﴿ و ما يعقلهآ ﴾ أى حق عقلها فينتفع بها ﴿ الا العالمون ه ﴾ أى الذين هيئوا للعلم و جعل طبعالهم بما بث[2] فى قلوبهم من أنواره. و أشرق فى صدورهم من أسراره، فهم[3] يضعون الأشياء مواضعها؛ روى الحرب[4] بن أبى أسامة عن جابر رضى الله ٥ تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: العالم الذى عقل عن الله فعمل[5] بطاعته و اجتنب سخطه. قال البغوى: و المثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول[6].

و لما قدم أنه لامعجز له سبحانه، و لا ناصر لمن أخذه، و صحح ذلك بالمشاهدة [7] فى القرون[7] البائدة، و قربه إلى الأذهان بالمثل المستولى على ١٠ غاية البيان، و ختم ذلك أنه حجب فهمه عن أكثر خلقه، دل على ذلك كله بقوله مظهرا لقوته و سائر صفات كماله[8]، بعد ما حقق أن أولياءهم فى أنزل مراتب الضعف: ﴿ خلق الله ﴾ أى الذى لايدانى فى عظمة[9] و لاجلال، و لا جمال و لا كمال ﴿ السموت و الارض بالحق ﴾ أى الأمر الذى يطابقه الواقع، أو بسبب [إظهار أن الواقع يطابق أخباره، ١٥ أو بسبب -[10]] إثبات الحق و إبطال الباطل. فلا تجد أحدا يفهم عنه

---

(١) فى ظ : ترونه ، و فى مد : يرونه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبت .
(٣) سقط من ظ (٤) من معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٦١ : و فى الأصول : الحرث (٥) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : يعمل (٦) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : بالآخر (٧ - ٧) فى ظ : بالقرآن (٨) فى ظ : الكمال .
(٩) من ظ و مد . و فى الأصل : عظمته (١٠) زيد من ظ و مد .

حق الفهم مع تساويهم فى الإنسانية إلا و هو من أهل السكينة . و الإخبات[1] و الطمأنينة ، و لا يعجزه أحد يريد أخذه ، و لا يفلح أحد عصى أنبياءه ، فبانت عزته ، و ظهرت حكمته ، فطابق[2] الواقع ما أخبر به ، و أيضا فالأمثال إنما تكون بالمحسوسات ، و هى إما سماوية أو أرضية ، فايجاد هذه

٥ الموجودات إنما هو لأجل العلم بالله تعالى .

و لما كان المراد بالعالم قد يخفى ، بينه بقوله مشيرا بالتأكيد إلى أن حالهم فى عدم الانتفاع بالنظر فيها حال من ينكر أن يكون فيها دلالة : ﴿ان فى ذلك﴾ / أى الأمر العظيم من تأملهم لمطابقة الواقع[3] لإخباره /٨٣ سبحانه ، فلا يخبر بشىء إلا كان الواقع منها أو مما فيها يطابقه سواء بسواء

١٠ ﴿لأية﴾ أى دلالة مسعدة[4] ﴿للمؤمنين ﴿٤٤﴾﴾ أى الذين هم العالمون[5] فى الحقيقة ، حداهم[6] علمهم بما فى الكونين من المنافع المترتبة على النظام المعروف مع ما فى [7]خلقهما أنفسهما[7] مع كبر الأجرام و بديع الإحكام ، على الإيمان بجميع ما أخبر به حتى لم يكن عندهم نوع شك ، و صار لهم صفة لا تنفك .

و لما أفاد هذا الخبر كله القران الذى لا حق أحق منه ، و دل على أن

١٥ فهم أمثاله يحتاج إلى مزيد علم ، و أن مفتاح العلم به سبحانه رسوخ الإيمان ، خاطب رأس أهل الإيمان لأنه أعظم الفاهمين[8] له ليقتدى به الأتباع فقال :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاحتساب (٢) فى ظ : و طابق (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : معدة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عالمون (٦) فى ظ : هداهم (٧ - ٧) فى ظ و مد : خلقها انفسها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : العالمين .

﴿ اتل مآ ﴾ أى تابع قراءته ؛ و دل على شرفه لاختصاصه به بقوله : ﴿ اوحى اليك ﴾ إذ الوحى الإلقاء سرا ﴿ من الكتب ﴾ [أى -[1]] الجامع لكل خير ، فانه المفيد للايمان، [2]مع أنه[2] أحق الحق الذى خلقت السماوات و الأرض لأجله ، و الإكثار في[3] تلاوته يزيد بصيرة فى أمره ، و يفتح كنوز الدقائق من علمه ، و هو أكرم من أن ينيل[4] قارئه فائدة ، ٥ و أجلّ من أن يعطى قياد فوائده[5] و يرفع الحجاب عن جواهره و فرائده فى أول مرة ، بل كلما ردده القارئ بالتدبر حباه[6] بكنز من أسراره ، و مهما زاد زاده [من -[1]] لوامع أنواره ، إلى أن يقطع بأن عجائبه لا تعد ، و غرائبه لا تحد .

و لما أرشد إلى مفتاح العلم ، دل على قانون العمل[7] الذى لا يصح ١٠ إلا بالقرآن ، و هو ما يجمع الهم[8] ، فيحضر القلب ، فينشرح الصدر ، فينبعث الفكر فى رياض علومه ، فقال : ﴿ و اقم الصلوٰة ﴾ أى التى هى أحق العبادات ، ثم علل ذلك بقوله دالا بالتأكيد على فخامة أمرها ، و أنه مما يخفى على غالب الناس : ﴿ ان الصلوٰة تنهى ﴾ أى توجد النهى و تجدده[9] للمواظب على إقامتها بجميع حدودها ﴿ عن الفحشآء ﴾ أى ١٥ الخصال التى بلغ قبحها ﴿ و المنكر ﴾ أى الذى فيه نوع قبح و إن دق ، و أقل ما فيها من النهى النهى عن تركها الذى هو كفر ، و من انتهى

---

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ ومد : و هو (٣) فى ظ و مد : من (٤) فى ظ : لا يقبل - كذا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : فرايده (٦) فى ظ ومد : حياه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : العلم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجدد .

عن ذلك انشرح صدره ، و اتسع فكره ، فعلم من أسرار القرآن ما لا يعلمه غيره " و اتقوا الله و يعلمكم الله[1] " .

و لما كان الناهي في الحقيقة إنما هو ذكر الله ، أتبع ذلك الحث على روح الصلاة و المقصد الأعظم منها ، و هو المراقبة لمن يصلي [له -[2]]

٥ حتى[3] كأنه يراه ليكون[3] بذلك في أعظم الذكر بقوله : ﴿و لذكر الله﴾ أي و لأن ذكر المستحق لكل صفة كمال ﴿اكبر﴾ أي من كل شيء ، فمن استحضر ذلك بقلبه هان عنده كل شيء سواه " إن عبدي كل عبدي للذي[4] يذكرني[5] [6]عند لقاء[6] قرنه " أو يكون المراد أن من واظب على الصلاة ذكر الله ، و من ذكره أوشك أن يرق قلبه ، و من رق قلبه

١٠ استنار له ، فأوشك أن ينهاه هذا الذكر المثمر لهذه الثمرة عن المعصية ، فكان[7] ذكر الذاكر له سبحانه أكبر نهيا له عن المنكر من نهي الصلاة له ، و كان ذكره له سبحانه كبيرا[8] ، كما قال تعالى " فاذكروني اذكركم[9] " و إذا كان هذا شأن[10] ذكر [11]العبد / لمولاه ، فما ظنك بذكر مولاه له كلما أقبل عليه بصلاة فانه جدير بأن يرفعه إلى حد لا يوصف ، و يلبسه من[11]

١٥ أنواره ملابس لا تحصر .

/ ٨٤

---

(١) سورة ٢ آية ٢٨٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) في ظ و مد : كانك تراه لتكون (٤) في ظ وجامع الترمذي ٢/٤٤٠ : الذي (٥) من ظ ومد والجامع ، وفي الأصل : يذكرني (٦ - ٦) في الجامع : و هو ملاق (٧) في ظ و مد : و كان (٨) في ظ : كبير (٩) سورة ٢ آية ١٥٢ (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : شانه (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما كان ذلك يحتاج إلى علاج لعوج الطباع و منحرف المزاج، و تمرن على شاق الكلف، و رياضة لجماح النفوس، و كان صلى الله عليه و سلم قد نزه عن ذلك[1] كله بما جبل عليه من أصل الفطرة، ثم [بما -[2]] غسل به قلبه من ماء الحكمة، [و غير ذلك -[2]] من جليل النعمة، عدل إلى خطاب الأتباع يحثهم[3] على المجاهدة فقال[4]: ﴿ و الله ﴾ أي المحيط ٥ علما و قدرة ﴿ يعلم ﴾ أي في كل وقت ﴿ما تصنعون ﴾ من الخير و الشر، معبرا بلفظ الصنعة الدال على ملازمة العمل تنبيها على أن إقامة ما ذكر تحتاج إلى تمرن عليه و تدرب، حتى يصير طبعا صحيحا، و مقصودا صريحا[5].

و لما انتهى الكلام إلى روح الدين و سر اليقين مما[6] لا يعلمه حق ١٠ علمه إلا العلماء بالكتب السماوية و الأخبار الإلهية، [7]و كان[7] العالم يقدر على إيراد الشكوك و ترويج الشبه، فربما أضل بالشبهة الواحدة النيام من الناس، بما له عندهم من القبول، و بما للنفوس من النزوع إلى الأباطيل، و بما للشيطان في ذلك من التزيين، و كان الجدال يورث الإحن، و يفتح أبواب المحن، فيحمل على الضلال، قال تعالى عاطفا على " اتل " مخاطبا ١٥ لمن ختم الآية بخطابهم تنزيها لمقامه صلى الله عليه و سلم عن المواجهة بمثل ذلك تنبيها على أنه لا يصوب[8] همته الشريفة[9] إلى مثل ذلك، لأنه ليس

---

(١) في ظ و مد: هذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل: لحثهم (٤) في ظ و مد: بقوله (٥) في ظ: ربيحا، و في مد: مريحا (٦) في ظ: بما (٧ - ٧) في ظ: فان (٨) في ظ: لا يصرف (٩) من ظ و مد، و في الأصل: الشرعية.

فى طبعه المجادلة، و المماراة و المغالبة: ﴿ و لا تجادلوآ اهل الكتٰب ﴾ أى اليهود و النصارى ظنا منكم أن الجدال ينفع الدين، أو يزيد فى اليقين، أو يرد أحدا عن ضلال مبين ﴿الا بالتى﴾ أى بالمجادلة التى ﴿هى احسن ق صلے﴾ أى[1] بتلاوة الوحى الذى أمرنا رأس العابدين بادامة تلاوته فقط، و هذا

٥ كما تقدم عند[1] قوله تعالى فى "سبحان" "و قل لعبادى يقولوا التى هى احسن[2]".

و لما كان كل من جادل منهم فى القرآن ظالما، كان من الواضح أن المراد بمن استثنى[3] فى قوله تعالى: ﴿ الا الذين ظلموا منهم ﴾ اى تجاوزوا فى الظلم بنفى صحة القرآن و إنكار إعجازه[3] مثلا و أن يكون

١٠ على اساليب الكتب المتقدمة[4]، أو مصدقا لشىء منها، أو بقولهم "ما انزل الله على بشر من شىء[5]" و نحو هذا من افترائهم، فان هؤلاء يباح جدالهم و لو ادى إلى جلادهم بالسيف، فان الدين يعلو و لا يعلى عليه.

و لما نهى عن موجب الخلاف، مر بالاستعطاف، فقال: ﴿و قولوآ امنا﴾ أى أوقعنا الإيمان ﴿بالذى انزل الينا﴾ أى من هذا

١٥ الكتاب المعجز ﴿و انزل اليكم﴾ من كتبكم، يعنى فى نفس[7] ان اصله حق و إن كان قد نسخ منه ما نسخ، و ما حدثوكم[8] به من شىء[9] ليس عندكم

(١) سقط من ظ (٢) آية ٥٣ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) فى ظ ومد: القديمة (٥) سورة ٦ آية ٩١ (٦) من ظ و مد والقرآن الكريم، وفى الأصل: علينا (٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ و مد وفى الاصل: حدوثكم (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

ما يصدقه و لاما يكذبه فلا تصدقوهم و لاتكذبوهم، فان هذا أدعى إلى الإنصاف، و أنفى[1] للخلاف .

و لما لم يكن هذا جامعا للفريقين، أتبعه بما يجمعهما فقال : ﴿و الهنا / و الهكم﴾ و لما كان من المعلوم قطعا أن المراد به الله، لأن المسلمين لا يعبدون غيره، و كان جميع الفرق مقرين بالإلهية و لو بنوع إقرار[2] لم تدع [حاجة -[3]] إلى ان يقول " اله "[4] كما في بقية الآيات فقال : ﴿واحد﴾ أي لا إله لنا غيره و إن ادعى بعضكم عزيرا و المسيح ﴿و نحن له﴾[5] خاصة ﴿مسلمون ﴾ أي خاضعون منقادون أتم انقياد فيما يأمرنا به[6] بعد الأصول من الفروع[6] سواء كانت موافقة لفروعكم كالتوجه بالصلاة[7] إلى بيت المقدس، أو ناسخة كالتوجه إلى الكعبة، و لا نتخذ الأحبار و الرهبان أربابا من [8]دون الله[8] لنأخذ ما يشرعونه لنا مخالفا لكتابه و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، فنكون حينئذ قد خضعنا لهم و تكبرنا[9] عليه فاوقعنا[10] الإسلام في غير موضعه ظلما .

و لما كان التقدير تعليلا للأمر بهذا القول : إنا أنزلنا كتبهم إلى رسلهم، عطف عليه قوله مخاطبا للرأس تخصيصا[11] له لئلا يتطرق لمتعنت طعن

---

(١) في ظ : ابقى (٢) زيدت الواو في ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل : الله (٥) في الأصل : و قال، و سقط من ظ و مد (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل : من الأصول بعد الفروع (٧) في ظ : في الصلاة .
(٨-٨) في ظ و مد : بدونه (٩) من ظ و مد، و في الأصل : تكبر (١٠) في ظ : و اوقعنا (١١) من ظ و مد، و في الأصل : تخضيعا .

إلى عموم أو اتهام[1] فى المنزل عليه : ﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل ذلك الإنزال الذى أنزلناه إلى أنبيائهم ﴿ انزلنآ اليك الكتب ﴾ أى هذا القرآن الذى هو الكتاب فى الحقيقة، لا كتاب غيره فى علو كماله[2]، فى نظمه و مقاله، مصدقا لما بين يديه : ﴿ فالذين ﴾ أى فتسبب عن
٥ [3]إنزالنا له[3] على هذا المنهاج أن الذين ﴿ اتينهم ﴾ [أى -[4]] إيتاءا يليق بعظمتنا، فصاروا يعرفون الحق من الباطل ﴿ الكتب ﴾ أى من[5] قبل ﴿ يؤمنون به ج ﴾ أى بهذا الكتاب حقيقة كعبد الله بن سلام و مخيريق رضى الله عنهما، أو مجازا بالمعرفة به مع الكفر كحيى بن أخطب و خلق كثير منهم ﴿ و من هؤلاء ﴾ أى[5] العرب ﴿ من يؤمن به ج ﴾ أى كذلك
١٠ فى الحقيقة و المجاز فى المعرفة بالباطن بأنه حق لما أقامه من البرهان على ذلك بعجزهم عن معارضته مع الكفر به، و أدل[6] دليل على[7] ما أردته من الحقيقة و المجاز قوله : ﴿ و ما يجحد ﴾ أى[8] ينكر من الفريقين بعد المعرفة، قال البغوى[9] : قال قتادة : الجحود إنما يكون بعد المعرفة. ﴿ باٰيتنا ﴾ التى حازت أقصى غايات العظمة حتى استحقت الإضافة إلينا
١٥ ﴿ الا الكفرون ﴾ أى العريقون[10] فى ستر المعارف بعد ظهورها طمعا فى إطفاء نورها.

---

(١) فى ظ و مد : ايهام (٢) فى ظ : حاله (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل : انزاله (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : اول (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : غير (٨) من مد، و فى الأصل « و » و فى ظ : او (٩) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٦٣ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : العريقين.

و لما أشار إلى أن المنكر لأصل الوحى متوغل فى الكفر، دل على ذلك بحال المنزل إليه[1] صلى الله عليه و سلم فقال مسليا له: ﴿و ما﴾ أى أنزلناه إليك و الحال أنك ما ﴿كنت تتلوا﴾ أى تقرأ مواصلا مواظبا فى وقت ما.

و لما كان المراد نفى التلاوة عن كثير الزمن الماضى و قليله، أدخل ٥ الجار فقال: ﴿من قبله﴾ أى هذا الكتاب الذى أنزلناه إليك؛ و أكد استغراق الكتب فقال: ﴿من كتب﴾ أصلا ﴿و لا تخطه﴾ أى تجدد و تلازم خطه؛ و صور الخط و أكده بقوله: ﴿بيمينك﴾ أى[2] التى [هى -[3]] أقوى الجارحتين، و عبر بذلك إشارة إلى أنه لا تحدث الرتبة[4] فى أمره لعاقل إلا بالمواظبة لمثل ذلك مواظبة [قوية -[5]] ينشأ عنها ملكة، ١٠ فكيف إذا لم يحصل [أصل الفعل -[5]]، و لذلك قال: ﴿اذا﴾ أى إذ لو كان شيء من هذه المواظبة فى التلاوة أو[6] الخط التى يحصل بها[7] الدربة المورثة للملكة ﴿لارتاب﴾ /أى لساغ أن تكلف أنفسهم [لدخول -[5]] / ٨٦ فى الريب أى الشك ﴿المبطلون﴾ أى هؤلاء الذين ينكرون الوحى إليك من أهل الكتاب و من العرب، و يقولون: هو سجع[8] و كهانة و شعر ١٥ و أساطير الأولين، العريقون فى وصف[9] الإبطال، [أى -[5]] الدخول

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: عليه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل: الرتبة (٥) زيد من ظ ومد (٦) فى مد «و» (٧) فى مد: فى (٨) زيد فى الأصل: كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

فى الباطل ، فكانوا يجدون مطعنا ، فتقول العرب : لعله أخذه من كتب الأقدمين ، و يقول الكتابيون : المبشر به عندنا أمى . و لكنه لم يكن شيء من قراءة و لا خط كما هو معروف من حالك فضلا عن المواظبة لشيء منها ، فلا ريبة فى صدقك فى نسبته إلى الله تعالى ، و إذا انتفت الريبة

٥ من أصلها صح نفى ما عندهم منها ، لأنه [لما -[1]] لم يكن لهم فى الواقع شبهة ، عدت ريبتهم عدما ، و سموا مبطلين على تقدير هذه الشبهة ، لقيام بقية المعجزات القاطعة بالرسالة ، القاضية بالصدق ، كما قضت[2] بصدق أنبيائهم [مع -[1]] أنهم يكتبون و يقرأون ، و كتبهم لم تنزل للإعجاز ، فصح أنهم[3] يلزمهم الاتصاف بالإبطال بالارتياب على كل تقدير من

١٠ تقديرى الكتابة و القراءة و عدمهما ، لأن العمدة على المعجزات .

و لما كان التقدير : و لكنهم[4] لا ريبة لهم أصلا و لا شبهة ، لقولهم : إنه باطل ، قال : ﴿ بل هو ﴾ أى القرآن الذى جئت به ، ارتابوا فيه فكانوا[5] مبطلين لذلك على كل تقدير ﴿ ءايٰت ﴾ أى دلالات ﴿ بينٰت ﴾ أى واضحات جدا فى الدلالة على صدقك[6] ﴿ فى صدور الذين ﴾ و لما

١٥ كان المقصود المبالغة فى تعظيم العلم ، بنى للمفعول ، و اظهر ما كان أصله الإضمار فقال : ﴿ اوتوا العلم ﴾ دلالة على أنه العلم الكامل النافع ، فلا يقدر أحد على تحريف شيء منه لبيان الحق لديهم ، و فى ذلك إشارة إلى أن خفاءه عن غيرهم لا أثر له . و لما كان المراد بالعلم النافع ، قال

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : قضيت (٣) فى ظ و مد : انه (٤) فى ظ و مد : لكنه (٥) فى ظ : وكانوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : صدقه .

إشارة

إشارة إلى -[١]] أنه فى صدور غيرهم عريا عن النفع : ﴿و ما يجحد﴾ وكان الأصل : به ، و لكنه أشار إلى عظمته فقال : ﴿ بايٰتنا ﴾ أى ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها إلينا [و البيان الذى لا يجحده أحد -[١]] ﴿الا الظّٰلمون ه﴾ أى الراسخون فى الظلم الذين لا ينتفعون بنورهم فى وضع كل شىء فى محله ، بل هم - فى وضع الأشياء فى غير محالها ٥ - كالماشى فى الظلام الذى تأخر عن وصفهم أولا بالكفر الذى هو تغطية أنوار العقول .

و لما كان التقدير : فجحدوها [بما لهم من الرسوخ فى الظلم -[١]] أصلا و رأسا ، و لم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات ، عطف عليه قوله : ﴿و قالوا﴾ موهمين مكرا [٢]إظهار النصفة[٣] بالاكتفاء بأدنى ما يدل ١٠ على الصدق : ﴿لولآ ﴾ أى هلا ﴿انزل عليه﴾ أى على أىّ وجه كان من وجوه الإنزال ﴿ اٰية ﴾ أى واحدة تكون بحيث تدل قطعا على صدق الآتى بها ﴿من ربه ﴾ أى الذى يدعى إحسانه إليه كما أنزل على الأنبياء قبله من نحو ناقة صالح و عصى موسى و نحوهما ، لنستدل به على صدق مقاله ، و صحة ما يدعيه من حاله - هذا على قراءة [ابن كثير و -[٤]] ١٥ حمزة و الكسائى و ابى بكر بالإفراد ، و جمع غيرهم دلالة على أن فريقا آخر قالوا : إن مثل هذا المهم العظيم لا يثبت إلا بآيات متعددة ، و أوهموا[٥]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اظهار النصفة .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد و نثر المرجان ٥/٢٥٧ (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : و هموا .

مكابرة و عنادا أن ذلك لم يقع ، و إن وقع ما[1] يسمى آية .

و لما كان هذا [2]إنكارا للشمس[2] بعد شروقها ، و مكابرة فيما تحدى به من / المعجزات بعد حقوقها ، أشار إليه بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لهم /٨٧
إرخاء للعنان حتى كأنك ما أتيتهم بشيء : ﴿ انما الأيٰت عند الله ﴾
٥ أى الذى له الأمر كله فلا يقدر على إنزال شيء منها غيره ، فانما الإله هو لاسواه ﴿ و انمآ انا نذير ﴾ أقوم لكم بما حملنى و كلفنى من النذارة ، دالا عليه بما أعطيت من الآيات ، و[3] نواقض المطردات[4] و ليس لى أن أقترح [عليه -[5]] الآيات ، على أن المقصود من الآية الدلالة[6] على الصدق ، و هى كلها فى حكم آية واحدة [فى ذلك -[5]] ، و لم يذكر البشارة
١٠ لأنه ليس أسلوبها ﴿ مبين ﴾ أى أوضح ما آتى به من ذلك بعد أن أوضح صحة كونى نذيرا ، فليس إلىّ إنزال الآيات و لا طلبها اقتراحا على الله ، فهو قصر قلب فيها ، خوطب بـه من لزمه ادعاء أن إنزال الآيات إليه صلى الله عليه و سلم و [7]أن أمره[7] الإتيان بما يريد أو يطلب منه[8] .

١٥ و لما أفرحهم بما كأنه تسليم لمدعاهم ، و كان من البين أن لسان الحال يقول : ألم يكفهم ماجئتهم [به -[5]] من الآيات المرئيات و المسموعات ، و عجزوا عن الإتيان بشيء منها ، عطف على ذلك قوله منكرا على جهلهم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم (٢-٢) فى ظ : انكار الشمس (٣) فى ظ : فى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطررات - كذا (٥) زيد من ظ و مد . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدالة (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ازاره - كذا (٨) فى ظ : منهم .

و عنادهم: ﴿ اولم يكفهم ﴾ أى إن كانوا طالبين[١] للحق غير متعنتين آية بينة مغنية[٢] عن كل آية ﴿ انآ انزلنا ﴾ بعظمتنا ﴿ عليك الكتب ﴾ أى الجامع لسعادة الدارين بحيث صار خلقا لك غالبا على حركاتك و سكناتك ﴿ يتلى عليهم ﴾ أى يتجدد متابعة قراءته عليهم شيئا بعد شيء في كل مكان و كل زمان من كل تال مصدقا لما فى الكتب القديمة من نعتك[٣] و غيره من الآيات الدالة على صدقك، يتحدون بكل شيء نزل منه مع تحديهم بما قبله من آياته[٤] °صباح مساء°، يصفعون بذلك مدى الدهر فى أقفائهم و يدفعون، فكلما أرادوا التقدم ردوا عجزا إلى ورائهم، فأعظم به آية باقية، إذ كل آية سواه منقضية ماضية، [و قال الشيخ أبو العباس المرسى[٦] : خشع بعض الصحابة رضى الله عنهم من سماع اليهود بقراءة التوراة فعتبوا إذ تخشعوا من غير القرآن. و هم إنما تخشعوا من التوراة و فى كلام الله فما ظنك بمن[٧] أعرض عن كتاب الله و تخشع بالملاهي و الغناء -[٨]].

و لما كان هذا أعظم من كل آية يقترحونها و لو توالى عليهم إتيانها كل يوم لدوام هذا على مر[٩] الأيام و الشهور، حتى تفنى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ظالمين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: معيبة (٣) فى ظ و مد: بعثتك (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: الآيات. (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: صباحا و مساء (٦) هو أحمد بن عمر المرسى أبو العباس شهاب الدين، فقيه متصوف، من أهل الإسكندرية، أصله من مرسية فى الأندلس: الأعلام ١/١٧٩ (٧) من مد، و فى ظ: من (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: شر.

الأزمان و الدهور، أشار تعالى إلى هذه العظمة، مع ما فيها من النعمة، بقوله مؤكدا تنبيها على جهلهم فيما لزم[1] من كلامهم الأول من إنكار أن يكون فى القرآن آية تدلهم على الصدق: ﴿ ان فى ذلك﴾ أى إنزال الكتاب على هذا الوجه البعيد المنال[2] البديع المثال[3] ﴿لرحمة﴾ ٥ لهم لصقله صدأ القلوب فى كل لحظة، و تطهيره[4] خبث النفوس فى كل لمحة ﴿و ذكرى﴾ أى عظيمة مستمرا [تذكرها -[5]].

و لما عم بالقول، خص من حيث النفع فقال: ﴿لقوم يؤمنون ۝﴾ أى يمكن أن يتجدد لهم إيمان، ليس من همهم التعنت، قال[6] الحرالى فى كتاب له فى[6] أصول الدين: و لما كان القرآن لسان[7] إحاطة لم يف ١٠ بالقيام به خلق من خلق الله، لأنه [8]بناء على[8] كلية أمر الله حتى أن السورة الواحدة منه لما كان موقع الخطاب بها[9] من مدد بنائه[10] على إحاطة أمر الله لا يستطيعها [أحد من الخلق، و إذا كان الأقل من كلام العالم لا يستطيعه -[5]] من دون رتبته، فعجز الخلق عن[11] كلام الله أحق و أولى، ثم كل ناظر فيه - من أىّ وجه نظره - أدرك بمقتضى علوه على ١٥ رتبته وجها من العجز فيه، إن كان فصيحا بليغا فمن جهة البلاغة، و معناها بلوغ الكلام / فى مطابقة أنبائه و يسمى الفصاحة، و حسن نظم ٨٨ /

(١) فى ظ: الزم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المثال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المنال (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تطهير (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦ - ٦) فى مد: الغزالى فى كتابه (٧) فى ظ: لبيان. (٨ - ٨) فى ظ: بناء عن، و فى مد: نبا عن (٩) سقط من ظ (١٠) فى مد: نبايه (١١) فى ظ: من.

حروف كلماته و يسمى الجزالة، و كمال[1] انتظام كلماته و آياته، و يسمى حسن النظم - إلى أنهى[2] غاياته و أتم نهاياته، و إن كان عالما بأخبار الأولين فبصحة مقتضاها فيه، و إن كان حكيما فبالإعلام الأتم بوجه تقاضي المترتبات، و بالجملة فما يكون[3] لأحد أصل من عقل و حظ من علم - أيّ علم كان - إلا و يجد له موقعا في القرآن، يفي له بحظ بيان علو مرتبة أنبائه على نهاية ٥ مدركه منه بمقدار لا ارتياب في وقوعه فوق طور الخلق، فكان[4] آية باقية دائمة لم يتفاوت في تلقيه أول سامع له من آخر سامع في وجه سماعه، فكل نبي فقدت آيته بفقده أو بفقد وقت ظهورها على يديه، و آية محمد صلى الله عليه و سلم باقية ببقاء الله، فجهات ظهور إعجازه تأتي[5] على حظوظ أصناف الخلق من وجوه الإدراك، لا يتعين لظهور[6] الإعجاز فيه جهة، ١٠ و لا يفقد ناظر فيه حظا يتطرق بمقدار إدراكه منه إلى يقين[7] وجه إعجازه، و ذلك لما كان محيطا بكل تفصيل و كل إجمال، و لم يفرط فيه من شيء، و كان تفصيلا لكل شيء و لإحاطته باثبات كل رتبة من رتب[8] حكمة الله تعالى لم يقدر أحد من الخلق في التوقف عن الإيمان به من الجن و الإنس و الأحمر و الأسود و جميع خلق الله، من يعرفه الناس ١٥ منهم و من لا يعرفونهم ممن أحاط بهم[9] علم العالمين باعلام الله، و من

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: اكمال (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: اعني. (٣) زيدت الواو في ظ و مد (٤) في ظ: و كان (٥) زيد في الأصل و ظ: على ظهور تأتي، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و في الأصل: لظهورها (٧) في ظ و مد: تعين (٨) في ظ: رتبة (٩) في ظ و مد: به.

حكم إحاطة كتابه كان ممكنا من عالية [١] كل آية جاء بها نبي قبله ممن شاهد ذلك منه حاضروه، و نقله نقل التواتر و الاستفاضة جملة العلم خلفا عن سلف؛ ثم رتب قياسا على إثبات النبوة فقال: [إن - [٢]] محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آية هذا القرآن المشهود، و هذا القرآن المشهود معجز كل

٥ ذي إدراك، و [٣] بشري من كل جهة من جهات معانيه و بلاغته، فذو آية هذا القرآن نبي، فمحمد [٤] صلى الله عليه و سلم [نبي - [٢]]، أما أن محمدا صلى الله عليه و سلم ذو آيته فبالتجربة السمعية المتيقنة المسماة بالتواتر، و [أما - [٢]] أن هذا القرآن [٥] معجز فبما يجده كل ناظر في معناه المشتمل على تمام الحكمة فيما هو كائن و نبأ ما كان [٦] من قبل و خبر ما يكون بعد المتيقن [٧] بوقوع

١٠ أوائله وقوع جملته و صحة خبره، و بذلك يتضح أن ذا آيته نبي، ثم بما تضمنه من شهادته لذي آيته [٥] و تصريحه بذلك لمحمد صلى الله عليه و سلم، فصح [٨] أن محمدا صلى الله عليه و سلم ذو آيته، و أنه نبي - صلى الله عليه و سلم. و المستعمل في ذلك أن محمدا صلى الله عليه و سلم تحدى بهذا القرآن [العرب - [٢]] الفصحاء و اللد البلغاء، فلما لجأوا [٩] للحرب

١٥ وضح أنهم فروا لذلك لمكان ما وجدوه في أنفسهم من العجز، و إذا عجز [١٠] أولئك فمن بعدهم أحق بالعجز. فلما شمل العجز الكل [١١] من الخلق،

---

(١) في ظ: حاله (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقطت الواو من ظ و مد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: محمد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد، و في الأصل: يكون (٧) من ظ و مد، و في الأصل: التيقن (٨) في ظ و مد: فوضح. (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: جاوا (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: عجزوا. (١١) في ظ: لكل.

وجب العلم بأن هذا القرآن حق، و المتحدى به نبى جاء بالصدق، و حاصله: لو لم تعجز العرب[1] لم تحارب لمكان ثقل الحرب و خفة المعارضة لو استطاعوها، و لم يعارضوا و حاربوا / فقد عجزوا، فثبت بذلك أنه نبى صلى الله عليه و سلم - انتهى. /٨٩

و لما كان من المعلوم أنهم يقولون: نحن لا نصدق أن هذا الكتاب ٥ من عند الله فضلا عن أن نكتفى[2] به، قال: ﴿قل﴾ أى جوابا لما قد يقولونه[3] من نحو هذا: ﴿كفى بالله﴾ أى الحائز لجميع العظمة و سائر الكمالات، الذى شهد لى بالرسالة فى كتابه الذى أثبت أنه كلامه عجزُ الخلق عن[4] معارضته.

و لما كانت العناية فى هذه السورة بذكر الناس، و تفصيل أحوالهم، ١٠ ابتدأ بقوله: ﴿بينى و بينكم﴾ قبل قوله: ﴿شهيدا ج﴾ بخلاف الرعد[5] و الأنعام[6]، [7] ثم وصف[7] الشهيد أو علل كفايته بقوله: ﴿يعلم ما فى السمٰوٰت﴾ أى كلها. و لما لم يكن للأرض[8] غير هذه التى يشاهدونها ذكر فى إتيان الوحى و القرآن منها، أفرد فقال: ﴿و الارض ط﴾ أى لا يخفى عليه [9]شىء من ذلك[9] فهو عليم بما ينسبونه إلىّ[10] من التقول عليه، بما أنسبه أنا إليه ١٥

---

(١) فى ظ: القرب (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يكتفى (٣) فى ظ: يقولوه، و فى مد: يتقولوه (٤) فى ظ: من (٥) راجع آية ٤٣ (٦) راجع آية ١٩. (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فوصف (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الارض (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اليه.

من هذا القرآن الذى شهد لى به عجزكم عنه فهو شاهد لى ، و الله فى الحقيقة هو الشاهد لى ، بما فيه من الثناء علىّ ، و الشهادة لى بالصدق ، لأنه قد ثبت بالعجز عنه أنه[1] كلامه و سيتحقق[2] بالعقل إبطال المبطل منا .

و لما كان التقدير : و أنتم تعلمون أنه قد شهد لى بأنى[3] على الحق ، ٥ و أن كل ما خالف ما جئت به فهو باطل ، فالذين آمنوا بالحق و كفروا بالباطل فأولئك هم الفائزون ، عطف عليه قوله : ﴿و الذين اٰمنوا بالباطل﴾ أى[4] الذى لا يجوز الإيمان به من كل معبود سوى الله ﴿و كفروا بالله لا﴾ الذى يجب الإيمان به و الشكر له ، لأن له الكمال كله و كل ما سواه هالك ليس له من ذاته إلا العدم ﴿اولٰٓئك﴾ البعداء البغضاء ﴿هم﴾ ١٠ أى خاصة ﴿الخٰسرون ه﴾ أى العريقون[5] فى الخسارة ، فانهم خسروا انفسهم أبدا .

و لما كان قولهم مرة واحدة "لولا انزل عليه اٰية" عجبا ، أتى بعد إخباره بخسارتهم باعجب منه ، و هو استمرار استعجالهم بما لا قدرة لهم على شيء منه من عذاب الله فقال : ﴿و يستعجلونك﴾ أى يطلبون ١٥ تعجيلك فى كل وقت ﴿بالعذاب ط﴾ و يجعلون تأخره عنهم شبهة لهم فيما يزعمون من التكذيب ﴿و لو لآ اجل مسمى﴾ قد ضرب لوقت عذابهم لا تقدم فيه[6] و لا تأخر ﴿لجآءهم العذاب ط﴾ وقت استعجالهم ، لأن القدرة تامة و العلم محيط .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : ان (٢) فى ظ : سيحقق (٣) فى ظ : انى .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : الغريقون (٦) سقط من ظ .

و لما أفهم هذا أنه لابد من إتيانه، صرح به فى قوله مؤكدا ردا على استهزائهم المتضمن للانكار: ﴿ و ليأتينهم ﴾ ثم هوّله[1] بقوله: ﴿بغتة﴾ و أكد معناها بقوله: ﴿ و هم لايشعرون ۝ ﴾ بل هم فى غاية الغفلة عنه و الاشتغال بما ينسيه، ثم زاد [فى - [2]] التعجب[3] من جهلهم بقوله مبدلا: ﴿ يستعجلونك بالعذاب[4] ﴾ أى يطلبون منك إيقاعه بهم ناجزا ٥ و لو كان فى غير وقته الأليق [به - [2]]، فلو[4] علموا ما هم سائرون إليه لتمنوا أنهم لم يخلقوا فضلا عن[5] أن يستعجلوا، و لأعملوا جميع[6] جهدهم فى الخلاص منه.

و لما كان دخولهم النار لابد منه لإحاطة القدرة بهم، قال[7] مؤكدا[8] / لإنكارهم الآخرة باثبات أخص منها: ﴿و ان جهنم﴾ التى هى من عذاب ١ / ٩٠ الآخرة ﴿ لمحيطة ﴾ أى بما هى مهيأة له، لأنه لايفوتها شيء منه، لأن الذى أعدها عليم قدير، و قال: ﴿ بالكفرين ۝ ﴾ موضع " بهم " تنبيها على ما استحقوا به عذابها، و تعميما لكل من اتصف به.

و لما كان هذا كله دليلا[9] على إنكارهم قال: ﴿يوم﴾ أى يعلمون ذلك [يوم - [2]] ﴿ يغشٰهم العذاب ﴾ أى يلحقهم و يلصق بهم ما ١٠ لايدع لهم شيئا يستعذبونه، و لا أمرا يستلذونه و نبه على عدم استغراق

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: هول (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد: التعجيب (٤) فى ظ و مد: ولو (٥) من ظ و مد، و فى الاصل: من (٦) فى ظ: بجميع (٧) فى ظ: كان (٨) زيد بعده فى الأصل: دا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى ظ و مد: دالا.

جهة الفوق مع استعلائه عليهم باثبات الجار فقال : ﴿ من فوقهم ﴾ و لما أفهم[1] ذلك الإحاطة بما هو أدنى من جهة الفوق، صرح به فقال: ﴿ و من تحت ارجلهم ﴾ فعلم بذلك إحاطته بجميع الجوانب، و صرح بالرجل تحقيقا للآدمى[2] ﴿ و يقول ﴾ أى الله فى قراءة نافع [3]و عاصم[3]

٥ و حمزة و الكسائى بالتحتانية جريا[4] على الأسلوب الماضى، أو[5] نحن بعظمتنا[6] فى قراءة الباقين بالنون [7]تروبعا بالالتفات إلى مظهر العظمة[7]: ﴿ ذوقوا ﴾ ما سببه لكم ﴿ ما كنتم ﴾ بغاية الرغبة ﴿ تعملون ﴾ أى فى ذلك اليوم تعلمون [8] ذلك حق اليقين بعد علمكم له عين اليقين [9]بسبب تكذيبكم[9] بعلم اليقين .

١٠ و لما أبلغ فى الإنذار، و حذر من الأمور الكبار، و لم يهمل الإشارة إلى الصغار، و كانت هذه الآيات فى المتعنتين من الكفار، و كان قد كرر أن هذه المواعظ إنما هى للمؤمنين، قال مخاطبا لهم معرضا عن سواهم إذ[10] كانت أسماعهم لبليغ هذه المواعظ قد أصغت، و قلوبهم لجليل هذه الإنذارات قد استيقظت، التفاتا على[11] قرءاة الجمهور إلى

---

(١) فى ظ و مد : اوهم (٢) فى ظ و مد : للامر (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد، و راجع أيضا نثر المرجان ٥ / ٢٦١ (٤) فى الأصل وظ: جاريا (٥) فى ظ و مد « و » (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فعظمتنا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من ظ ، وفى الأصل و مد : يعلمون (٩-٩) من ظ ومد، وفى الأصل : سبب تكذيبهم (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل : «و» (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : إلى ، و راجع أيضا نثر المرجان ٥ / ٢٦١ .

التلذذ

التلذيذ فى المناجاة بالإفراد و الإبعاد من مداخل التعنت : ﴿ يعبادى ﴾ فشرفهم بالإضافة ، و لكنه لما أشار بأداة البعد إلى أن فيهم من لم يرسخ ، حقق ذلك بقوله : ﴿الذين ءامنوآ ﴾ أى [و إن -[1]] كان الإيمان باللسان مع أدنى شعبة من القلب .

و لما كان نزول[2] هذه [السورة - [1]] بمكة ، و كانوا بها مستخفين ٥ بالعبادة[3] خوفا من الكفار ، و كانت هجرة الأهل و الأوطان شديدة ، قال مؤكدا تنبيها على أن حال من ترك الهجرة حال من يظن أن الأرض ضيقة : ﴿ان ارضى واسعة﴾ أى فى الذات و الرزق و كل ما تريدون من الرفق ، فان لم تتمكنوا بسبب هؤلاء المعاندين الذين يفتنونكم فى دينكم و يمنعونكم من الإخلاص [إلى -[4]] فى أرضكم و الاجتهاد فى عبادتى حتى ١٠ يصير الإيمان لكم وصفا ، فهاجروا إلى أرض تتمكنون فيها[5] من ذلك .

و لما كانت الإقامة بها قبل الفتح مؤدية[6] إلى الفتنة ، و كان المفتون ربما طاوع بلسانه ، و كان ذلك و إن كان القلب مطمئنا بالإيمان فى صورة الشرك قال : ﴿فاياى﴾ أى خاصة بالهجرة إلى أرض تأمنون فيها اعبدوا و تنبهوا ﴿ فاعبدون ﴾ بسبب ما دبرت لكم من المصالح من توسيع ١٥ الأرض و غيره ، عبادة لاشرك فيها ، لا باللسان و لابغيره و لا استخفافا بها و لا مراعاة لمخلوق فى معصيته ، و لا شيء يجر إليها بالهرب ممن يمنعكم من ذلك إلى من يعينكم عليه .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منزل (٣) فى ظ : العبادة (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يوديه .

/٩١ و لما كانت / الهجرة شديدة المرارة لأنها مرت فى المعنى من حيث كونها مفارقة المألوف[١] المحبوب من العشير و البلد[٢] و المال ، وكان فى الموت ذلك كله بزيادة ، قال [٣]مؤكدا بذلك مذكرا به[٣] مرهبا من ترك الهجرة : ﴿كل نفس ذآئقة الموت﴾ أى مفارقة كل ما ألفت حتى بدنا

٥ طالما لابسته ، و آنسها و آنستـه ، فان أطاعت ربها أنجت نفسها و لم تنقصها الطاعة من الأجل شيئا ، و إلا[٤] أوبقت نفسها و لم تزدها المعصية فى الأجل شيئا . فاذا قدر الانسان أنه مات سهلت عليه الهجرة . فانه إن لم يفارق بعض مألوفه[٥] بها فارق كل مألوفه [بالموت - [٦]] ، و ما ذكر الموت فى عسير إلا يسره ، و لا يسير إلا عسره و كدره .

١٠ و لما هوّن أمر الهجرة ، حذر من رضى فى دينه بنوع نقص لشيء من الأشياء حثا على الاستعداد بغايـة الجهد فى التزود للمعاد فقال : ﴿ثم الينا﴾ على عظمتنا ، لا إلى غيرنا ﴿ترجعون﴾ على أيسر وجه ، فيجازى كلا منكم [٧]بما عمل[٧] .

و لما كان التقدير : فالذين آمنوا فلبسوا إيمانهم بنوع نقص لننقصنهم

١٥ فى جزائهم ، و الذين كفروا لنركسنهم[٨] فى جهنم دركات[٩] تحت دركات

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المالوفات (٢) فى ظ و مد : الولد (٣-٣) فى ظ و مد : مذكرا بذلك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٥) فى ظ : مالوفاته (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : على علمه ، و فى ظ : بما عمله - كذا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : كركنهم - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ودكات .

فبئس

فبئس مثوى الظالمين، و لكنه لما تقدم ذكر العذاب قريبا، و كان القصد هنا الترغيب فى الإيمان كيفما كان، طواه و دل عليه بأن عطف عليه قوله: ﴿و الذين ءامنوا و عملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصّٰلحٰت﴾ أى كلها.

و لما كان الكفار ينكرون البعث، فكيف ما بعده، [1]أكد قوله[1]: ٥ ﴿لنبوئنهم﴾ أى لنسكننهم فى مكان هو جدير بأن يرجع إليه[2] من حسنه و طيبه من خرج منه لبعض أغراضه، و هو معنى ﴿من الجنة غرفا﴾ أى بيوتا عالية تحتها قاعات واسعة بهية عالية، و قريب من هذا المعنى قراءة حمزة و الكسائى[3] بالثاء المثلثة من ثوى بالمكان - إذا أقام به.

و لما كانت[4] العلالى لا تروض[5] إلا بالرياض قال: ﴿تجرى﴾ و لما ١٠ كان عموم الماء لجهة التحت بالعذاب أشبه[6]، بعضه فقال: ﴿من تحتها الانهٰر﴾ و من المعلوم أنه لا يكون فى موضع أنهار، إلا كان به[7] بساتين كبار، و زروع و رياض و أزهار - فيشرفون عليها من تلك العلالى.

و لما كانت بحالة لا نكد فيها[8] يوجب هجره فى لحظة ما، كنى عنه بقوله: ﴿خٰلدين فيها﴾ أى لا يبغون عنها حولا؛ ثم عظم أمرها، ١٥ شرف قدرها، بقوله: ﴿نعم اجر العٰملين﴾ ثم وصفهم بما رغب فى الهجرة، فقال معرفا بجماع الخير [كله -[9]] الصبر و كونه على جهة التفويض لله،

(١ - ١) فى ظ: أكده بقوله (٢) فى ظ: عليه (٣) راجع نثر المرجان ٥/٢٦٢.
(٤) من مد، وفى الأصل وظ: كان (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: لاترون.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: شبه (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بها (٩) زيد من ظ و مد.

منبها على أن الإنسان لا ينفك عن أمر شاق ينبغى الصبر عليه : ﴿الذين صبروا﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت سجية لهم، فأوقعوها على كل شاق من التكاليف من هجرة و غيرها .

و لما كان الإنسان إلى المحسن إليه أميل، قال مرغبا فى الاستراحة
٥ بالتفويض إليه : ﴿ و على ربهم ﴾ أى وحده لا على / أهل و لا وطن ﴿ يتوكلون ﴾ أى [يوجدون التوكل إيجادا مستمر التجديد عند كل مهم يعرض لهم -[1]] فى إرزاقهم بعد الهجرة و غيرها[2] و جهاد أعدائهم و غير ذلك من أمورهم .

و لما أشار بالتوكل إلى أنه الكافى فى أمر الرزق فى الوطن و الغربة،
١٠ لامال و لا أهل، قال عاطفا على ما تقديره : فكأىّ من متوكل[3] عليه كفاه، و لم يحوجه إلى أحد سواه، فليبادر من أنقذه من الكفر و هداه إلى الهجرة طلبا لرضاه : ﴿وكاين من دآبة﴾ أى كثير من الدواب العاقلة و غيرها ﴿ لا تحمل ﴾ أى[4] لاتطيق أن تحمل ﴿ رزقها قلے ﴾ و لا تدخر شيئا لساعة أخرى ، لأنها قد[4] لا تدرك نفع ذلك، و قد تدركه
١٥ و تتوكل، أو لا تجد .

و لما كان موضع أن يقال : فمن يرزقها؟ قال جوابا له : ﴿ الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ، المتصف بكل كمال ﴿يرزقها﴾ و هى لاتدخر ﴿و اياكم زصلے﴾ و أنتم تدخرون، لافرق بين ترزيقه لها على ضعفها و ترزيقه لكم

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : توكل (٤) سقط من ظ .

على قوتكم و ادخاركم ، فان الفريقين تارة يجدون و تارة لا يجدون، فصار الادخار و عدمه غير معتد به و لا منظورا إليه .

و لما كان أهم ما للحيوان الرزق ، فهو لا يزال فى تدبيره بما يهجس[1] فى ضميره و ينطق به إن كان ناطقا و يهمهم به إن كان صامتا، أما العاقل[2] فبأمور كلية ، و أما غيره فبأشياء جزئية وحدانية ، و كان العاقل ربما قال : ٥ إنى لا أقدر على قطع العلائق من ذلك ، قال تعالى : ﴿و هو السميع﴾ أى لما يمكن أن يسمع فى أمره و غير أمره ﴿العليم ﴾ أى بما يعلم من ذلك . و بما يصير إليه أمركم و أمر عدوكم ، فهو لم يأمركم بما أمركم به إلا و قد أعد له أسبابه ، و هو قادر على أن يسبب لما اعتمد عليه الإنسان من الأسباب المنتجة عنده و لابد ما يعطله ، و على أن ينسبب للمتوكل ١٠ القاطع للعلائق ما يغنيه ، و من طالـــع كتب التصوف و تراجم القوم و سير السلف - نفعنـا الله بهم - وجد كثيرا من ذلك بما يبصره و يسليه و يصبره .

و لما هوّن سبحانه أمر الرزق بخطابه مع المؤمنين بعد أن [كان قد -[3]] أبلغ فى تنبيه الكافرين بايضاح المقال ، و ضرب الأمثال ، و لين ١٥ المحاورة فى الجدال ، و لما كان الملك لا يتمكن غاية التمكن من ترزيق من فى غير مملكته ، قال [عاطفا على نحو : فلئن سألتهم عن ذلك ليصدقنك -[3]]

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهجر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الغافل (٣) زيد من ظ و مد .

عائدا إلى استعطاف المعرضين، و اللطف بالغافلين، ناهجا فى تفنين الوعظ - أعنى طرق الحكمة، فان السيد إذا كان له عبدان: مصلح و مفسد، ينصح المفسد، فان لم يسمع التفت إلى المصلح، إعراضا عنه قائلا: هذا لايستحق الخطاب[1]، فاسمع أنت و لاتكن مثله، فكان[2] قوله متضمنا نصح المصلح

٥ و زجر المفسد، ثم إذا سمع[3] وعظ أخيه كان ذلك محركا منه بعد التحريك بالإعراض و الذم بسوء النظر لنفسه و قلة الفطنة[4]، فاذا خاطبه بعد هذا وجده متهيئا للقبول، نازعا إلى الوفاق، مستهجنا للخلاف: ﴿و لئن سالتهم﴾ أى [5]المؤمن و غيره، و أغلب[5] القصد له: ﴿من خلق السمٰوٰت و الارض﴾ و سواهما على هذا النظام العظيم

١٠ ﴿و سخر الشمس و القمر﴾ لإصلاح الأقوات، و معرفة الأوقات، و غير ذلك / من المنافع.

٩٣ /

و لما كان حالهم فى إنكار البعث حال من ينكر أن يكون [سبحانه -[6]] خلق هذا الوجود، أكد[7] تنبيها على أن الاعتراف بذلك يلزم منه قطعا الاعتراف بالبعث فقال: ﴿ليقولن الله ج﴾ أى الذى له

١٥ [جميع -[6]] صفات الكمال لما قد تقرر فى فطرهم من ذلك و تلقفوه عن ابائهم موافقة للحق فى نفس الأمر.

و لما كان حال من صرف الهمة[8] عنه عجبا يستحق أن يسئل عنه

(١) فى ظ: بالخطاب (٢) فى ظ: و كان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: الغبطة (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المؤمنين وغيرهم و اطلب (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: اكره (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: التهمة.

على

على وجه التعجب منه إشارة إلى أنه لا وجه له، قال: ﴿ فأنى ﴾ أنى فكيف و[1] من أيّ وجه ﴿ يؤفكون ﴾ أى يصرف من ضارف ما من لم يتوكل عليه أو [لم - [2]] يخلص له العبادة فى كل أحواله، و جميع أقواله و أفعاله، عن الإخلاص له مع إقرارهم بأنه لاشريك له فى الخلق فيكون وجهه إلى قفاه فينظر الأشياء على خلاف[3] ما هى عليه فيقع فى خبط [4]العشواء و حيرة العجباء[4] . ٥

و لما كان قد يشكل على ذلك التفاوت فى الرزق عند كل[5] من لم يتأمل [حق التأمل -[2]] فيقال: بكل الخلق و الرزق له، فما بالهم متفاوتين فى الرزق ؟ قال: ﴿ الله ﴾ أى بما له من [العظمة و -[6]] الإحاطة بصفات الكمال ﴿ يبسط الرزق ﴾ بقدرته التامة ﴿ لمن يشآء من عباده ﴾ على حسب ما يعلم من بواطنهم ﴿ و يقدر ﴾ أى يضيق . ١٠

و لما كان [ذلك -[2]] إنما هو لمصالح العباد و إن لم يظهر لهم وجه حكمته قال: ﴿ له ﴾ أى لتظهر من ذلك قدرته و حكمته، و أنت ترى الملوك و غيرهم من الأقوياء يفاوتون[7] فى الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون[8] من علمهم الناقص بأحوالهم، فما ظنك بملك الملوك العالم علما لا تدنو من ساحته ظنون و لاشكوك، و هذه الآية نتيجة ما قبلها .

و لما كان سبحانه يرزق[9] الناس، و يمكن لهم بحسب ما يعلم من

(١) سقطت الواو من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ ومد : غير.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ومد، و فى الأصل : يتفاوتون (٨) فى ظ : يعملون.
(٩) فى ظ : رزق .

ضمائرهم أنه لاصلاح إلا فيه[1] ، قال معللا لذلك و مؤكدا ردا على من
يعتقد أن ذلك إنما هو من تقصير بعض العباد و تشمير بعضهم ، معلما
بأنه محيط العلم فهو محيط القدرة [فهو -[2]] الذى سبب عجز بعضهم[3]
و طاقة الآخرين للازمة القدرة العلم : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات
٥ الكمال ﴿ بكل شىء ﴾ [أى -[2]] من المرزوقين و من الارزاق و كيف
تمنع أو تساق و غير ذلك ﴿عليم ﴾ فهو على ذلك كله قدير ، يعلم ما
يصلح العباد من ذلك و ما يفسدهم ، و يعطيهم بحسب ذلك إن شاء . و كم
رام بعض الأقويا إغناء فقير و إفقار غنى ، فكشف الحال عن فساد
ما راموا من الانتقال .

١٠ و لما ثبت بهذا شمول علمه ، لزم تمام قدرته كما برهن عليه فى طه ،
فقال مشيرا إلى ذلك ذاكرا السبب القريب فى الترزيق[4] بعد ما[5] ذكر
البعيد[6] ، فان الاعتراف بأن هذا السبب منه يستلزم الاعتراف بأن المسبب[7]
أيضا منه : ﴿ و لئن سالتهم من نزل[8] ﴾ بحسب التدريج على حسب ما
[فعل -[2]] فى الترزيق ، [و لما كان ربما ادعى مدع أنه استنبط ماء فأنزله
١٥ من جبل و نحوه ، ذكر ما يختص به سبحانه سالما عن دعوى المدعين
فقال - [3]] : ﴿ من السمآء مآء ﴾ بعد أن كان مضبوطا فى[9] جهة العلو

(١) فى ظ : به (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :
بعض عجزهم (٤) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٥) سقط من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : العبيد (٧) من ظ و مد ، و فى
الأصل : السبب (٨) تكرر فى الأصل فقط (٩) فى ظ : من .

﴿فأحيا﴾ [و لما كان أكثر الأرض يحيي بماء المطر من غير حاجة إلى سقي، قدم الجار فقال -[1]] : ﴿به الارض﴾ الغبراء، و أشار باثبات الجار إلى قرب الإنبات[2] / من زمان الممات، [و إلى أنهم[4] لا يعلمون إلا الجزئيات / ٩٤ الموجودة المحسوسة، ولا تنفذ عقولهم إلى الكليات[3] المعقولة نفوذ أهل الإيمان ليعلموا أن ما أوجده سبحانه [4]بالفعل في وقت فهو موجود إما بإيجاده إذا ٥ أراد، فالأرض حية باحيائه سبحانه[4] بسبب المطر في جميع الزمن الذي هو بعد الموت بالقوة كما أنها حيـــة في بعضها بالفعل -[1]] فقال: ﴿من بعد موتها﴾ فصارت خضراء تهتز بعد أن لم يكن بها شيء من ذلك، و أكد لمثل[5] ما تقدم من التنبيه على أن [6]حالهم في إنكار[6] البعث حال من ينكر أن يكون الله صانع ذلك، لملازمة القدرة عليه القدرة ١٠ على البعث [بقوله -[1]] : ﴿ليقولن الله﴾ و هو الذي الكمال كله، فلزمهم توحيده.

فلما ثبت أنه الخالق بدءا و إعادة كما يشاهد في كل زمان، قال منبها على عظمة صفاته اللازم من إثباتها صدق رسوله صلى الله عليه و سلم: ﴿قل﴾ معجبا منهم في جودهم حيث يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم ١٥ لا يوحدون: ﴿الحمد﴾ أي الإحاطة بأوصاف الكمال كلها ﴿لله﴾ الذي لا سمي له و ليس لأحد غيره إحاطة بشيء من الأشياء، فلزمهم[7] الحجة بما

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: اسات - كذا (٣) غير واضح في ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ: المثل (٦ - ٦) من ظ و مد، و في الأصل: انكارهم في حال - كذا (٧) في مد: فلزمتهم.

اقروا بـــه من إحاطته ، و هم لا يثبتون ذلك باعراضهم عنه[١] ﴿ بل اكثرهم لايعقلون ع﴾ [أى لايتجدد لهم عقل ، بعضهم مطلقا لأنه مات كافرا -[٢]] حيث هم مقرون بمعنى الحمد من أنه الخالق لكل شىء بدءا و إعادة ثم يفعلون ما ينافى ذلك فيشركون به غيره مما هم معترفون ٥ بأنه خلقه و لايتوكلون فى جميع الأمور برا و بحرا عليه و يوجهون[٣] العبادة خالصة إليه ، فهم لايعرفون معنى الحمد حيث لم يعملوا به ، [و منهم من آمن بعد ذلك فكان فى الذروة من كمال العقل فى التوحيد الذى يتبعه سائر الفروع ، و منهم من كان دون ذلك ، فكان نفى العلم عنه مقيدا بالكمال - [١]] .

١٠ و لما تبين بهذه الآيات أن الدنيا مبنية على الفناء و الزوال ، و القلعة و الارتحال[٤] ، و صح أن السرور بها فى غير موضعه فلذلك[٥] قال تعالى مشيرا بعد سلب العقل عنهم إلى أنهم فيها كالبهائم يتهارجون : ﴿و ما هذه الحيوٰة الدنيآ﴾ لحقرها بالإشارة و لفظ الدناءة مع الإشارة إلى أن الاعتراف بهذا الاسم كاف فى الالزام بالاعتراف بالآخرى[٦] .

١٥ و لما كان مقصود السورة الحث على الجهاد و النهى عن المنكر ، و كان فى معرض سلب العقل عنهم ، قدم اللهو لأن الإعراض عنه يحسم مادة الشر فانه الباعث عليه فقال : ﴿ لا لهو﴾ أى شىء[١] يلهى عما ينفع

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : يوجبون (٤) فى ظ : الانتقال (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالآخرة .

و لعب

﴿و لعب[١]﴾ يشتغل به صبيان العقول، و كل غافل و جهول، فان اللهو كل شيء من شأنه أن يعجب النفس كالغناء و الزينة من المال و النساء و غيره، فيحصل به فرح و زيادة سرور، فيكون سببا للغفلة و الذهول و النسيان و الشغل عن [٢]استعمال العقل فى اتباع ما ينجى فى الآخرة فينشأ عنه الضلال - على ما أشارت إليه آية لقمن[٣] "ليشترى لهو الحديث ٥ ليضل عن سبيل الله" و منه اللعب، و هو فعل ما يزيد النفس فى دنياها سرورا كالرقص بعد[٤] السماع و ينقضى بسرعة لأنه ضد الجد و مثل الهزل، و [هو -[٥]] كل شيء سافل، و كل باطل يقصد به زيادة البسط و الترويح و التمادى فى قطع الزمان فيما يشتهى من غير تعب، و اللعبة - بالضم: التمثال، و ما يلعب به كالشطرنج، و الأحمق يسخر به، و لعب لعبا : ١٠ مرح، و فى الأمر و الدين : استخف به[٦].

و لما كانوا ينكرون الحياة بعد الموت، أخبر على سبيل التأكيد أنه لاحياة غيرها فقال: ﴿و ان الدار الأخرة لهى﴾ أى خاصة ﴿الحيوان﴾ أى الحياة التامة الباقية العامة / الوافية نفسها من حيث أنه لاموت فيها /٩٥ و لافناء لشيء من الأشياء، و لذلك اختير هذا البناء الدال على المبالغة، ١٥ و حركته مشعرة بما فى الحياة من مطلق الحركة و الاضطراب، فلا انقضاء[٧] لشيء من لعبها و لا لهوها الذى [لا -[٥]] يوافق ما فى الدنيا إلا فى الصورة فقط

(١) فى الأصل فقط : لهب - خطأ (٢) العبارة من هنا إلى « و ينقضى بسرعة » ساقطة من مد (٣) آية ٦ (٤) فى ظ : بعده (٥) زيد من ظ و مد. (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : انفصال.

لا[1] فى المعنى، لأنه ليس فيها شىء سافل لا فى الباعث و لا فى المبعوث[2] إليه، بل كل ذلك بالتسبيح و التقديس و ما يترتب عليه من المعارف و[3] البسط و الترويح، و الانشراح و الأنس و التفريح.

و لما كانوا [قد -[4]] غلطوا فى الدارين كلتيهما فأنزلوا[5] كل واحدة منهما غير منزلتها، فعدوا الدنيا وجودا دائما على هذه الحالة و الآخرة عدما، لا وجود لها بوجه، قال: ﴿ لو كانوا ﴾ [أى - [4]] كونا هو كالجبلة ﴿ يعلمون ﴾ أى لهم علم ما لم يغلطوا فى واحدة منهما فلم يركبوا مع إيثارهم للحياة و شدة نفرتهم من الموت، لاعتقادهم أن لا قيام بعده إلى الدنيا، مع أن أصلها عدم الحياة الذى هو الموتان.

١٠ و لما ختم هذه الآية بما أفهم أنهم لايعلمون، و التى قبلها بأن أكثرهم لايعقلون، سبب عن ذلك قوله[6]: ﴿ فاذا ﴾ أى فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم أنهم إذا ﴿ ركبوا ﴾ أى البحر ﴿ فى الفلك ﴾ أى السفن ﴿ دعوا الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شىء إذا أصابتهم مصيبة[6] خافوا منها الهلاك ﴿ مخلصين ﴾ بالتوحيد ١٥ ﴿ له الدين ج ﴾ بالإعراض[7] عن شركائهم بالقلب و اللسان، لما هم له محققون أنه لامنجى[8] عند تلك الشدائد غيره ﴿ فلما نجّٰهم ﴾ أى الله سبحانه، موصلا [لهم - [9]] ﴿ الى البر اذا هم ﴾ أى حين الوصول إلى البر

(١) فى ظ: الا (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: البعوث (٣) فى ظ: فى (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى النسخ: فنزلوا، و السياق يقتضى ما أثبتناه (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ و مد: معرضين (٨) فى ظ: لاينجى (٩) زيد من مد.

﴿ يشركون ﴾ فصح أنهم لا يعلمون ، لأنهم لا يعقلون ، حيث يرون بعجز آلهتهم و يشركونها معه ، ففي ذلك أعظم[1] التهكم بهم ؛ قال البغوي[2]: قال عكرمة : كانوا إذا ركبوا البحر حملوا [معهم -[3]] الأصنام ، فاذا اشتدت بهم الريح ألقوها في البحر و قالوا : يا رب ! يا رب . و قال الرازي في اللوامع : و هذا دليل على ان معرفة الرب في فطرة كل إنسان ، و أنهم ٥ إن غفلوا في السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء - انتهى . فعلم أن الاشتغال بالدنيا هو الصادّ عن كل خير و [أن -[4]] الانقطاع عنها معين للفطرة [الأولى المستقيمة ، و لهذا نجد الفقراء أقرب إلى كل خير .

و لما كانوا مع هذا الفعل -[4]] - الذي لا يفعله إلا مسلوب العقل - يدعون أنهم أعقل الناس و أبصرهم بلوازم الأفعال و ما يشين الرجال ، ١٠ و كان فعلهم هذا كفرا للنعمة ، مع ادعائهم أنهم أشكر الناس للمعروف ، قال مبينا أن عادتهم مخالفة لعادة المؤمنين في [جعلهم نعمة النجاة سببا لزيادة طاعاتهم ، فعلم أنه[5] ما كان إخلاصهم في البحر إلا صورة لا حقيقة لها -[4]] : ﴿ليكفروا بمآ ءاتينهم ج﴾ على عظمتنا من هذه النعمة التي يكفي في عظمتها أنه لا يمكن غيرنا أن يفعلها[6] ما أشركوا إلا لأجل هذا الكفر ، ١٥ و إلا لكانوا فاعلين لشيء عن[7] غير قصد ، فيكون ذلك فعل من لا عقل له أصلا و هم يحاشون عن مثل ذلك ﴿ و ليتمتعوا وقفه ﴾ بما يجتمعون

(١) في ظ و مد : عظيم (٢) في معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٦٦ .
(٣) زيد من المعالم (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : ان (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : يفعلوا (٧) في ظ و مد : من .

عليه فى الإشراك من التواصل و التعاون[1]، و عند من سكن اللام - وهم ابن كثير و حمزة و الكسائى و قالون عن نافع[2] - يكون معطوفا تهديدا على مقدر هو «فليكفروا» أو على "ليكفروا" السابق، على أن لامه للأمر، و سيأتى فى / الروم[3] إن شاء الله تعالى ما يؤيده /٩٦
٥ ﴿فسوف يعلمون﴾ بوعد[4] لاخلف فيه ما يحل بهم بهذا الفعل الذى هو دائر بين كفر و جنون.

و لما كان قد فعل بهم سبحانه من الأمن الشديد المديد فى البر دون سائر العرب عكس ما ذكر من حال خوفهم الشديد فى البحر، و كان قادرا على إخافتهم فى البر كما قدر على إخافتهم فى البحر ليدوم إخلاصهم،
١٠ وكان كفرهم عند الأمن بعد الإخلاص[5] عند الخوف - مع أنه أعظم النقائص - [هزلا -[6]] لايفعله[7] إلا من أمن مثل تلك المصيبة فى البر، توجه[8] الإنكار فى نحو أن يقال: ألم يروا أنا قادرون على إخافتهم و إهلاكهم فى البر كما نحن قادرون على ذلك فى[9] البحر كما فعلنا بغيرهم، فعطف عليه قوله: ﴿ اولم يروا ﴾ [أى -[10]] بعيون بصائرهم[11]
١٥ ﴿ انا جعلنا ﴾ أى بعظمتنا لهم ﴿ حرما ﴾ و قال تعالى: ﴿ امنا ﴾ لانه لاخوف على من دخله، فلما أمن كل حالّ به كان كأنه هو نفس[12] الأمن،

---

(١) فى ظ: اتعارف (٢) راجع نثر المرجان ٥/٢٦١ (٣) آية ٣٤ (٤) فى ظ ومد: بوعيد (٥) فى ظ و مد: الخلاص (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: لايفعل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بوجه (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ: بصائركم (١٢) فى ظ و مد: نفسه.

و هو

و هو حرم مكة[1] المشرفة. و آمنـــه موجب[2] للتوحيد و الإخلاص، رغبة فى دوامه، و خوفا من انصرامه، [كما كان الخوف فى البحر موجبا للاخلاص خوفا من دوامه، و رغبة فى انصرامه -[3]] ﴿و﴾ الحال أنه ﴿ يتخطف ﴾ و بناه للفعول لأن المقصود الفعل لا فاعل معين .

و لما كان التخطف غير خاص بناس دون آخرين، بل كان جميع ٥ العرب يغزو بعضهم بعضا، و يغير بعضهم على بعض بالقتل و الأسر و النهب و غير ذلك من أنواع الأذى، قال: ﴿ الناس من حولهم[4] ﴾ أى من حول من فيه من كل جهة تخطف[4] الطيور مع[5] قلة من[5] بمكة وكثرة من حولهم[6]، فالذى خرق العادة فى فعل ذلك حتى صار على هذا السنن قادر على أن يعكس الحال فيجعل[7] من بالحرم متخصفا و[8] من ١٠ حوله آمنا، أو يجعل الكل فى الخوف على منهاج واحد .

و لما تبين أنه لا وجه لشركهم و لا لكفرهم هذه النعمة الظاهرة المكشوفة[9]، تسبب الإنكار فى قوله: ﴿ افبالباطل ﴾ أى خاصة[10] من الأوثان[10] و غيرها ﴿ يؤمنون ﴾ و الحال أنه لا يشك عاقل فى بطلانه ، و جاء الحصر من حيث أن من كفر بالله تبعه الكفر[11] بكل حق[11] و التصديق بكل ١٥ باطل ﴿ و بنعمة الله ﴾ التى أحدثها لهم من الإنجاء وغيره[12] ﴿ يكفرون ﴾

(١) فى ظ: بمكة (٢) فى ظ: موجبة (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: كتخطف. (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : قلته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : حوله (٧) من ظ و مد . و فى الأصل : يجعل (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى ظ ومد : توجه (١٠-١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : بالاوثان (١١-١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحق (١٢) فى ظ : غيرهم .

حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة شركهم بعبادة غيره .

و لما كان الظلم وضع الشيء في غير محله[١] . و كان وضع الشيء في موضع[٢] لايمكن أن يقبله [أظلم -[٣]] الظلم ، كان فعلهم هذا الذى هو إنزال ما[٤] لا يعلم شيئا و لايقدر [على شيء في منزلة من يعلم كل ٥ شيء و يقدر -[٣]] على كل مقدور أظلم الظلم ، فكان التقدير : فمن أظلم منهم في ذلك ، عطف عليه[٥] قوله : ﴿ و من اظلم ﴾ أي أشد[٦] وضعا للأشياء في غير مواضعها ، لأنه لا نور له بل هو في ظلام الجهل يخبط ﴿ ممن افترى ﴾ أي تعمد ﴿ على الله كذبا ﴾ أي أيّ كذب كان من الشرك و غيره كما كانوا يقولون إذا فعلوا فاحشة[٧] : وجدنا عليها آباءنا ١٠ و الله أمرنا بها ﴿ او كذب بالحق ﴾ من هذا القرآن المعجز المبين ، على لسان هذا الرسول الأمين الذى ما أخبر خبرا إلا طابقه / الواقع ﴿ لما ﴾ أي حين ﴿ جآءه ﴾ من غير إمهال[٨] إلى أن ينظر و يتأمل فيما جاءه من الأمر الشديد الخطر . ٩٧ /

و لما كان التقدير : لا أحد أظلم منه ، بل هو أظلم الظالمين ، فهو ١٥ كافر و مأواه جهنم ، و كان من المعلوم أنهم يقولون عنادا : ليس الأمر كذلك ، قال إنكارا عليهم ، و لأن فعلهم فعل المنكر ، و تقريرا[٩] لهم لأن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي كانت للتقرير ، عدا له بمنزلة ما

(١) في ظ و مد : موضعه (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : موضعه .
(٣) زيد من ظ ومد (٤) في ظ : من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : اشر (٧) زيد في ظ : قالوا (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : اهمال .
(٩) في ظ : مقررا .

لا نزاع [1]فيه أصلا[1]: ﴿ أليس في جهنم مثوى ﴾ أي منزل و موضع إقامة و حبس له و قد ارتكب هذا[2] الكفر العظيم - هكذا[3] كان الأصل، و لكنه لقصد التعميم و تعليق الفعل بالوصف قال[4]: ﴿ للكفرين ه ﴾ أي الذين يغطون أنوار الحق الواضح، أو ليس هو من الكافرين؟ أي أن كلا من المقدمتين[5] صحيح [6]لا إنكار[6] فيه، و لاينتظم إنكارهم إلا بإفساد ٥ إحديهما[7]، أما كفره للنعم[8] بعد إنجائه من الهلاك حيث عبد غيره فلا يسع عاقلا إنكاره، و أما كون جهنم تسعه بعد إخبار القادر به فلا يسع مقرا بالقدرة إنكاره، فالمقدمتان مما[9] لا مطعن فيه عندهم، فأنتجتا أن مثواه جهنم، [و صار القياس هكذا: عابد غير من أنجاه كافر، و كل كافر مثواه جهنم، فعابد غير من أنجاه مثواه جهنم -[10]]. ١٠

و لما كان هذا كله في الذين فتنوا فلم يجاهدوا أنفسهم، كان[11] المعنى: فالذين فتناهم فوجدوا كاذبين ضلوا فصاروا لا يعقلون و لايعلمون، لكونهم لم يكونوا من المجاهدين، فعطف عليه قوله: ﴿ و الذين جاهدوا ﴾ أي أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة[12] ﴿ فينا[13] ﴾ أي بسبب حقنا و مراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار و غيرهم ١٥

(١-١) في ظ و مد: في أصله (٢) من ظ ومد، و في الأصل: هكذا (٣) زيد في ظ: إذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و في الأصل: المتقدمين. (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: الانكار (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: احدهما (٨) من ظ و مد، و في الأصل: النعم (٩) في ظ: ممن (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد (١١) في ظ و مد: فان (١٢) في ظ و مد: المفاعلة (١٣) تكرر في الأصل فقط بعد « و الذين جاهدوا ».

من[1] كل ما ينبغى الجهاد فيه بالقول و الفعل[2] فى الشدة و الرخاء، و مخالفة الهوى عند هجوم الفتن، و شدائد المحن، مستحضرين لعظمتنا.

و لما كان الكفار ينكرون فلاحهم و كان المفلح و الظافر فى كل شىء هو المهتدى، قال معبرا بالسبب عن المسبب: ﴿لنهدينهم﴾ ٥ بما نجعل[3] لهم من النور الذى لايضل من صحبه، هداية يليق بعظمتنا ﴿سبلنا[4]﴾ التى لاسبل غيرها، علما و عملا، و نكون معهم بلطفنا و معونتنا، لأنهم أحسنوا المجاهدة فهنيئا لمن قاتل فى سبيل الله و لو فواق ناقة لهذه[4] الآية و قوله تعالى " و الذين قاتلوا فى سبيل [الله - [5]] فلن يضل اعمالهم سيهديهم و يصلح بالهم[6] "، و لهذا كان سفيان بن عيينة يقول: ١٠ إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الغزو.

و لما كان المحسن كلما[7] توفر حظه فى مقام الإحسان نقص حظه من الدنيا، فظن الأغبياء أنه ليس لله به عناية، عظم التأكيد فى قوله، [لافتا الكلام عن أسلوب الجلال إلى أجلّ عنه بما زاد من الجمال - [8]] ﴿و ان الله﴾ أى بعظمته و جلاله و كبريائه و جميع كماله لمعهم - ١٥ هكذا كان الأصل، و لكنه اراد الإعلام باحسانهم و تعليق الحكم

---

(١) فى ظ «و». (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العمل (٣) فى ظ و مد: جعل (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: هذه (٥) زيد من ظ و مد والقرآن الكريم سورة ٤٧ آية ٤؛ و أما «قاتلوا» فقد قرأ بها غير حفص و أبى عمرو و يعقوب (٦) العبارة إلى هنا ساقطة فى ظ من «فلن يضل» و فى مد من «و يصلح» (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فلما (٨) زيد من ظ و مد.

بالوصف

بالوصف و التعميم فاظهر قائلا : ﴿ لمع المحسنين ﴾ أى كلهم بالنصر و المعونة فى دنياهم[1]، و الثواب و المغفرة فى عقباهم. بسبب جهادهم لأنه شكر يقتضي الزيادة، و من كان معه سبحانه فاز بكل مطلوب، و إن رأى الجاهل خلاف ذلك. فانه يجعل عزهم من وراء ذل و يستر غناهم بساتر فقر، حماية لهم مما[2] يجر إليه دائم[3] العز من الكبر، و يحمل ٥ / عليه[4] عظيم الغنى من الطغيان، و ما أحسن ما نقل الأستاذ أبو القاسم القشيرى[5] فى الرسالة عن الحارث المحاسبى[6] أنه قال : من صحح باطنه بالمراقبة و الإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة و اتباع السنة . و الآية من الاحتباك : أثبت أولا الجهاد دليلا على حذفه ثانيا ، و ثانيا أنه مع المحسنين دليلا على حذف المعية و الإحسان أولا ، فقد عانق أول[7] السورة هذا الآخر، ١٠ و كان إليه أعظم ناظر، فنسأل الله العافية من الفتن ، و المجاهدة إن كان لابد من المحن . [8]و إليه المآب[8].

/ ٩٨

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدنيا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما . (٣) فى ظ : دائم (٤) زيد فى الأصل : من . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابورى القشيرى ، و من مؤلفاته « الرسالة القشيرية » - راجع الأعلام ٤ / ١٨٠ . (٦) هو الحارث بن أسد المحاسبى أبو عبد الله ، من أكابر الصوفية - راجع الأعلام ٢ / ١٥٣ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

○ ○ ○ ○ ○

خاتمة الطبع

لقد تم - والحمد لله - طبع الجزء الرابع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى، يوم الجمعة السابع من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩ هـ = الرابع من مايو سنة ١٩٧٩ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء الخامس عشر بإذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الروم.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا بـه و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤول لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية